الصور البلاغية في الأدعية القرآنية

اطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
قسم الدراسات العليا في الجامعة الوطنية للغات الحديثة

إعداد الباحث :

نور زمان مدني

تحت إشراف :

الدكتور كفايت الله همداني

محاضر في كلية اللغة العربية
بالجامعة القومية للغات الحديثة ، إسلام آباد

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد ،

العام الدراسي، 2007-2011 م

الصور البلاغية في الأدعية القرآنية

اطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
قسم الدراسات العليا في الجامعة الوطنية للغات الحديثة

إعداد الباحث :

نور زمان مدني

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد

تحت إشراف :

الدكتور كفايت الله همداني

محاضر في كلية اللغة العربية

بالجامعة الوطنية للغات الحديثة ، إسلام آباد

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد ،

العام الدراسي، 2007-2011 م

الجامعه الوطنيه للغات الحديثه ، إسلام اباد

العام الدراسي : 2007-2011

الصور البلاغية في الأدعية القرآنية

إعداد

نور زمان مدني
ماجستير في اللغة العربية، جامعة بنجاب ، لاهور ، 2007 م

أطروحة

قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
قسم الدراسات العليا في الجامعة الوطنية للغات الحديثة
قسم اللغة العربية وآدابها

الجامعة الوطنية للغات الحديثة ،
إسلام آباد
ديسمبر 2011

بسم الله الرحمن الرحيم

مقالہ اور دفاع کی منظوری کا فارم

قام الموقعون أدناه بدراسة الأطروحة ومداولتها وقد خرجوا بنتائج طيبة حولها ونلتمس من هيئة الدراسات المتكاملة الموافقة على هذه الأطروحة كأطروحة جيدة.

عنوان الأطروحة:

الصور البلاغية في الأدعية القرآنية

إعداد : نور زمان مدني رقم التسجيل:240-MPhilArabic/2007

شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

الدراسات العليا

الدكتور كفايت الله همداني	
المشرف	التوقيع
الدكتورة شذرة منور	
رئيسة قسم الدراسات العليا	التوقيع
ميجر جنرل (ر) مسعود حسن	
رئيس الجامعة	التوقيع

التاريخ: / /

يمين الباحث

أعلن أن أطروحتي : "الصور البلاغية في الأدعية القرآنية" التي أعددتها تحت إشراف الأستاذ الدكتور كفايت الله همداني، والتي قدمتها إلى الجامعة الوطنية للغات الحديثة بإسلام آباد لنيل درجة الدكتوراه، لم أتقدم بها إلى أية جهة أخرى لنيل أية شهادة من قبل .

نور زمان مدني

الباحث

الجامعة الوطنية للغات الحديثة ، إسلام آباد

ديسمبر 2011

مقالے کا دائرہ کار

الصور البلاغيه في الادعيه القرآنيه

قرآن مجید کی فصاحت وبلاغت ایك مسلمہ امر ہے ۔ اور یہ فصاحت وبلاغت ادعیہ قرآنیہ میں بھی جھلکتي نظر آتي ہے۔ اسي لیے میں نے ادعیہ قرآنیہ کے بلاغي پہلوؤں کو موضوع بحث بنایا ہے ۔ اور میں نے ان پہلوؤں کو علم بلاغت کی تینوں اقسام: (۱) علم البیان (۲) علم المعاني (۳) علم البدیع کے تناظر میں نمایاں کرنے کي کوشش کي ہے۔

میں نے اپنی بحث کو چھ ابواب میں تقسیم کیا ہے۔

پہلا باب : ۔ علم البلاغہ کے متعلق ہے یہ باب تین فصول پر مشتمل ہوگا۔

دوسرا باب : ۔ دعا کے متعلق ضروري مباحث پر مشتمل ہے یہ باب چھ فصول پر مشتمل ہے۔

تیسرا باب :۔ قرآن کی دعاؤں کے متعلق مباحث پر ہے یہ باب چار فصول پر مشتمل ہے۔

چوتھا باب : ۔ علم البیان قرآنی دعاؤں میں علم البیان کا ذکر ہے۔ یہ باب چار فصول پر مشتمل ہے ۔

پانچواں باب :۔ قرآنی دعاؤں میں علم المعاني کا ذکر ہے۔ یہ باب چار فصول پر مشتمل ہے ۔

چھٹا باب :۔ قرآني دعاؤں میں علم البدیع کا ذکر ہے۔ یہ باب تین فصول پر مشتمل ہے ۔

نور زمان مدني
پي ایچ ڈي (عربي زبان وادب)
نیشنل یونیورسٹي آف ماڈرن لینگویجز اسلام آباد

Abstract

Topic of the PhD dissertation
(**Rhetoric pictures in Quranic Invocations**.)

It is a matter of fact that the Holy Quran is characterized by rhetoric and elequancy . This rhetoric and eloquaney appear in the Quranic invocations. So I have adopted the rhetorical aspects of the Quranic invocations as a subject matter of my PhD thesis. I shall try to focus on these aspects keeping in view the three kinds of the rhetoric:

(1) (Elm –Ul-Bayan) علم البيان

(2) (Elm-Ul-Maani) علم المعاني

(3) (Elm-Ul-Badea) علم البديع

I have divided my topic into six chapters:

First Chapter : It will deal with Rhetoric. It will include three sub-chapters.

Second Chapter: It will consist of essential objects of research regarding invocations. It will include six sub-chapters.

Third Chapter : The Quranic invocations will be discussed. It will consist of four sub-chapters.

Fourth Chapter: Quranic invocations will be mentioned in the light of " علم البيان" . It will include four sub-chapters .

Fifth Chapter: Quranic invocations will be mentioned in the light of " علم المعاني" . it will consist of four sub-chapters.

Sixth Chapter: Quranic Invocations will be mentioned in the light of " علم البديع". It will include three sub-chapters.

Noor Zaman Madani
PhD Scholar
Arabic Department
NUML – Islamabad

الإهداء

إلى أبي الحبيب رحمه الله الذي هيأ لي من حبه وعطفه ورعايته ودعائه أقصى ما يهيأ الأب لأبنائه.

وإلى أمي الحبيبة رحمها الله التي رحلت عن هذه الحياة في صغر سني غير أن دعائها لا يزال يحوطني بحفظ الله ورحمته.

وإلى زوجتي العزيزة التي شجعتني لحصول على العلم وهيأت لي الظروف لكتابة البحث وتحملت أعباء الأسرة وحدها طوال مدة انشغالي بالدراسة والبحث.

إليهم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع داعيا الله سبحانه وتعالى أن يجعله لهم ذخرًا في ميزانهم عنده إنه نعم المولى وهو الهادي إلى سواء السبيل.

نور زمان مدني

كلمة الشكر

انطلاقا من قوله γ"من لم يشكر الناس لم يشكر الله" (1)

---

(1) الجامع الصغير للإمام جلال الدين السيوطي بشرح المناوى فيض القدير ، (رقم الحديث / 9028.)

فإنني أتوجه بخالص الشكر والتقدير لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل وأخص بالشكر الجزيل الأساتذة الذين غرسوا بذور العلم في أعماق قلبي وأنبتت سنابل العربية، كما أتوجه بالشكر إلى الأستاذ الدكتور عميد الكلية اللغات الشرق الأدنى السيد علي أنور، الذي عاملني في جميع مراحل معاملة الرأفة والرحمة والذي درّسني علم اللغة وغيره ، واستفدت من إرشاداته الذهبية في بحثي هذا .

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير لمشرفي وأستاذي الدكتور كفايت الله همداني الذي تكرم بالإشراف على بحثي هذا وساعدني في كل مشكلة طوال فترة إعداد هذا البحث. أيده الله ونفعنا بفضله على ما أبدي لي من نصح وقطع لي من وقته الثمين ، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أشكر زميلي وصديقي محمد بادشاه، الذي تحمل عبء كتابة هذا البحث من أوله إلى آخره وقام بالإخراج الفني وبذل من وقته الغالي الكثير ، فجزاه الله خيراً.

كما لا أنسى أن أتقدم بخالص الشكر إلى زوجتي التي شجعتني للحصول على العلم وكتابة هذا البحث في بحر المصائب والعوائق التي كادت تصرفني عن نيل مرامي، وأسأل الله أن يجزيها خير الجزاء.

وختاماً أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يعفو عني ويغفر لي خطيئتي يوم الدين.

وصلى الله على خير الخلق محمد وآله وأصحابه أجمعين

الطالب :

نور زمان مدني

دكتوراه اللغة العربية وآدابها

:✞ T√Ď

↓ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ↑ (القرآن)

قال عليه الصلاة والسلام :

"الدعاء مخ العبادة " (الحديث)

المقدمة

"الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان والصلاة والسلام على الرسول العربي سيدنا محمد ρ، المثل الأعلى في كل كمال وجمال ، الذي أعطاه ربه مفاتح البيان وأسس له الكلام ، وجعله خير من نطق بلسان العرب وأفضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله الطاهرين وأصحابه أجمعين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. "

وبعد :

إن الله سبحانه وتعالى بعث الأنبياء والرسل لهداية الناس ، إيفاءً لوعده الذي وعد به آدم υ حين أمره بالهبوط مع قرينته البسيطة. فلما علم آدم υ إن عدوه إبليس سيهبط معه إلى الأرض وإنه كان طلب من الله تعالى الإنظار إلى يوم الدين، وأقسم بعزة الله سبحانه وتعالى أنه سيغوي أولاد آدم وسيزين لهم الحياة الدنيا، فجزع آدم عليه السلام جزعاً شديداً ، فطمأنه الله بقوله : " (**إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا يَحْزَنُوْن**[1])."

فما زال الأنبياء والرسل يبعثون من حين إلى حين وفق ذلك الوعد الرباني، وما زال حزب الشيطان يسد طريقهم ، فكان الصراع العنيف مستمراً بين حزب الرحمن و حزب الشيطان دائماً ، وكان حزب الشيطان يلقى في أذهان عباد الله وقلوبهم الشك والارتياب فتأتي من الله تعالى حجج وبراهين تؤيد دعوة أنبيائه وتؤكد ثقاهة مرسله ، وكان لا بد هذه الدلائل الباهرة ، والمؤكدات الظاهرة أن تكون ملائمة لمتطلبات عصرية لتكون الحجة البالغة ، والأدلة التامة

(**1**) سورة البقرة، رقم الآية/ **38**.

ولذلك كانت الحجة تأتي من ذلك الجنس الذي بلغ أبناء ذلك العصر الخاص فيه قمة في الفن والمهارة حيث لا تقع رجاء سراج وراءها ولا مهارة لماهر فوقه.

كان الناس بعث إليهم أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم v وعلى نبينا أطيب التحيات وأزكى التسليمات، يقدسون النار ويعظمونها ، يرجون منها منافع ويخافون منها معاطب، يعتقدون فيها شيئاً من الألوهية، ولذلك رموا بسيدنا إبراهيم v فيها لتهلكه وتأكله، ولكنها صارت برداً وسلاماً عليه. فجاء التحدي وتم البرهان واكتملت الحجة، وفي العصر الذي أرسل فيه سيدنا موسى v حجة كانت تبدو في بداية الأمر من عمل السحر، ولكن هيهات بينها وبين هذا، فكان إذا ألقى عصاه، صارت حية تسعى، وإذا أدخل يده جيبه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء للناظرين. فظنه فرعون لقصر فهمه سحراً ولذلك بعث في المدن حاشرين ليأتوا بكل سحار عليم، فعقد الوعد وألقى السحرة حبالهم وعصيهم، فإذا هي تتراءى كأنها حيات تسعى فألقى موسىv عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون، فعلم السحرة أنهم قد جاءوا بكل ما في إمكانية الفن، واستطاعة المهارة، وطاقة البشر، ثم عجزت مساعيهم أن تبلغ تلك الذروة التي كانت تتمكن عليها ما ظهرت بيد موسى v فلذلك "(وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ & قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ & رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ)" [(1)] ، وكان علم الطب قد بلغ مبلغه في عصر سيدنا المسيح v وكان شائعاً، ومقصوده التوقي من الأمراض والأسقام لأن أعضلها قد تؤدي إلى الموت، فمن جاء بحله ـ ولو كان مؤقتاً ـ فقد أعجز جميع الناس حين لا يستطيع بشر أن يرد الموت ولو كان أمهر الناس في الطب، فلذلك كان كل ما ظهر بيد سيدنا مسيح v معجزاً له فقد بين القرآن العظيم بلسان عيسى بن مريم v : " (أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ ") [(2)]

---

(1) سورة الأعراف، رقم الآية/ **120-122**.

(2) سورة آل عمران، رقم الآية/ **49**.

فمتبعاً لهذا المنوال البسيط المدلل بالبراهين بعث سيد المرسلين وخاتم النبيين في الأمة العربية ، التي كانت تفتخر بفصاحتها وتعتز ببلاغتها، وكان العرب يعدون أنفسهم أمراء البيان لساناً، حيث كان يسمون سائر الناس عجماً، فأعطى الله سبحانه وتعالى رسول الله ρ القرآن معجزة له في الكلام ، فجاء التحدي :

(" وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ∃ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) [1]. "

وإن كانت بلاغة القرآن في كلامه المعجز بادية جلية واضحة ، تأخذ بمجامع القلوب، وتأسر العقول وتؤثر في النفوس، فإنها أبدى وأجلى وأوضح خلال تلك الصيغ التي ذكرت في القرآن عند التضرع إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء.

وهذه الظاهرة في الأدعية القرآنية لا تزال مختفية، وإعجازه يظل غير ظاهر حيث لم يمسه قلم باحث، ولم يفتح بابه يد دراس، فوددت أن أكون أبا عذرته، أكشف اللثام عن وجوه عرائس البيان، وأفك الختام عن رحيق المعاني النادرة والمفاهيم المبتكرة، وألتمس تلك الموائمة التي تسير دائماً بين الصيغة والمعنى، ليظهر إعجاز الكلام المجيد، ولتتضح المعاني الجلية التي تحويها الألفاظ القليلة، ولتتدفق بحر المفاهيم النفيسة التي لا تبدو للناظر والدارس بداهة، فسأكشف عن ساق الجد والاجتهاد، وسأعزم على الاقتحام في لجج بحار المعاني لأدعية القرآنية ، وجعلت لبحثي هذا عنوان: "الصور البلاغية في الأدعية القرآنية ".

ولقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عاملان رئيسيان :

العامل الأول : إن للدعاء درجة سامية ، ومنزلة رفعية وأهمية كبرى ، إذ الدعاء هو العبادة فقد صح الخبر عن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بأن

(**1**) سورة البقرة، رقم الآية/ **23-24**.

"الدعاء هو العبادة"[1] بصيغة الحصر ولا يخفي مكانة العبادة فقد خلقنا الله تعالى من العدم لعبادته ، وقد افتتح الله القرآن بالدعاء واختتمه به ، فسورة الفاتحة مشتملة على دعاء الثناء كما هي مشتملة على دعاء المسألة إذ فيها الدعاء بأجل المطالب وأفضل الرغائب ، وهو طلب الإغاثة على مرضاة الله تعالى وسؤال الهداية، وقد فرض الله علينا أن نناجيه وندعوه بذلك في كلا صلاة ، وسورة الإخلاص في الدعاء الثناء، والمعوذتان في طلب العياذة الذي هو أحد أنواع دعاء المسألة .

وقد سمى الله الدعاء ديناً في غير ما آية ، والدين هو الإسلام كله، كما سماه عبادة في غير ما آية، والعبادة هي العلة الغائية للوجود.

وقد أمرنا الله تعالى بالدعاء ووعدنا بالإجابة تفصيلاً وتكرماً وإحساناً ، وتوعد من استكبر عن دعائه فقال عز من قائل : " (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) .[2] "

فالدعاء سمة العبودية وعنوان التذلل والخضوع والاستكانة وتلبية للاحتياج والافتقار الذاتي ودليل الصدق في اللجأ والرجاء والرغبة والطمع والخوف والرهبة، فهو لب العبادة ومخها وروحها ، فعرفه الله تعالى عبادة وتوحيد ، وحرفه لغيره تعالى شرك وتنديد ، وأن الأدعية القرآنية كما كانت مليئة بالأسرار الروحانية، كذلك مزينة بالمحاسن الأدبية اللفظية والمعنوية.

والعامل الثاني : إن موضوع البلاغة القرآنية شغل ذهني منذ زمن دراسي وعلى الأخص في الأدعية القرآنية لأن الله تعالى ذكر وبين في هذه الأدعية كيفية الأنبياء والمؤمنين وغيرهم الذين دعوا ربهم بأخضع الخشوع فكلمات وألفاظ الأدعية القرآنية ملئية بالبلاغة فلا ريب فيه أن الأدعية القرآنية دليل مستقل من دلائل الإعجاز القرآني العظيم.

---

(1) سسن الترمذي ، رقم الحديث/ **3247**

(2) سورة الغافر، رقم الآية/ **60**.

يشتمل بحثي " الصور البلاغية في الأدعية القرآنية" على مقدمة وستة أبواب وخاتمة.

الباب الأول : " البلاغة " فتشمل هذا الباب على ثلاثة فصول وهي :

الفصل الأول: البلاغة لغة و اصطلاحاً

الفصل الثاني: أهمية علم البلاغة و نشأته و تطوره

الفصل الثالث:العلماء البلاغيون المشهورون و أهم المؤلفات في علم البلاغة.

الباب الثاني: معارف الدعاء

و يتكون هذا الباب من ستة فصول

الفصل الأول: الدعاء لغة و اصطلاحاً

الفصل الثاني: أهمية الدعاء من القرآن و الحديث و مكانته من العقيدة

الفصل الثالث: دلائل علي تأثير الدعاء من القرآن و السنة و الفطرة

الفصل الرابع: شروط و آداب الدعاء و أسباب قبول الدعاء

الفصل الخامس: الأوقات و أماكن يستجاب فيها الدعاء

الفصل السادس: الأخطاء التي تقع في الدعاء

الباب الثالث: الأدعية القرآنية

و فيه أربعة فصول:

الفصل الأول: عدد الآيات الأدعية القرآنية

الفصل الثاني: مضامين الأدعية القرآنية وصيغها

الفصل الثالث: تقسيم الدعاء من حيث الداعيين

الفصل الرابع: فوائد الأدعية المختلفة حسب حاجات الإنسان

الباب الرابع: شواهد علم البيان في الأدعية القرآنية

و فيه أربعة فصول

الفصل الأول: التعريف بعلم البيان ونشأته

الفصل الثاني: شواهد التشبيه في الأدعية القرآنية

الفصل الثالث: شواهد المجاز في الأدعية القرآنية

الفصل الرابع : شواهد الاستعارة و الكناية في الأدعية القرآنية

الباب الخامس: شواهد علم المعاني في الأدعية القرآنية

و فيه أربعة فصول:

الفصل الأول: التعريف بعلم المعاني ونشأته

الفصل الثاني: شواهد الإيجاز و الإطناب و القصر في الأدعية القرآنية

الفصل الثالث: شواهد الفصل و الوصل و التقديم و التأخير في الأدعية القرآنية

الفصل الرابع: شواهد الخبر و الإنشاء في الأدعية القرآنية

الباب السادس: شواهد علم البديع في الأدعية القرآنية

و فيه ثلاثة فصول

الفصل الأول: التعريف بعلم البديع ونشأته

الفصل الثاني: المحسنات اللفظية في الأدعية القرآنية

الفصل الثالث: المحسنات المعنوية في الأدعية القرآنية

إنما فعلت ذلك على سبيل الإشارة، لأنه ليس هذا هو هدفنا في هذا البحث العلمي، وإنما فعلت ذلك لانطلاق إلى آفاق أوسع، وإلى مناطق أبعد وأقصى في مجال البلاغة والبيان، وأعني بهذا أن هدفي بهذا يكون التماس غاية البلاغة والبيان حيث تأثر الصيغة في نفس المتكلم فتنسيه ما حوله وتوصله بذات

ربه فتغمره قدسيتها وتحيط به نوارنيتها فيصير في حالة حيث لا يبقى بينه وبين ربه حجاب، فلا تخرج كلمة من فيه إلا تكون مقبولة مستجابة عند حضرة القدسية.

وخاتمة البحث ذكرت فيه نتيجة البحث والنكات التي وصل إليها البحث.

والله الموفق والمؤيد، وله الحمد والمنة والإحسان، أحمده وأشكر له ، فلولا مننه السابغة ونعمه البالغة، وتوفيقه الكامل وتأييده التام لما كان يمكن له أن أقوم بهذه المسؤولية الكبرى ولم يكن لطالب مثلي أن يتجرأ بتناول مثل هذا العمل العلمي ولكن الله سبحانه وتعالى تكرم على وتفضل حيث فتح أمام عيني هاتين طريقاً للوصول إلى ما يرجع في مثل هذه الرسائل العلمية، فله الشكر في الأولى والآخرة، وكذلك أشكر رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الوطنية للغات الحديثة الذي زودني بتوجيهاته القيمة وإرشاداته الكريم في جميع مراحل البحث.

ثم إن واجب عرفان الجميل يقتضيني أن أتوجه بالشكر إلى كل من أسدّ إلى عوناً وسهل لي صعباً، وأخص بالذكر المشرف على هذه الرسالة الدكتور كفايت الله همداني ، حيث ساعدني كل المساعدة وأرشدني في جميع مراحل البحث من اختيار الموضوع وإعداد الخطة وإكمال البحث على هذا الشكل، ومما يجب علي أن أقدم عواطف الشكر والتقدير إلى جميع أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها رئيساً ومرؤوساً على مد يد العون والمساعدة إلي في إكمال البحث، فجزى الله الجميع خير جزاء وجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

والله أسأل أن يوفقني دائماً لخدمة كتابه الحكيم، وسنة نبيه الكريم γ وأن يجعل عملي خالصاً لوجه الكريم، إنه ولي التوفيق، وهو نعم المولى ونعم النصير.

طالب فصل الدكتوراه

نور زمان مدني

الباب الأول
البلاغة : 9

- **الفصل الأول:** البلاغة لغة واصطلاحاً
- **الفصل الثاني**: أهمية العلم البلاغة ونشأته وتطوره
- **الفصل الثالث:** العلماء البلاغيون المشهورون وأهم مؤلفات في علم البلاغة

الباب الثاني

معارف الدعاء : 57

- **الفصل الأول**: الدعاء لغة واصطلاحاً
- **الفصل الثاني**: أهمية الدعاء من القرآن والحديث ومكانته من العقيدة
- **الفصل الثالث**: دلائل على تأثير الدعاء من القرآن والسنة والفطرة
- **الفصل الرابع**: شروط آداب الدعاء وأسباب قبول الدعاء
- **الفصل الخامس**: أوقات وأماكن يستجاب فيها الدعاء .
- **الفصل السادس** : موانع الدعاء

الباب الثالث

الأدعية القرآنية : 130

- **الفصل الأول**: عدد الأدعية القرآنية
- **الفصل الثاني**: مضامين الأدعية القرآنية وصيغها
- **الفصل الثالث**: تقسيم الدعاء من حيث الداعيين
- **الفصل الرابع**: فوائد الأدعية المختلفة حسب حاجات الإنسان

الباب الرابع

شواهد علم البيان في الأدعية القرآنية : 284

- **الفصل الأول**: التعريف بعلم البيان ونشأته
- **الفصل الثاني**: شواهد التشبيه في الأدعية القرآنية
- **الفصل الثالث**: شواهد المجاز في الأدعية القرآنية
- **الفصل الرابع**: شواهد الاستعارة والكناية في الأدعية القرآنية

الباب الخامس

شواهد علم المعاني في الأدعية القرآنية : 330

- **الفصل الأول**: التعريف بعلم المعاني ونشأته
- **الفصل الثاني**: شواهد الإيجاز والإطناب والقصر في الأدعية القرآنية
- **الفصل الثالث**: شواهد الفصل والوصل والتقديم والتأخير في الأدعية القرآنية
- **الفصل الرابع**: شواهد الخبر والإنشاء في الأدعية القرآنية

الباب السادس

شواهد علم البديع في الأدعية القرآنية : 443

- **الفصل الأول**: التعريف بعلم البديع ونشأته
- **الفصل الثاني**: المحسنات اللفظية في الأدعية القرآنية
- **الفصل الثالث**: المحسنات المعنوية في الأدعية القرآنية

الفصل الأول

نتكلم في هذا الفصل عن معنى البلاغة حيث نبحث عن أصل كلمتها ومعناها اللغوي ونستفيد من المعاجم الشهيرة ثم نذكر أقوال العلماء والأدباء عن معنى البلاغة الاصطلاحي.

تعريف البلاغة لغةً و اصطلاحا

لغة:

"بلغ الشيء يبلغ بلوغاً و بلاغاً، وصل انتهي و أبلغه، هو إبلاغاً و بلّغه تبليغا[1]."

"قال χ: ﴿لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ﴾[2]"

أو بَلَغَه، شارف عليه.

"قال سبحانه و تعالي: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾[3]."

"و يقول قيس بن الأسلت السلّمي[4]:

"قالت و لم تقصد لقيل الخنى   مهلاً فقد بلَّغت أسماعي[5]"

"بلغ المكان بُلوغاً بالضم، وصل إليه و انتهي[6]"

---

(1) لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، دار الفكر بيروت، ط/١٩٦٨م، ج/٨، ص/٤٩

(2) سورة النحل ، رقم الآية/ 7

(3) سورة البقرة، رقم الآية/ ٢٣٤

(4) أبو قيس بن الأسلت، الأسلت لقب أبيه، أبو قيس شاعر من الشعراء الجاهليين، كان رأس الأوس، و شاعرها و خطيبها و قائدها في حروبها، و كان يكره الأوثان و يبحث عن الدين ليطمئن إليه، فلقي علماء من اليهود و رهبانا أو أحبارا، ووصف له دين إبراهيم، فقال أنا على هذا. و لما ظهر الإسلام اجتمع لرسول و شريف في قبول الدعوة، فمات بالمدينة قبل أن يسلم، انظر للتفصيل الأغاني ١٢١/١٩

(5) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الفكر بيروت، ج/ ١٩، ص/ ١٢٢

(6) تاج العروس من الجواهر القاموس، محمد مرتضي الزبيدي، دار الفكر، ٧/١٢

"البلوغ و الإبلاغ الانتهاء إلى أقصي المقصد و المنتهي مكاناً أو زماناً أو أمراً عن الأمور المقدرة. و ربما يُعبّر عن المشارفة عليه، و إن لم ينته إليه، فمن الانتهاء[1]."

"قال χ: ﴿حَتى إذَا بَلَغَ أشُدّهُ وَ بَلَغَ أربَعينَ سَنَةً﴾[2]"

"و قال β: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾[3]"

"و قال χ: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾[4]"

"و قال β: ﴿أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ﴾[5]"

مصدر بلغ يبلُغُ كان أو صار فصيحاً، فهو بليغ و البليغ هو من يبلغ بعبارته كنه ضميره. بلغ التمر يبلغُ بلوغاً: نَضَجَ. بلغ الغلام بمعني أدرك، و قد سميت البلاغة بلاغة لأنها تنتهي المعني إلي قلب السامع فيفهمه. و البلاغة عن صفة الكلام لا من صفة المتكلم. فإذا قيل: فلانٌ يبلغ يعني أن كلامه بليغ[6].

و البلاغة: "و الفصاحة و البَلَغُ و البَلغ، البليغ من الرجال و رجل بليغ و بَلَغَ و بِلغ حسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه، كنه ما في قلبه و الجمع بُلغاء. و قد بلُغ بالضم، بلاغة أي صار بليغا[7]."

"و البلاغة كسحاب، الكفاية، وهو يتبلّغُ به و يُتوصّل إلي الشيئ المطلوب[8]."

"قال χ: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾[9] " أي كفاية

---

(1) تاج العروس، ٧/١٢

(2) سورة الأحقاف، رقم الآية/ ١٥

(3) سورة الصافات ، رقم الآية/ 101

(4) سورة غافر، رقم الآية/ ٣٦

(5) سورة القلم، رقم الآية/ ٣٩

(6) الدليل إلي البلاغة و عروض الخليل: د، علي جميل و د.حسن نور الدين. دار العلوم العربية، بيروت ١٩٩٠ ط/ ١ ، ص/١٧

(7) لسان العرب، ج/٤، ص/ ٤٢٠

(8) تاج العروس و جواهر القاموس، ج/ ١٢، ص/٩

(9) سورة الأنبياء، رقم الآية/ ١٠٦

ومنه " بَلُغَ يَبْلُغُ بَلاَغَةً : فَصُحَ وحَسُنَ بيانه فهو بليغ جمع بُلَغَاء ، والبلاَ غُ:
" (هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ)[1]" ما يتوصل به إلى الغاية[2]،

الخلاصة: "تدور المادة اللغوية حول الوصول والانتهاء والجودة، يقال: بلّغ الشيء يبلغ بلوغًا وبلاغاً، أي وصل وانتهى، وبلغت المكان بلوغاً أي وصلت إليه، ويقال شيء بالغ أي جيد، قد بلغ في الجودة مبلغاً، ورجل بليغ، أي حسن الكلام فصيح. "

البلاغة اصطلاحاً عند القدماء والمحدثين

لقد عرف العلماء البلاغة بتعريفات كثيرة منها:

1. قال علي τ : " البلاغة إيضاح الملتبسات ، وكشف عوار الجهالات، بأحسن ما يُمكن من العبارات" [3]
2. قال عمرو بن العاصτ : "من اقتصر على الإيجاز وترك الفضول" [4].
3. قال ابن المقفع: " البلاغة اسم لمعاني تجري في وجوهٍ فمنها: ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعًا، ومنها ما يكون خطباً، ومنها ما يكونُ رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأحوال فالوحي فيها، والإشارة إلى المعنى أبلغ، والإيجاز البلاغة.[5] "
4. قال الحسن بن سهل[6] : " البلاغة ما فهمته العامة ، ورضيته الخاصة. " [7].

---

(1) سورة إبراهيم ، رقم الآية/ 52.

(2)المعجم الوسيط، أحمد حسن الزيات ومجموعة من المؤلفين ، المكتبة العلمية ، طهران ، ج / 1 ، مادة الكلمة : بلغ ، ص /69، كتاب العين ، خليل بن أحمد الفراهيدي ، ط / دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003 ، ج / 1 مادة الكلمة : بلغ، ص/161، جمهرة اللغة، أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، ط/ دار صادر بيروت ، ج/ 1 ص/318.

(3)ديوان المعاني، أبي هلال الحسن العسكري، ، ط / دار الكتب بيروت، 1994 م، ج / 1، ص / 435

(4) نفس المرجع ، ص / 433.

(5) ديوان المعاني ، ج/ 1 ، ص / 434.

(6) هو الحسن بن سهل بن عبد الله السر خسي، وزير المأمون، وهو من مشاهير عصره في الذكاء والأدب والكرم، توفي عام 166هـ ، (الأعلام ، ج/2، ص/ 192) .

(7) ديوان المعاني ج / 1 ، ص / 234.

5. قال العتابي[1] :" كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعادة فهو بليغ"[2]
6. قال ابن المعتز[3] : البلاغة هي " بلوغ المعنى ولما يطل سفر الكلام ." [4]
7. قال العسكري : " سميت البلاغةُ بلاغةً لأنها تُنهى المعنى إلى قلب السامع فيفهمه"[5].
8. البلاغة في نظر السكاكي : "بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها"[6]
9. قال صحار العبدي : سُئل صحار ما البلاغة ؟ قال : " أن تقول فلا تخطئ ، وتُسْرِع فلا تبطئ " [7]
10. قال الخطيب القزويني : "البلاغة في الكلام مطابقتُهُ لمقتضى الحالِ مع فصاحته "[8].
11. قال الثعالبي : " خير الكلام ما قلّ و دلّ ، وأبلغ الكلام ما حسن إيجازه، وقل مجازه ، وكثر إعجازه ". [9]

---

(1) هو كلثوم بن عمرو بن الحارث التغلبي، شاعر من شعراء العباسيين وله سهم عظيم في البلاغة ورأيه مقبولة في البلاغة.[زهر الأدب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، ، ط / دار الكتب العلمية بيروت ، 1997. ج / 2 ، ص/36.]

(2)البيان والتبيين، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، ط/ مؤسسة الخانجي بالقاهرة ، ج /1 ، ص / 113.

(3) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، تولى الخلافة يوماً واحداً ثم مات مقتولاً في عام 296هـ.

(4)بلاغة الكتاب في العصر العباسي، دكتور محمد نبيه حجاب، ط/ المطبعة الفنية الحديثة، سورية، ص/ 5.

(5)كتاب الصناعتين، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ط / دار أحياء الكتب العربية، 1952م، ص / 6. النظرية البلاغية ، الأستاذ الدكتور داود سلوم و الدكتور عمر الملا حويش ، ط مطبعة الأمة بغداد ، 1977 ، ص / 39.

(6) الإيضاح ، ج/1، ص/ 54.

(7) كتاب الصناعتين، ص/ 32.

(8)شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ، سعد الدين التفتا زاني ، ص/ 27.

(9) نفس المرجع .

12. وقال الرماني: " إيصال المعنى إلى القلب، في أحسن صورة من اللفظ"(1).

13. قال عبد الرحمن حبنكة: "هي مطابقة الكلام لمقتضى حال من يخاطب به مع فصاحة مفرداته وجمله.(2) "

14. قال أبو هلال العسكري: "البلاغة كل ما تبلغ به المعني قلب السامع، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة و معرض حسن"(3).

15. قال الآمدي : " إصابة المعني و إدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة، سليمة من التكلف، لا تبلغ الهذر الزائد علي قدر الحاجة، و لا تنقص نقصانات يقف دون الغاية"(4)

16. قال عمرو بن عبيد(5): "تخير اللفظ في حسن الإفهام".

17. روي الجاحظ أن عمرو بن عبيد قيل له: ما البلاغة؟ فقال لسائله: " ما بلغ بك الجنة و عدل بك عن النار، و ما بصرك مواقع رشيدك و عواقيب غيّك"(6) .

18. وقال الرومي(7): "حسن الاقتصاب عند البداهة، و الغرارة يوم الإطالة"(8) .

19. و عرّف الهندي(9) البلاغة بقوله: "وضوح الدلالة و انتهاز الفرصة و حسن الإشارة".

---

(1)المختصر في تاريخ البلاغة، دكتور عبد القادر حسين، ط / دار الشرق، بيروت، 1982 م ص / 30.

(2)البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، ج/1، ص / 129.

(3) كتاب الصناعتين، ص/ ١٠

(4) علم البيان، ص/٨

(5) هو عمرو بن عبيد بن باب التميمي بالولاء، شيخ المعتزلة و مفتيها، انظر الأعلام، ج/٥، ص/٨١.

(6) البيان و التبيين، ص/٦١.

(7) هو إبراهيم بن سليمان الحموي المعروف بالرومي، انظر الأعلام، ج/١، ص/٣١

(8) البلاغة: تطور و تاريخ، ص/ ٣٦

(9) هو عمر بن إسحاق بن احمد الهندي من كبار الأحناف، البيان و التبيين، الأعلام، ج/٥،ص/٤٢.

الخلاصة : فهذه بعض التعريفات عند علماء البلاغة والخلاصة من هذه التعريفات، إن البلاغة هي الاقتصار والإيجاز وترك الفضول ، وكان الكلام مطابقة لمقتضى الحال ، مثلاً حال الكلام في مأتم غير حال الكلام في عرس ، ومخاطبة صديقك غير مخاطبة أستاذك، ومخاطبة شقيقك غير مخاطبة والديك .

ــــــــــــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــ

ـــــــــ

الفصل الثاني

أهمية علم البلاغة و نشأته وتطوره

تعني كلمة بلاغة حين ترد في كتب الأدب في الزمن الأول قبل القرن الرابع، المعنى العام للقول الجميل الذي يبلغ به الأديب درجة من الجودة والإبداع، هي أكثر ما تطلق وصفاً.

في البيان والتبيين للجاحظ (1) ، "إشارات إلى ما كان عند الأمم من بلاغة عرفتها وتدارسها، فقد قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل والوصل. وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال تصحيح الأقسام واختيار الكلام. وقيل للرومي : ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتصاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة. وقيل للهندي: ما البلاغة ؟ قال: وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة. وقال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح عن طريقة وربما كان الأضراب عنها صفحاً أبلغ في الدرك وأحق بالظفر. (2)"

نشأ ت الدراسات اللغوية و المعجمية والبلاغية و غير ها أساساً لخدمة الدين و لفهم كتاب الله العزيز فلولا القرآن ما كانت عربية فهو المحو ر الذي تدور حوله كل الدراسات سواء منها تلك التي ترتبط ارتباطا مباشراً بتفسيره و توضيح آياته و بيان أسراره و إعجازه ، أو تلك التي تبحث في دلالة اللفظ و الصيغ و التراكيب الجمل كالنحو والصرف و البلاغة .

وقد كان كبا ر الناس يسألون ابن عباس عن تفسير آياته و غريب ألفاظه فكان يفسرها للنا س و يستشهد على تفسيرها بأبيات من الشعر العربي و قد

---

(1) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان الشهير بالجاحظ، كبير أئمة الأدب، ومولده ووفاته في البصرة، له تصانيف كثيرة منها: الحيوان، البيان والتبيين، البخلاء، وغيرها، انظر للتفصيل: تاريخ بغداد، ج/13، ص/ 212، وأيضاً دائرة المعارف الإسلامية، ج/6، ص/ 235.

(2) البيان والتبيين، للجاحظ، ج/1، ص/ 161.

جمعت هذه الأسئلة و إجاباتها في كتابٍ مستقلٍ باسم "سؤلات نافع ابن الأرزق إلى عبد الله ابن عباس" وقد ذكرها السيوطي في النوع السادس والثلاثين من كتابه "الإتقان في علوم القرآن"[1] .

و يقول الدكتور رمضان عبد التواب : "وهكذا أرى أن دراسة القرآن الكريم كانت من دواعي الاهتمام بالشعر كما كانت أحد الأسباب التي أسهمت في نشأة المعاجم العربية فقد نشأ النحو العربي من أجل الغيرة على القرآن الكريم و صونه من التحريف على ألسنة الناس ولذلك وضع أبو الأسود الدؤلي قواعد النحو[2]."

قيل: " البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر يعني كما قيل: أن يكون الاسم يحيط لمعناك، ويجلي عن معزالي ويخرجك عن الشركة، ولا تستعين عليه بالفكر[3] . "

ولعل أبا هلال العسكري خير من وضح الأسباب التي دعت العرب والمسلمين إلى توسيع دائرة علم البلاغة، والتأليف فيها حين قال: " إن أحق العلوم بالتعلم وأولاه بالتحفظ ـ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه ـ علم البلاغة، ومعرفة الفصحاة، الذي به يُعرف إعجاز كتاب الله تعالى ، الناطق بالحق، الهادي إلى سبيل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة، التي رفعت أعلام الحق وأقامت منار الدين ، وأزالت شبه الكفر ببراهيتها، وهتكت حجب الشك بيقينها.

"وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، وضمنّه من الحلاوة، وجلّله

---

(1) الإتقان في علوم القرآن ، السيو طي ، ص ١٤٩- ١٧٥، مكتبه و مطبعة مصطفي البابي الحلبي و أولاده بمصر ، و نشر هذا الكتاب الدكتور إبراهيم السامرائى ببغداد سنة ١٩٦٨م ، انظر فصول في فقه العربية د. رمضان عبد التواب ص ٩١.

(2) فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب ص٩٣.

(3) البيان والتبيين، للجاحظ، ج/1، ص/ 161

من رونقِ الطلاوة مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها، وسلامتها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها وتحيرت عقولهم فيها".

نشأة البلاغة وإرتقاءها

يرجع عصر النشأة والتكوين البلاغة إلى القرن الثاني الهجري حيث ألفت ووضعت بعض القواعد والملاحظات للفصاحة في النثر والنظم مختلطة بمباحث العلوم اللغة الأخرى، فلم يكن هناك ما يعرف باسم علوم البلاغة، وإن كانت كلمة " البلاغة" معروفة ومستخدمة من قبل ولكنهم ما كانوا يقصدون بها ما قصد بها أخيراً من دلالتها على علوم الثلاثة، أي علوم المعاني ، والبيان، والبديع.

فهكذا ينتسب نشأة البلاغة إلى القرن الثاني الهجري من ناحية بداية التدوين البلاغي وسنعرف بالتفصيل ولكن قبله ألتفت نظرة في العصر الجاهلي وصدر الإسلام.

البلاغة في العصر الجاهلي :

لم يزل العرب منذ جاهليتهم الأولى أرباب لسن وأهل فصاحة وبلاغة وبيان، وكما كانت تتكلم بالكلام المستقيم المعرب بلا لحن ولا اضطراب ولا فساد ، وذلك أن توضح قواعد النحو وإعراب الكلم، كذلك تتكلم بالكلام الفصيح البليغ، ولما توضع قواعد البلاغة وطرق الفصاحة والبيان. (1)

وقول امرئ القيس (2) :

"مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صخرٍ حطّه السيل من علِ (3)"

وقوله مطابقاً ومشبهاً ومبالغاً في وصف فرسه.

---

(1) المصباح في المعاني والبيان والبديع، الإمام أبي عبدالله بدر الدين بن مالك الدمشقي، تحقيق د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1 ، 2001، ص/ 18.

(2) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي ولد في نجد وأبوه ملك على بني أسد غطفان، نشأ امرؤ القيس ميّالاً إلى الشرف واللهو شأن أولاد الملوك، ونظم الشعر فشيئاً، هو شعراء في الجاهلية من الطبقات الأولى، انظر لتفصيل : أدباء في الجاهلية وصدر الإسلام، بطرس البستاني، دار الجيل ، بيروت ص/ 97.

(3) ديوان امرئ القيس ، شرحه عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة ، بيروت ، ط/ 1، ص/ 544.

وقول الأعشى [1] .

"كنا طح صخرةً يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل" [2]

لم يكن هؤلاء القدماء يعرفون أسماء تلك الفنون، ولا وضعوا لها قواعدها واصطلاحاً لها، كل ذلك يدلنا على أن البلاغة والفصاحة والبيان وإن لم تكن إذّاك قواعد له أصوله، فإنها كانت لدى العرب فطرة وسليقة من أكبر الدلالة على أنهم كانوا أهل فصاحة وبيان دعوة القرآن لهم أن يأتوا سورة من مثله، فلو أنهم لم يكونوا من أهل تلك الصناعة لما جاز ذلك التحدى القرآني لهم، وبدل ذلك على أن لهم بصراً لتمييز أقدار الألفاظ والمعاني وتبين ما فيها من البلاغة والبيان . [3]

وقد كان العرب يحبون البيان والطلاقة والنجم والبلاغة والتخلص والرشاقة، قيل : فإنهم كانوا يكرهون السلاطة والهذر والتكلف والإسهاب والإكثار وقد ورد عنهم من الأخبار والأشار ما يفيد أنهم يوائمون بين الألفاظ والمعاني، وذلك نجد في قصة طرفة مع المسيب بن علس [4] ، فقد مر المسيب بمجلس بني قبس بن ثعلبة، فاستنشدوه فأنشدهم فلما بلغ قوله [5] :

"وقد أتناسى الهمّ عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم" [6]

فقال طرفة [1] : " استنوق الجمل " لأن الصيعرية سمة تكون في عنق الناقة لا في عنق البعير . [2]

---

(1) ميمون بن قيس بن جندل بن شراجيل بن عوف بن ثعلبة ، ولد باليمامة ولقيه الأعشى، كني الأعشى أب الضمير، وشعراء من الجاهليين ، للتفصيل انظر : الموضح في مآخذ العلماء على الشعراء ، أبي عبدالله محمد بن عمران المرزباني، تحقيق شمس الدين.

(2) ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس: شرحه مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1987م ، ص/ 134..

(3) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ص/ 20.

(4) المسيب بن علس: ابن مالك بن عمرو بن قُمامة بن ريد بن ثعلبة بن عدّي بن مالك بن جُشم بن بلال، وهو جاهلي ولم يدرك الإسلام، ونسبه في " الجمهرة " ولقبه " المسيب" . انظر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي، ج/3، ص/ 227.

(5) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ص/ 21.

(6) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج/3، ص/ 289، الشعر والشعراء ص/ 189.

هذه مجرد أمثلة على أن الشعراء في العصر الجاهلي كانوا يقفون عند اختيار الألفاظ والمعاني والصور ، وكانوا يأتون في أشعارهم بألوان شيء من فنون البيان والبديع ورعاية النظم [3] .

قامت في هذا العصر سوق المربد في البصرة وسوق الكناسة في الكوفة مقام سوق العكاظ في الجاهلية، بل لقد تحولاً إلى ما يشبه مسرحين كبيرين، يغدو عليهم شعراء البلدتين ومن يقدر عليها من البادية، لينشدوا الناس خير ما صاغوه من أشعار[4].

البلاغة في صدر الإسلام

كما تعرف قبل نزول القرآن كانت الملحوظات البلاغية، ولما اتسعت الفتوحات الإسلامية، واختلط العرب بغيرهم وضعف الاعتماد على الذوق وحده، كان لا بد من أن تقعد القواعد، فوضع أبو عبيدة، [5] " مجاز القرآن" هو وإن كانت عناية لغوية ، فلقد كانت له بعض الملحوظات البيان.

ثم جاء الجاحظ فكان له فضل حيث اتسعت بفضله دائرة هذه الملحوظات البيانية . [6]

"جاء الإسلام ، وكان القرآن هو لسان حجته الباهرة وشمس أنواره الظاهرة، وانقسم الناس بين مصدق بالقرآن ومكذب له، ولكنهم جميعاً المصدقين والمكذبين

---

(1) نشأ طرفة بن العبد بن سفيان البكري يتيماً من أبيه تكفله أعمامه فأهملو تربيته وأساءوا أدبه، كان هو منذ الحداثه متوقد الذهن، مضطرم الشعور، جادّ البادرة، فنبغ في الشعر وعدن فحول وهو دون العشرين ، انظر : تاريخ الأدب العربي أحمد حسن الزيات، ص/ 47-48.

(2) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجرة، لأحمد إبراهيم، ص/ 22.

(3) المصباح في المعاني والبيان والبديع ، ص/ 22.

(4) البلاغة تطور وتاريخ ، شوقي ضيف ، ص/ 14-16.

(5) معمر بن المثنى ، ولد سنة 110هـ من علماء البصرة، تعلم النحو والشعر والعريب على يد عمرو بن العلاء وضعت في عهده أسس العلوم الإسلامية، توفي بين (209-213 هـ) كان من حفاظ الحديث. للتفصيل انظر : مفتاح السعادة ، ج/1، ص/ 93، وتاريخ بغداد، ج/13، ص/ 252.

(6) البلاغة فنونها وأفنانها، ص/ 71.

وكانوا مشدوهين بحلاوة نظمه، وبديع لفظه وجمال صوره، وكانوا من يتخفى فيسترق السمع ليصغي إلى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يشعر به. [1]"

"وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إعجاب هؤلاء القوم هذا الكتاب، وإدراكهم لعظمته، ووقعهم في أسر بيانه، وأما رسول الله γ وكانت أحاديثه وخطبه رائعة مشهورة يتلقفها الصحابة عن النبي γ يحصونها كلمة خشية أن يتفلت حرف منها [2] . "

ولم لا وهو γ الذي " لم ينطق إلا عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حفّ بالعصمة، هو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، ونشأة بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين الحسن الإفهام وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ولا قصداً لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح معنى ولا أبين في فحوى من كلامه ". [3]

كذلك فقد كان الخلفاء الراشدون خطباء مفوهين يتخيرون الألفاظ، ويعنون بالنظم، وقد ورد عنهم ما اتخذه البلاغيون بعدهم أساساً لأبواب من البلاغة والفصاحة والبيان، فمن ذلك ما يروى عن أبي بكر [4] η "من أنه عرض لرجل معه ثوب ، فقال له : أتبيع الثوب ؟ فأجابه: لا عافاك الله، وتأذى أبو بكر مما يوهمه ظاهر اللفظ، إذ قد يظن إن النفي مسلط على الدعاء، فقال له: لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قل : لا ، وعافاك الله. [5]".

(**1**) **المصباح في المعاني والبيان والبديع ، ص/ 23.**

(**2**) **نفس المرجع**

(**3**) **البيان والتبيين ، ج/2 ، ص/ 17.**

(**4**) **أبو بكر : هو عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم، كان سمي في الجاهلية عبدالكعبة، فسماه الرسول γ بعبد الله ، ولقب عتيقاً والصديق لأنه بادر إلى الصديق الرسول، ولد أبو بكر بمكة بعد عام الفيل بعامين وأشهر، حرف بالخصال الكريمة واشتهر بالعفة . وانظر للتفصيل تاريخ الإسلام ، د. حسن إبراهيم حسن، ج/1، ص/ 203.**

(**5**) **البيان والتبيين ، ج/1، ص/ 261.**

ولقد كان شيوع هذه الرواية وترددها على ألسنة البلاغيين هو الذي حد إليهم إلى أن يفتحوا في البلاغة باباً خاصاً هو باب " الفصل والوصل " .

كان عمر [1] η عنه فصيحاً بليغاً ، "فقد ضرب الرواة لفصاحته وبلاغته، وعلي η [2] لم يكن يجاريه أحد في مضمار الفصاحة والبلاغة [3]."

ولقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، على قوم صفت قرائحهم، وسلمت فطرهم اللغوية، وقويت فطنهم فهم يدركون اللمحة . وإن لطف موضعها . ويغوصون على الدرة من الكلمات . وإن خفي موقعها، فلم يكن تذوقهم لأساليب القرآن وتراكيبه بأقل من تذوقهم لكلماته ومفرداته، ولقد كانت الكلمة من كتاب الله تعالى تتلى عليهم فتروقهم جرسا، وترهفهم حسا، ويختارون لها ما يناسبها من معنى.

وهذا النبي γ يروون عنه: أنه فسر الرزق بالشكر في قوله β في سورة الواقعة "﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾" [4] ولنقف عند هذه الكلمات، ولنستمع لما قاله ابن عباس ومجاهد في تفسيرها.

1. قال β في الصافات : "﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ & مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴾" [5]
2. "قال β في سورة الممتحنة : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾" [6]

---

(1) عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص، ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين ، الصحابي الجليل ، الشجاع الحازم، أسلم قبل الهجرة، بخمس سنين، لقّبه النبي γ بالفاروق، انظر : ابن الأثير ، ج/3، ص/ 19. والطبيري : ج/1 ،ص/ 187.

(2) على بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشر المبشرين. انظر : شرح نهج البلاغة، ج/2، ص/ 579.

(3) المصباح في المعاني والبيان والبديع ، ص/ 24.

(4) سورة الواقعة ، رقم الآية/ 82.

(5) سورة الصافات، رقم الآية/ 162.

(6) سورة الممتحنة ، رقم الآية/ 5.

3. "وقال β في سورة الأنعام : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾" [1]

4. وقال β في سورة ص : "﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [2]"

فقد فسر مجاهد " فاتنين " في الآية الأولى بمضلين، وفسر " لا تجعلنا فتنة " في الآية الثانية بمعنى لا تذبنا بأيديهم، فيقولون : لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم هذا.

وفسر ابن عباس "فتنتهم" في الآية الثالثة بمعنى معذرتهم، كما فسر فتناه في الآية الرابعة بمعنى اختبرناه .

ومن أراد أن يستزيد فنرشد إلى معجم غريب القرآن، الذي كتبه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ρ ولقد كانت هذه الدراسات الأساس الذي مهد لعلماء البيان فيما بعد.

البلاغة في عصر بني أمية

وإذا تحولنا إلى عصر بني أمية وجدنا البلاغة بجميع ألوانها تزدهر ازدهاراً عظيماً. ومن مثال على ظهور الملاحظات البلاغية في هذا العصر أن جريراً [3] سمع عمر بن لجاء التميمي [4] ينشد في أرجوزة يصف إبله ، يقول : "

"قد وردت قبل إني ضحائها وتغرس الحياة في خرشائها"

" (حرّ العجوز الشيء من ردائها) [5]"

---

(1) سورة الأنعام، رقم الآية/ 23.

(2) سورة ص ، رقم الآية / 24.

(3) هو أبو حزره جرير بن عطية، الخطي، التميمي ، اليربوعي، أحد فحول الشعراء الإسلاميين، وبلغاء المداحين الهجائين، ولد باليمامة ونشاء في البادية ، انظر،: جواهر الأدب للسيد الهاشمي، ج/2، ص/ 150.

(4) عمر بن لجأ بن حذير ابن مصاد التيمي ، من بني تيم بن عبد مناة، من شعراء العصر الأموي ، اشتهر بما كان بينه وبين جرير، من مفاخرات ومعارضات، انظر :كشف الظنون ، ج/20، ص/ 1813.

(5) الأغاني، ج/8، ص/ 74.

فتعرض له يقول : كان أولى بك أن تقول جر العروس، لا جر العجوز التي تساقط خوراً وضعفاً، واستشاط عمر غضباً فهجاه، واحتدم بينهما الهجاء.

ونستطيع أن نقرر أن الملاحظات البلاغية والبيانية قد ازدادت في هذا العصر لعدة عوامل تتلخص في :

1. "ازدهار الخطابة في هذا العصر نتيجة لأمور سياسية ودينية، واجتماعية، فقد تنوعت الخطابة إلى : سياسية ، ودينية ، وحفلية. "
2. "ومنها أن العرب قد تحضروا واستقروا في المدن والأمصار، وآخذوا يتجادلون في أمورهم السياسية والعقيدية. "
3. "ومنها قيام الأسواق الأدبية على غرار سوق عكاظ في الجاهلية . "
4. "ظهور النقائض بين جرير والفرزدق وكثرة الهجاء الذي يدعو إلى التنافس وحرص كل واحد من الشاعرين المتهاجيين على قهر خصمه والتفوق عليه برائع . [1]"

"أما خطباء الوعد فقد بلغوا الغاية من روعت البيان وفي مقدمتهم غيلان الدمشقي الحسن البصري [2] ويقول الجاحظ إن أدباء العصر العباسي كانوا يتحفظون كلام الحسن وغيدان حتى يبلغوا ما يريدون من المهارة لبيانيه ويشيد ببلاغة واصل مدللا عليها بإسقاطه إسراء من كلامه تلتغته فيها، مع ما انتظم له من الطلاوة والجزالة نرى الجاحظ في غير موضع من بيانه يسوق ملاحظات الناس على الخطباء كما يسوق ملاحظات الخطباء أنفسهم وخاصة الوعظ منهم . [3]"

البلاغة في العصر العباسي

اتسعت الملاحظات البلاغية في العصر العباسي اتساعاً يمثل طفرة كبيرة كانت استجابة لعدة عوامل أثرت في جميع مجالات الحياة في العصر العباسي، وليس

---

(1) المصباح في المعاني والبيان والبديع ، ص/ 28.

(2) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد التابعي ، كان إمام أهل الصرة وخير الأمة في زمنه ، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان أنساك ولد بالمدينة، وشبّ في كنف علي بن أبي طالب. انظر : وفيات الأعيان، ج/1 ، ص/ 254، ولسان الميزان : ج/2، ص/ 259.

(3) المصباح في المعاني والبيان ، ص/ 25-26.

في مجال الأدب وحده، وقد نشأت هذه العوامل أن شاركت في نشأة البلاغة وتدوين الملاحظات البيانية في هذا العصر مدة طوائف. (1)

1. طائفة الكتاب من الفرس والموالي .
2. الشعراء وأثرهم في تطور البلاغة في العصر العباسي .

طائفة اللغويين وأثرهم في نشأة البحث البلاغي ، ومن بعد الجاحظ ثم جاء ابن قتيبة (2) وهو إن لم يبلغ مرتبة الجاحظ من حيث تسجيل الملحوظات.

"ثم جاء ابن المعتز (3) فوضع الكتاب " البديع " وذكر فيه أنواع مما بنيت عليه البلاغة فيما بعد . (4)"

ثم جاء قدامة (5) فزاد على ما ذكر ابن المعتز من أنواع البديع ، ثم جاء أبو بكر الباقلاني، (6) ، فوضع كتاباً ذائع الصيب، وهو " إعجاز القرآن" أيضاً كتاب " الصناعتين " لأبي هلال العسكري، (7)، وكان عن البيان بعامة ، ولم يقصروه على البحث في الأعجاز.

ثم جاء عبدالقاهر فوضع كتابه، : "دلائل الإعجاز" و " أسرار البلاغة " ، وجاء السكاكي فوضع كتابه " مفتاح العلوم " وهو أول من فصّل موضوعات كل

---

(1) المصباح في المعاني والبيان ، ص/ 25.

(2) أبو مسلم محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الزوري، العالم الكبير اللغوي الناقد، الكاتب الأديب، الحافظ المؤرخ، المفسر المحدث، ولد سنة 212 هـ ، توفي سنة 276 هـ ، انظر : معجم المؤلفين، عمر رضا كحاله، المكتبة العربية بدمشق، 1958م، ج/6 ، ص/ 150.

(3) عبدالله بن المعتز بالله أبو العباس، أديب شاعر، ولد في شعبان، وكان يقصد فصحاء العرب ويأخذ عنهم، ويعني العلماء من النحويين والإخباريين كالمبرد، توفي سنة 296 هـ ، مخنوقاً، انظر للتفصيل، معجم المؤلفين ، ج/6، ص/ 154.

(4) البلاغة فنونها وأفنانها، ص/ 71-72.

(5) قدامة بن جعفر، أو جعفر بن قدامة، بن زياد أبو القاسم، أديب من كتاب أهل بغداد، له شعر ومصنفات في صنعة الكتاب، توفي سنة 319 هـ ، انظر للتفصيل، الأعلام للزركلي ، ج/3، ص/ 123، وأيضاً : معجم المؤلفين، ج/8، ص/ 121.

(6) أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني أو ابن الباقلاني، ولد سنة 238هـ ، قاضي من كبار علماء الكلام أشعري، ولد في بصرة، وسكن بغداد وتوفي فيها سنة 403 هـ ، انظر للتفصيل : الأعلام لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين بيروت ، ج/6، ص/ 176.

(7) الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري أبو هلال ، لغوي و أديب ، شاعر، مفسر، له كتاب " الصناعتين، توفي سنة 395 هـ ، للتفصيل انظر معجم المؤلفين ، ج/3، ص/ 240.

من علم المعاني والبيان على حدة ، وجعل كثيراً من أنواع البديع التي عرفت فيما بعد تابعة لعلم المعاني. (1)

وهكذا نشأت البلاغة وتطورت في العصور المختلفة ووصل إلينا هذا العلم ونحن نقرأ ونستفيد منه.

الخلاصة

رأينا أن البلاغة التي لا يعرف أحد من حيث العلم قبل القرن الثاني ولكن جاء أبو عبيدة وألف مجاز القرآن وأشار إلى بعض مسائل البلاغية ، وبدأ رحلة البلاغة على يد أبو عبيدة واستمرت حتى جاء أبو عثمان الجاحظ وكتب ((البيان والتبيين)) وجمع فيه مسائل البيان والفصاحة حتى عد العرب الجاحظ مؤسس البيان والفصاحة ، ثم في القرن الثالث الهجري طلع نجم ساطع عبدالله بن المعتز وألف أول كتاب في البديع ((البديع)) وقال بنفسه: ما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد ... " ثم جاء أبو هلال العسكري وألف كتاب الصناعتين ووضح أهمية البلاغة والغرض منها وقال في كتابه ((كتاب الصناعتين)) " إن أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ . بعد المعرفة بالله جل ثناؤه . علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى "(2)، ثم استمرت رحلة البلاغة حتى وصلت في القرن الخامس ، فكان عبد القاهر الجرجاني وضع أسس وقواعد لهذا العلم في كتابيه ((دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة)) وأخيراً في القرن السابع وصل أبو يعقوب السكاكي وقسم علوم البلاغة إلى أقسامها الثلاثة.

---

(1) البلاغة فنونها وأفنانها ، ص/ 72-73.

(2) كتاب الصناعتين ، ص/1

الفصل الثالث

العلماء البلاغيون القدماء وأهم مؤلفاتهم في علم البلاغة

أبو عبيدة

هو أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري ولد بباجروان من أعمال بلخ بفارس من أب يهودي ، ثم أخذ العلم عن يونس بن حبيب وأبي عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه أبو عثمان المازني . وكان يميل إلى مذهب الخوارج .

قال الجاحظ : "لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعة أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة ، وقال المبرد : كان أبو عبيدة عالماً بالشعر ، والغريب ، والأخبار والأنساب ، وكان الأصمعي أعلم منه بالنحو ، وكان أعلم من الأصمعي وأبي زيد بالأنساب ، وكان أبو نواس يتعلم منه ويمدحه ويذم الأصمعي . "

قال أبو عبيدة عن نفسه : أنه ألف كتاب " مجاز القرآن " ليرد به على إبراهيم بن إسماعيل الكاتب، الذي سأله عن "قولهY (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ)" [1]، فكيف يشبه القرآن شجرة الزقوم ، برؤوس الشياطين التي لم يرها أحد، وإنما توصف الأشياء بالأوصاف التي نعرفها، وليس بالأوصاف التي نجهلها، فيجيب أبو عبيدة على هذا التساؤل بقوله: " وإنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم ، وامرؤ القيس يقول :

"أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال"

فشبه سنان سيفه بأنياب الغول، وهم لم يروا الغول قط، ولكن لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به، أي أن هذا التشبيه جاء حملاً على مذهب العرب في تسميتهم كل ما يستعظمونه شيطاناً.

ثم يقول أبو عبيدة : وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتابًا في القرآن في مثل هذا وأشباهه وما يحتاج إليه من علمه، فعملت كتابي الذي سميته " المجاز " [2]

---

(1) سورة الصافات ، رقم الآية/**65**.

(2) انظر المختصر في تاريخ البلاغة ، ص/**20**.

مؤلفاته:لقد ألف كثير من الكتب ويصل إلى مائتي كتب، منها: مجاز القرآن وغريب القرآن، ومعاني القرآن، وخلق الإنسان، وغريب الحديث، والديباج، لصوص العرب، قصة الكعبة، الأضداد.

وفاته:توفي سنة ثمان ومائتين للهجرة ، ولم يحضر جنازته أحد، لأنه لم يسلم من لسانه لا شريف ولا وضيع بالبصرة .

أبو عثمان الجاحظ

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ، ولقب بالجاحظ ، ولد بالبصرة سنة 150 هـ ، ونشأ ببغداد ، وتعلم على يد أبي عبيدة والأصمعي و أبي الحسن الأحفش ، وأبي زيد الأنصاري ، ومن تلامذته أبو بكر عبدالله بن داود السجستاني ، والمبرد .

ولعل أول من اهتم بالبلاغة وأطال الوقوف عندها ،وتعمق في معانيها ومفاهيمها هو الجاحظ[1]، وقد توقف مراراً في الجزئي الرابع والخامس يكشف عند الدلالات الدقيقة للآيات وأشار في ثنايا ذلك لم فيها من الاستعارات ، تمثيلات وتشبيهات ولذلك أكثر ذلك التشبيه أكثر معناه الاصطلاحي ، وكذلك صنع بالاستعارة وهي عند من باب المجاز ، ومن طريف تصويره لها تعليقه[2] على الآية الكريمة :

"﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً﴾[3]"

مؤلفاته :ذكر ياقوت في معجم الأدباء فهرست كتبه ورسائله فأثبت منها مائة وثمانية وعشرين مصنفاً[4]، والذي وصلنا من كلامه في البلاغة إنما هو ما كان في

---

(1) هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، انظر فهارس الحيوان ،ج/٤، ص/٦٢٩.

(2) فهرس الحيوان ،ج/٢، ص/٦٢٩.

(3) سورة النساء، رقم الآية/١٠

(4) معجم الأدباء ، ج /16 ، ص/ 74.

كتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان ، أما نظم القرآن وكتاب التمثيل ، وصياغة الكلام فلم يصلنا غير أسمائها.

وكتاباه السابقان مليئان بكثير من الموضوعات البلاغية وبخاصة " البيان والتبيين " فالبداية عنده واضح في " البيان والتبيين " كل الوضوح ، فموضوعه البيان كما سماه ، ولكن جمع فيه مسائل كثيرة .

المبرد

"هو أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي، ولد بالبصرة سنة 210 هـ ، ويقال الأزد بن الغوث [1] " ، ويقال أيضاً : " الثمالي الزدي البصري المعروف بالمبرد النحوي" [2] . وتوفي سنة 285هـ في خلافة المعتضد. وقد لقب أستاذه المازني بالمبرد ، لأنه لما صنف المازني كتاب الألف واللام سأله عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب، فقال له المازني: قم فأنت المبرِّد، أي المثبت للحق ، فحرفه الكوفيون وفتحوا الراء.[3] وتلقى العلم على أبي يد أبي عمرو الجرميّ وأبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وغيرهم.

مكانته العلمية

احتلّ المبرد مكانة مرموقة بين معاصريه وشهد له من تأخّر عنه بعلمه، قال فيه تلميذه نفطويه: " ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد منه" [4] .

وقال اليوسفي الكاتب . كاتب المأمون . " كنت يوماً عند أبي حاتم السجستاني إذ أتاه شاب من أهل نيسابور فقال: يا أبا حاتم إني قدمت بلدكم، وهو بلد العلم والعلماء، وأنت شيخ هذه المدينة، وقد أحببت أن أقرأ عليك " كتاب سيبويه " ، فقال : " الدين النصيحة " إن أردت أن تنتفع بما تقرؤه فاقرأ على هذا الغلام ، محمد بن يزيد، فتعجّب " [5].

---

(1) الفهرست لمحمد بن إسحاق النديم ، ص/ 265-266.

(2) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج/4، ص/ 314.

(3) نفس المرجح ،ج / 19 ، ص / 112.

(4) بغية الوعاة، ج/1، ص/ 269.

(5) طبقات النحويين والبلاغيين، ص/ 101.

وقال إسماعيل بن إسحاق القاضي: " لم ير أبو العباس مثل نفسه ممن كان قرينه ولا يرى بعده مثله " (1) .

قال السيرافي : " سمعت أبا بكر بن مجاهد يقول: ما رأيت أحسن جواباً من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم ولقد فاتني منه علم كثير لقضاء ذمام ثعلب " (2).

وقال أيضاً: " انتهى علم النحو بعد طبقة الجرمي والمازني إلى أبي العباس بن يزيد الأزدي" .(3)

وقال أبو سعيد رحمه الله : "وقد نظر في كتاب سيبويه في عصره جماعة ولم يكن لهم كنباهته، يعني المبرد " (4).

و ذكره ابن جني فقال : " يعد جيلاً في العلم ، وإليه أفضت مقالات أصحابنا وهو الذي نقلها وقررها وأجري الفروع والعلل والمقاييس عليها. " (5)

مؤلفاته :

إن علم المبرد الدقيق بالشعر، وبراعته في النحو واللغة، كانت حصيلته مؤلفات تطرق فيها إلى ما تطرق إليه النحاة قبله، وأضاف إليها ما استفاده من النقاد والبلاغيين وهذه المؤلفات هي : " كتاب الكامل،كتاب الروضة، كتاب المقتضب ، كتاب الاشتقاق، كتاب الأنواء والأزمنة، كتاب القوافي، كتاب الخط والهجاء، كتاب المدخل إلى سيبويه، كتاب المقصور والممدود، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب معاني القرآن ويعرف بالكتاب التام، كتاب احتجاج القراءة، كتاب الرسالة الكاملة ، كتاب الرد على سيبويه، كتاب قواعد الشعر، كتاب إعراب القرآن، كتاب الحث على الأدب والصدق، كتاب قحطان وعدنان، كتاب الزيادة المنتزعة من كتاب سيبويه ، كتاب المدخل في النحو، كتاب شرح شواهد كتاب سيبويه، كتاب ضرورة

---

(1) أنباه الرواة، ج/3، ص/ 242.

(2) معجم الأدباء، ج/7 ، ص/ 137.

(3) أثر النحاة في البحث البلاغي لعبد القادر حسين. دار غريب للطباعة والنشر . القاهرة، ص/ 201.

(4) كتاب الفهرست لابن نديم، ص/ 269.

(5) المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، بمصر، ص/ 124.

الشعر، كتاب أدب الجليس ، كتاب الحروف في معاني القرآن إلى سورة طه ، كتاب معاني صفات الله β ، كتاب الممدوح والمقابح، كتاب الرياض المؤنقة، كتاب اسماء الدواهي عند العرب، كتاب الإعراب، "كتاب الجامع، لم يتمّه" ، كتاب التعازي، كتاب الوشي، كتاب فقر، كتاب سيبويه، كتاب الناطق، كتاب العروض، كتاب الأوسط للأحفش، كتاب البلاغة ، كتاب شرح كلام العرب وتلخيص ألفاظها ومزاوجة كلامها وتقريب معانيها، كتاب ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه في القرآن، كتاب الفاضل والمفضول، كتاب طبقات النحويين البصريين وأخبارهم، كتاب العبارة عن أسماء الله تعالى ، كتاب الحروف ، كتاب التصريف. [1]"

وأهم هذه المؤلفات كتابه " الكامل" ، الذي عرّفه صاحبه في مقدمته فقال: " هذا كتاب ألّفناه يجمع ضروبا من الآداب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة والنيّة فيه أن نفسّر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحا وافياً شافياً، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنيا وبالله التوفيق والحول والقوة وإليه مفزعنا في درك كل طلبة والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا من عمل بطاعته وعقد يرضاه وقول صادق يرفعه عمل صالح إنه على كل شيء قدير " [2].

ويعد هذا الكتاب الكامل " من نوع المؤلفات التي يصعب اليوم إدراجها ضمن فرع من فروع الاختصاصات اللغوية والأدبية، فهو جامع لأشتات من العلوم والمعارف لا يربط بينها إلا وقوعها في حيّز الأدب كما كان يفهمه العرب القدامى ولهذا عدّ من أمهات الأدب وأصوله.[3]

إن هذا الكتاب يحتوي بين جوانبه على خطرات نقدية وبلاغية ذات بال تكشف عن أهمية الجهد الذي بذله صاحبه في تطوير مسائل هذا العلم، وهذه

---

(1) الفهرست ، ص/ 267-268.

(2) الكامل، ج/1، ص/ 2.

(3) المقدمة لابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت،

الخطرات متفاوتة القيمة فمنها قضايا نظرية عامة تتعلق بضبط خصائص النص الأدبي وإبراز أبعاده الفنية والجمالية ومنها إشارات تعليمية تدور حول بعض الأساليب البلاغية من جهة تحديديها وإبراز أقسامها ودورها في الخروج بالكلام عن صبغة الاشتراك والعموم إلى صيغة متميزة معدولة عن النمط العادي في استعمال الكلام .

ووضع في كتابه " الكامل " كثيراً من المسائل البلاغية ، كالتقديم والتأخير، وأسلوب الاستفهام والإيجاز والإطناب والكناية والالتفات والتشبيه(1) .

ابن المعتز

هو أبو العباس عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ، ولد سنة 247هـ ، وأخذ الأدب عن أبي العباس المبرد ، وأبي العباس ثعلب ، وهو شاعر عظيم ، سهل الأسلوب ، رقيق الحاشية ، يميل إلى الوصف وكثرة التشبيهات في شعره .

مؤلفاته: له مؤلفات كثيرة منه: كتاب الزهر والرياض، وكتاب مكاتبات الإخوان بالشعر، وكتاب الجوارح والصيد، وكتاب السرقات، وكتاب أشعار الملوك، وكتاب طبقات الشعراء، وكتاب البديع.

كتابه البديع: هو أول كتاب ألف في البديع، لدراسة المسائل البلاغية، وقال في كتابه: وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحدٌ.... فمن أحب أن يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة(2) فليفعل ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع ولم يأت غير رأينا فله اختياره " (3) وكتاب البديع ليس ما عرف عند المتأخرين من وجوه التحسين ، وإنما هو معنى عام يتناول كثيراً من موضوعات البلاغة كالاستعارة والكناية والتشبيه والمطابقة والجناس .

الرماني

---

(1) انظر الكامل : ج/ 1 ص / 17- 22-23 ، ج / 2 ص/ 5-40،6-53.

(2) جمع في كتابه البديع خمسة فنون وهي: استعارة، الكناية، التشبيه، المطابقة، الجناس.

(3) البديع ، ص / 58.

كان الرمان من عدة علماء البلاغيين في القرن الرابع الهجري فقاموا بتأليف كتب لبيان نو احي الإعجاز في القرآن الكريم ومنهم : أبو الحسن علي بن عيسى الرماني المتوفى سنة ٣٧٦هـ [1] صاحب " النكت في إعجاز القرآن " وأبو سليما ن حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨هـ [2] ، وله كتاب " بيان إعجاز القرآن" وأبوبكر محمد بن طيب الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣هـ [3]، ألف كتاباً " إعجاز القرآن ".

أمتاز كتاب الرماني بالتعريفات المحكمة الواضحة فهو يعرف (الإيجاز) مثلاً بأنه تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى ، " ويقسمه إلى نوعين : إيجاز حذف وإيجاز قصر ، يفرق بين الإيجاز والتقصير أو الإخلال ، كما يفرق بين الإطناب والتطويل وقد مؤلفو كتب البلاغة . من بعد . هذه الأفكار كلها عن الرماني كما أخذوا كثيراً من نماذجه كتمثيله لا يجاز القصر بقوله تعالى"﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ** ﴾[4]"ومقارنته بقول العرب :"القتل أنفى للقتل"[5].

أبو هلال العسكري

هو أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن يحيى بن مهران ، ولد ونشأ في عسكر مكرم وهي بلد مشهور من بلدان الأهواز ، وانتقل إلى بغداد ثم إلى بصرة , وأخذ العلم عن خاله أبي أحمد العسكري الذي اتفق معه في اسمه واسم أبيه ، وابن دريد. وتوفي سنة 382هـ.[6]

مؤلفاته :ترك لنا عدة مؤلفات أهمها : كتاب الصناعتين، جمهرة الأمثال، ديوان المعاني في اثني عشر باباً، والأوائل، كتاب المعجم ، وأشهر كتبه هو كتاب الصناعتين وهو خلاصة ما سبقه في فنون البلاغة ، وهو استعان في تأليفه بكل من

---

(1) الأعلام ، ج/٤، ص/٣١٧.

(2) .نفس المصدر ج/٤، ص/273

(3) .نفس المصدر، ج/ ٦، ص/١٧٦.

(4) .سورة البقرة ، رقم الآية/ ١٧٩.

(5) البلاغة والنقد للصف الثاني الثانوي ،وزارة المعارف السعودية ، ط/ ١ ١٩٧٧م. ص / ١٧٠.

(6) ديوان المعاني ،ج / 1، ص / 5.

سبقه في الكتابة عن هذا الموضوع ، من أمثال ابن سلام، والجاحظ، وابن قتيبة، وابن معتز، وقدامة، والآمدي والجرجاني، فقرأ كتب لهؤلاء وفهم ما قرأ ثم قدم لنا خلاصة ما قرأ في كتبهم .

ويقول أبو هلال عن سبب تأليفه للصناعتين ، " وجدت الحاجة إليه ماسّة، والكتب المصنفّة فيه قليلة ، وكان أكبرها وأشهرها كتاب (البيان والتبيين) لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وهو لعمري كثير الفوائد جم المنافع، إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة التي كانت مبثوثة في تضاعيفه ،ومنتشرة في أثنائه ، فهي ضالة بين الأمثلة لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير، فرأيت أن أعملَ كتابي هذا مشتملاً على جميع ما يُحْتاج إليه في صنعة الكلام : نثره ونظمه ويستعمل في محلوله ومعقوده ، من غير تقصير وإخلال." [1]

ويقوم الكتاب على عشرة أبواب ، بين في الباب الأول عن معنى الفصاحة والبلاغة ، والباب الثاني وجوه تمييز الكلام ، وأوضح في الباب الثالث في معرفة صنعة الكلام ، والرابع في البيان عن حسن السبك وجودة الرصف ، والخامس في ذكر الإيجاز والإطناب ، والباب السادس في حسن الأخذ وقبحه وجودته ورداءته، والباب السابع القول التشبيه ، والباب الثامن في ذكر السجع والازدواج، والباب التاسع في شرح البديع والإبانة عن وجوهه وحصر أبوابه وفنونه ، والباب العاشر في ذكر مقاطع الكلام ومباديه والقول في الإساءة في ذلك والإحسان فيه .

الخطابي

هو حمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، (319 هـ . 388 هـ) فقيه محدث من أهل بست من بلاد كابل له معالم السنن وبيان إعجاز القرآن وإصلاح غلط المحدثين .

كان أحد شيوخ السنة وإمامهم في عصره ، ففي رسالته " بيان إعجاز القرآن " عقد فصولاً خاصة مبينا شأن الكلمة، ومفرقا بين الكلمة وضريعتها، مما يظن أنهما متحدثان معنى، راداً على أولئك الذين يريدون النيل من كلمات الكتاب الخالد. قال

---

(1) كتاب الصناعتين، ص / 5 .

ρ : ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات هو : وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما : ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة. ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني، يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، أو كالنعت والصفة أو كقولك: اقعد واجلس، وبلى ونعم، أو ذلك وذاك، ومن وعن، ونحوهما من الأسماء والأفعال ، والحروف والصفات. [(1)] .

وبعد أن بين ρ الفرق بين هذه الألفاظ أسماء وحروفاً وأفعالاً، انتقل إلى فصل آخر يذكر فيه : مطاعن وجهت للكلمات القرآنية، ويرد عليها.

ثم جعل الشيخ ρ يجيب عن هذه الاعتراضات ويرد على تلك المطاعن وإجابات الإمام الخطابي يلحظ فيها القارئ دقة العلم، وهذا إنما يدل على صفاء الذهن، وكمال القريحة، كما يلحظ القارئ كذلك في إجابة الشيخ سعة الاطلاع، والثقافة اللغوية، فتراه يرد على الشبهة أولا رداً محكما. يبين فيه دقة اللفظ وملائمته للمعنى، وهذا منحى بياني، ولا يكتفي بذلك، بل نجده ينتقل إلى اللغة فيستشهد بما جاء من شعر ونثر، وهذ منحى لغوي.

وهكذا يجمع الخطابي بين الاتجاهين، أعني: البياني واللغوي في فهمه وذبه عن الكلمات القرآنية يقول ρ " والجواب أن القول في وجود ألفاظ القرآن وبلاغتها على النعت الذي وصفناه، لا ينكره إلا جاهل أو معاند، وليس الأمر في معاني هذه الآي على ما تأولوه، ولا المراد في أكثر على ما ظنوه وتوهموه:

فأما قوله تعالى "(**فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ**)" فإن الافتراس معناه في فعل السبع القتل فحسب، وأصل الفرس دق العنق. والقوم إنما ادعوا على الذئب : أنه أكله أكلاً وأتى على جميع أجزائه وأعضائه، فلم يترك مفصلاً ولا عظماً، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياهم بأثر باق منه، يشهد بصحة ما ذكروه، فادعوا فيه الأكل ليزيلوا

---

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ط دار المعارف، ص/ 29.

عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى، فلم يصلح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل.

ثم يبين الخطابي: "أن لفظ الأكل شائع في الاستعمال للذئب، وفي غيره من السباع، حتى الحشرات، واستدل لذلك بما قيل من شعر ونثر. "

كان الخطابي أول من فتح للدارسين هذه الأبواب الواسعة في الدراسات القرآنية، صحيح أن الجاحظ من قبل كان له السبق، ولكن حتمية التطور وواجب الإنصاف، يحتمان علينا أن نعترف بهذا الفضل لذويه. لقد كان الرماني معاصرا للخطابي، وكتب كل منهما في الإعجاز، إلا أن حديث الرماني كان عن جملة من فنون البلاغة، وألوان البديع، التي لا تخص الكلمة القرآنية وحدها، بل لا تخص الأسلوب القرآني وحده كذلك. إنما أغلبها عام في الكلام العربي كله، كالمجاز والتشبيه، والاستعارة وغير ذلك من الأنواع العشرة التي قسم البلاغة إليها.

الباقلاني

هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني أو ابن الباقلاني (338-403 هـ) قاض من كبار علماء الكلام انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة وسكن في بغداد فتوفي فيها، كان جيد الاستنباط سريع الجواب، وجهه عضد الدولة سفيرا إلى ملك الروم، من كتبه الأنصاف، و دقائق الكلام ، والملل والنحل. (1)

يخصص للكلمة فيما ذكره من وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وقد ذكر لذلك معاني عشرة، يقول ρ في المعنى السابع " إنه قد علم أن تخبر الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة، والأسباب الدائرة بين الناس، أسهل وأقرب من تخير الألفاظ لمعان مبتكرة، وأسباب مؤسسة مستحدثة، فإذا برع اللفظ في المعنى البارع، كان ألطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المبتكر. ثم يزيد الباقلاني هذا المعنى إيضاحاً فيقول: والمعنى الثاني : وهو أن الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته، بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام، أو مابين شعر، فتأخذها الأسماع، وتتشوق

---

(1) الأعلام ، ج/ ، ص/ 176.

إليها النفوس، ويرى وجه رونقها باديا عامرا سائرا ما تقرن به، كالدرة التي ترى في سلك من خرز، وكالياقوته في واسطة العقد.

وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير، وهي غرّة جمعه، وواسطة عقده، والمنادي على نفسه بتميزه، وتخصصه برونقه وجماله، واعتراضه في حسنه ومائه. [(1)].

ويروي السيوطي في كتابه " الإتقان" نقلاً عن ابن العربي : " إن كتاب الباقلاني هو أحسن في موضوعه [(2)]، وفي هذه الكتب عرضت أمهات المسائل البلاغية ... وامتازت بخصلتين :

أولاهما: تفصيل الأقسام ، بحيث جاءت كتب الإعجاز أكثر إستعاباً لوجوه البلاغة من الكتب السابقة .وثانيتهما : بيان الأسباب التي لأجلها كانت الأساليب البلاغية أقوى تأثيرا في النفس من الأساليب العادية.

الإمام عبد القاهر الجرجاني

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني إمام النحو والبلاغة ، الذي وضع أسس البلاغة والمشيد لأركانها، وفاتح مغلق أبوابها، وموضح مشكلاتها. وسار المؤلفون بعده على نهجه في البلاغة .

قال يحيى بن حمزة العلوي " إن عبد القاهر أول من أسس قواعد هذا العلم ، وأوضح براهينه ، ورتب أفانينه ، وفتح أزهاره من أكمامها ، وفتق أزاره بعد استغلاقها واستبهامها ، بكتابيه ((دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة))"[(3)]

ومن المؤكد أن عبد القاهر الجرجاني بلاغي فألف في اللغة والنحو والبلاغة وتقوم شهرته على كتابيه : "دلائل الإعجاز" و أسرار البلاغة " في البلاغة وتناول في ثانيهما السجع والجناس والسرقة والحقيقة والمجاز و الاستعارة والتشبيه والتمثيل، التي زاد عليها الكتاب الأول شرح مذهبه في النظم ومظاهره من تقديم وتأخير وحذف و

---

(1) إعجاز القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، 1963، ص/ 42.

(2) الإتقان في علوم القرآن ، ج/٢، ص/١٢٤.

(3) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ، ص / 100.

فصل ووصل و قصر واختصاص ويعتمد مذهبه على نظم الكلام سر بلاغته ، وأن الألفاظ تستخدم للمعاني أنها لا تكون بليغة حتى ترتب وتؤلف في عبارات [1].

ويعد عبد القاهر الجرجاني المؤسس الحقيقي لعلم البلاغة فقد تناول فكرة "النظم" التي أشار إليها سابقوه إشارات مبهمة فحدد معناه بأنه استعمل تراكيب النحوية في مواضعها اللائقة بها ، فنحن نقول : انطلق زيد و ينطلق زيد و زيد ينطلق وزيد منطلق والمنطلق زيد وفي هذه الجمل كلها تنسب إلى زيد صفة الانطلاق ولكن لكل تركيب من هذه التراكيب دلالة خاصة بحيث لا يصلح واحد منها في المكان الذي يصلح له آخر ، وقد تتبع عبد القاهر في كتابه " دلائل الإعجاز" خصائص التراكيب النحوية المختلفة كالأخبار والأخبار بالفعل وتأكيد الجملة الاسمية "بأن " واستعمال "الذي"و حذف المبتدأ من الجملة الاسمية ....الخ ، وألحّ على تأكيد الفروق المعنوية التي يحدثها استعمال أسلوب دون أسلوب. ولما كان النظم إلى ملاحظة الفروق المعنوية الدقيقة بين التراكيب النحوية التي تشترك في أصل المعنى (كنسبة صفة الانطلاق إلى زيد)فقد عبر عنه عبد القاهر الجرجاني بأنه مراعاة (معنى النحو)ومن هذا التعبير جاءت تسمية " علم المعاني" التي استخدمها البلاغيون من بعده . وكما عد عبدالقاهر مؤسساً لعلم المعاني ، فقد عد كذلك مؤسساً لعلم البيان على الرغم من أن أبواب هذا العلم قد عرفت كلها (المجاز والتشبيه والكناية) عند سابقيه.ولكنه فصل القول فيها مبيناً تأثيرها في المعنى على نحو ما فعل بالتراكيب النحوية. واعتبر أساليب البيان خاضعة للنظم . بحيث لا يتم جمال التشبيه أو الاستعارة إلا بترتيب الكلمات في الجملة على نحو معين.

مؤلفاته: له أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، في علوم البلاغة ، وشرح الإيضاح لأبي على الحسن بن حمد الفارسي وسماه ((المغنى)) وهو في ثلاثين مجلداً واختصره بشرح سماه ((المقتصد)) في ثلاث مجلدات ، إعجاز القرآن الكبير

---

(1)عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني ص / ١٦٣. ١٦٤.

والصغير، كتاب الجمل، كتاب العوامل المائة ، كتابا المفتاح والعمد وهما في التصريف ، وتفسير الفاتحة في مجلد ، كتاب في العروض ، والتلخيص وشرحه .

دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة

وهما أحفل كتبه ـ فيما عرف بعد ـ بالمعاني والبيان إذ قد جرى الشيخ فيهما شوطاً لم يبلغه أحد ممن سلف ، وقد أبان الشيخ عن ذلك في أطناب ممتع وعبارات مصطفاة مع سلاسة وجوده ومع عرض لكثير من الأمثلة في أسلوب على خطابي يملك الأسماع ، ويستولى على القلوب بعد أن كانت الكتب قبلة تقتصر على سرد القواعد الأحكام في العبارات الإصلاحية جافة ، تنكرها البلاغة الأساليب العربية الفصيحة ومن هنا عد الإمام عبد القاهر واضع هذا الفن عند الجمهرة العظمى من علماء البلاغة [1]، كما جمع متفرقاتها ، أقام بناءها على أسس متينة ، وركز دعائهما على أرض الجرز لا تنهار ، أملى من القواعد ما شاء الله أن يملى في كتابه "الدلائل" و "أسرار البلاغة" ، أحكم أمثاله بضرب الأمثلة والشواهد، حتى أناف بها على البقاع ، وقرن بينهما بين العلم والعمل اذا رأى أن مسائل الفنون لا يستقر لها قرار بكثرة الأمثلة والنماذج فالصور الجمالية التي توخذ من القواعد أن لم تؤيدها الصور التفصيلية التي تستفاد من النماذج لا تتمثل في الأذهان حق التمثل ، ولا تنجلي حقيقتها تمام الانجلاء[2].

إن الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني جانبين بارزين في علوم العربية وهما :

الجانب النحوي ، و الجانب البلاغي :

أما الجانب النحوي فاعترف جمهور البلاغيين بإمامته في علوم العربية ـ كما تواضعوا إلى الاعتراف بزعامته في النحو الذي أخذه عن محمد بن الحسن أخت أبي على الفارسي ، وكانت له فيه شهرة واسعة حتى كان العلماء يرحلون إليه من مختلف

---

(1)منهاج الواضح في البلاغة ، ص/١٦.

(2) علوم البلاغة، ص/ ١٠.

الأقطار ليغترفوا من فيضه وينهلوا من معينه ، ومن مصنفاته : فيه كتاب "المغني" على الإيضاح في نحو ثلاثين مجلدا ، وله إلى ذلك مؤلفات في مختلف العلوم تعتبر من أمهات الكتب وعيونها.

وأما جانبه البلاغي فأنه أتكه نحوها وتحصل عليها بكل طاقاته فلم يلبث أن صار زعيم البلغاء ، وحجتهم غير متنازع ، بما آتاه الله من قريحة وقادة ، وذكاء نادر ، فكر غواص على دقائق المعاني ، وفيه يقول صاحب الطراز يحيي ابن حمزه : " إن عبدا لقاهر أول من أسس قواعد هذا العلم (البلاغة) وأوضح براهينه ، ورتب افانينه ، وسبق أزهاره من إكمامه ، وقد أوضع كل ذلك في كتابيه : "دلائل الإعجاز " ، و " أسرار البلاغة"(1).

الزمخشري

هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الحنفي المعتزلي الملقب بجار الله بذلك لجواره لمكة المكرمة(2).ولد الزمخشري بزمخشر وهي قرية من قرى خوارزم سنة (٤٦٧هـ) في عهد السلطان جلال الدين والدنيا أبي الفتح ملك شاه الذي يقاس عهده في عظمته وفخامته بأزهر عهود الدولة الرومانية أو العربية حيث ازدهرت التجارة والصناعة وزهت الأداب والفنون(3) .

تبع أثر عبد القاهر الجرجاني أستاذ المفسرين أبو القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ ، وألف تفسيره الكشاف نحا فيه نحو غرض المقصود من تفسير التنزيل م، وهو إظهار أسراره وشرح وجه إعجاز ببيان وفاء الدلالة على المراد وكشف خصائصه ومزاياه التي استأثر بها حتى بلغ هذه المرتبة، وحتى تحدى البشر بأنهم قال β " (لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

---

(1) المنهاج الواضح في البلاغة، حامد عوني ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأزهرية . القاهرة ، سنة ١٩٧٨م ، ص : ١٦.١٥.

(2) وفيات الأعيان لإبن خلكان، ج/٥، ص/١٦٩ ، منشورات الشريف الرضي قم ، إيران حققه د. إحسان عباس، وانظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص/ ٢٣، الدكتور محمد أبو موسى، ط: دار المسلم .

(3) منهج الزمخشري في تفسير القرآن لمصطفي الصاوي الجويني، ص /٢٣، الطبعة الثالثة ، دار المعارف القاهرة .

ظَهِيراً﴾(1)." وغنى عن البيان أنه لن يصل إلى تلك المنزلة إلا من أتاه الله فطرة سليمة وفكراً ثاقباً وبرهاناً ساطعاً وقلباً أطوع له من بنانه حتى تباح له بواضع البرهان وبديع البيان ، أن يوضح خصائص التراكيب ، ولطائف الأساليب التي هي من أسرار التنزيل ، وبذا أبان في غرض كلامه كثيراً من قواعد هذه الفنون التي اتخذها من جاء بعد دستور الكلام في كثير من سائلها[2] .

ولا يقتصر في تفسيره " الكشاف" على الشرح فحسب بل يعني أنه عناية كبيرة بإبراز مواطن البلاغة فأثبت بذلك أنه يؤيد القول بإعجاز القرآن كما أنه التفت التفاتاً خاصا إلى ناحية اللغوية[3].

مؤلفاته

"ومن مؤلفاته أساس البلاغة ، والمفصل ، ومقدمة الأدب ، والقسطاس له ديوان الشعر ، نثر ومقامات [4]."

"ومن يمعن النظر في نصوص الزمخشري يجد إشارة إلى أن الزمخشري قد إستوعب استقصى كل ما ورد من العرب من ألفاظ المجاز وجمعه في كتابه "أساس البلاغة" [5]."

لكن الزمخشري لا يعني بالتقسيمات والفروع البلاغية وتحديد المصطلحات البلاغية بل تجده يخلط بين المجاز ولكناية وبين الاستعارة والكناية ويجعل المجاز كناية ، فالتشبيه عنده مجاز والاستعارة التمثيلية تمثيل ولا يعني بهذا أن المصطلح المجازي لم يكن واضحاً في عصري الزمخشري كما ذهب إليه الأستاذ أمين الخولي فقد رأى الأستاذ أن الخلط في المصطلحات البلاغية كالمجاز ولكناية عند الزمخشري يرجع إلى عدم وضوح مفهوم المجاز في عصره[6].

---

(1) سورة الإسراء ، رقم الآية/ ٨٨.

(2) علوم البلاغة ، ص / ١١.١٠.

(3) الموسوعة العربية ، ج/١، ص/٩٢٦.

(4) نفس المصدر

(5) مقدمة أساس البلاغة لأمين الخولي ، ص/ 302، ط: دار الكتب المصرية.

(6) نفس المرجع

وفاته

وبعد جواره الثاني عاوده الحنين إلى بلده وفي طريقه إليه مر ببغداد سنة (533 هـ)، وقرأ بعض كتب اللغة على أبي منصور الجو اليقي مرتين وعند ما بلغ وطنه وافته منيته بجرجانه قرية من قرى خوارزم سنة ٥٣٨هـ ، رحمه الله بعد حياته حافلة بالعلم والجهد(1).

جلال الدين السيوطي

هو جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر الكمال بن محمد السيوطي، ولد في القاهرة سنة (849 هـ)، وقد اكتنفت مولده حادثة طريفة ترددها المصادر، إذ وضعته بين (2) رفوف الكتب فأطلق عليه أهله ابن الكتب وكان أن صدق هذا اللقب فصار حقاً ابنا للكتب أفنى عمره في مطالعتها وتحريرها.

وابتدأ السيوطي حياته العلمية باكراً، مستفيداً من وسطه الأسري الذي وفر له أسباب العلم والتعلم، فقد حرص والده على أن ينشأ النشأة العلمية الصحيحة ، فكان يأخذه إلى أكبر المجالس العلمية في زمانه، من مثل مجلس الحافظ ابن حجر. (3)

وساعد ذكاء السيوطي ونباهته في سرعة تلقيه العلم، فقد حفظ القرآن الكريم وهو دون الثامنة ثم حفظ العمدة ومنهاج النووي وألفية ابن مالك ومنهاج البيضاوي وعرض ذلك على علماء عصره وحصلت له إجازة بذلك منهم.(4)

وبدأ السيوطي الاشتغال بالعلم سنة (864 هـ)، وأجيز بتدريس العربية سنة (866 هـ)، ومعنى هذا أنه شب عن طوق الكسب العلمي وهو في سن السابعة عشرة وبين هذين التاريخين درس الفقه والنحو على جماعة من الشيوخ، كما بدأ بالإفتاء مع مستهل سنة (871 هـ) وعقد إملأ الحديث سنة (872 هـ) (5).

---

(1) منهج الزمخشري في تفسير القرآن ص/٤٢ .

(2) تاريخ النور السافر، لعيدروسي، ص/ 54.

(3) شذرات الذهب ، لابن العماد، ج/، ص/ 52.

(4) حسن المحاضرة، للسيوطي، ج/1، ص/ 336،

(5) نفس المرجع، ص/ 338.

وقد تعددت مصادر الثقافة السيوطية فلازم أكثر شيوخ عصره، وأخذ عنهم مختلف فنون الثقافة مع حرصه الشديد على المتابعة الشخصية، إذ اهتم بالبحث والتحقيق اهتماماً بالغاً (1) ، وقد صرح بذلك إذ يقول: " ولم أكثر من سماع الرواية لاشتغالي بما هو أهم وهو قراءة الدراية " (2) .

وعزز ذلك بقيامه بالعديد من الرحلات طلباً للعلم وقد اجتمعت لديه في أثناء هذه الرحلات براءات وإجازات كثيرة بالتدريس.(3)

ولم يتوقف السيوطي عن العطاء الفكري والعلمي بل إنه اعتزل الناس عند بلوغه الأربعين وتجرد للعبادة والتأليف إلى أن وافته المنية بعد مرض دام سبعة أيام، في 19 جمادي الأول سنة 911 هـ.

مؤلفاته

تنوعت ضروب التأليف لدى السيوطي، فشملت المعارف والعلوم ولم يكد يترك فناً من فنون المعرفة إلا وكتب فيه والعلم الوحيد الذي لم يؤلف فيه هو علم الحساب وكان يقول عنه: " أما علم الحساب فهو أعسر شيء وأبعده عن ذهني وإذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلاً" (4)

وتفاوتت كتبه في الحجم والقيمة فمنها ما يتجاوز عدة مجلدات مثل " الجامع الكبير في الحديث" ، و "الدر المنثور في التفسير المأثور" ، وغيرهما ومنها ما لا يتجاوز الورقة أو الورقتين مثل " نظام البلور في أسامي النسور" ، و " التبري من معرة المعري".

كما أن بعضها كانت من أهم الكتب التراثية قيمة وفائدة ككتاب " الاقتراح في أصول النحو" ، و " الإتقان في علوم القرآن" ، وغيرهما ، ومنها كتب لا يعتد بها

---

(1) السيوطي النحوي، لعدنان سليمان، ص/69.

(2) حسن المحاضرة، للسيوطي، ج/1، ص/ 339.

(3) شذرات الذهب لابن العماد، ج/8، ص/ 52.

(4) حسن المحاضرة، للسيوطي، ج/1، ص/ 338.

وألفها كما يقول: على طريقة البطالين مثل " بلوغ المآرب في قص الشارب" ، و " الطرثوث في فضل البرغوث" ..

وتتميز تأليف السيوطي بالموسوعية، وهو شديد العناية بحشد الروايات والأخبار التي يجمعها في صعيد واحد ليجعل منها مؤلفاً متسمقا جامعا لشتات تلك النصوص والأخبار [1] ، كما كان يهدف من تأليفه إلى تكوين مدرسة ثقافية متكاملة للفنون العلمية التي يتناولها بالبحث وهذه الحقيقة ظاهرة في مؤلفاته الكثيرة فكل مجموعة منها تمثل فنا متكاملاً بحث فيه كل ما يندرج تحت ذلك الفن من المسائل الجزئية والكلية.[2]

ويبدو أن السيوطي أراد أن يلاحق القارئ أينما ذهب فيؤلف له الشرح والاختصار والتذليل والنظم على كتاب عمدة حتى يصيره سيوطياً لحماً ودماً. [3]

ولا يعنينا كثيراً في هذا المقام البحث في عدد مؤلفاته وأسباب اختلاف تعدادها أو في محاولة مناقشة الخطوط العامة للتأليف ومدى جديتها وتميزها، ذلك أن ما يعنينا المرور سريعا هو تعريف بكتبه التي لا علاقة بالبلاغة وهذه الكتب تقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولها : كتب متخصصة تتناول بعض الموضوعات البلاغية.

ثانيها: كتب تتعلق بالقرآن الكريم من تفسير وتأويل وعلوم القرآن وإعجازه.

ثالثها: كتب البلاغة الصرفة

أولاً : كتبه التي تتناول بعض الموضوعات البلاغية :

لعل أبرزها " المزهر في علوم البلاغة" ، وبعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي ألفها السيوطي وأعظمها فائدة، وقد رتبه ونظمه على نسق أبواب الحديث [4]، وقد عرض فيه لما يمكن أن يكون منهجاً كاملاً لرواية اللغة.

---

(1) السيوطي النحوي، لعدنان سليمان، ص/ 124.

(2) نفس المرجع.

(3) أدب السيوطي ، الدئراوي، ص/ 39.

(4) المزهر للسيوطي، ج/1، ص/ 1.

وضم كتاب المزهر الكثير من الموضوعات التي تتناول مختلف علوم اللغة وبلغت خمسين نوعاً بينها مسائل تدخل ضمن ميدان البلاغة العربية، وهي الفصاحة ، والحذف، والاختصار، والحقيقة والمجاز، والاستعارة ، والعام والخاص[1]، وكذلك بحثه للمشترك و الأضداد والمترادف الذي يدخل فيما يراه البعض من المجاز على وجه من الوجوه، وكذلك وقوفه على الأمثال التي تتصل بالاستعارة التمثيلية، وتميز تناوله للحقيقة والمجاز باستقصاء جيد لتعريف الحقيقة والمجاز وجهات المجاز وعلام يدخل المجاز والمجاز لأجل اللفظ والمجاز لأجل المعنى والمجاز خلاف الأصل وبم يعرف بين الحقيقة والمجاز، واشتمال اللغة عليهما وغير ذلك، وكان في بحثه يعتمد على ما قاله اللغويون الذين سبقوه مكتفياً بالنقل دون مناقشة أو تحليل.

كتبه البلاغية الصرفة:

صنف السيوطي مجموعة غير قليلة من الكتب في علوم البلاغة الثلاثة المعاني والبيان والبديع، ولم يصل إلينا من هذه الكتب غير أسمائها مبثوثة في كتب التراث.

كتب ألفها السيوطي ولم تصل إلينا وإنما طوتها يد الأيام وهي في نظر الاستقراء المكتبي مفقودة، ومن أبرزها: " التخصيص في شواهد التلخيص" و" حاشية على المختصر" و " وشرح أبيات تلخيص المفتاح" و " مختصر شرح أبيات تلخيص المفتاح" و " النكت على التلخيص " و " النكت على حاشية المطول" .

السكاكي : [2]

هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي الخوارزمي ، ولد سنة 554هـ , هو إمام في العلوم العربية ، بيانها وأدبها وعروضها وشعرها ، واشتهر علمه في كل مكان ، وألف ((مفتاح العلوم)) فيه اثنا عشر علماً من علوم العربية وقسمه إلى ثلاثة أقسام :

- علم الصرف

(1) نفس المرجع، ص/ 184.

(2) هو سراج الدين أبو يعقوب بن محمد على السكاكي المتوفى سنة ٦٣٦هـ.

- علم النحو
- علوم المعاني والبيان والبديع

فهو أول من قسم البلاغة إلى الأقسام الثلاثة المشهورة ، علم يتعلق بالأساليب سماه علم المعاني ، وعلم يبحث في الصورة من تشبيه واستعارة وكناية سماه البيان ، ولم يسم القسم الثالث بديعاً وإنما هو عنده " وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام "[1] وقسمه قسمين : المحسنات اللفظية ، والمحسنات المعنوية . [2]

ويتحدث عن أغراض التشبيه حديثاً وعنده يعود أغراض التشبيه إلى المشبه أو المشبه به ، ويقسم الأول (الغرض الذي يعود إلى المشبه) إلى بيان حال وبيان مقدار حال ، وبيان إمكان حال، وزيادة تقرير حال ، وتزيين وتقبيح واستطراف.

وينظر في أحوال التشبيه من حيث القرب والغرابة والقبول والرفض ويلخص هنا بعض ما قاله عبدالقاهر الجرجاني في تحليلاته مثل أن إدراك الشيء مجملاً أسهل مفصلاً وأن الشيء مع ما يناسبه أقرب من حضور ما لا يترد عليه ، أن ميل النفس إلى الحسيات أتم منه إلى العقليات ، وأن النفس لما تعرف أقبل منها لما لا تعرف[3] .

الخطيب القزويني

هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، قدم إلى دمشق من بلاده هو وأخوه قاضي القضاة إمام الدين ، ثم ناب في القضاء بدمشق عن أخيه ، ثم ولي خطابة دمشق ، ثم قضاء القضاة بها ، ثم انتقل إلى قضاء القضاة بالديار المصرية .

وكان الخطيب القزويني مع اشتغاله بالقضاء ، يشغل بعلوم الأدب ، وقد بدأ عمله البلاغي باختصار كتاب السكاكي في البلاغة ((مفتاح العلوم)) ولخص

---

(1) مفتاح العلوم، ص / 224.

(2) نظرات في البلاغة والإسناد ، ص / 51.

(3) مفتاح العلوم ، ص / ٣٥٥.٣٣٢.

مفتاح العلوم وسماه ((تلخيص المفتاح)) في المعاني والبيان والبديع ، ثم ألف ((الإيضاح)) في علوم البلاغة.

ونراه يخالف السكاكي عبدالقاهر في تشبيه التمثيل إذ جعله يشمل كل ما كان وجه الشبهة فيه منتزعا من متعدد.ومر بنا أن عند عبدالقاهر كان يشترط مع ذلك أن يكون عقلياً وفيه يدخل الاعتبار هي الوهمي ، أما السكاكي فخصه بما يكون وهمياً اعتباريا فحسب ومعنى ذلك أن القزويني جعله يشمل الوجه المركب الحسي ، ونحس في هذا الفصل صلة بما كتبه عبدالقاهر عن التشبيه بأسرار البلاغة في غير موضع .[1]

ويتعمق النظر وإجالة الفكر في النصوص التي سبقت يظهر أن علماء القرن الثالث والرابع قد ابتكروا المفاهيم واستحدثوا الأفكار حول علوم البلاغة وأما الذين جاؤوا بعدهم في القرون المتأخرة فما زادوا على ما سبقهم من العلماء بالقول فإن أقوالهم وجهودهم في هذا الصدد هي حكاية أقوال السابقين وصور معادة لمساعي المتقدمين ، ومع ذلك لا يمكن لنا أن ننكر فضلهم حيث الجمع والتبويب والترتيب ،جزاء الله كله بما هو أهله والله لا يضيع أجر المحسنين.

الراغب الأصفهاني

هو أبو القاسم حسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، أحد أئمة أهل السنة، ومن آثاره الأدبية: تفصيل النشاتين وتحصيل السعادتين، و الذريعة إلى مكارم الشريعة، و محاضرات الأدباء، والمفردات في غريب القرآن وكتاب في التفسير لم يكمله ومنه أخذ البيضاوي غالب تحقيقاته.

ولكن من الانصاف أن نبادر بالقول: إن الراغب ρ لم يسم كتابه " غريب القرآن ، وإنما عرف بالمفردات، وأن هذه المفردات لم يتوخ فيها ذكر الغريب فحسب، وإنما ألمّ بمفردات القرآن جميعها، دون أن يقتصر على الغريب وحده، ولكنّ ما ذكره الرجل، كان بدعا مما ذكره الكثيرون، فلقد كان الرجل بحق داركا للمحة، غواصا على الفروق الدقيقة بين الكلمات، واختصاص كل كلمة بالموضوع الذي ذكرت فيه، حتى

---

(1) الإيضاح ، ص / ٣٩٠.٣٢٨.

لقد أصبح كتابه مرجعا لا يستغني عنه ذوو الدراسات القرآنية واللغوية. وبخاصة أولئك الذين ليس غرضهم أن يقفوا على المعنى القريب فحسب وإنما أرادوا أن يتضلعوا من نمير القرآن، فترتوي أفئدتهم.

وأنقل هنا ما ذكره في كلمة "صبر".

يقول " والصبر الإمساك في ضيق، يقال: " صبرت الدابة" حبستها بلا علف، " وصبرت فلاناً" خلفته خلفة لا خروج له منها، والصبر : حبس النفس على م يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه، فالصبر لفظ عام، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة، سمي صبراً لا غير، ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة، ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر، ويضاده الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً، ويضاده المذلن وقد سمي الله تعالى كل ذلك صبرا، ونبه عليه بقوله" ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء ﴾ [1]" ،" ﴿ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ﴾[2] "، "﴿ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ ﴾" [3] ، وسمي الصوم صبراً، لكونه كالنوع له، وقال γ : (صيام شهر الصبر) وثلاثة أيام في كل شيء يذهب وحر الصدر ، " وقوله فما أصبرهم على النار ، وقال أبو عبيدة : إن ذلك لغة بمعنى الجرأ، واحتج بقول أعرابي قال لخصمه: ما أصبرك على الله. وهذا تصور مجاز بصورة حقيقة، لأن ذلك معاه، ما أصبرك على عذاب الله في تقديرك، إذا اجترأت على ارتكاب ذلكن وإلى هذا يعود قول من قال : " ما أبقاهم على النار، وقول من قال : ما أعملهم بعمل أهل النار، وذلك أنه قد يوصف بالصبر من لا صبر له الحقيقة، اعتباراً بحال الناظر إليه، واستعمال التعجب في مثله اعتباراً بالخلق لا بالخالق، وقوله β : "﴿ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ [4]" أي احبسوا أنفسكم على العبادة، وجاهدوا أهواءكم ،

---

(1) سورة البقرة، رقم الآية/ 177.

(2) سورة الحج ، رقم الآية/ 35.

(3) سورة الأحزاب ، رقم الآية/ 35

(4) سورة آل عمران ،رقم الآية/ 200.

"وقوله β : ﴿ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾ "[1] أي تحمل الصبر بجهدك، وقوله χ : "﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾" [2] أي بما تحملوا من الصبر في الوصول إلى مرصاة الله ، وقوله β : " ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ "[3] معناه الأمر والحث على ذلك ، والصبور القادر على الصبر، والصبّار يقال إذا كان فيه ضرب من التكلف والمجاهدة قال: "﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾" [4] ، ويعبر عن الانتظار بالصبر، لما كان حق الانتظار أن لا ينفك عن الصبر، بل هو نوع من الصبر،قال β : "﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ "[5] أي انتظر حكمه لك على الكافرين . [6].

العلماء البلاغيون الجدد

الرافعي

هو مصطفى صادق بن عبد الرازق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي ، (1298-1356) ، عالم بالأدب، شاعر من كبار الكتاب أصله من طرابلس الشام ومولده في بهتيم (منزل والد أمه) ووفاته في طنطا أصيب بصمم فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به شعره نقي الديباجة، على جفاف في أكثره ونثره من الطراز الأول. [7]

ثم جاء الأستاذ الرافعي ρ ، فزاد على ما ذكره الباقلاني، وعقد فصلا خاصا في كتاب " إعجاز القرآن" الذي نسأل الله أ يجزيه خيرا عنه، وهو يتكلم فيه عن الإعجاز، . إعجاز الكلمات في جملها . فيقول ρ : " وأعجب شيء في أمر هذا الحس الذي يتمثل في كلمات القرآن ، أنه لا يسرف على النفس، ولا يستفرغ

---

(1) سورة مريم ، رقم الآية/ 66.

(2) سورة الفرقان ، رقم الآية/ 75.

(3) سورة يوسف، رقم الآية/ 18.

(4) سورة سبأ ، رقم الآية / 190.

(5) سورة الإنسان، رقم الآية/ 24.

(6) المفردات في غريب القرآن ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، ماجستير من كلية آداب جامعة القاهرة، ص/ 273-274.

(7) الأعلام ، ج/7،ص/235.

جهودها، بل مقتصد في كل أنواع التأثير عليها، فلا تضيق به، ولا تنفر منه، ولا يتخونها الملاك" (1)

ثم يقول : "فلا بد في مثل نظم القرآن من : إخطار معاني الجمل، وانتزاع جملة ما يلائمها من ألفاظ اللغة، بحيث لا تشذ لفظة ولا تختلف كلمة، ثم استعمال أمسها رحما بالمعنى، وأفصحها في الدلالة عليه، وأبلغها في التصوير، وأحسنها في النسق، وأبدعها سناء، وأكثرها غناء، وأصفاها رونقا وماء " (2)

ثم يسوق من الأمثلة على ذلك فيقول : " من ذلك لفظة (النذر) جمع نذير ، فإن الضمة ثقيلة فيها لتواليها على النون والذال معا، فضلا عن جسأة هذا الحرف ونبوه في اللسان، وخاصة إذا جاء فاصلة للكلام، فكل ذلك مما يكشف عنه، ويفصح عن موضوع الثقل فيه، ولكنه جاء في القرآن على العكس وانتفى من طبيعته في قوله تعالى "﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴾" (3) فتأمل هذا التركيب، وأنعم ثم أنعم على تأمله، وتذوق مواقع الحروف، وأجر حركاتها في حسّ السمع، وتأمل مواضع القلقلة في دال (لقد) وفي الطاء من (بطشتنا) وهذه الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء إلى واو (تماروا) مع الفصل بالمد، كأنها تثقيل لخفة التتابع في الفتحات، إذا هي جرت على اللسان، ليكون ثقل الضمة عليه مستخفا بعد...الخ " (4)

ثم يمضي الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ρ يستشهد على ما أراد ببعض الآيات القرآنية، فيذكر كلمة (ضيزي) وموقعها في السياق الذي جاءت فيه، ثم يمثل لما يتوهم بأنه زائد في اصطلاح النحاة، مثل كلمة (ما) في قوله β "﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾" (5) وكلمة (أن) في قوله β "﴿ فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ ﴾"

---

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص/ 223.

(2) نفس المرجع ، ص/ 226.

(3) سورة القمر، رقم الآية /36.

(4) إعجاز القرآن وبلاغة النبوية ، ص/ 227

(5) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 159.

[1] ، كما يذكر كلمات هي من أكثر الكلمات حروفا، مثل" ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ [2] ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ ﴾" [3] ويعرض بعد ذلك لكلمات جاءت مجموعة غير مفردة.

وذلك مثل: (ألباب) و(أكواب) و (أوجاء) ، وأخرى جاءت مفردة غير مجموعة، مثل : كلمة (أرض) ويختم هذا الفصل بأن هناك كلمات أعرض عنها القرآن، مثل : كلمة (آجر) واستبدالها بغيرها مثل قوله β" ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ ﴾ [4]".

والمتأمل لما ذكره الأستاذ الرافعي ρ وما فيه من تصوير رائع، وإبداع يتلألأ فيه الإشراق، وبيان مدهش، يأخذ باللب، ويأسر القلب، أقول: المتأمل في ذلك كله، يجد أن الأستاذ الرافعي، كان يهدف لبيان ما تحدثه الكلمات القرآنية، في أرجاء النفس من تأثير بما لها من جرس، وتصوير بما فيها من حس، حيث يشير في بداية الموضوع إلى الأصوات الثلاثة، وهي: صوت النفس، وصوت العقل، وصوت الحس، وهذا الأخير هو الذي وجدوه في الكلمة القرآنية، حيث كانت تخلو منه كلماتهم، فهم وإن تعاطوه، لكنهم لم يعطوه، وهذه الجهة في ظني لعلها كانت . أول ما تأثر به العرب، وهم يستمعون لكتاب الله تعالى، وهو يتلى عليهم لأول وهلة، ولكن سعة البيان القرآني التي هي من سعة علم الله تبارك وتعالى . تجعلنا لا نقف أمام جهة واحدة من هذا البيان، كما لا يستشف ذلك من كلام الأستاذ الرافعي، بل لا بد من أن ننقب ونبحث، ونمعن النظر، ونجيل الفكر، لنقف من الكلمة القرآنية أمام لفتات تمد النفس والعقل بما ينير ويريح، وتفتح لهما أبواباً من السر القرآني المكنون، وأقصد من ذلك: أن نقف أمام الكلمة القرآنية من حيث دقة ما تعطيه من معنى.

---

(1) سورة يوسف ، رقم الآية/ **96**.

(2) سورة النور ، رقم الآية/ **55**.

(3) سورة البقرة، رقم الآية/ **137**.

(4) سورة القصص ، رقم الآية/ **38**.

إن ما ذكره الرافعي، يرجع إلى واحد من الوجهين اللذين ذكرهما الخطابي ρ وهو يتحدث عن الكلمة، وهو : ما يتعلق بالكلمة من حيث رونقها وبهاؤها وجرسها وخفتها.

الشيخ أبو زهرة

ثم جاء الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة ρ فعقد فصلاً في كتابه المعجزة، عرض فيه وجهتي النظر السابقتين، فاستشهد على وجهة النظر الثانية وهي:ان الكلمة لا دخل لها في الإعجاز بكلام الشيخ عبدالقاهر، كما استشهد على الوجهة الأولى: بشيء من كلام الباقلاني والرافعي رحمهم الله، ولكن شيخنا سامحه الله بعد أن صور هذا الموضوع تصويراً يدرك القارئ منه بعد الشقة بين النظريتين، وعمق الهوة . وما نظن الأمر كذلك . يحاول بعد ذلك أن يقلل من شأن هذا الخلاف، بل لعله يزيله البته، لما يظهر من كلامه. ونحب أن ننقل شيئاً مما كتبه، حتى لا نضل في حكمنا الذي حكمناه، يقول ρ : وهذان رأيان يبدو أنهما متعارضان، في كون فصاحة الكلمة جزءا من البلاغة أو الفصاحة، وإن لم يكن بينهما فرق. فالأول : لا ينظر إلى الجزء . وهو الكلمة . بل لا ينظر إلا إلى المجموع المؤتلف.

والآخر: ينظر إلى الأجزاء والي المجموع معا، بل لا يرى المجموع يكون بليغا إلا إذا انتهى إلى ألحان مؤتلفة، من حروف كلمات متآلفة، وكلمات في أسلوب مؤتلف في نغماته وترتيله وتناسق بيانه.

ولا شك أن الكلمة وحدها من غير أن تكون في مجموعة . ليس لها بلاغة ولا مؤدي ، فكلمة شجر من غير أن تكون في كلام ليس لها مؤدي، إلا أن تكون في جملة مفيدة تؤدي معنى،وتكون بحروفها ورقتها أولنها متآخية مع أخواتها من الكلام.

ويخلص الشيخ ρ إلى أن الكلمة القرآنية ليست فصيحة فحسب، بل هي بليغة كذلك.

ويأتينا الشيخ بأمثلة من كتاب الله تعالى ، يبين فيها استقرار الكلمة القرآنية في موضعها، وما أخال الذي ذكره جديداً على العلماء ، ولكي لا أكون متعسفا

غير منصف أذكر شيئا موجزا مما جاء به. يقول عند قوله β : "﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ (1) . "

إذا قرأنا وردنا البصر كرين ، وجدنا كل كلمة في حيزها لا تفارقه ، ولو فارقته لوجدناه فارغا لا يملؤه غيره، ولنبتدئ بالإشارة إلى ما في كل كلمة مما اختصت به.

الأولى : كلمة آمنة، فالأمن معناه: عدم الخوف من مغير يغير عليهم، أو عدو يساورهم، ولعل ذلك إشارة إلى مكة.

الثانية: كلمة مطمئنة، فمعنى الاطمئنان يتصل بالنفس، فهي قد منحها الله تعالى القرار والسكون، والدعة من غير ضعف.

الثالثة: يأتيها رزقها، فإن هذا يشير إلى سهولة الحياة، وأنه لا يأتيهم كسائر العرب بانتجاع الكلأ، والتنقل في الصحراء لا ينالون الحياة إلا بشق الأنفس، ويذوقهم في طلبهم حر الحياة وقرها.

الرابعة : كلمة رغدا: فالرغد هو الرزق الطيب المذاق، المريء غير الوبي، وهو : الواسع الكثير، فهم في رزق يأتيهم سهلاً طيباً، واسعا مرئياً لا وباء فيه.(2).

بنت الشاطيء

وقيل أن نتجاوز هذا الفصل، يجمل بنا أن نشير إلى كتاب ذي صلة مباشرة بموضوعنا الذي نتحدث عنه. وهو الإعجاز البياني للقرآن الكريم، بذلت فيه الكتابة جهدا مشكوراً، ينظم أبحاثا قيمة جيدة، يعنينا منها حديثها عن المفردات القرآنية لنسجل هاتين الملحوظتين.

أولاهما : حديث الكاتبة عن مسائل نافع بن الأزرق. والأخرى : في تفسير بعض الألفاظ القرآنية ، ومن الإنصاف أن نقرر أن هذه الأخيرة كانت محاولة مشكورة، حاولت فيها الكاتبة تحديد المعنى لبعض الألفاظ القرآنية الكريمة. وفي حديثها عن مسائل نافع بن الأزرق، ذكرت لنا مقدمات عن اهتمام المغاربة بهذه المسائل، وما قالوه في تلك المسائل من منظومات (3) . وهذا حسن ، لكننا كنا نود

---

(1) سورة النحل، رقم الآية/ 112.

(2) المعجزة الكبرى للقرآن ، ص / 110.

(3) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق، ص/ 267، دار المعارف.

من كاتبتنا أن نتحدث لنا عن القيمة العلمية لهذه المسائل، وما يدور حولها من مباحث، سواء كانت تتعلق بالسند أم بالمتن، مع أنها خصص لها نصف الكتاب أو يزيد، كما كنا نود أن تعالجها علاجاً علمياً موضوعياً.

أما الملحوظة الثانية: فلقد حاولت الكاتبة التفريق بين الألفاظ القرآنية، لتعطي كل لفظ مدلولها الذي يشهد به حس القرآن الكريم، وكما قلت من قبل: فهو عمل جيد، وجهد مشكور، فلقد ذكرت مثلاً: التفرقة بين الرؤيا والحلم، والأبصار والأنس ، والنأي والبعد، والتصدع والتحطم، ونرجو أن تؤجر فيما ذهبت إليه، وإن كان لنا هنا أن نقول شيئاً: فأحب أن أعلق على ما ذكرته من فرق بين الحلف والقسم [4] ، وزوج وامرأة، [5] ونعمة ونعيم [6].

ذكرت أن الحلف لا يكون إلا فيما هو كذب، ومن هنا أسند الحلف كثيرا إلى المنافقين، كما ذكر في كفارة اليمين كقوله β "﴿ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ "[7] ، أما القسم : فإنما يكون لليمين الصادق بها صاحبها.

والذي يظهر لي أن القسم إنما يكون لما أراد صاحبه أن يوكده، صدقا كان أو غير ذلك، فنحن نقرأ مثلاً قول الله β : "﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾" [8] ، ونقرأ قول الله β : "﴿ وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾" [9] ، وقول الله χ : "﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾" [10] .

---

(4) الإعجاز البياني ، ص/ 204.

(5) نفس المرجع، ص/ 212.

(6) نفس المرجع، ص/ 218.

(7) سورة المائدة ، رقم الآية/ 89.

(8) سورة النور، رقم الآية/ 53

(9) سورة الأنعام، رقم الآية/ 109.

(10) سورة فاطر، رقم الآية/ 42.

ونحن نعلم أن هذه الآيات ساقها الله تعالى ، في معرض التبكيت والنعي والتوبيخ.

وأكتفي بما ذكرته هنا عن جهود علماء البيان في هذا الفصل، وإن كنت لا أدعي أنني ألممت بكل صغيرة وكبيرة في هذا الموضوع لأن طبيعة البحث لا تسمح بذلك، ومع هذا فإن هناك قضايا عرض لها أصحابها، وهم يتحدثون عن الكلمة القرآنية، حرى بنا أن نناقشها، وألا نقف موقف الإذعان والتسليم، مع جلالة أصحابها وإجلالنا لهم، لكن الحق أحق أن يتبع.

ــ

ــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ــــــــــــــــــــــــــــ

ــــــــــــــــــــ

الفصل الأول

الدعاء لغة واصطلاحاً

قبل أن نتكلم عن أهمية الدعاء و مكانته في الإسلام نبحث عن أصل كلمة الدعاء ومعنى الدعاء اللغوي، و المعنى الشرعي للدعاء، و المناسبة بينه و بين المعني اللغوي. و نستفيد من المعاجم القديمة و الجديدة لغة ثم نشرح الكلمة اصطلاحا و نحاول أثناء هذا البحث أن نستفيد من القرآن و كتب الحديث المشهورة المتداولة بين العلماء منذ زمن قديم.

أصل كلمة الدعاء

أصل كلمة الدعاء مصدر لفعل "دعا".

قال الإمام أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي رحمه الله تعالي: "أصل هذه الكلمة مصدر من قولك دعوت الشيء أدعوه دعاء"[(1)]، و آخره ممدود[(2)]، و هو مصدر قياسي، لأن الأفعال التي تدل علي الأصوات تأتي مصادرها قياسية.

و الدعاء هو المصدر المشهور لدعا[(3)]. و هناك صيغ أخري نص بعض علماء اللغة علي مصدريتها لفعل "دعا" كما ورد استعمالها في اللغة الفصحى و من تلك المصادر:

دَعوٌ، قال ابن دريد[(4)]: "الدّعوُ مصدر دعا دعواً و دُعَاءً"[(5)].

و من ذلك قوله صلي الله عليه و سلم في حضور النساء للعيد: "لتلبسها صاحبتها من جلبابها، و لتشهد الخير و دَعوة المسلمين"[(1)] أي دعاء المسلمين.

---

(1) شأن الدعاء ، للخطابي، ص/٣ ، و إتحاف السادة المتقين للزبيدي، ج/٥، ص/ ٢٧، الأزهية في أحكام الأدعية، للزركشي، ص/٢٧

(2) جمهرة اللغة لابن دريد، ج/٣، ص/ ٢٤٢ ، تاج العروس ، ج/١٠، ص/ ١٣٦

(3) مشارق الأنوار ، القاضي عياض، ج/١، ص/٢٦٠

(4) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، أديب، نحوي، لغوي نسابة، انظر سير أعلام النبلاء، ج/١٥، ص/٩٦.

(5) جمهرة اللغة لابن دريد، ج/٢، ص/٢٨٣.

1. و هناك مصدر ثان و هو دَعوَي.

فقد حكاها سيبويه رحمه الله في المصادر التي في آخرها ألف التأنيث، و أنشد: وَلّت و دَعواها شديد صَخبه[2] ذكر على معنى الدعاء،

"و من هذا الباب قوله تعالي: (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [3]" أي دعاءهم فيها .... و آخر دعاءهم

2. و هناك مصدر ثالث و هو دِعاوةٌ[4]

3. و هناك أيضا مصدر رابع و هو دِعايةٌ

"يقال: دعا دعاية، كما يقال: رمي رماية و شكي شكاية فمن ذلك دعاية الإسلام أي دعوته[5]."

4. "و هناك مصدر خامس، و هو دَاعِية كعاقبة و عافية[6]."

و يظهر من تتبع موارد استعمال مادة كلمة دعا- أن المصدرين الآخرين ربما يكونان خاصين بالاستعمال في الدعاء بمعني الحث علي الشيء لا الدعاء بمعني السؤال و الطلب.

و أما المصدر الثاني الذي هو الدعوي فإنه يستعمل في الكثير بمعني ادعاء كما يستعمل في معني ادعاء، قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "وللدعوي في كلام العرب وجهان، أحدهما الدعاء، و الآخر الادعاء للحق،

---

(1) البخاري، "الصحيح البخاري"، رقم الحديث/ ٩٨٠.

(2) البيت لبشير بن النكث نسبه إليه سيبويه في الكتاب، ج/٢، ص/٢٢٨.

(3) سورة يونس، رقم الآية/ ١٠

(4) الكتاب، سيبويه، ج/٢، ص/٢٢٨، و عنه في "معاني القرآن" للزجاج، ج/٢، ص/٣١٨

(5) مشارق الأنوار، القاضي عياض، ج/١، ص/ ٢٦٠، تاج العروس، الزبيدي، ج/١٠، ص/١٢٨.

(6) لسان العرب، ابن منظور ج/٣، ص/١٣٨٦ ، تاج العروس للزبيدي ، ج/١٠، ص/ ١٢٨.

و من الدعوي التي معناها الدعاء قول الله تبارك و تعالي: "فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ"(1)

أطلقت هذه المادة- د ع و- في الكتاب و السنة و كلام العرب و أهل العلم علي معان شتي، و لكن تلك المعاني بينها تفاوت، فمنها ما استعملت فيه كثيراً و هو المراد عند الإطلاق، و منها ما استعملت فيه نادراً و هذا مع ورود تلك المعاني كلها، و صحتها عند أهل اللغة.

و يمكن عند التأمل إرجاع تلك المعاني إلي أصل واحد تدور عليه و هو إمالة الشيء، قال ابن فارس(2) رحمه الله: "دعو، الدال و العين و الحرف المعتل أصل واحد، و هو أن تميل الشيء إليك بصوت و كلام فيكون منك"(3).

المعاني اللغوية لكلمة الدعاء

1.الطلب و السؤال

قال ابن سيده(4) رحمه الله: "طلب طالب للفعل من غيره"(5)

قال الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي: "الدعاء في اللغة و الحقيقة الطلب"(6).

و قال محمد علي الشوكاني: "معني الدعاء حقيقة و شرعاً: هو الطلب"(7).

و مما ورد من استعماله في هذا المعنى:

"قوله تعالي: (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) (8)"

---

(1) سورة الأنبياء، رقم الآية: ١٥

(2) و هو أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين اللغوي ،"بغية الوعاة" ، ج/١ ، ص/٣٥٢

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ج/٢، ص/٢٧٩

(4) هو علي بن إسماعيل الأندلسي، إمام في اللغة العربية،"سير أعلام النبلاء"، ج:١٨، ص: ١٤٤-١٤٦

(5) المخصص لابن سيدة، ج/١٣، ص/٨٨

(6) أحكام القرآن لابن العربي، ج/٢، ص/ ٨١٥

(7) فتح القدير للشوكاني، ج/٤، ص/٤٩٨

(8) سورة الأعراف، رقم الآية/ ١٣٤

"السؤال : كما في قوله تعالى : (قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ)[1] أي سله [2] . "

"قوله تعالي:(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ) [3]"

"قوله تعالي: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [4]"

"قوله تعالي: (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ) [5]"

فالدعاء في هذه الأمثلة معناه الطلب، و ليس هو مطلق الطلب، بل طلب خاص و هو "طلب الأدنى من الأعلى تحصيل الشيء بلا غضاضة من الأعلى"[6]. و ذلك لأن صيغة الطلب و الاستدعاء تختلف بحسب الطالب و المطلوب منه، فإذا كان ممن يقدر علي قهر المطلوب منه، فإنها تقال علي وجه الأمر، وإذا كانت من الفقير من كل وجه للغني من كل وجه فإنها تقال علي وجه السؤال بتذلل و افتقار[7].

2.العبادة

و هذا المعني ورد بكثرة في القرآن الكريم و السنة و كلام أهل العلم. و ممن صرح بهذا المعني أبو إسحاق الزجاج[8]، فإنه قال في قوله تعالى: " (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)[9] " معني الدعاء لله عز وجل علي ثلاثة أضرب، فضرب منها توحيده و الثناء عليه، كقولك: "يا الله لا إله إلا أنت" و قولك: "ربنا لك الحمد..."[10]

---

(1) سورة البقرة ، الآية / 68.

(2) المفردات في غريب القرآن ، ص/ 170

(3) سورة البقرة، رقم الآية/ ٦١

(4) سورة النمل، رقم الآية/ ٦٢

(5) سورة الإسراء، رقم الآية/ ١١

(6) نزهة النواظر في علم الوجوه و النظائر لابن الجوزي، ص/٢٩٤

(7) الدعاء و منزلته من العقيدة الإسلامية لجيلان بن خضر العروسي، ص/ ٢٨

(8) هو إبراهيم بن محمد بن السري البغدادي لغوي، نحوي، مفسر، لزم المبرد، (ت ٣١١ ﻫ) انظر سير أعلام النبلاء: ٣٦٠/١٤

(9) سورة البقرة، رقم الآية/ ١٨٦

(10) معاني القرآن و إعرابه للزجاج، ج/١، ص/٢٥٥

قال أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري اللغوي المشهور: " وقد يكون الدعاء عبادة، و منه قول الله β:

" (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ)[1]"

العبادة : وهو كثير في القرآن الكريم ، قال تعالى : " (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ)[2] " أي الذين تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله تعالى [3]،"وقال : (أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ)[4]،" أي أتعبدون بعلاً [5].

أي الذين تعبدون من دون الله ...". وروي مثل ذلك عن سعيد بن المسيب في قوله تعالي: (لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَٰهًا)[6] " أي لن نعبد إلهاً دونه.

و فوق هذا البيان من أهل اللغة بيان الرسول صلي الله عليه و سلم هذا المعني بقوله: "الدعاء هو العبادة"[7]

3.الرغبة إلى الله عز و جل

---

(1) سورة الأعراف، رقم الآية/ ١٩٤

(2) سورة الأعراف ، رقم الآية / 194.

(3) الكشاف ، ج/2 ، ص/ 189.

(4) سورة الصافات ، رقم الآية / 125.

(5) الكشاف ، ج/ 4 ، ص/ 60.

(6) سورة الكهف، رقم الآية/ ١٤

(7) سنن الترمذي للترمذي، رقم الحديث/ ٣٢٤٧

"وهذا المعني ذكره غير واحد من علماء اللغة، وقدمه كثير منهم علي غيره من معاني الدعاء الأخرى في سردهم لتلك المعاني، منهم صاحب المحكم، و صاحب القاموس، و صاحب المصباح، و صاحب الكليات[1]."

وهذا المعنى اعم من المعنيين السابقين إذا الرغبة تارةً تكون بالمسألة، و تارةً بالعبادة و الثناء، فالرغبة تحصل بالنوعين: السؤال، و العبادة، كما أن الرغبة هي سبب باعث علي الطلب و السؤال، و باعث أيضاً علي العبادة و الثناء، فيكون الدعاء من آثار الرغبة و نتائجها، و تكون الرغبة لازمة له، ومن هنا ندرك أنه لا تنافي بين هذه المعاني بل هي متلازمة و متداخلة.

"قوله β : (وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [2]"

"قوله β : (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ) [3]"

"قوله β : (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [4]"

"قوله β : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) [5]"

4.الاستغاثة و الاستعانة

و هذا المعني ذكره كثيرون من علماء اللغة و علماء تفسير القرآن الكريم[1].
و من شواهد استعماله قوله β:

(1) راجع المحكم، ج/٢، ص/٢٣٤، و القاموس من تاج العروس، ج/١، ص/ ١٢٦، و المصباح المنير، ج/١، ص/٢٦٤، و الكليات، ج/٢، ص/٣٣٣

(2) سورة يونس، رقم الآية/ 25.

(3) سورة يوسف، رقم الآية/ 33.

(4) سورة آل عمران، رقم الآية/ 104

(5) سورة الأنفال، رقم الآية/ 24.

"(وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[2]"

"(وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ)"

"قال الفراء[3]: يقول: "آلهتكم"، يقول: استغيثوا، هو كقولك للرجل إذا لقيت العدو خالياً فادع المسلمين، و معناه استغث بالمسلمين، فالدعاء ههنا بمعني الاستغاثة[4]."

وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في تفسير هذه الآية: أي ادعوهم ليعاونوكم علي سورة مثله. و معني الدعاء ههنا -الاستغاثة- و منه دعاء الجاهلية، و دعوي الجاهلية، و هو قولهم: يا آل فلان إنما هو استغاثتهم"[5].

تقول للرجل: إذا لقيت العدو خالياً فادع المسلمين أي استغث بهم [6] ، وفي التنزيل : " (قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ & بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاء وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ) [7] . "

5.النداء و الصياح

و قد ذكره أيضاً غير واحد من علماء اللغة و علماء تفسير غريب القرآن الكريم[8] و من قوله β:

---

(1) معاني القرآن للفراء، ج/ ١، ص/١٩، تهذيب اللغة للأزهري، ج/٣، ص/١١٩، نزهة النواظر لابن الجوزي، ص/٢٩٤، لسان العرب لابن منظور، ج/٣، ص/١٣٨٥

(2) سورة البقرة، رقم الآية/ ٢٣

(3) هو يحي بن زياد بن عبد الله أبو زكريا الأسدي موهم الديلمي الكوفي نزيل بغداد النحوي ا لمشهور صدوق (ت ٢٠٧ هـ)، انظر "بغية الوعاة"، ج/٢٥، ص/ ٣٣٣

(4) معاني القرآن للفراء، ""، ج/1، ص/١٩

(5) غريب القرآن لابن قتيبة، ص/٤٣

(6) تهذيب اللغة ، مادة (دعا) ، ج/3، ص/ 76 .

(7) سورة الأنعام ، رقم الآيتين / 40-41.

(8) المحكم لابن سيده، ج/٢، ص/٢٣٤، تاج العروس للزبيدي، ج/١٠، ص/ ١٢٨

" (وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا)[1]"

"و قوله تقدست أسماؤه: (قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاء إِذَا مَا يُنذَرُونَ)[2]"

"و قوله β: (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ)[3]"

"و قوله β: (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ)[4]"

6.القول

ذكره غير واحد من العلماء[5]، منه قوله β:

"(فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) [6]"

و قوله β:

"(دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[7]"

قال أبو عبيدة معمر بن المثني في تفسير هذه الآية: "دَعْوَاهُمْ فِيهَا" أي دعاؤهم أي قولهم و كلامهم.[8]

7.التسمية

ذكرها كثير من علماء اللغة[1]، و مما ورد من استعماله في هذا المعني قوله تعالي: " (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ) [2]"

---

(1) سورة الكهف، رقم الآية/ ٥٢

(2) سورة الأنبيآء، رقم الآية/ ٤٥

(3) سورة القمر، رقم الآية/ ٦

(4) سورة الإسراء، رقم الآية/ ٥٢

(5) أبو عبيدة معمر بن المثني، "مجاز القرآن"، ج/١، ص/٢١٠-٢٧٥، معاني القرآن للفراء، ج/٢، ص/٢٠٠، نزهة النواظر لابن الجوزي، ص/٢٩٣، معاني القرآن الزجاج، ج/٣، ص/٤١٦

(6) سورة الأعراف، رقم الآية/ ٥

(7) سورة يونس، رقم الآية/ ١٠

(8) مجاز القرآن لأبي عبيدة، ج/١، ص/٢٧٥

التسمية : تقول دعوت ابني زيداً أي سمّيته زيداً [3] قال β:" (لا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا) [4]"، أي : " لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضاً " .[5]

8.الحث علي الشيء و الحض عليه

و قد ذكره كثير من أهل العلم[6]. و قد ورد في هذا المعني في الكتاب العزيز كثيراً. فمن ذلك قوله β: " (وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء)[7]"

"و قوله β: (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ)[8]"

"و قوله β: (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ)[9]"

9.الاستفهام

فقد ذكره بعض علماء تفسير غريب القرآن[10]، و مثلوا له بقوله تعالي في قصة مراجعة بني إسرائيل لموسي عليه السلام في سورة البقرة: " (قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ[11])" أي استفهم لنا ربك.

10. الجعل

فقد ذكره بعضهم من معاني الدعاء، و مثلوا له بقوله β:" (أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا[1])"

---

(1) منهم ابن سيدة في المحكم، ج/٢، ص/ ٢٣٥، و الزجاج في معاني القرآن، ج/٣، ص/ ٤١٦، و الراغب في المفردات،ص/١٧٠، و لسان العرب ، ج/٣، ص/ ١٣٨٧

(2) سورة الأحزاب، رقم الآية/ ٥

(3) المفردات في غريب القرآن ، ص/ 170.

(4) سورة النور ، الآية / 63.

(5) الكشاف ، ج/3 ، ص/ 260.

(6) المحكم لابن سيده،ج/٢، ص/ ٤٢٣،و الراغب في المفردات،ص/١٧٠، لسان العرب،ج/٣،ص/ ١٣٨٧

(7) سورة يونس، رقم الآية/ ٢٥

(8) سورة يوسف، رقم الآية/ ٣٣

(9) سورة الأحقاف، رقم الآية/ ٣١

(10) الأشباه و النظائر لمقاتل بن سليمان ص/ ٢٨٧، نزهة النواظر، ص/٦٩٥

(11) سورة البقرة، رقم الآية/ ٦٨

11. الاستحضار

فقد ذكره بعضهم[2] و مثلوا له بقوله β:" (مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ) [3]"

"وقولهم: دعا بالكتاب أي استحضره، و هذا راجع إلي معني الطلب أيضاً، فالمعني أنه طلب حضور الكتاب، و أما في الآية فالمعني أن أهل الجنة يسألون و يطلبون الفواكه الكثيرة و الشراب[4]."

12. الثناء

فقد ذكره بعضهم[5] و مثلوا له بقوله β:

(" قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ[6]")

13. الإيمان

فقد فسر ابن عباس رضي الله عنه قوله تعالي: " (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ [7]"). بقوله صلي الله عليه و سلم: "يقول: لولا إيمانكم"[8].

14. العرض :

كما جاء في موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم[9] في "قوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ & تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ & لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) [10]"

---

(1) سورة مريم، رقم الآية/ ٩١

(2) أساس البلاغة للزمخشري، ج/١، ص/٢٧٣، تاج العروس للزبيدي، ج/١٠، ص/١٢٨

(3) سورة مريم، رقم الآية/ ٩١

(4) الدعاء و منزلته من العقيدة الإسلامية للعروسي، ، ج/١، ص/٤١

(5) شرح أسماء الله الحسني للقشيري و نقله عنه الحافظ في الفتح، ج/١١، ص/٩٤

(6) سورة الإسراء، رقم الآية/١١٠

(7) سورة الفرقان، رقم الآية/٧٧

(8) تفسير الطبري لابن جرير ، ج/١٩، ص/ ٥٥

(9) الموسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ج/5، ص/ 1915.

(10) سورة الغافر، رقم الآية/ 41– 43.

المعنى الاصطلاح و الشرعي للدعاء

قد تنوعت عبارات العلماء في تعريف الدعاء و تعددت كلماتهم، و كلها تهدف إلي الكشف عن حقيقة معناه الشرعي و إليك بعض تلك العبارات:

قال أبو سليمان الخطابي: "ومعني الدعاء: استدعاء العبودية β العناية، و استمداده إياه المعونة، و حقيقة إظهار الافتقار إليه، و التبرؤ من الحول و القوة"(1).

و قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي β:

"حقيقة الدعاء مناداة الله تعالي لما يريد من جلب منفعة أو دفع مضرة من المضار و البلاء بدعاء، فهو سبب ذلك، و استجلاب لرحمة المولي"(2).

و قال أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: "إن دعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي، و طلب كشف ما يضره، و دفعه"(3).

و قال محمد بن عبد الوهاب: "و هو الطلب بياء النداء لأنه يبادي به القريب و البعيد، و قد يشتمل في الاستغاثة أو بأحد أخواتها"(4).

قال الدكتور محمد سيد طنطاوي المصري:

"الابتهال إلي الله تعالي بالسؤال، و الرغبة فيما عنده من الخير، و التضرع إليه في تحقيق المطلوب، و إدراك المأمول"، و هو مأخوذ مما تقدم في المعني اللغوي الثالث و هو تعريف ناقص لعدم تضمنه ما كان لدفع المرهوب(5)."

و قال الدكتور محمد صالح علي مصطفي:

"و المراد منه السؤال من الله خفية و علانية، و الطلب منه بتضرع و خضوع مع رجاء الإجابة" و هو خاص أيضاً بدعاء المسألة(6)."

---

(1) شأن الدعاء للخطابي، ص/ ٤

(2) نبذة في الدعاء و آدابه و أسبابه للمالكي، ص/ ٢٢

(3) الفتاوى لابن تيمية، ج/١٥، ص/ ١٠

(4) الرسائل الشخصية من مؤلفات الشيخ، ص/ ٤

(5) الدعاء للدكتور محمد سيد طنطاوي المصري، ص/١٣

(6) أصول التوحيد في القرآن الكريم للدكتور محمد صالح علي مصطفي في كتابه ، ص/٥٠

لعل التعريف الشامل أن يقال:

"الرغبة إلي الله تعالي و التوجه إليه، في تحقيق المطلوب، أو دفع المكروه، و الابتهال إليه في ذلك إما بالسؤال، أو و بالخضوع و التذلل، و الرجاء و الخوف و الطمع"[1].

و كل هذه التعريفات خاصة بأحد نوعي الدعاء، و هو دعاء المسألة و تشمل دعاء العبادة، ولكن يمكن أن تشمله بطريق التلازم، و ذلك بأن يقال: إن المراد من دعاء العبادة هو طلب الثواب و الخوف من العقاب فهو طلب جلب منفعة أو دفع مضرة.

المناسبة بين المعنى اللغوي و الشرعي

و أما المناسبة بين المعني اللغوي و الشرعي فواضحة إذا الدعاء في اللغة كما تقدم يطلق علي الطلب و العبادة و الرغبة فهذه المعاني موجودة في المعني الشرعي إذا الداعي ـ سواء كان دعاء مسألة أو عبادة ـ طالب للأجر و الثواب أو طالب لحاجة من نيل مرغوب أو دفع مرهوب، كما أنه راغب إلي الله تعالي في تحقيق ذلك، و مستعين بالله تعالى، و مستغيث به في ذلك، و مناصله بقوله: يا رب أو اللهم الخ... فأغلب المعني اللغوية التي للدعاء لها مناسبة جلية للمعني الشرعي[2].

"بقي أن نعلم أن معني الدعاء القائم بقلب المؤمن، و وجدانه، و شعوره ، وراء هذه العبارات اللفظية، و إنما هذه العبارات تمثيل و إشارة و تفهيم و تقريب. و إلا فما يقوم بالقلب حينئذ من الرغبة، و الابتهال، و الانطراح بين يدي الرب، و الافتقار إليه، و التذلل بين يديه، و الالتجاء إليه و الاعتصام به، و التزلف إليه أمر لا تحيط به العبارة. و نظير هذا التعبير عن معني بقية الأعمال الصالحة القلبية، كمحبة الله خشيته، و إجلاله، و مهابته و رجائه و التوكل عليه، فإن العبارة تقصر

---

(1) الدعاء و منزلته من العقيدة الإسلامية للعروسي، ج/١، ص/٤٨

(2) نفس المرجع

عن وصف ذلك، مهما تنوعت العبارات. ولا تدرك حقيقة تلك الأعمال إلا بالاتصاف بذلك، لا بمجرد الوصف و الخبر[1]."

----

(1) بدائع الفوائد لابن تيمية، ج/٢، ص/٢٠٠- ٢٠٠١، و الفتاوى، ج/١، ص/٣٣٣

الفصل الثاني

أهمية الدعاء من القرآن والحديث ومكانته من العقيدة

التمهيد

و لكون الدعاء هو العبادة التي خلقنا من أجلها، صارت له مكانة عظيمة و منزلة سامية و درجة رفيعة، و هذه المكانة يمكن إيجازها في الأوجه التالية:

1. إن الدعاء درجة سامية، و منزلة رفيعة، و أهمية كبري، إذا الدعاء هو العبادة. فقد صح الخبر عن النبي صلي الله عليه و سلم بأن الدعاء هو العبادة بصيغة الحصر و لا يخفى مكانة العبادة فقد خلقنا الله تعالى من العدم لعبادته. و قد افتح الله القرآن بالدعاء و اختتمه به، فصورة الفاتحة مشتملة علي دعاء الثناء كما هي مشتملة علي دعاء المسألة إذ الدعاء فيها بأجل المطالب و أفضل الرغائب، و هو طلب الإعانة علي مرضاة الله و المعوذتان في طلب العبادة الذي هو أحد أنواع دعاء المسألة.

"قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: [1]

و أما سورة الإخلاص و المعوذتان، ففي الإخلاص الثناء علي الله تعالى و في المعوذتين دعاء العبد ربه ليعيذه، و الثناء مقرون بالدعاء، كما قرن بينهما في أم القرآن المقسومة بين الرب و العبد نصفها ثناء للرب و نصفها دعاء للعبد. "

"و قد ختم المصحف بحقيقة الإيمان، و هو ذكر الله و دعاؤه كما بنيت عليه أم القرآن، فإن حقيقة الإنسان المعنوية هو المنطق، و المنطق قسمان: خبر، و إنشاء، و أفضل الخبر و أنفعه و أوجبه ما كان خبراً عن الله كنصف الفاتحة و سورة الإخلاص، و أفضل الإنشاء الذي هو الطلب، وأنفعه و أوحبه، ما كان طلباً من الله كالنصف الثاني من الفاتحة و المعوذتين. "

"و قال القرطبي:

---

(1) الفتاوي لابن تيمية، ج/١٦، ص/ ٤٧٨- ٤٧٩

قال العلماء: فجعل الله β أعظم الدعاء و جملته موضوعاً في هذه السورة، نصفها فيه مجمع الثناء، و نصفها فيه مجمع الحاجات و جعل هذا الدعاء الذي في هذه السورة أفضل من الذي يدعو به الداعي، لأن هذا الكلام قد تكلم به رب العالمين، فأنت تدعو بدعاء هو كلامه الذي تكلم به، و في الحديث: "ليس شيء أكرم على الله من الدعاء[1]".[2]"

فتبين مما سبق مدي عناية القرآن الكريم بالدعاء و افتتاحه به و اختتامه به و هذا دليل واضح علي منزلة الدعاء و مكانته.

كان الدعاء في الجاهلية .كجميع العبادات و الطاعات . مهملا مضاعاً، و إذا كان في شكل ما، فكان حظ الآلهة الكثيرة، فلما جاء الإسلام أعاد مكانته و قيمته و بهاءه ورونقه، و أعطاه حقه من الإخلاص و الضراعة و الخشوع، و خصه بالله العلي الكبير فاطر السموات و الأرض، و حث عليه القرآن في الآيات ا لكثيرة و نبي الإسلام في الأحاديث الكثيرة.من أراد أن يستجيب له عند الشدائد والكرب فليكثر من الدعاء في الرخاء وليكثر الصلاة على النبي γ ، وترجع أهمية الدعاء بالنسبة للمسلم إلى كونه وسيلة لجلب رحمة الله في الشدائد واستجابة ربه لدعواته، والتعرف إليه في حال الرخاء، ففي الحديث الشريف: " تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة" [3]"ولأن الدعاء هو العبادة مثل كل العبادات المأمور بها، حيث أمرنا اللهχ في قوله: (قَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [4]"

" فالدعاء مفتاح الرحمة فمن سره أن يستجيب الله دعاءه عند الشدائد فليكثر من الدعاء في الرخاء وليكثر من الصلاة على النبي γ فإن الله يكفيه من أمر دنياه وآخرته" .[5]

---

(1) سنن الترمذي للترمذي، رقم الحديث/ ٣٣٧٠

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج/١، ص/ ١٤٧

(3) مسند ابن حنبل ، ج/1، ص/307 ، ح/2004.

(4) سورة غافر ، رقم الآية/ 60

(5) العبادلة، ص/ 25

"الدعاء فيه البركة ، وفيه العافية، فيه الغوث والأمان وطمأنينة القلوب والنفوس، والله χ يقول في كتابة العزيز" (الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) "[1] (" قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ") [2] وهذه الآية تدل دلالة قاطعة على أن الدعاء عبادة والعبادة دعاء ، فالله يعطي المؤمنين الحسنى والرزق والخير الكثير بفضل الدعاء والاستغفار، يقول الله χ : "(وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) "[3] فالدعاء وسيلة لجلب الرزق وتيسير الأمور حيث يقول الله χ : "(وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [4] . "

قال ابن القيم : " والدعاء من انفع الأدوية ، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنح نزوله، ويرفعه، أو يخفه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السماوات والأرض" فالدعاء كما قال الرسول γ : " الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء" . [5]

للدعاء مع البلاء ثلاثة مقامات: أولها أن يكون أقوى من البلاء فيقوى عليه فيدفعه، وثانيها أن يكون أضعف منه فيصاب به العبد ولكن قد يخففه، وثالثها أن يتعالجا ويمنع كل واحد منهما الآخر.

أهمية الدعاء في ضوء القرآن

دعوة القرآن إلى الدعاء والأمر به والحث عليه وردت في مواضع عديدة من كتاب الله قال الله تعالى مرغباً عباده في الدعاء بأنه قريب منهم يسمع دعاءهم و

---

(1) سورة الرعد، رقم الآية/ 28

(2) سورة الفرقان، رقم الآية/ 77.

(3) سورة هود، رقم الآية/ 6.

(4) سورة ا لعنكبوت، رقم الآية/ 60.

(5) الحاكم ، ج/1، ص/ 493.

يجيبهم و يعطيهم ما سألوه فقال: " (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) [1]"

"و قال الله β: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [2]"

"و قال الله β: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ)[3]"

"قال الله تعالى مرغباً عباده في الدعاء أيضا: (وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) [4] ثم علّمهم طريقة الدعاء و السؤال منه فقال: "وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ"[5]، و قال: (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً.[6]). "

"و هدد المعرضين عن الدعاء بالعذاب الأليم و قال الله تعالى في القرآن المجيد :

("إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)[7]"

"وقوله β : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [8]" وغير ذلك من الآيات الداعية إلى الدعاء، وعن ثابت η قلت لأنس η : يا أبا حمزة أبلغك أن الدعاء نصف العبادة؟ قال: لا بل " الدعاء هو العبادة " . [9]

2. إن الله سبحانه و تعالى قد سمي الدعاء الدين، في غير موضع من كتابه.

"قال β: (وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ) [10]"

"و قال Y :(فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)[1]"

---

(1) سورة البقرة، رقم الآية/ ١٨٦

(2) سورة المؤمن، رقم الآية/ ٦٠

(3) سورة النمل، رقم الآية/ ٦٢

(4) سورة الأعراف، رقم الآية/ ١٨٠

(5) سورة النساء، رقم الآية/ ٣٢

(6) سورة الأعراف، رقم الآية/ ٥٥

(7) سورة المؤمن، رقم الآية/ ٦٠

(8) سورة غافر، رقم الآية/ 60.

(9) مسند ابن حنبل ، ج/4 ، ص/ 267.

(10) سورة لقمان، رقم الآية/ ٣٢

"و قال جل جلاله: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ)[2]"

"و قال عز من قائل: (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [3]"

"و قال جل ثناؤه: (هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [4]"

"و قال تبارك و تعالى: (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ)[5]"

ففي هذه الآيات سمي الله تعالى الدعاء ديناً فأخبر في الآيات الثلاث الأول أن المشركين يخلصون له الدين في الشدائد، و أمر في الآيات الثلاث بإخلاص الدين له، و الدين معناه دعاء المسألة في الثلاث الأول و ذلك واضح من سياق الآيات.

و أما الثلاثة الأخيرة فتحتمل المعنيين، دعاء العبادة و دعاء المسألة. فيكون مما استعمل الدعاء فيه في المعنيين جميعاً بإطلاقه علي الحقيقة المتضمنة للأمرين جميعا.

فإذا ثبت هذا نقول: قد علم أن الدين يشمل أعمال الإسلام كلها، قال تعالى: ("إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ)[6]"

"و قال سبحانه: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)[7]"

---

(1) سورة العنكبوت، رقم الآية/٦٥

(2) سورة يونس، رقم الآية/ ١٢٢

(3) سورة غافر، رقم الآية/ ١٤

(4) سورة غافر، رقم الآية/ ٦٥

(5) سورة الأعراف، رقم الآية/ ٢٩

(6) سورة آل عمران، رقم الآية/ ١٩

(7) سورة البينة، رقم الآية/ ٥

و قد قال النبي γ في حديث جبرائيلv: "هذا جبرائيل جاء يعلم الناس دينهم[1]"، فشمل هذا الإسلام و الإيمان و الإحسان، فتبين من هذا أن الدين عام لجميع ما جاء به الرسول صلي الله عليه و سلم من إسلام و إيمان و إحسان، ق قد أطلق مع شموله هذا علي الدعاء فدل علي أهميته العظيمة و منزلته الرفيعة.

ومن هنا يتبين عظمة الدعاء و أهميته و أنه الدين كله و أنه "من أفضل العبادات و أجل الطاعات، ولهذا أخبر أنه الدين فذكره معرفاً بالألف و اللام"[2].

إن الله سبحانه و تعالى قد سمي الدعاء عبادة في غير موضع من كتابه، و كذلك سماه النبي صلي الله عليه و سلم العبادة كما ثبت في الحديث الصحيح.

"و مما ورد من تسمية الله تعالى الدعاء عبادة، قوله تعالى في قصة إبراهيم مع أبيه: (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا)[3]. "

"و قوله β: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)[4]. "

و قد تقدم ضرب الأمثلة المتنوعة في ذلك في ذكر المناسبة بين الدعاء و العبادة[5].

وقد علم فضل العبادة و مكانتها و أن الله ما خلق الجن و الإنس إلا من أجلها، "قال β : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[6]."

إن الله سبحانه و تعالى توعد من ترك الدعاء للاستكبار بدخول جهنم ذليلاً و حقيراً، قال تعالى:

---

(1) البخاري، رقم الحديث/ ٥٠

(2) النبذة الشريفة ضمن مجموعة الرسائل و المسائل النجدية لحمد بن ناصر، ج/٤، ص/٥٩٧، تأسيس التقديس لمحمد بن عمر بن السين الرازي، ص/٧٨

(3) سورة مريم، رقم الآية/٤٨– ٤٩

(4) سورة غافر، رقم الآية/٦٠

(5) تقدم معني الثاني للدعاء من هذا الفصل، ص: .....

(6) سورة الذاريات، رقم الآية/ ٥٦

("وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)[1]."

و هذا وعيد شديد لمن لم يدع الله تعالى و يلتجئ إليه استكباراً و ترفعاً، و من هنا ذهب بعضهم إلي وجوب الدعاء.

و قد استدل بعضهم علي أهمية الدعاء بقوله تعالى: " (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ)[2]، و أن الآية تدل علي ذم من ترك الدعاء فمعني (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) أي لا يمدونها إلينا في سؤال، هكذا قال بعضهم[3]."

"و لكن التفسير المأثور عن مجاهد، أنهم لا يبسطونها بنفقة في حق الله، و عن قتادة لا يبسطونها بخير[4]."

أهمية الدعاء في ضوء الحديث النبوي γ

قال رسول الله γ : "ليس شيء أكرم علي الله تعالى من الدعاء"[5]

قال رسول الله γ : "من لم يسئل الله سبحانه غضب عليه" و في سنن ابن ماجة: "من لم يدع الله سبحانه غضب عليه".

و في هذا دليل علي حبِّ الله تعالى للدعاء، و حبه سبحانه و تعالى للعبد الذي يدعوه[6].

"قال رسول الله γ: "لا يزيد في العمر إلا البر، و لا يرد القدر إلا الدعاء، إن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها"[7]."

"قال رسول الله γ : "إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين"[8].

---

(1) سورة غافر، رقم الآية/ ٦٠

(2) سورة التوبة، رقم الآية/ ٦٧

(3) الرسالة القشيرية لعبد الكريم بن هوازن القشيري، ج/٢، ص/٢٥٥

(4) تفسير الطبري لابن جرير ، ج:١٠، ص:١٧٤، الدر المنثور للسيوطي، ج/٢، ص/٢٥٥

(5) سنن الترمذي للترمذي، رقم الحديث/ ٣٣٧٠، سنن ابن ماجه لابن ماجه، رقم الحديث/ ٣٨٢٩

(6) سنن الترمذي ، رقم الحديث/٣٣٧٣، سنن ابن ماجه ، رقم الحديث/٣٨٢٧

(7) سنن ابن ماجه ، رقم الحديث/ ٩٠

(8) سنن الترمذي ، رقم الحديث/ ٣٥٥٦

قال رسول الله γ: "أعجز الناس من عجز عن الدعاء و أبخل الناس من بخل بالسلام"[(1)].

و قد روي الحاكم عن ابن عباسّ رضي الله عنه مرفوعاً:

"أفضل العبادة الدعاء و قرأ (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)[(2)]."

يقول الرسول γ : " لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيتعالجان إلى يوم القيامة " .[(3)]

كما يقول رسولنا الحبيب γ أيضاً: " لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه" . [(4)]

1. عن أبي هريرة η قال : قال رسول الله γ : " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافلٍ لاه.[(5)] "

2. عن أنس بن مالك η قال: قال رسول الله γ : " ادعوا فإن الدعاء يرد القضاء" [(6)].

3. عن سلمان الفارسي η قال : قال رسول الله γ : " إن ربكم حيي كريمٌ يستحيي من عبده إذا رفع يديه بدعوةٍ أن يردهما صفراً ليس فيهما شيءٌ. [(7)]"

4. عن النعمان بن بشير [(8)]η قال : قال رسول الله γ : " الدعاء هو العبادة، ثم قرأ (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [(1)]"

---

(1) البخاري، "أدب المفرد"، رقم الحديث/١٠٤٢

(2) المستدرك للحاكم، ج/١، ص/٤٩١

(3) الحاكم ، ج/1، ص/ 492.

(4) مسند ابن حنبل، ج/5، ص/ 277.

(5) سنن الترمذي، رقم الحديث/ 3479

(6) الطبراني في الدعاء ، ج/3، ص/ 798. ح/ 29. وقال مخرجه حسن، وأحمد ، ج/3، ص/ 155.

(7) سنن الترمذي ، ح/ 3556. سنن أبو داود، ح/ 1488.

(8) سنن أبو داود، ح/1479 . سنن الترمذي، ح/3247.

5. عن أبي هريرة η قال : قال رسول الله γ : " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثُلثُ الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفرله" (2)

منـزلة الدعاء من العقيدة

عندما نمعن النظر في الأدعية القرآنية فنجد أنها مشتملة علي أصول الإيمان، بل أغلب الأدعية القرآنية إذا تأملناها نجدها تشتمل علي أصول الإيمان بطريق المطابقة، و قليل منها هو الذي يدل علي ذلك بطريق التضمن أو الالتزام.

ثم إن الداعي لو فرض أنه قد لا يستحضر هذه المعاني التي يتضمنها الدعاء فإن هذا لا ينافي ما يقتضيه حقيقة معني الدعاء. فالذي ينبغي له أن يستشعر ذلك و يجتهد في إحضار قلبه و توجهه إلي الباري سبحانه و اعتقاد تلك الصفات التي يدل عليها الدعاء الذي يدعو به إما مطابقةً أو تضمناً أو التزاماً.

قال ابن القيم:

"و حق الداعي أن يستشعر عند دعائها . أي الفاتحة . ما يجب عليه اعتقاده مما لا يتم الإيمان إلا به، إذ الدعاء مخ العبادة، و المخ لا يكون إلا في عظم، و العظم لا يكون إلا في لحم و دم، فإذا وجب احضار معتقدات الإيمان عند الدعاء وجب أن يكون الطلب ممزوحاً بالثناء، فمن ثم جاء لفظ الطلب للهداية و الرغبة فيها مشوباً بالخبر تصريحاً من الداعي بمعتقده و توسلاً منه بذلك الاعتقاد الصحيح إلي ربه، فكأنه توصل إليه بإيمانه و اعتقاده أن صراط الحق هو الصراط المستقيم و أنه صراط الذين اختصهم بنعمته و حباهم بكرامته"(3).

و قد صرح العلماء باشتمال الدعاء علي التوحيد و دلالته المتنوعة العقدية و العلمية، و من هؤلاء الذين صرحوا القاضي العياض بأنه قال:

---

(1) سورة الغافر، رقم الآية/ 60.

(2) البخاري، ح/6340. مسلم ، ح/ 2735.

(3) بدائع الفوائد لابن القيم، ""، ج/٢، ص/ ١١ – ١٢

"أذن الله في دعائه، و علم الدعاء في كتابه لخليقته، و علم النبي صلي الله عليه و سلم الدعاء لأمته، و اجتمعت فيه ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، و العلم باللغة، و النصيحة للأمة"(1).

و قال الزركشي في معني كون الدعاء مخ العبادة:

"إنما كان مخاً لتضمنه التوحيد إذ الداعي لا يدعو الله إلا و هو يوحده، و يعتقد أنه لا معطي غيره"(2).

و ذكر ابن عقيل الحنبلي:

"أن في الدعاء معني الوجود و الغني و السمع و الكرم و الرحمة و القدرة فإن من ليس كذل لا يدعي"(3).

فتبين بهذا أن الدعاء يزيد في إيمان الداعي و معرفته و توحيده، و يتضمن اعتقاد الداعي بوجود الرب المدعو، و علمه و سمعه و قدرته وسائر صفاته، فالواجب علي الداعي استشعار هذه المعاني و هذه الصفات.

o دلالة الدعاء على وجود الله تعالى

إن الاعتراف بوجود الله تعالى أمر فطري ضروري لا يحتاج إلي إقامة برهان و لا سوق أدلة ولا ذكر حجج لأن الفطرة البشرية مقرة بذلك، و معرفته أمر ضروري لو لا أن شياطين الإنس و الجن تلقي بعض الأوهام بين ضعفاء العقول فتشوش عليهم، فلهذا لا نري القرآن الكريم يكثر من إقامة البراهين الجدلية في هذا الموضوع.ولكنه يشير إلي ذلك بأدلة كافية مقنعة ملزمة.

و إذا أمعنا النظر إلي دلالة الدعاء علي وجود الله تعالى نجد الله تعالى ذكر ذلك في كتابه الحكيم، فقد ذكر أدلة وجوده و براهين وحدانيته و حجج تفدوه بالربوبية و الألوهية، و من ضمن تلك الحجج إجابة المضطرين و إغاثة الملهوفين و إنقاذ المكروبين.

---

(1) الفتوحات الربانية علي الأذكار النواوية لمحمد بن علان الصديقي، ج/١، ص/ ١٧

(2) إتحاف السادة للزبيدي، ج/ ٥، ص/٢٩، نظراً إلي الأزهية لزركشي، ص/٣٠

(3) الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي، ج/٢، ص/ ٢٩٢

"قال β: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ)[1]."

و قد ذكر قبل ذلك الآيات الكونية الكبرى من خلق السموات و الأرض و إنزال المطر و إنبات الحدائق و الأشجار و جعل الأرض مستقرة و خلق الأنهار و الجبال و البحار، فهذه آيات كونية كبري، ثم ذكر أدلة فطرية ضرورية و هي آية إجابة الدعاء.

"قال الله سبحانه β: (اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ&وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ &وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)[2]."

فقد وصف الله نفسه في هذه الآيات بتفرده بخلق الكون و تصريفه بإنزال المطر و إخراج الثمرات و الرزق و تسخير الفلك و الأنهار و الشمس و القمر و الليل و النهار.

"فهذه الأمور هي الأدلة الكونية الكبرى ثم قرن بهذه الأدلة الكبرى دليلاً آخر ألا و هو إجابة الدعاء، فدلت هذه المقارنة بالأدلة الكونية علي عظمة دلالة إجابة الدعاء فهي من أعظم الأدلة الدالة علي وجود الله تعالى، يعرف ذلك من وقع في خطر شديد و كرب عظيم فاستغاث بربه فأجابه و أنقذه مما وقع فيه فيحصل له علم ضروري بوجود الله تعالى[3]."

o و من دلالة الدعاء على صفات الله تعالى:

أن الداعي يريد حصول مطلوبه و غرضه علي وجه معين، و في الغالب الغرض الذي يريده الداعي الأسباب الظاهرة العادية لا تقتضي وجوده مطلقاً، أو

---

(1) سورة النمل، رقم الآية/ ٦٢

(2) سورة إبراهيم، رقم الآية/ ٣٢ – ٣٤

(3) الدعاء و منزلته من العقيدة الإسلامية للعروسي، ج/١، ص/ ٢٤٣

علي الوجه الذي يريده بل ربما الأسباب الظاهرة تقتضي عدم وجوده أو وجوده علي وجه آخر يخالف ما يريده الداعي.

و مع هذه التوقعات و الاحتمالات التي علي ضد مراد الداعي يقوم الداعي بالتوجه إلي الله تعالى و الإقبال علي ربه و يستغيث به فيحصل المطلوب وفق غرضه و علي الوجه الذي يريده، و قد كان قبل ذلك يعد و قوعه شبه المستحيل علي الصفة المطلوبة. أترى ما الذي غَيَّر الأسباب الظاهرة عن مجراها و عاداتها إلي ما يريده الداعي؟

مثال ذلك ما يقع للمسلمين في الاستسقاء حيث يجدون تأخر المطر و ليس هناك سبب يقتضيه من غيم أو ريح أو تغير طقس، و مع ذلك يخرجون إلي الفلاة متضرعين مبتهلين خاشعين فيصلون صلاة الاستسقاء فيدعون الله تعالى، فيغيثهم الله في اليوم نفسه أو قريباً منه.

و هذا أمر مشاهد واقع إلي الآن في بلاد المسلمين لاسيما في البلاد المتمسكة بدينها، و قد وردت الأحاديث الصحاح بأن النبي صلي الله عليه و سلم يدخل عليه رجل و هو يطلب منه الدعاء بالسقيا فما ينزل عن المنبر حتى يحيش المسجد و قد كان قبل الدعاء لا يري في المدينة سحابة و لا قزعة. فمن الذي حرك السحاب و الرياح و أتي المطر في لحظات معدودة؟

كل ذلك دليل قاطع علي وجود الله تعالى و تفرده بالربوبية و الألوهية و أنه متصف بصفات الجلال و الجمال من السمع و العلم و الرحمة و الكرم و الجود و القدرة وغير ذلك.

قال بعضهم في تفسير قوله تعالى: " **(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)**[1] "

"الآية تدل علي أنه إنما يعرف بحدوث تلك الأشياء علي وفق غرض الداعي، فدل علي أنه لو لا مدبر لهذا العالم يسمع دعاءه و لا يخيب رجاءه و إلا لما حصل ذلك المقصود في ذلك الوقت[1]."

---

(1) سورة البقرة، رقم الآية/ ١٨٦

و قال ابن القيم: "و حصول الإجابة عقيب سؤال الطالب علي الوجه المطلوب دليل علي علم الرب تعالى بالجزئيات، و علي سمعه لسؤال عبيده، و علي قدرته علي قضاء حوائجهم و علي رأفته و رحمته بهم"[2].

"فإجابة الدعاء علي وفق مراد الداعي مع عدم الأسباب الظاهرة المقتضية لذلك تدل دلالة واضحة علي أن هناك مدبراً لهذا الكون يغيره حسب ما يشاء[3]."

و ذكر الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى بعض البراهين العقلية الفطرية علي ربوبية الله و إلهيته، ثم قال:

"و من براهين وحدانية الباري و ربوبيته، إجابته للدعوات في جميع الأوقات فلا يحصي الخلق ما يعطيه للسائلين و ما يجيب به أدعية من بر و فاجر، و مسلم و كافر، تحمل المطالب الكثيرة، و لا يعرفون لها شيئا من الأسباب سوي الدعاء و الطمع في فضل الله و الرجاء لرحمته، و هذا برهان مشاهد محسوس لا ينكره إلا باهت مكابر"[4].

o دلالة الدعاء على وجود الله تعالى من ناحية الافتقار و الحاجة و الضرورة الفطرية

إن الافتقار و الاحتياج من لوازم الإنسان و ضرورياته، فهو دائماً يحتاج إلي نيل مراده من عزيز قوي يبلغه مراده، و في هذا اعتراف منه بالرب القوي الذي يبلغه مراده. و الفطرة السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها و بديهة فكرتها علي رب حكيم قادر عليم، قال تعالى: " (أَفِي اللهِ شَكٌّ)[5]، و قال: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)"[6].

---

(1) التفسير الكبير للرازي، ج/٥، ص/ ١٠٤

(2) مدارج السالكين لابن القيم، ج/٣، ص/ ٣٥٥

(3) الدعاء و منزلته من العقيدة الإسلامية للعروسي، ج/١، ص/٢٤٥

(4) الرياض الناضرة و الحدائق المنيرة الزاهرة في العقائد و الفنون المتنوع الفاخرة لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، ، ص/٢٥٣

(5) سورة إبراهيم، رقم الآية/ ١٠

(6) سورة الزخرف، رقم الآية/ ٨٧

و هذه الفطرة راسخة في أعماقهم و وجدانهم و مشاعرهم، فهم و إن غفلوا عن هذه الطرة في حال السراء فلا شك أنهم يلوذون إليها في حال الضراء، قال تعالى: " (وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ)[1]."

و الاستدلال بالفطرة هو المنهج القرآني، و قد حاد عنه المتكلمون حيث يهتمون بإثبات الصانع بأدلة جدلية و آراء منطقية، و أدلتهم الجدلية هي: "دون ما شهدت به الفطرة الإنسانية من احتياج ذاته إلي مدبر هو منتهي مطلب الحاجات، فيرغب إليه و لا يرغب عنه، و يستغني به ولا يستغني عنه، و يتوجه إليه و لا يعرض عنه، و يتضرع إليه في الشدائد و المهمات"و ذلك لأن الإنسان يعرف احتياج نفسه و افتقارها أكثر من معرفته احتياج الممكن إلي الواجب و الحادث إلي المحدوث[2].

و هذه الطريقة هي سنة الله و طريقته في كتابه فإن يحتج عليهم بحاجتهم و افتقارهم إليه. قال تعالى: " (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ)[3] و قال: (قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)[4]"

و الاستدلال الأحن و الموصل إلي المعرفة هو الاستشهاد بأفعال الله تعالى عليه و أنه لا شهادة للفعل إلا من حيث احتياج الفطرة و اضطرار الخلقة، فحيثما كان الاضطرار و العجز أشد، كان اليقين أوفر و أكد: " (وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ)[5] "و قال: " (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ)[6]"

و المعارف التي تحصل من تعريفات أحوال الاضطرار أشد رسوخاً في القلب من المعارف التي هي نتائج الأفكار في حال الاختيار[7].

---

(1) سورة الإسراء، رقم الآية/٦٧

(2) الدعاء و منزلته من العقيدة الإسلامية للعروسي، ج/١، ص/٢٤٦

(3) سورة النمل، رقم الآية/ ٦٢

(4) سورة الأنعام، رقم الآية/ ٦٣

(5) سورة الإسراء، رقم الآية/ ٦٧

(6) سورة النمل، رقم الآية/ ٦٢

(7) درء تعارض العقل لابن تيمية، ج/٧، ص/٣٩٧ –٤٠٣ ، نقلاً عن كتاب "نهاية الإقدام" للشهرستاني، ص/ ١٢٤

إن من فضائل الدعاء و دلائل عظم شأنه أن الله تبارك و تعالى يحبه من عباده مع كمال غناه عنهم، ووعد الداعين له من عباده بالإجابة، و ذلك في قوله سبحانه:

"(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)[1]

وهذا من لطف الله بعباده و عظيم إكرامه لهم و إحسانه بهم، فهو سبحانه لا يخيب عبداً دعاه، و لا يرد مؤمناً ناجاه، يقول الله تعالى كما في الحديث القدسي:

"يا عبادي كلم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعوني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل و النهار و أنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم..." و قال فيه: "يا عبادي لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم قاموا علي صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البخر" رواه مسلم في سياق طويل من حديث أبي ذر رضي الله عنه[2]."

و في الحديث دلالة علي أن الله يحب أن يسأله العباد جميع مصالح دينهم و دنياهم من الطعام و الشراب و الكسوة و غير ذلك، كما يسألونه الهداية و المغفرة و التوفيق و الإعانة علي الطاعة و نحو ذلك، و وعدهم سبحانه علي ذلك كله بالإجابة.

ويتأمل قوله سبحانه في الحديث المتقدم: "لم ينقص ذلك مما ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر"، فإن فيه تحقيقاً بأن ما عند الله لا ينقص البتة، كما قال تعالى: "(مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ)[3]"، فإن البحر إذا غمس فيه إبرة ثم أخرجت لم تنقص من البحر بذلك شيئاً، و كذلك لو فرض أن

---

(1) سورة المؤمن، رقم الآية/ ٦٠

(2) صحيح المسلم ، رقم الحديث/ ٢٥٧٧

(3) سورة النحل، رقم الآية/ ٩٦

عصفوراً شرب منه فإنه لا ينقص البحر البتة. و هو سبحانه إذا أراد شيئاً من عطاء أو عذاب أو غير ذلك قال له: كن فيكون، كما قال سبحانه:

("إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[1]"

"و قال سبحانه: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)[2]"

فكيف يتصور فيمن هذا شأنه أن ينقص ما عنده أو ينفد.

إن العبد محتاج إلي الله في كل شؤونه، و مفتقر إليه في جميع حاجاته، لا يستغني عن ربه و مولاه طرفة عين ولا أقل من ذلك، و أما الرب سبحانه فإنه غني حميد. لا حاجة له بطاعات العبادة و دعواتهم، ولا يعود الذين يضرون بها، ولهذا قال سبحانه: (" يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ & إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ & وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ)[3]"

"و قال β: (فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ)[4]"

"و قال β: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ & وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ)[5]"

و افتقار العبد إلي الله تعالى من جهتين: من جهة العبادة و من جهة الاستعانة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

"و القلب فقير بالذات إلي لله من وجهين: من جهة العبادة و هي العلة الغائية، و من جهة الاستعانة و التوكل و هي العلة الفاعلة. فالقلب لا يصلح و لا

(1) سورة يسين، رقم الآية/ ٨٢

(2) سورة النحل، رقم الآية/ ٤٠

(3) سورة فاطر، رقم الآية/ ١٥ – ١٧

(4) سورة الإسراء، رقم الآية/ ١٥

(5) سورة إبراهيم، رقم الآية/ ٧ – ٨

يفلح و لا ينعم و لا يسر و لا يطمئن إلا بعبادة ربه و حبه و الإنابة إليه و هذا لا يحصل له إلا بإطاعة الله له فإنه لا يقدر علي تحصيل ذلك له إلا الله فهو دائما مفتقر إلي حقيقة، ("إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[1] "فهو مفتقر إلي الله من حيث المطلوب المحبوب المراد المعبود و من حيث هو المسؤول و المستعان و المتوكل عليه، فهو إلهه الذي لا إله له غيره، و هو ربه الذي لا رب له سواه"[2].

الدعاء يزيد في الإيمان و التوحيد

"الدعاء يزيد في الإيمان و التوحيد و المعرفة و حياة القلب و يقوي الفطرة، و هذا الأمر مجرب يعرفه من وقع في مشكلة فاضطره ذلك إلي الالتجاء إلي الله و الرغبة إليه و الانطراح بين يدي الله تعالى و المتعلق له. فجعل له هذا من الإيمان بالله و محبته و معرفته و توحيده و رجائه و حياة قلبه، و استنارته بنور الإيمان ما قد يكون أنفع له من ذلك المطلوب[3]."

و قد أدلت الأدلة القاطعة علي زيادة الإيمان بالطاعات عموماً و للدعاء خصوصية في زيادة الإيمان، إذ الداعي و لاسيما المضطر تلجئه الحاجة الملحة الفقر الشديد إلي من يقضي حاجته و يكشف كربه و حينئذٍ يجد الفطرة ترشده و تهديه إلي الله تبارك و تعالى و يصل الأمر إلي أن تكون معرفته بخالقه و صفاته ضرورية فيزداد يقيناً و إيمان و إخلاصا كما يزداد معرفة بحاجته و ضعفه و عجزه و أن الذي يدعوه عالم بحاله و قادر علي قضاء حوائجه.

فإكثار الدعاء لله تعالى و التوجه إليه كل وقت يزيد الإيمان و يقويه و ينمي الفطرة و يصقلها و يجليها مما شابها، و يجعل القلب متعلقا بالله تعالى محباً له راغباً و راهباً، و يفتح له هذا باباً عظيماً من لذيذ المناجاة و حلاوة الإيمان و بشاشة و برد اليقين و راحة البال، و طمأنينة النفس:

---

(1) سورة الفاتحة، رقم الآية/ ٣

(2) العبودية لابن تيمية، ص/ ١٠٨ – ١٠٩، انظر إلي الدعاء و منزلته من العقيدة الإسلامية للعروسي ج/١، ص/٢٤٧

(3) الفتاوى لابن تيمية، ج/١٠، ص/ ٥٩٦

"مما هو أحب إليه من تلك الحاجة التي قصدها أولاً ، و لكنه لم يكن يعرف ذلك أولاً حتى يطلبه و يشتاق إليه" [1].

مما يدل علي أن الدعاء يزيد في الإيمان و المعرفة لصفات الرب من القدرة و العلم... إلخ. كما أنه يزيد في معرفة الإنسان لنفسه بالعجز، أن الداعي لا يقدم علي الدعاء إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلي ذلك المطلوب و أنه عاجز عن تحصيله.

"و عرف أن ربه تبارك و تعالى يسمع الدعاء و يعلم الحاجة و هو قادر علي إيصالها إليه، و عرف أن ربه رحيم تقتضي رحمته قضاء تلك الحاجة و لا شك أن معرفة العبد نفسه بالعجز و النقص، و معرفة ربه بالقدرة و العلم و الرحمة و سائر صفات الكمال من أعظم المعارف. و في هذا معرفة ذل العبودية، و عز الربوبية[2]."

"فهاتان المعرفتان من أهم أساسيات العقيدة، فإن اعتراف العبد بعجزه و نقصه يستوجب له الالتجاء إلي من يقوي عجزه، و يكمل نقصه، و لن يجد أحداً يستطيع ذلك إلا الله تعالى، فحينئذٍ يجد نفسه أنه لابد من الالتجاء إلي القوي العزيز و هو عند ما يلتجي لا بد أن يعرف صفات الله تعالى التي من اجلها التجاء إليه من قدرته علي قضاء حوائجه، و استغاثته، و كشف اكرباته، و من علمه بحاله و مكانه و مصلحته في الحال و المستقبل، و من رحمته بعبده و جوده و كرمه[3]."

و بهذا يتبين أن الدعاء يتضمن الإيمان بالله و بأسمائه و صفاته.

"و قد ذكر ابن القيم أن الصلاة علي النبي صلي الله عليه و سلم و التي هو نوع من أنواع الدعاء كما تقدم: "متضمنة لكل الإيمان، بل هي متضمنة للإقرار بوجود الرب ا لمدعو، و علمه، و سمعه، و قدرته، و إرادته، و صفاته، و كلامه، .... ولا ريب أن هذه هي أصول الإيمان و الصلاة عليه صلي الله عليه و سلم متضمنة لعلم العبد ذلك و تصديقه به"[4].

العلاقة بين الدعاء والقدر:

(1) إغاثة اللهفان لابن قيم، ج/١، ص/٢٩

(2) تحفة الذاكرين للشوكاني، ص/٢٨، روح المعاني للآلوسي، ج/٨، ص/ ١٣٩

(3) الدعاء و منزلته من العقيدة الإسلامية للعروسي، ص/٢٤١

(4) جلاء الأفهام لابن قيم، ص/ ٢٧٠

قال ابن القيم ρ " العلاقة بين الدعاء والقدر علاقة وطيدة رغم أن هناك سؤالاً مشهوراً وهو:أن المدعو به إن كان قد قدر لم يكن بد من وقوعه، دعا به العبد أو لم يدع، وإن لم يكن قد قدر لم يقع، سواء سأله العبد أو لم يسأله. فظنت طائفة صحة هذا السؤال، فتركت الدعاء، وقالت لا فائدة فيه، وهؤلاء مع فرط جهلهم وضلالهم متناقضون، فإن طرد مذهبون يوجب تعطيل جميع الأسباب فيقال لأحدهم: إن كان الشبع والري قد قدراً قلا بد من وقوعهما، أكلت أو لم تأكل، وإن لم يقدر ذلك لم يكن ، فهل يقول هذا عاقل آدمي بل الحيوان مفطور على مباشرة الأسباب التي بها قوامه وحياته، فالحيوانات أعقل وأفهم من هؤلاء الذين هم كالأنعام، بل هم أضل سبيلا" . (1)

فبالنسبة لله β ، فالقدر كله خير وحكمة وعدل ورحمة من الله χ الذي قضى بتقدير المصائب والبلايا وكل ما يكرهه الإنسان لحكم كثيرة منها:

1. الابتلاء لعباده وجاء ذلك في قوله χ : "﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ "(2)

2. التربية والتأديب: "﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ (3)"

"وقال بعضهم: الاشتغال بالدعاء من باب التعبد المحض يثيب الله عليه الداعي من غير أن يكون له تأثير في المطلوب بوجه ما، وقالت طائفة أخرى: بل الدعاء علامة مجردة نصبها الله χ أمارة على قضاء الحاجة، فمتى وفق العبد للدعاء كان ذلك علامة له وأمارة على أن حاجته قد انقضت وهذا كما إذ رأيت غيماً أسود في فصل الشتاء، فإن ذلك دليل وعلامة على أنه يمطر والصواب: أن ها هنا قسماً ثالثاً غير ما ذكره السائل، وهو أن هذا المقدور قدر بأسباب ومن أسبابه الدعاء، فلم يقدر مجرداً عن سببه فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور، وما لم يأت

---

(1) إغاثة اللهفان لابن قيم، ج/١، ص/21.

(2) سورة الأنبياء، رقم الآية/ 35.

(3) سورة الشورى، رقم الآية/ 30.

السبب انتفى المقدور. وهذا كما قدر حصول الزرع بالبذر وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه وكذلك دخول الجنة بالأعمال ودخول النار بالأعمال. [1]"

العلاقة بين الدعاء والأخذ بالأسباب:

"الدعاء من أقوى الأسباب، فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء به لم يصح أن يقال : لا فائدة في الدعاء كما لا يقال: لا فائدة في الأكل والشرب وليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء ولا أبلغ في حصول المطلوب، ولما كان الصحابة φ أعلم بالله ورسوله γ وأفقههم في دينه كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه، وكان عمر بن الخطاب يستنصر به على عدوه، وكان يقول لأصحابه: " لستم تنصرون بكثرة، وإنما تنصرون من السماء" .[2]

" ومن الأسباب التي يجب على المؤمنين اتخاذها: الدعاء لله، والالتجاء إليه، وإلحاح الطلب منه، والتضرع له، وذكر الله كثيراً، مع الاعتصام بما أمر به، واجتناب ما نهي عنه، ولكل شيء أوان ولكن شيء مقدار يجب التقيد به ليعطي عطاءه الأحسن والأوفى، ولكن أجل كتاب، فلا يصح استعجال الأمور قبل أوانها، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه" . [3]

" إن الدعاء له علاقة بالخير والشر وتبين هذا من قوله χ : ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا ﴾" [4] ، وقال β : " ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ & لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [5]"، فالقرآن من أوله إلى آخره صريح في ترتيب الجزاء بالخير والشر والأحكام الكونية والأمرية على الأسباب، بل ترتيب أحكام الدنيا والآخرة على الأسباب والأعمال، ومن تفقه في هذه المسألة وتأملها حق التأمل انتفع بها غاية النفع ولم يتكل على القدر جهلاً منه وعجزاً وتفريطاً بل الفقيه كل الفقه الذي يرد القدر بالقدر، ويدفع القدر بالقدر

---

(1) إغاثة اللهفان لابن قيم، ج/١، ص/21-22.

(2) إغاثة اللهفان لابن قيم، ج/١، ص/ 22.

(3) الميداني، ص/ 207.

(4) سورة الجن، رقم الآية/ 16.

(5) سورة الصافات، رقم الآية/ 143-144.

ويعارض القدر بالقدر، فإن الجوع والعطش والبرد وأنواع المخاوف والمحاذير هي من القدر، والخلق كلهم ساهون عن دفع هذا القدر ، ومن وفقه الله وألهمه رشده يدفع قدر العقوبة بالإيمان، والأعمال الصالحة، وليس من يظن أن الله χ يغفر له جميع الذنوب بالاستغفار، فكلما يعمل عملاً لا يرضاه ربه يستغفر الله، فالعبد يعرف أن المعصية والغفلة من الأسباب المضرة في دنياه وآخرته ولكن تغالطه نفسه بالاتكان على عفو ربه ومغفرته تارة وبالتسويف بالتوبة وبالاستغفار باللسان تارة أخرى. (1)"

"الذين يزعمون أن الإنسان ليس له إرادة ألغوا عقولهم فضلوا وأضلوا، بل إننا نفرق بين الحركات غير الإرادية التي تجري في أجسادنا وبين الحركات الإرادية، فحركة القلب، وحركة الرئتين وحركة الدم حركات اضطرارية ليس للإنسان إرادة في إيجادها وتحقيقها، أما أكل الإنسان وشربه، يتم بإرادة وقدرة ومشيئة الإنسان والذين يسلبون الإنسان هذه القدرة ضلت عقولهم واختلف عندهم الموازين. (2)"

علاقة الدعاء بالتوكل على الله

"فالإنسان عندما يعمل عملاً يتوكل على الله في كل خطواته ولا يجوز أن يتكاسل عن العمل ويقول الزق من عنده مكتوب، بل بالسعي والجد والدعاء بالتوفيق وليس بالتواكل والكسل، ولهذا حث الله على العمل وقال β : " ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾" (3) فالطالب لا ينجح إلا بالعمل الدءوب والجد والاجتهاد وليس بالدعاء فقط، والأمم لا تنتصر على الأعداء بالدعاء بدون الأخذ بالأسباب من الإعداد لأسباب النصر من تسلح وتجيش الجيوش وتعبئة فكرية واقتصادية واجتماعية ودينية، وهذا الأهم حتى إذا تم كل هذا يعزز بالدعاء إلى الله يسأل فيها النصر على الأعداء، فلا يجوز التقاعس عن نصرة الوطن والدفاع عن حماه ثم نطلب النصر من عند الله، وقد قال χ" :﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ

---

(1) ابن القيم، ص/ 24–26.

(2) الأشقر، ص/ 81.

(3) سورة التوبة، رقم الآية/ 105.

فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾" [1] وقال χ ": ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾" وقال χ : "﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاء رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾[2] . "

" وهذا دليل قاطع على أن الإيمان بالله والتوكل عليه مقرون بالعمل والدعاء وليس بالتواكل والكسل، أي الأخذ بالأسباب والدعاء والتوكل على الله، ويبقيه على حاله فالله قدر المسببات وقدر أسبابها، ومن زعم أن المسبب يقع من غير سبب فإنه لا يعرف قدر الله ولم ينفعه دين الله، وهو كمن يزعم أن الشبع يحدث من غير طعام وأن الزرع يحصل من دون ماء ولا تراب". [3]

"والإيمان بالقضاء والقدر يحرر الإنسان من الخوف، فيقدم على الذود عن حقوقه غير هياب، ولا وجل، معتقداً بقول الله χ : "﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾" [4] وهو أيضاً يكسبه الشجاعة ويهبه طمأنينة ويحميه من الشعور بالندم والحسرة لأن له عند الله خيراً في كل شر يصيبه. [5]"

فالإنسان المؤمن بالله إيماناً عميقاً لا يدخل قلبه الشك في قدرة الله β ، يتوكل عليه في جميل خطواته، واضعاً نصب عينيه بأن الله قدر له الخير في كل ما كتبه عليه، يسير وفق ما أملاه عليه دينه، فيتجه الاتجاه الصحيح، ويوفقه الله في جميع أمور ويكون محموداً من الله ومن الناس، ويكسب محبة الله والناس، فمن أحبه الله حبب الناس فيه، ومن أنعم الله عليه وفقه إلى اختيار الدعاء، واستجاب له دعاءه، والنتيجة بعد كل ما تقدم طرحه أن الإنسان لا يركن إلى التواكل والكسل ويقول: إذا قدر لي النجاح يكون بغير جهد ولا تعب لأن هذا قدري ومكتوب لي، بل عليه أن

(**1**) سورة آل عمران، رقم الآية/ **160**.

(**2**) سورة آل عمران ،رقم الآية/ **173**.

(**3**) سورة غافر، رقم الآية/ **13**.

(**4**) الأشقر ، ص/ **83**.

(**5**) طافش، ص/ **64 – 65**.

يعمل ويجد ويتوكل على الله ويؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره، ويأخذ بالأسباب كلها ومن هذه الأسباب التوجه إلى الله ودعائه بكل ثقة في الاستجابة والقبول، ولأن الله لا يضيع عمل عامل من الصالحين والمؤمنين به والمتوكلين عليه.

ـــ

ـــــــــــــــــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــــ

ـــــــ

ـــ

الفصل الثالث

ذهب الناس في أمر الدعاء إلي مذاهب شتى، و آراء متباينة، و أقوال مختلفة، و كثر النقاش بين أصحاب تلك المذاهب و الآراء، فأدلي كل صاحب مذهب بحجته، و قوي مذهبه بما استطاع من حجة منقولة أو معقولة حتى صارت تلك الأقوال تستحق أن تفرد بدارسة خاصة.

مذاهب العلماء في الدعاء

1. إن الدعاء لا معنى له ولا فائدة منه ولا يدعى الله تعالى.
2. إن الدعاء لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة وإنما هو عبادة محضة.
3. إن الدعاء علامة وأمارة ودلالة محضة على حصول المطلوب، وليس هو سبباً لحصول المطلوب.
4. إن الدعاء يرد القضاء، ويغيره من قضاء إلى قضاء.
5. إن الدعاء ينفع في بعض الأمور دون بعض.
6. إن الدعاء سبب من الأسباب وهو داخل في القضاء.

المذهب الأول [1]

"إن الدعاء لا معنى له ولا فائدة فيه، وشبهتهم في هذا الاحتجاج بمشيئة الله تعالى وعمله وقضائه وقدره، قالوا: إن المشيئة الإلهية إذا اقتضت وجود المطلوب فلا بد أن يحصل سواء دعا أو لم يدع، فيكون الدعاء تحصيل الحاصل، وإن لم تقتضه فلا يمكن أن يحصل سواء دعاء أو لم يدع فثبت بهذا أنه لا فائدة في الدعاء على الحالين. "

---

(1) شأن الدعاء ، للخطابي، ص/ 6، واقتضاء الصراط المستقيم، ص/ 358، وزاد المعاد، ج/3، ص/ 481، وتفسير الفخر الرازي، ج/5، ص/ 104-105، ص/ 134.

"وساق هؤلاء الأدلة المتضافرة المتواترة الدالة على سبق القضاء والقدر وتلك الأدلة معروفة مشهورة، منها قوله β : "(مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [1]" وقوله β : (" إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [2]"، وحديث علي η عن النبي γ : " وما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة... " [3] وغير ذلك الأحاديث المتضافرة. "

المذهب الثاني [4]

قالت طائفة من الصوفية: إن الدعاء لا يجلب به منفعة، ولا يدفع به مضرة، وإنما هو عبادة محضة تعبدية غير معقول المعنى، كبعض أعمال العبادات الأخرى مثل رمي الجمار وغيره، ولا أثر للدعاء في حصول المطلوب، وجوداً وعدماً، بل ما يحصل بالدعاء يحصل بغيره.

"وقالوا : إن الدعاء عند أهل التسليم والتفويض . يعنون أنفسهم . على وجهين:

أحدهما : يريد بذلك تزيين الجوارح الظاهرة ، لأن الدعاء ضرب من الخدمة، يريد أن يزيد جوارحه بهذه الخدمة. "

"والوجه الثاني : أن يدعو ائتمار لما أمره الله تعالى بالدعاء" [5] فالدعاء عندهم لإظهار العبودية وامتثال الأوامر الإلهية فقط، وليس له تأثير في حصول المطلوب ، فهؤلاء على اتجاهين: "

1. "فمنهم من يجعل الدعاء حظ العامة، وأن مقامات الخواص ترك الدعاء والتوكل نظراً للقدر. [6] . "

---

(1) سورة الحديد ، رقم الآية/ 22.

(2) سورة القمر، رقم الآية/ 49.

(3) صحيح البخاري، ح/ 6605.

(4) جامع الرسائل، لابن تيمية، ج/1، ص/ 87، والفتاوى، ج/8، ص/ 192، 530، 531.

(5) اللمع ، للطوسي، ص/ 333، نظراً إلى الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، ج/1، ص/ 319.

(6) الفتاوى لابن تيمية، ج/10، ص/ 35، وابن القيم في بدائع الفوائد، ج/2، ص/ 240.

2. "ومنهم من يجعل الدعاء بعدم المؤاخذة على الخطأ والنسيان مثل قوله β: (" رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) [(1)]"، يجعله عديم الفائدة إذ هو مضمون الحصول ، فلا يجوز الدعاء بهذا إلا تلاوة لا دعاء ويعلل ذلك بان الدعاء به يتضمن الشك في وقوعه لأن الداعي بين الخوف والرجاء، والشك في وقوع ذلك شك في خير الله [(2)] ."

المذهب الثالث

إن الدعاء علامة وأمارة ودلالة محضة على حصول المطلوب المسؤول، وجعلوا ارتباطه المطلوب ارتباط الدليل بالمسؤول لا ارتباط السبب بالمسبب بمنزلة الخبر الصادق والعلم السابق وبمنزلة رؤية الغيم الأسود البارد في زمن الشتاء وإن ذلك دليل وعلامة على أنه ممطر وقالوا مثل ذلك في حكم الطاعات مع الثواب والعقاب لا أنها أسباب لذلك، وهكذا عندهم الكسر مع الانكسار، والحرق مع الإحراق، والإزهاق مع القتل ليس شيء من ذلك سبباً البتة ولا ارتباط بينه وبين ما يترتب عليه إلا مجرد الاقتران العادي لا التأثير السببي. [(3)]

وهذا القول" هو قول من ينفى الأسباب في الخلق الأسباب في الخلق والأمر ويقول: إن الله يفعل عندها لا بها، وهو قول طائفة من متكلمي أهل الإثبات للقدر كالأشعري وغيره وهو قول طائفة من الفقهاء والصوفية" [(4)]

ذكرنا فيما مضى أن إنكار الأسباب في الفكر ونقصان في العقل وأن الله سبحانه قد أنكر على من سوى بين وجود الأسباب وعدمها بما فيه الكفاية وفي ذلك رد على هذا القول، إلا أن هذا القول لم ينكر في الظاهر وجد الأسباب وإن كان في الحقيقة يؤدي إلى إنكارها ويؤول إلى الخبر لأنه يقول إن الأشياء توجد عند الأسباب لا بها فالأشياء، توجد مقترنة بالأسباب لا بالأسباب.

وهذا هو الرأي المعروف بكسب الأشعري، [(1)] .

---

(1) سورة البقرة، رقم الآية/ 286.

(2) مدارج السالكين، لابن الجوزي، ج/2، ص/ 118.

(3) جامع الرسائل لابن تيمية، ج/1، ص/88، والفتاوى، ج/8، ص/ 192، 531.

(4) نفس المرجع، ج/1، ص/ 87.

"وقد اختلف الناس في الأسباب من قدرة العبد وغيرها من الأسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات على أربعة أقوال: "

1. "قول من ينكر الأسباب بالكلية وأنها ليست أسباباً وأن وجودها كعدمها وليس هناك إلا مجرد اقتران عادي كاقتران الدليل بالمدلول، فهذا هو قول الأشعري ومن تبعه من أهل الكلام.
2. قول الطبيعيين الذين يجعلونها عللاً مقتضية مؤثرة بنفسها.
3. قول المعتزلة الذين يفرقون بين أفعال الحيوان وغيرها.
4. القول الرابع قول أهل السنة والجماعة الذي يعترفون بالأسباب وأن الله ربط الأسباب بالمسببات" وأن العبد فاعل لفعله حقيقة، وله قدرة واختيار ، وقدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطبائع، وغير ذلك من الشروط والأسباب" [2]"

المذهب الرابع [3]

أن الدعاء يرد القضاء ويغيره من قضاء إلى قضاء

وقد استدل هؤلاء بأدلة كثيرة أقواها الأحاديث المصرحة برد الدعاء للقضاء، ثم أحاديث الاستعاذة من سوء القضاء فمن الأحاديث التي تدل على رد الدعاء للقضاء.

1. "حديث سلمان η عن النبي γ قال: " لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر" . [4]
2. وحديث ثوبان η قال : قال رسول الله γ : " لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه" . [1]

---

(1) أصول الدين للبغدادي، ص/ 133-134، ومنهاج السنة لابن تيمية، ج/3، ص/ 209.

(2) منهاج السنة لابن تيمية ج/3، ص/ 109، والفتاوى لابن تيمية، ج/8، ص/ 175، 137-138.

(3) انظر عن هذا المذهب، شأن الدعاء للخطابي، ص/ 7.

(4) سنن الترمذي، ح/2139.

ومن الأحاديث التي تدل على الاستعاذة من شر القضاء:

1. ما ورد في حديث القنوت: " وقني شر ما قضيت " . [2]

2. وما ورد في حديث أبي هريرة قال: " كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء[3].

المذهب الخامس: التفريق بين الأمور

قال أصحاب هذا المذهب: " إن الدعاء يكون مشروعاً نافعاً في بعض الأنبياء دون بعض[4]"

وقالوا بعدم مشروعية الدعاء بطول العمر أو البقاء، وعللوا ذلك بأنه أمر قد فرغ منه، واستدلوا بما رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قالت أم حبيبة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم " اللهم أمتعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية " قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودةٍ، وأرزاقٍ مقسومةٍ لن يعجل شيئاً قبل حله أو يؤخر شيئاً عن حله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار، أو عذاب في القبر، كان خيراً وأفضل[5]."

واستدل لهم أيضاً بأن النبي صلى عليه وسلم لم يقبل طلب الأنصار بالدعاء لهم يرفع الحمى، فقال لهم: " أو تبصرون؟[6]" وقد روى هذا المذهب عن الإمام أحمد رحمه الله فقد روي عنه أنه كان يكره أن يدعى له بطول العمر، ويقول: هذا أمر فرغ منه، وقال " أن الدعاء بطول البقاء محدث[7]."

---

(1) سنن ابن ماجة، ح/90.

(2) سنن أبي داود، ح/1425. والترمذي ، ح/464.

(3) صحيح البخاري، ح/ ٦٣٤٧

(4) شرح الطحاوية لابن عز الحنفي، ص/ ٩١

(5) صحيح المسلم، ح/ ٦٧٧٠.

(6) مسند أحمد، ح/ ١٤١٦٨.

(7) شرح الطحاوية لابن عز الحنفي، ص/ ٩١، نظراً إلى " الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية" للعروسي ص/ ٣٥١.

"قال β : ﴿ فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ & وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] "

"قال β : ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [2]"

"قول هارون لموسى θ قال : ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [3]"

"قال β : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾[4]"

"قال β : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [5]"

المذهب السادس: وهو الذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة

"وهو الصواب [6] الذي دل عليه الكتاب والسنة، والفطرة والعقل السليم وتجارب الأمم والواقع التاريخي ، والمشاهدة والحس وهو أن الدعاء سبب من الأسباب وأن له تأثيراً في المطلوب المسؤول كسائر الأسباب المقدرة والمشروعة، وهذا يعترف به جماهير بني آدم من المسلمين واليهود والنصارى والصائبين والمحرمين

---

(1) سورة الأعراف، رقم الآية / 155-157.

(2) سورة البقرة ، رقم الآية / 286.

(3) سورة الأعراف ، رقم الآية/ 150.

(4) سورة الزخرف ، رقم الآية/ 77.

(5) سورة الأعراف ، رقم الآية/ 50.

(6) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، ص/ ٣٥٨، زاد المعاد لابن قيم ج/٣، ص/ ٤٨٢.

والمشركين[1] ولم يشذ عن هذا إلا طوائف. والدعاء مثل سائر الأسباب كالتوكل والصدقة سبب لجلب المنافع ودفع المضار[2]."

"ثم الدعاء مع ثبوت كونه سبباً. داخل في القضاء، ولا يخرج عن القضاء فإن الدعاء من جملة ما سبق به القضاء لأن الله سبحانه أحاط بكل شيء علماً وقدر كل شيء تقديراً ولا يمكن أن يخرج شيء عن قضائه، فلهذا فالدعاء نفسه داخل في القضاء فإذا قدر الدعاء وأنه سبب لكذا فلا بد أن يدعو الرجل وأن يتسبب ذالك فيما جعله الله سبباً فالدعاء سبب لجلب النفع كما أنه سبب لدفع البلاء فإذا كان أقوى منه دفعه وإن كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه، لكن يخففه ويضعفه، وليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء ولا أبلغ في حصول المطلوب[3]."

ولهذا أمر صلى الله عليه وسلم عند انعقاد أسباب الشر بما يدفع موجبها بمشيئة الله تعالى وقدرته من الصلاة، والدعاء، والذكر والاستغفار والتوبة، والإحسان بالصدقة والعتاقة، فإن هذه الأعمال الصالحة تعارض الشرف الذي انعقد سببه كما في الحديث:

" أن الدعاء والبلاء ليلتقيان بين السماء والأرض فيعتلجان" [4]

وهذا كما لو جاء عدو فإنه يدفع بالدعاء وفعل الخير وبالجهاد له وإذا هجم البرد يدفع باتخاذ الدفء، فكذلك الأعمال الصالحة والدعاء[5].

ويدل علي دفاع العدو بالدعاء مع الجهاد قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

"هل تنصرون إلا بضعفائكم" ولفظ النسائي: "إنما نصر الله هذه الأمة بضعفتهم بدعواتهم وصلاتهم وإخلاصهم"[6].

---

(1) الفتاوى لابن تيمية، " " ج/٨، ص/ ١٩٥.

(2) نفس المرجع، ج/١٠، ص/ ٥٥٠.

(3) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية للعروسي، ج/١ ، ص/ ٣٥٦.

(4) سنن الترمذي، ح/ ٣٥٤٨.

(5) منهاج السنة لابن تيمية، ج/٥ ، ص/ ٤٤٥، زاد المعاد ج/ ٤، ص /٢٨١.

(6) صحيح البخاري، ح/ ٢٨٩٦.

والحاصل أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء داخل تحت القضاء وليس خارجاً عنه، فالدعاء سبب لرد البلاء، واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لدفع السلاح، والماء سبب لخروج النبات من الأرض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدا فعان، فكذلك الدعاء والبلاء، وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح، وقد قال الله تعالى: " (وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ) [1] ،" والله تعالى هو الذي قدر الأمر، وقدر سببه[2].

دلائل على تأثير الدعاء من القرآن والسنة والفطرة

دلالة القرآن على ذلك

"قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [3]"

وجه الاستدلال بالآية

1. "إن الله تعالى قد علق في هذه الآية الإجابة بالدعاء تعليق المسبب بالسبب[4] فلو كانت الاستجابة تقع بدون سبب الدعاء لكان تعليق الإجابة بالدعاء لا فائدة فيه فيكون عبثاً، حاشا كلام الله من ذلك. "

2. "هذه الآية تدل علي الوعد بالإجابة عند وجود الدعاء فلو كان وجوده وعدمه سواء لزم أنه لا حاجة إلى هذا الوعد الذي هو من الله الذي لا يخلف الميعاد. "

3. "ثم إن الوعيد الشديد لمن تكبر عن الدعاء يدل على أهمية الدعاء وأنه ذو شأن عظيم، ولا يمكن أن يتوعد عليه إلا وله فائدة. "

---

(1) سورة النساء، رقم الآية/ ١٠٢.

(2) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار γ للنووي، ص/ ٣٥٤

(3) سورة المؤمن، رقم الآية/ ٦٠.

(4) الفتاوى لابن تيمية، ج/ ٨، ص/ ١٩٣.

"قال تعالى: (وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا[1])"

"فبينت الآية أن الإيتاء والإعطاء يكون من المسئول المطلوب فلو كان السؤال ليس له ألارسببي في الإيتاء لاسيما أن سياق الآيات في ذكر نعم الله على عباده ومن ذلك نعمة إجابة الدعاء وإعطاء المسئول[2]"

"قال تعالى: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [3]"

"فالآية صريحة الدلالة على أن دعاء المضطر هو السبب في إجابة سؤاله وكشف السوء عنه، وهذا من آيات الله العظيمة الدالة على وحدانيته وتفرده بالربوبية والألوهية، ولهذا أعقبه بقوله: (أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ). والحاصل: أن القرآن من أوله إلى آخره صريح في ترتب الجزاء بالخير والشر والأحكام الكونية والأمرية على الأسباب، بل في ترتب أحكام الدنيا والآخرة ومصالحهما ومفاسدهما على الأسباب والأعمال ترتب الجزاء على الشرط والمعلول على العلة، والمسبب على السبب، وهذا بمختلف الصيغ والأساليب المتنوعة الكثيرة. "

"في مواضع كثيرة، وهذه المواضع تزيد في القرآن الكريم على ألف موضع كما قاله[4] ابن القيم رحمه الله، بل ذكر ابن القيم في موضع آخر أن ما يفيد إثبات الأسباب من القرآن والسنة لو تتبع لزاد على عشرة آلاف موضع، وأن ذلك حقيقة وليس مبالغة[5]."

شواهد على تأثير الدعاء في الأدعية القرآنية

"قال β : (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ)[6]"

"تأثير دعاء إبراهيم ν أن الله تعالى بعث محمد γ نبياً ورسولاً.

---

(1) سورة إبراهيم، رقم الآية/ ٣٤.

(2) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ، ج/ ١، ص/ ٣٥٩.

(3) سورة النمل، رقم الآية/ ٦٢.

(4) الجواب الكافي لابن قيم، ص/ ١٦– ١٧.

(5) شفاء العليل لابن قيم، ص/ ٣٩٧.

(6) سورة البقرة ، رقم الآية/186

قال β : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)[1]"

إن اللهβ وعد عباده بإجابة دعائهم .

"قال β : (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ[2])"

"إن الله β هزم الجالوت وجنوده كما يقول الله β : (فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ) [3]"

"قال β : (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[4]) "

"إن الله تعالى أجاب دعاء امرأة عمران فقال β : (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) [5]"

"قال β : (رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء) [6]"

"ن الله تعالى أجاب دعاء زكريا ν فقال β : (أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) [7]"

"قال β : (ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ[8]) "

"إن الله تعالى أجاب دعائهم فقال تعالى :(فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [9]"

(**1**) سورة البقرة ، رقم الآية/**201**

(**2**) سورة البقرة ، رقم الآية/**250**

(**3**) سورة البقرة، رقم الآية/ **251**.

(**4**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **35**

(**5**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **37**

(**6**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **38**

(**7**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **39**

(**8**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **147**

(**9**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **148**

"قال β : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [1]"

"أجاب الله تعالى على هذا الدعاء فقال β : (فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) [2]"

"قال β : (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ & رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ & رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ &رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ & [3])"

فاستجاب لهم ربهم عقب ذلك فقال β : "(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى) [4]"

"قال β : (رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ[5]) "

إن الله أجاب الدعاء فقال تعالى : " (قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً) [6]"

"قال β : (لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [7]"

"فأجاب الله تعالى دعائهم فقال β : (قُلِ اللّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ) "[8]

"قال β : (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ[9])"

(**1**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **173**

(**2**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **174**

(**3**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **191-194**

(**4**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **195**

(**5**) سورة النساء ، رقم الآية/ **77**

(**6**) سورة النساء ، رقم الآية/ **77**

(**7**) سورة الأنعام، رقم الآية/ **63**

(**8**) سورة الأنعام، رقم الآية/ **64**

(**9**) سورة الأعراف، رقم الآية/ **23**

"فأجاب الله دعائهم بقوله β : (قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ) [1]"

"قال β : (رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ) [2]"

"فأجاب الله دعائهم بقوله β : (قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ[3])"

"قال β : (فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) [4]"

"فأجاب الله تعالى على دعائهم بقوله β : (قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ) [5]"

"قال β : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ[6])"

"قال β : (اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ).[7] "

"فأجاب الله تعالى (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [8]"

"قال β : (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ) [9]"

"فأجاب الله دعائهم وقال β (قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ) [1]"

---

(1) سورة الأعراف، رقم الآية/ 24

(2) سورة الأعراف، رقم الآية/ 38

(3) سورة الأعراف، رقم الآية/ 38

(4) سورة الأعراف، رقم الآية/ 53

(5) سورة الأعراف، رقم الآية/ 53

(6) سورة الأعراف، رقم الآية/89

(7) سورة الأنفال، رقم الآية/ 32

(8) سورة الأنفال، رقم الآية/ 33

(9) سورة يونس، رقم الآية/ 88

"قال β : (رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ [2])"

فأجاب الله تعالى على دعاء نوح ν : " (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [3]"

"قال β : (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ) [4]"

"فأجاب الله دعاءه فقال β : (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [5]"

"قال β : (رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [6]"

"إن الله χ أجاب دعائه فقال β : (قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ) [7]"

دلائل على تأثير الدعاء من السنة

وأما السنة الدالة على تأثير الدعاء فأكثر من أن تحصر فقد تواتر عنه ρ أمران: الأول االله فعله للدعاء، والثاني: حثه ρ وترغيبه في الدعاء.

فلهذا نكتفي بإيراد بعض الأحاديث الدالة على المراد، من ذلك:

قوله ρ فيما رواه أنس رضي الله عنه: لكل نبي دعوة دعاها لأمته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي" هذا لفظ مسلم، وفي البخاري:

" لكل نبي دعوة قد دعا بها. فاستجيب، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة.[8]"

---

(1) سورة يونس، رقم الآية/ 89

(2) سورة هود، رقم الآية/ 45

(3) سورة هود، رقم الآية/ 46

(4) سورة يوسف، رقم الآية/33

(5) سورة يوسف، رقم الآية/34

(6) سورة الحجر، رقم الآية/36

(7) سورة الحجر، رقم الآية/37

(8) صحيح البخاري ح/ ٦٣٠٥.

حديث أنس بن مالك الآخر، "قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إذ قام رجل فقال: يا رسول الله هلك الكراع وهلك الشاء، وفي رواية وجاع العيال، وفي رواية أخرى: هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله أن يسقينا، فمد يديه ودعاء وفي رواية وما نرى في السماء قزعة فو الذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتهادر على لحيته صلى الله عليه وسلم، فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة ثم جاء ذلك الرجل أو غيره في الجمعة المقبلة فقال: تهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله أن يمسكها، فرفع يديه فقال: " اللهم حوالينا ولا علينا، فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب ألا نفرجت.[1] "

"روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفره؟.[2]"

دلائل على تأثير الدعاء من الفطرة

الإنسان من طبيعته أنه إذا كان في سعة وعافية نسي ربه وتمرد وعصى، وإذا وقع في شدة وضيق تحركت فطرته ومشاعره واتجه إلى الله ونسي ما كان يدعو من قبل وهنا يوقن أنه لا منقذ إلا الله، وتنكشف عنه الحجب، ويزول الرين، وتذهب الشاوة وينطرح بين يدي الله مكسراً متواضعاً مبتهلاً متضرعاً باكياً ويجأر إلى الله كاشف السوء مجيب المضطرين غياث المغيثين منقذ الهالكين، وجابر المنكسرين، ومنقذ الغرقى، وسامع النجوى.

فلو لم تدل الفطرة على تأثير الدعاء لما اتجهت إلى الدعاء ولكانت تلجأ إلى وسائل أخرى للاستغاثة والاستعانة.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى طبيعة الإنسان هذه في عدة آيات، منها: قوله تعالى:

---

(1) صحيح البخاري، ح/932 ، وصحيح المسلم، ح/ ٧٩٨.

(2) صحيح البخاري، ح/ ١١٤٥، صحيح المسلم، ح/ ٧٨٥.

"قال β : (وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ[1])"

"وقال β: (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)[2]"

"وقال β : (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ) [3]"

دلائل على تأثير الدعاء من العقل السليم

فالعقل السليم يدل على تأثير الدعاء لأن العقل دل على وجود الله تعالى وأنه الفعال لما يريد وأنه لا معقب لحكمه ومن المعلوم أن الشرع لا يأتي بما يحيله العقل السليم الذي لم تدنسه لوثة الشبهات والشهوات، وإن كان الشرع قد يأتي بما يحار فيه العقل ويعجز عن إدراكه مفصلاً[4].

دلائل على تأثير الدعاء من التاريخ

فقد استفاض في التاريخ وتواتر إجابة الله تعالى لنداء المضطرين وابتهالات المنكسرين، وتضرع المساكين، واستغاثة المستغيثين، وتعلق الخاشعين.

وقد ثبت على مدى التاريخ ما يفيد بالمجوع تواتر ذلك وإن لم يتواتر أفراد تلك الوقائع.

ولا مانع من إيراد بعض تلك الوقائع التاريخية على سبيل التمثيل لا الحصر وإليك ذلك:

ما ذكر الله تعالى في القرآن الكريم من قصص أنبيائه ورسله مثل نداء نوح، وإبراهيم، وأيوب، ويونس، وغيرهم عليهم السلام.

ما ثبت في السنة الصحيحة من ذلك وإليك بعض الأمثلة:

---

(1) سورة يونس، رقم الآية/ ١٢.

(2) سورة الزمر، رقم الآية/ ٨.

(3) سورة فصلت، رقم الآية/ ٥١.

(4) الفتاوى، ج/ ٣، ص/ ٣٣٩.

1. "حدث قصة[1] أصحاب الغار الذين توسلوا بصالح أعمالهم بعد أن انطبقت عليهم الصخرة فأنقذهم الله فخر جوا سالمين. "

2. "حديث قصة أويس القرني حيث روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له، قد كان به بياض، فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفركم.[2]"

3. "حديث قصة[3] جريج الراهب الذي دعا الله تعالى وصلى لما اتهم فأنطق الله الغلام فبرأه. "

دلائل على تأثير الدعاء من تجارب الأمم

"وقد دلت تجارب الأمم على اختلاف أجناسها ومللا ونحلها على أن التقرب إلى رب العالمين، وطلب مرضاته والالتجاء إليه والانطراح بين يديه والبر والإحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب الجالية لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالية لكل شر، فما استجلبت نعم الله و استدفعت نقمه بمثل طاعته والتقرب إليه بأنواع الطاعات، والرغبة إليه والاستعانة به، والإحسان إلى خلقه فهذا مجرب عند جميع الأمم على مدى التاريخ[4]، وهو أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به، لأنهم جربوه.[5] "

"قال الدهلوي رحمه الله بعد أن ذكر الأصول المسلمة لدى المشركين: " ومنها أن هنا لك لأدعية الملائكة المقربين وأفاضل الآدمين تأثراً بوجه من الوجوه، لكن صار في أذهانهم متمثلاً بشفاعة ندماء الملوك إليهم.[6]"

---

(1) صحيح البخاري، ح/ ٢٢١٥.

(2) صحيح المسلم، ح/ ٦٤٩.

(3) صحيح البخاري، ح/ ٣٤٣٦، صحيح المسلم"، ح/ ٦٥٠٨.

(4) الجواب الكافي"، ص/ ١٦.

(5) بدائع الفوائد، ج/ ٢، ص/٢٤٢، اقتضاء الصراط لابن تيمية ، ص/ ٣٦٤.

(6) حجة الله البالغة لشاه ولي الله الدهلوي ، ج /١، ص/ ١٢٥.

ويدل على اعتقاد المشركين بتأثير الدعاء أدلة كثيرة نكتفي منها بمثالين:

"المثال الأول: قصة قريش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رميهم الأذى على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي عند الكعبة، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم..." ثم قال: "اللهم عليك بقريش ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته" وفي رواية للبخاري: " وكانوا بدون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة.[1]"

وهذا يدل على أن قريشاً تعتقد أن الدعاء مجاب في البلد الحرام، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " ويمكن إن يكون ذلك مما بقي عندهم من شريعة إبراهيم عليه السلام.[2]"

"والمثال الثاني: قصة قتل خبيب بن عدي، فإنه لما أرادوا قتله، صلى ركعتين ودعا عليهم: "اللهم أحصهم عدداً وقتلهم بدداً ولا تبقِ منهم أحدا" فلما سمعوا دعاء ه هذا ألقى أبو سفيان ابنه معاوية على الأرض، فَرَقاً من دعوة حبيب، وكانوا يقولون: إن الرجل إذا دعي عليه، فاضطجع لجنبه زلت عنه[3]."

\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-

\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-

\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-

\-\-\-\-

(1) صحيح البخاري"، ح/ ٢٢٠، صحيح المسلم"، ح/ ٤٦٤٩.

(2) فتح الباري لابن حجر، ج/١، ص/ ١٢٥

(3) نفس المرجع، ج/٧، ص/ ٣٨٣.

الفصل الرابع

شروط إجابة الدعاء:

إن أي عمل من الأعمال التي يقوم بها الإنسان في حياته، لا بد لإنجاحه من عدة شروط، وآداب قبل الدعاء وبعده، وذلك على النحو الآتي:

1. أن يعتقد الداعي بأن الله وحده قادر على إجابة دعائه، وهذا توحيد الربوبية .
2. أن لا يدعو إلا الله وحده، قال تعالى: " (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (1)"
3. أن يتوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، أو بصالح الأعمال، أو بدعاء رجل صالح حيّ حاضر.
4. "تجنب الاستعجال للإجابة، وألا يستنبطئ الإجابة إذا تأخرت ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة η قال : قال رسول الله γ ، يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوتُ فلم يستجب لي" . (2)

قال ابن القيم : " (ومن الآفات التي تمنع أثر الدعاء عليه أن يستعجل العبد، ويستبطئ الإجابة فينقطع ويدع الدعاء) (3)"

5. "الدعاء بالخير بعيداً عن الإثم وقطيعة الرحم، قال رسول الله γ : " يستجاب للعبد ما لم يدع بإثمٍ أو قطيعةٍ رحم" (4)
6. أن يوقن بالإجابة: قال رسول الله γ : " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة". (5)

---

(1) سورة الجن ، رقم الآية/ **18**.

(2) صحيح البخاري، ح/**634**، سنن الترمذي، ح/ **2735**.

(3) الجواب الكافي، ص/ **10**.

(4) صحيح مسلم، ح/ **2735**.

(5) صحيح الجامع، ح/ **245**.

7. حضور القلب: فينبغي أن يكون حاضر القلب متفهماً لما يقول، مستشعراً عظمة من يدعوه ، قال رسول الله γ : " واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب لاهٍ" (1)

8. أن لا يشغله الدعاء عن أمره واجب أو فريضة حاضرة، كأن يشتغل بالدعاء عن صلاة أو جماعة أو إكرام ضيف أو خدمة لوالديه أو حق لمسلم، أو ما شابه ذلك.

آداب الدعاء :

حيث قال χ : "(ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ & وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ)(2) " فهاتان الآيتان مشتملتان على آداب الدعاء حيث التضرع لله وخشيته، والطمع في رحمته، ومغفرته فللدعاء شروط يلتزم بها وآداب يتأدب بها الداعي إلى الله، ومن هذه الآداب التي تسبق الشروع في الدعاء:

1. أن يكون المسلم على طهارة : بما أن الدعاء عبادة فيجب على من يعبد الله أن يكون على طهارة حتى يلاقي الله طاهر نقي من الذنوب وجسد طاهر وثياب طاهرة، قال β : (" إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (3)"

2. الاجتهاد وفعل المأمورات وترك المنهيات: وبما أن المسلم يحب أن يستجاب له دعوته فيجب أن يكون على مقربة من الله بفعل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسعي للخير بين الناس ويبتعد عن كل ما ينهانا عنه الله والرسول. فكل هذه الأمور تكسب صاحبها درجة التقوى والإحسان ومحبة الله ، يقول اللهβ : " (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن

---

(1) صحيح الجامع، ح/ 245.

(2) سورة الأعراف، رقم الآية/ 56.

(3) سورة البقرة، رقم الآية/ 222.

أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) [1]"

3. تحري الطيب الحلال من المطعم والشراب: فالإنسان عندما يتحرى الحلال في مأكله ومشربه يكون صادقاً مع الله χ فلا يكون مطعمه حراماً ومشربه حراماً ويرفع يديه للدعاء فلا يستجاب له. يقول الله β : "(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) [2] . "

4. إطابة المأكل والمشرب والملبس: قال رسول الله γ : " إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، ثم ذكراً الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا ربّ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذّي بالحرام فأنى يستجاب له"[3] .

5. التوبة النصوح ورد المظالم إلى أهلها والإقبال على الله : فالتوبة مفتاح الرحمة والسبيل إلى الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة وهو مفتاح الإجابة للدعاء، قال الله χ : "(وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [4] . "

6. الاستغفار والذكر يجلب الخير للمسلم وينقيه من الذنوب التي تحول بين المرء وربه، حيث يقول الله χ : " (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا & يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا & وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا) [5]"

آداب الدعاء حتى يكون كاملاً:

1. الثناء على الله قبل الدعاء والصلاة على النبي الكريم γ ، عن فضالة بن عبيد قال: بينما رسول الله قاعداً إذ دخل رجل فصلى، فقال:

---

(1) سورة المائدة، رقم الآية/ 27.

(2) سورة البقرة،رقم الآية/ 172.

(3) صحيح مسلم، ح/ 1015.

(4) سورة النور ، رقم الآية/31.

(5) سورة نوح، رقم الآية/ 10-12.

الله اغفر لي وارحمني ، فقال رسول الله γ : " عجلت أيها المصلي إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله وصل عليّ ثم ادعه" [1] ، وقال : "كل دعاء محجوب حتى يصلي علي النبي " [2]

2. التضرع والخشوع والرغبة والرهبة، قال الله تعالى : " (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [3]"

3. ومن آداب الدعاء : الإلحاح بالدعاء وهو يدل على صدق الرغبة فيما عند الله.

4. الدعاء في كل الأحوال: وذلك في الشدة والرخاء، قال رسول الله γ : " من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرَبِ فليكثر من الدعاء في الرخاء" [4]

5. تجنب الدعاء على الأهل والمال والنفس، قال رسول الله γ : " لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعةً يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم" [5].

6. الدعاء ثلاثاً : كما ثبت من فعله γ مراراً

7. استقبال القبلة: كما ثبت في حديث الاستسقاء وغيره.

8. رفع الأيدي في الدعاء: كما ثبت من فعله γ ، وقال أيضاً: " إن ربكم حيّ كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردّهما صفراً

---

(1) صحيح الجامع، ح/**4523**.
(2) صحيح الجامع، ح/ **4523**.
(3) سورة الأنبياء، رقم الآية/ **90**.
(4) صحيح الجامع، ح/ **6290**.
(5) صحيح مسلم، ح/ **3009**.

خائبتين" . [1] ورفع اليدين إنما يكون في الدعاء العام وليس في دعاء دخول المنزل ودخول الخلاء أو غيرها.

9. "أن يتخير جوامع الدعاء ومحاسن الكلام بدلاً من التطويل والحشو والتفصيل الذي لا لزوم له. "

10. "الجلوس والاتجاه إلى القبلة فهذه الجهة مباركة والدعاء إليها يكتسب القبول بإذن الله . "

11. "أن يحمد الله، وأن يصلي على رسول الله γ وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين. "

12. "أن يمد يديه إلى السماء أثناء الدعاء، قال رسول الله γ " سلوا الله β ببطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورها فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم " [2]"

13. "الجزم في الدعاء وطلب ما يريده، قال الرسول الكريم γ : " إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ، ولا يقولن : اللهم إن شئت فأعطني ، فإنه لا مستكره له " . [3]"

14. "خفض الصوت بالدعاء لفوائده الجمة ولأنهم يدعون الله الذي يعلم بالسرائر ويعلم ما يخفون في الصدور. قال الله β : (" ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [4]"

"ومن فوائد إخفاء الدعاء كما يقول ابن تيمية : " أنه دليل على عظم الإيمان لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع دعاءه الخفي، وهو أبلغ في التضرع والخشوع والإخلاص، وأنه أبلغ في خشوع القلب لله في الدعاء، وأنه يدل على قرب العبد من الله، وليس فيه اجتهاد فيكون أدعي لدوام الطلب والسؤال حيث لا يكل من رفع الصوت فلا تتعب الجوارح، وأنه أبلغ دلالة على الأدب والتعظيم لأن الملوك لا ترفع

---

(1) صحيح الجامع، ح/ **2070**.

(2) سنن أبو داود، ج/1، ص/468.

(3) صحيح البخاري، ج/3، ص/ 212، ح/6338.

(4) سورة الأعراف، رقم الآية/ 55.

الأصوات عندهم ولله المثل الأعلى فإذا كان يسمع الدعاء الخفي، فلا يليق بالأدب إلا خفض الصوت به. [1]"

15. أن يختم الدعاء بالصلاة على رسول الله γ حيث قال: " صلوا علي واجتهدوا في الدعاء، وقولوا: الله صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد" .[2]
16. استفادة الدعاء بألفاظ الإجابة وصيغها مثل : اللهم ، يا مجيب الدعاء، يا رب ، إلهي، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم ... ، قال رسول الله γ : " إذا قال العبد يا رب ، يا رب ، يا رب قال الله : لبيك عبدي سل تعط" . [3]

الآداب التي تعقب الدعاء :

بعد التضرع إلى الله بالدعاء من واجب الإنسان أن يشكر الله ويحمده على ما الهم من الدعاء ويسره، وعليه أن يقوم بالأعمال التالية حتى يتم له ما أراد ويتحقق له أمانيه في الدعاء.

1. "الاستمرار في العمل الصالح والخشوع الذي كان عليه فيها أثناء الدعاء. فعلى العبد أن يدوم على هذا الحال وأن يبالغ في التقرب إلى الله β وكما يقول الصالحون ما نزل بلاء إلا بذنب، فالدعاء يجاب بإذن الله ، وبخاصة إذا كان الداعي موقناً بالله مصدقاً برسوله مطيعاً

---

(1) ابن تيمية ، 169:2002

(2) صحيح البخاري، ج/3، ص/ 215، ح/6357.

(3) فيض القدير، ج/1، ص/ 411، ح/777.

مخلصاً، فالله هو المعطي وهو المانع بيده النفع والضر، وهو على كل شيء قدير. ففي الحديث القدسي عن الله β " من ذا الذي دعاني فلم أجبه ؟ واستغفرني فلم أغفر له وأنا أرحم الراحمين ؟ " (1)"

2. "انتظار الفرج من الله χ قال الرسول γ : " سلوا الله من فضله فإن الله β يحب أن يسأل ، وأفضل العبادة انتظار الفرج : " (2) وصدق المولى β في قوله : (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا & إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (3)"
3. "أن يؤمن بالإجابة ويظن بالله الظن الحسن قال رسول الله γ : " أدعو الله وأنتم موقنون بالإجابة " . (4)
4. ألا يستبطئ الإجابة فالله يحب اللحوح في الدعاء ولكن لا يحب من عبده أن يستبطئ الإجابة لأن في ذلك يأساً وعدم ثقة في الله، وهذا مرفوض لأن الله على كل شيء قدير، وإذا قال للشيء كن فكيون، ويقول رسولنا الحبيب: " يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول : دعوت فلم يستجب لي " . (5)

"من واجب المسلم أن يشكر أي إنسان يقدم له العون والخير بالله الذي يعطي بغير حساب، فالأحرى به أن يحمد الله كثيراً ويشكره شكراً جزيلاً على إتمام النعم على الداعي واستجابته لدعائه ويقول هذا القول: " الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات" . (6)

____

____

(1) شعب الإيمان، ج/2، ص/ 31، ح/1087، الصعيدي ، 47: 2002.

(2) المعجم الأوسط، ج/5، ص/ 230، 5269.

(3) سورة الشرح، رقم الآية/ 5-6.

(4) سنن الترمذي، ج/5، ص/ 517، ح/3479.

(5) صحيح البخاري ، ج/3، ص/ 212، ح/ 6340.

(6) العبادلة، 29: 2005.

الفصل الخامس

الأوقات التي يرجى فيها استجابة الدعاء:

إن الله سبحانه وتعالى يحب من عبده أن يكون لسانه دائماً رطباً بذكره في جميع الأوقات والأحوال، ويحب أن يدعي على الأرجح في بعض الأوقات المستحبة التالية:

1. ليلة الجمعة ويومها عن أبي هريرة η قال: " إن في الجمعة ساعة، لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه إياه " . [1]
2. ليلتا العيدين ويومهما: عيد الفطر وعيد الأضحى.
3. "يوم عرفة : حيث يكون الناس في ربوع هذا الجبل للعبادة الخالصة والتيمن بهذا اليوم الأغر يوم الحج العظيم والذي لا يأتي إلا كل سنة مرة على المسلمين، فكيف بالمتعبد لا يدعو الله في هذا اليوم ولا يسأل حاجته بكل جوارحه حتى يستجاب له ولأن الدعاء أيضا بحد ذاته عبادة. "
4. "شهر رمضان وليلة القدر: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ & وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ & لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ & تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ &سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ &﴾[2] "
5. "الثلث الأخير من الليل. حيث جاء في كتابه العزيز : ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[3] " وعن جابر η أن رسول الله γ قال: " إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه ".[4]

، وعن أبي هريرية η قال: قال رسول الله γ : " يتنزل ربنا تبارك وتعالى

---

(1) سنن النسائي ، ج/3، ص/ 115.

(2) سورة القدر، رقم الآية/ 1– 5.

(3) سورة الذاريات، رقم الآية/ 18.

(4) مسند ابن حنبل ، ج/2، ص/ 348.

كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له" .[1] "

6. عند النداء للصلاة وعند إقامة الصلاة: " قال رسول الله γ : "ساعتان لا ترد على داع دعوته، حين تقام الصلاة ، وفي الصف في سبيل الله" . [2]
7. بين الأذان والإقامة: عن أنس η قال : قال رسول الله γ : " الدعوة لا ترد بين الأذان والإقامة فادعوا". [3]
8. "أثناء السجود: عن أبي هريرة η أن رسول الله γ قال: " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء". [4]
9. الدعاء في الأوقات الطارئة عند الحاجة الملحة والاضطرار، فالإنسان أحوج بالدعاء إلى الله عند الحاجة الملحة لأنه يطلب العون منه وحده للمساعدة، ويقول χ : "﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [5]"
10. "عند تلاوة القرآن وختم المصحف:قال الرسول γ : إن لصاحب القرآن عند كل ختمه دعوة مستجابة". [6]
11. عند نزول الغيث: حيث قال الرسول γ : " اللهم صيباً نافعاً" . [7]
12. "عند رقة القلب والخشوع لله χ : فالإنسان عندما يكون خاشعاً بين يدي ربه يجسد العبودية الحقيقية لله وحده وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله

---

(1) البخاري، 201: 2003 ، ح/ 6320.

(2) صحيح ابن حبان، ج/6، ص/61.

(3) ابن حنبل ، ج/3، ص/ 225.

(4) صحيح المسلم، 232: 2005

(5) سورة النمل، رقم الآية/ 62.

(6) شعب الإيمان، ج/2، ص/ 416، ح/ 222.

(7) سنن ابن ماجة، ب ت : 518.

له الأمر كله وبيده الخير كله، فالدعاء في هذا الحال مستجاب بإذنه تعالى. "

13. عند شرب ماء زمزم: حيث قال الرسول γ : " ماء زمزم لما شرب له" . [1]

14. عند شهود المحتضر (الميت) وبعد تغميض عينيه: حيث قال الرسول γ : " إن الروح إذا قبض تبعه البصر وقال : لا تدعو على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون" . [2]

15. عند فطر الصائم: حيث يدعو الصائم" اللهم إني لك صمت وعلى رزقك أفطرت فابتلت العروق وذهب الظمأ وثبت الأجر إن شاء الله " قال رسول الله γ : " الصائم لا ترد دعوته" . [3]

16. في حالة السفر: قال رسول الله γ : " ثلاثة تستجاب دعوتهم: الولد، والمسافر ، والمظلوم" . [4]

17. "دعوة الوالد على ولده ودعوة الابن البار لوالديه: قال رسول الله γ : ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده. [5] ، وقال رسول الله γ : " إن الله β ليرفع الرجل الدرجة فيقول: أنى لي هذه؟ فيقول بدعاء ولدك. [6]"

18. "دعوة المظلوم: عن ابن عباس η أن الرسول γ بعث معاذاً إلى اليمن فقال: " اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب" . [7]"

19. "دبر الصلوات المكتوبة : قال الرسول γ : " من كانت له إلى الله حاجة ، فليدع بها دبر كل صلاة مكتوبة" . [1]"

(**1**) سنن ابن ماجة، ب ت ج ، ج/**2** ص/ **518**.

(**2**) سنن أبي داود ، ح/ **3118**.

(**3**) مسند أحمد بن حنبل، ج/**2**، ص/ **477**.

(**4**) مسند أحمد بن حنبل ، ج/**2** ، ص/ **258**.

(**5**) مسند أحمد بن حنبل، ج/**2** ، ص/ **258** ، ح/ **7501**.

(**6**) مسند أحمد بن حنبل ، ج/**2**: ص/ **258**.

(**7**) مسند أحمد بن حنبل، ج/**2** ص/ **258**.

20. "دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب، عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله γ : " ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك، ولك بمثل" . [2]"

الأماكن التي يستحب فيها الدعاء:

هناك أماكن يستحب فيها الدعاء ما لا يستحب في غيرها من الأماكن لأهميتها وقدسيتها وطهارتها، ولأن الدعاء هو العبادة، فالأجدر به أن يؤدي في أماكن خاصة، يظن العبد أنها أدعى للإجابة ومن هذه الأماكن:

1. "المساجد: قال رسول γ : " ما توطن رجل المساجد للصلاة إلا تبشبش الله به حتى يخرج، كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم " وقال" من ألف المسجد ألفه الله" . [3] "
2. "عند رؤية الكعبة : قال عبدالله بن زيد خرج رسول اللهγ إلى هذا المصلى يستسقي فدعا واستسقى ثم استقبل القبلة وقلب رداءه. [4]"
3. "الدعاء في مجالس الفكر حيث مر النبي γ بعبد الله بن رواحة وهو يذكر أصحابه، فقال رسول الله γ : " أما إنكم الملأ الذي أمرني ربي أن أصبر نفسي معكم" [5] ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [6]"
4. "يوم عرفة : حيث يكون الناس في ربوع هذا الجبل للعبادة الخالصة والتيمن بهذا اليوم الأغر يوم الحج العظيم والذي لا يأتي إلا كل سنة مرة على المسلمين، فكيف بالمتعبد لا يدعو الله في هذا اليوم ولا يسأل

---

(1) سنن الترمذي ، ج/4، ص/ 368.

(2) صحيح المسلم، ح/2094.

(3) صحيح ابن حزيمة، ج/2،ص/ 379.

(4) صحيح البخاري، ح/ 378.

(5) السيوطي ، ج/5، ص/ 381

(6) سورة الكهف، رقم الآية/ 28

حاجته بكل جوارحه حتى يستجاب له ولأن الدعاء أيضا بحد ذاته عبادة. "

الفصل السادس

موانع استجابة الدعاء:

"كما إن الدعاء شروط استجابة فإن له موانع استجابة أيضاً ومن هذه الموانع ما تدل عليه هذه الآية: قال تعالى : " ﴿ ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [(1)]" فالله χ أمرنا بالدعاء متضرعين خاشعين له ولسنا معتدين أو ظالمين لأن الله χ يكره الظلم ويحرمه على نفسه وعباده، ومن صور الاعتداء في الدعاء : "

1. "الدعاء بالإثم وقطيعة الرحم: وهذا غير مقبول من الإنسان لأنه يفتت المجتمع الإسلامي ويحدث فيه الشروخ التي لا يرضاها الله لعباده، وعلى العكس من التعاليم الإسلامية بالتراحم والتودد والتلاحم. أن يكون الدعاء ضعيفاً في نفسه، لما فيه من الاعتداء أو سوء الأدب مع الله β ، والاعتداء هو سؤال الله β ما لا يجوز سؤاله كان يدعو الإنسان أن يخلده في الدنيا أو أن يدعو بإثم أو محرم أو يدعو على النفس بالموت ونحوه، فعن أبي هريرةη قال : قال رسول الله γ : (لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم) [(2)]"

2. "سؤال الله ما لا يليق به وما لا علم لهم به، وهذا السؤال فيه تجرؤ على الله فالإنسان الذي يريد استعطاء أحد لا يستطيع التجرؤ عليه فكيف إذا كان ملك الملوك χ . "

3. "السؤال بما يخالف أمر الله وأمر رسوله الكريم γ وكأنهم يريدون فتح باب الشرك. "

---

(1) سورة الأعراف ، رقم الآية/ 55.

(2) صحيح المسلم

4. "سؤال الله مزيداً من التكاليف التي قد يعجز عنها الإنسان، لأن في ذلك مشقة عليه، ولأن الدين يسر لا عسر ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. "

5. "الدعاء على النفس بالهلاك والتلف وكذلك على الأولاد والمال، وهذا الدعاء يكون آخرته الندم والحسرة بعد فوات الأوان، ولأنه يكون ناتج عن غضب في ساعة ما في موقف ما، فيورثه الحسرة على ما أصابه في ماله أو في ولده أو في نفسه. "

6. "رفع الصوت بالدعاء رفعا زائداً: عن أبي موسى الأشعري η قال: كنا مع النبي γ في سفر فكنا إذا علونا كبرنا فقال النبي γ : " يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً ولكن تدعون سميعاً بصيراً. [1]"

7. "الدعاء باللعن وما ورد فيه: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن الرسول γ أنه قال: " يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار. " فقالت امرأة جزلة : وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار قال : " تكثرن اللعن وتكفرن العشير" [2] وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن الرسول γ قال: " لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة" . [3]"

8. "السؤال بتعجيل العقوبة بالدنيا: فسؤال تعجيل العقوبة في الدنيا سؤال أهل الكفر والجهل، قال β : " ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾" [4] ، وقال β : "﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً

---

(1) صحيح البخاري ، ح/ 3968 .
(2) صحيح البخاري، ج/2، ص/ 531.
(3) صحيح المسلم ، ح/ 2598.
(4) سورة ص ، رقم الآية/ 16.

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾" [1] وقوله" ﴿ وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2]" وهذا الأمر يكون فيه تحد لله سبحانه وتعالى وكأنه لا يقدر على تعذيبهم وأنهم لا يصدقون هذا الحق. فعن أبي هريرة η قال قال: رسول الله γ : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول دعوت فلم يستجب لي) [3]"

9. الدعاء على النفس بالموت: وهذا الدعاء مكروه عند الله تعالى لأنه يدعو إلى اليأس والقنوط، والمؤمن لا يقنط من رحمة الله حيث يقول رسولنا الحبيب γ : " لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنيا للموت فليقل: " اللهم أحيني ما كانت الحياة خير لي وتوفني ما إذا كانت الوفاة خيرا لي" . [4]

10. "تكلف السجع في الدعاء: فمن الأفضل أن يكون الدعاء نابغاً من القلب، فلا يضيع الخشوع وهو ينتقي الكلمات، بل يكون الدعاء نابعا من الفطرة يعبر به عما يجول في خاطره ويتمناه، أما إذا كان السجع غير متكلف فلا مانع". مثل ما كان يقول الرسول γ : " اللهم إني أعوذبك من قلب لا يخشع وعلم لا ينفع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع" . [5]

11. "الاستعجال، وقد دل عليه حديث أبي هريرة η أن رسول الله γ قال: " يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي" [6] قال الكرماني ما ملخصه: الذي يتصور في الإجابة وعدمها

---

(1) سورة العنكبوت، رقم الآية/ 53.

(2) سورة الأنفال، رقم الآية/ 32.

(3) رواه البخاري ومسلم.

(4) صحيح البخاري، ح/ 6351.

(5) صحيح المسلم ، ج/4، ص/ 2088.

(6)

أربع صور، الأولى:عدم العجلة وعدم القول المذكور، الثانية : وجودهما، الثالثة والرابعة: عدم أحدهما، ووجود الآخر، فدل الخبر على أن الإجابة تختص بالصورة الأولى دون الثلاث. [1]"

12. "عدم الإخلاص فيه لله عز وجل لأن الله عز وجل يقول: (فَادْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ) [2]،" فليعقل هذا أولئك الذين يدعون مع الله الأضرحة التي لا تضر ولا تنفع نفسها، فضلاً عن غيرها.

13. "ومن موانع قبول الدعاء أن يدعو الإنسان وقلبه غافل، فقد روى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي γ قال: ((ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قبل غافل لاه.)) "

14. "ومن موانع قبول الدعاء ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبيγ قال: ((والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن أن يبعث عليكم عذاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم.)) "

15. "ونحن ندعوه فلا يستجيب لنا فقال لهم: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء: "

"**الأول** : عرفتم الله ولم تؤدوا حقه . "

"**الثاني:** قرأتم القرآن ولم تعملوا به. "

"**الثالث:** ادعيتم أنكم تحبون رسول الله γ وتركتم سنته. "

"**الرابع:** قلتم إن الشيطان عدو لكم ولم تخالفوه . "

"**الخامس:** قلتم إنكم مشتاقون إلى الجنة ولم تعملوا لها. "

(**1**) سنن الترمذي، ح/ **3479**.

(**2**) سورة غافر، رقم الآية/ **14**.

"**السادس:** قلتم إنكم تخافون النار ولم تهربوا منه. "

"**السابع:** إن الموت حق ولم تستعدوا له. "

"**الثامن:** اشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم. "

"**التاسع:** أكلتم نعم الله ولم تشكروه عليها. "

"**العاشر:** دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم. [1]"

---

(1) http://ksayat.com/showthread.php?t=9562

الفصل الأول

عدد الأدعية القرآنية

نذكر في هذا الفصل الأدعية القرآنية باعتبار ترتيب السور القرآنية.

سورة الفاتحة:

(الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ % الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ % مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ % إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ % اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ % صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ % [1])

سورة البقرة :

(سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[2]

(قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [3]

(رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) [4]

(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [5])

(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[6]

(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ)[7]

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)[8]

(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [9]

---

(1) سورة الفاتحة ، رقم الآيات / 1–7

(2) سورة البقرة ، رقم الآية/32

(3) سورة البقرة ، رقم الآية/67

(4) سورة البقرة ، رقم الآية/ 126

(5) سورة البقرة ، رقم الآية/ 127

(6) سورة البقرة ، رقم الآية/129

(7) سورة البقرة ، رقم الآية/186

(8) سورة البقرة ، رقم الآية/201

(9) سورة البقرة ، رقم الآية/201

(رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ[1])

(رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[2]

(سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [3])

(رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ[4]).

سورة آل عمران :

(رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ)[5]

(رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)[6]

(رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [7])

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [8])

(تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ [9])

(رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[10])

(رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ .... وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) [1]

(**1**) سورة البقرة ، رقم الآية/**250**

(**2**) سورة البقرة ، رقم الآية/**260**

(**3**) سورة البقرة ، رقم الآية/**285**

(**4**) سورة البقرة ، رقم الآية/**286**

(**5**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **8**

(**6**) سورة آل عمران ، رقم الآية/**9**

(**7**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **16**

(**8**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **26**

(**9**) سورة آل عمران ، رقم الآية/**27**

(**10**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **35**

(رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء)[2]
(رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)[3]
(ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ[4])
(حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ[5])
(رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عذَابَ النَّارِ[6])
(رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ[7])
(رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ)[8]
(رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ)[9]

سورة النساء :

(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا[10])
(رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ[11])

سورة المائدة :

(رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)[12]
(رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ[13])

(**1**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **36**
(**2**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **38**
(**3**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **53**
(**4**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **147**
(**5**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **173**
(**6**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **191**
(**7**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **192**
(**8**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **193**
(**9**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **194**
(**10**) سورة النساء ، رقم الآية/ **75**
(**11**) سورة النساء ، رقم الآية/ **77**
(**12**) سورة المائدة ، رقم الآية/ **25**
(**13**) سورة المائدة ، رقم الآية/ **83**

(رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ [1])

(سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ [2])

(إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[3])

سورة الأنعام:

(لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [4]

سورة الأعراف:

(رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ[5])

(رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ) [6]

(الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ) [7]

(رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [8]

(فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) [9]

(ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [10]

(وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) [11]

(رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) [12]

---

(1) سورة المائدة ، رقم الآية/ **114**

(2) سورة المائدة ، رقم الآية/ **116**

(3) سورة المائدة، رقم الآية/ **118**.

(4) سورة الأنعام، رقم الآية/ **63**

(5) سورة الأعراف، رقم الآية/ **23**

(6) سورة الأعراف، رقم الآية/ **38**

(7) سورة الأعراف، رقم الآية/ **43**

(8) سورة الأعراف، رقم الآية/ **47**

(9) سورة الأعراف، رقم الآية/ **53**

(10) سورة الأعراف، رقم الآية/ **55**

(11) سورة الأعراف، رقم الآية/**56**

(12) سورة الأعراف، رقم الآية/**89**

(رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) [1]

(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ[2])

(رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ) [3]

(وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ) [4]

(وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [5]

(لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [6]

(وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ) [7]

(وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ) [8]

(وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [9]

سورة الأنفال:

(اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ).[10]

سورة التوبة :

(فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) [11]

---

(1) سورة الأعراف، رقم الآية/126

(2) سورة الأعراف، رقم الآية/151

(3) سورة الأعراف، رقم الآية/ 155

(4) سورة الأعراف، رقم الآية/156

(5) سورة الأعراف، رقم الآية/180

(6) سورة الأعراف، رقم الآية/189

(7) سورة الأعراف، رقم الآية/ 197

(8) سورة الأعراف، رقم الآية/ 198

(9) سورة الأعراف، رقم الآية/ 200

(10) سورة الأنفال، رقم الآية/ 32

(11) سورة التوبة، رقم الآية/129

سورة يونس :

(سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [1]

(لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [2]

(عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [3]

(وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [4])

(رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ [5])

سورة هود :

(رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) [6]

(رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ) [7]

(وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) [8]

سورة يوسف:

(مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) [9]

(رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ) [10]

(فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [11]

(مَعَاذَ اللّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّآ إِذًا لَّظَالِمُونَ).[1]

(**1**) سورة يونس، رقم الآية/**10**

(**2**) سورة يونس، رقم الآية/**22**

(**3**) سورة يونس، رقم الآية/ **85**

(**4**) سورة يونس، رقم الآية/**86**

(**5**) سورة يونس، رقم الآية/**88**

(**6**) سورة هود، رقم الآية/ **45**

(**7**) سورة هود، رقم الآية/ **47**

(**8**) سورة هود، رقم الآية/ **88**

(**9**) سورة يوسف، رقم الآية/ **23**

(**10**) سورة يوسف، رقم الآية/**33**

(**11**) سورة يوسف، رقم الآية/**64**

(إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ).[2]
(يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [3]
(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) [4]

سورة إبراهيم :

(رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ % رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ & رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ & رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء & الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء & رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء & رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ &) [5]

سورة الحجر:

(رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [6]

(رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ [7])

سورة النحل:

(فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) [8]

سورة الإسراء:

(رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) [9]

---

(1) سورة يوسف، رقم الآية/ 79

(2) سورة يوسف، رقم الآية/ 86

(3) سورة يوسف، رقم الآية/ 92

(4) سورة يوسف، رقم الآية/ 101

(5) سورة إبراهيم، رقم الآيات/ 35-41

(6) سورة الحجر، رقم الآية/36

(7) سورة الحجر، رقم الآية/39

(8) سورة النحل، رقم الآية/98

(9) سورة الإسراء، رقم الآية/24

(رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا [1])

(قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً) [2]

سورة الكهف:

(رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) [3]

سورة مريم :

(رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا % وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا % يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا %) [4]

(رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا) [5]

(رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) [6]

(إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا) [7]

سورة طه :

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى) [8]

(رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي % وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي % وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي % يَفْقَهُوا قَوْلِي % وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي) [9]

(رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى) [10]

(رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) [11]

(**1**) سورة الإسراء، رقم الآية/**81**

(**2**) سورة الإسراء، رقم الآية/**110**

(**3**) سورة الكهف، رقم الآية/**10**

(**4**) سورة مريم، رقم الآية/**4-6**

(**5**) سورة مريم، رقم الآية/**8**

(**6**) سورة مريم، رقم الآية/**10**

(**7**) سورة مريم، رقم الآية/**18**

(**8**) سورة طه، رقم الآية/**8**

(**9**) سورة طه، رقم الآية/**25-29**

(**10**) سورة طه، رقم الآية/**45**

(**11**) سورة طه، رقم الآية/**114**

سورة الأنبياء:

(وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [1]

(أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) [2]

(رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ % فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) % [3]

(رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)[4]

سورة المؤمنون:

(رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ) [5]

(رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ) [6]

(رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ&رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[7])

(رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ % وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ) [8]

(رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ % رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) [9]

(رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) [10]

(رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) [11]

سورة الفرقان :

(رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا % إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) [1]

---

(1) سورة الأنبياء، رقم الآية/83

(2) سورة الأنبياء، رقم الآية/ 87

(3) سورة الأنبياء، رقم الآية/89-90

(4) سورة الأنبياء، رقم الآية/112

(5) سورة المؤمنون، رقم الآية/26

(6) سورة المؤمنون، رقم الآية/29

(7) سورة المؤمنون، رقم الآية/93-94.

(8) سورة المؤمنون، رقم الآية/97-98.

(9) سورة المؤمنون، رقم الآية/106-107.

(10) سورة المؤمنون، رقم الآية/109

(11) سورة المؤمنون، رقم الآية/118

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) [2]

سورة الشعراء:

(رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ % وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ % وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ [3])

(رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ % وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ % وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ % وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ & وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ) [4]

(رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ % فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [5]

(رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ) [6]

سورة النمل:

(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) [7]

(رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [8]

(أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) [9]

سورة القصص:

---

(1) سورة الفرقان، رقم الآية/ 65-66.

(2) سورة الفرقان، رقم الآية/74.

(3) سورة الشعراء، رقم الآية/ 12-14

(4) سورة الشعراء، رقم الآية/83-87.

(5) سورة الشعراء، رقم الآية/ 117-118.

(6) سورة الفرقان، رقم الآية/ 169

(7) سورة النمل، رقم الآية/ 19

(8) سورة النمل، رقم الآية/44

(9) سورة النمل، رقم الآية/62

(رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ % قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ) (1)

(رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (2)

(رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) (3)

(وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ) (4)

سورة العنكبوت:

(رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ) (5)

سورة الأحزاب:

(رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا & رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا) (6)

سورة فاطر :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) (7)

(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) (8)

سورة الصافات:

(رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) (9)

سورة ص:

(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) (10)

سورة الزمر:

---

(1) سورة القصص، رقم الآية/16-17

(2) سورة القصص، رقم الآية/21

(3) سورة القصص، رقم الآية/24

(4) سورة القصص، رقم الآية/34

(5) سورة العنكبوت، رقم الآية/30

(6) سورة الأحزاب، رقم الآية/ 67-68.

(7) سورة فاطر، رقم الآية/34

(8) سورة فاطر ، رقم الآية/37

(9) سورة الصافات ، رقم الآية/100

(10) سورة ص ، رقم الآية/35

(اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (1)

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ %) (2)

سورة غافر:

(رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ % رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ % وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ %) (3)

(رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ) (4)

(فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (5)

(إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ) (6)

(وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (7)

(فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (8)

(رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (9)

(هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (10)

سورة الزخرف :

(سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ % وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ %) (1)

---

(1) سورة الزمر، رقم الآية/ 46

(2) سورة الزمر، رقم الآية/74

(3) سورة غافر، رقم الآية/7–9

(4) سورة غافر، رقم الآية/11

(5) سورة غافر، رقم الآية/14

(6) سورة غافر، رقم الآية/27

(7) سورة غافر، رقم الآية/44

(8) سورة غافر، رقم الآية/56

(9) سورة غافر، رقم الآية/ 60

(10) سورة غافر، رقم الآية/65

سورة فصلت:

(وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [2]

سورة الدخان:

(رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) [3]

(وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ) [4]

(فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاء قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ) [5]

سورة الأحقاف:

(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ[6])

سورة الطور:

(إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) [7]

سورة القمر:

(رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ) [8]

سورة الحشر:

(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [9]

سورة الممتحنة:

(رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ % رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ %) [10]

سورة التحريم :

(رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [11]

---

(1) سورة الزخرف، رقم الآية/13-14

(2) سورة فصلت، رقم الآية/ 36

(3) سورة الدخان، رقم الآية/12

(4) سورة الدخان، رقم الآية/20

(5) سورة الدخان، رقم الآية/ 22.

(6) سورة الأحقاف، رقم الآية/15

(7) سورة الطور، رقم الآية/ 28.

(8) سورة القمر، رقم الآية/10

(9) سورة الحشر، رقم الآية/10

(10) سورة الممتحنة، رقم الآية/4-5

(11) سورة التحريم، رقم الآية/8

(رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[1]

سورة نوح:

(رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا) [2]

(وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا) [3]

(رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا % إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا % رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا %) [4]

سورة الفلق:

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ % مِن شَرِّ مَا خَلَقَ % وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ % وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ % وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ %) [5]

سورة الناس:

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ % مَلِكِ النَّاسِ % إِلَهِ النَّاسِ % مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ % الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ % مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ %) [6]

الجدول لتوضيح الأدعية القرآنية باعتبار عدد الآيات

رقم السورة	اسم السورة ورقم الآية	العدد
1	الفاتحة : 1-7.	7
2	البقرة : 32، 67، 126، 127، 128، 250،201،186،129، 260، 285،	12

(1) سورة التحريم، رقم الآية/11

(2) سورة نوح، رقم الآية/21

(3) سورة نوح، رقم الآية/24

(4) سورة نوح، رقم الآية/26-28

(5) سورة الفلق، رقم الآية/ 1-5

(6) سورة الناس، رقم الآية/ 1-7

	286.	
3	آل عمران:8، 9، 16، 26، 27، 35، 36، 38، 53، 173، 191 ، 193، 192، 194.	14
4	النساء: 75، 77.	2
5	المائدة: 114،83،25، 116	4
6	الأنعام: 63،	1
7	الأعراف: 38،23، 43، 47، 53، 55، 180،156،155،151،126،89،56، 189، 197، 198، 200،	17
8	الأنفال: 32	1
9	التوبة: 129	1
10	يونس: 10، 85،22، 86، 88.	5
11	هود: 45، 47، 88	3
12	يوسف:23، 33، 64، 79، 92،86 ، 101.	7
14	إبراهيم: 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41.	7
15	الحجر: 36، 39	2
16	النحل: 98	1
17	الإسراء: 24، 81 ، 110	3
18	الكهف: 10.	1
19	مريم: 3، 4، 5، 6، 8، 10، 18،	7
20	طه: 8، 25، 26، 27، 29،28، 45، 114	8
21	الأنبياء: 80، 83، 87، 88، 90،89،	6

	102،	
23	المؤمنون : 26، 29، 93، 94، 97، 98،106، 107، 109، 118.	10
25	الفرقان: 65، 66، ، 74،	3
26	الشعراء: 12، 13، 14، 85،84،83، 86، 87، 117، 118، 169.	11
27	النمل: 19، 44، 62.	3
28	القصص: 16، 17، 21، 24، 34.	5
29	العنكبوت: 30	1
33	الأحزاب: 67 ، 68	2
35	فاطر: 34، 37	2
37	الصافات: 100	1
38	ص: 35	1
39	الزمر: 46، 73، 74.	3
40	غافر:7، 8، 9 ،11، 14، 27، 44، 56، 65	9
41	الزخرف: 14،13،	2
43	فصلت: 36	1
44	الدخان: 12، 20، 22،	3
46	الأحقاف: ،15	1
52	الطور: 28	1
54	القمر: 10	1
59	الحشر: 10	1
60	الممتحنة: 4، 5،	2
66	التحريم : 8، 11	2

71	نوح: 21، 24، 26، 27 ، 28	5
113	الفلق: 1، 2، 3، 4، 5.	5
114	الناس : 1- 6.	6
	المجموع	186.

الفصل الثاني

مضامين الأدعية القرآنية وصيغها

أنواع الدعاء من حيث المعنى

"يقسم العلماء الدعاء أقساما متعددة باعتبارات متباينة. فيقسمونه من حيث معناه قسمين: دعاء العبادة والثناء ودعاء الطلب والمسألة[1] ووجه هذا التقسيم أن الرغبة والتوجه إلى المدعو يكسون كما يقول شيخ الإسلام رحمه الله: ((تارة لذاتية، وتارة لمسألته أمراً منه، وهذا كالشخص يدعو غيره، ويطلبه، ويقصده، وتارة لذاته، وتارة لأمر يطلبه منه))[2] "

"والتوجه إلى المدعو بذاته هو المسمى بدعاء العبادة والثناء والذكر، والتوجه إلى المدعو لمسألته هو المسمى بدعاء المسألة والطلب.[3] "

والناظر في منهج القرآن في عرض آيات الدعاء بنوعيه: دعاء العبادة والثناء ودعاء الطلب والمسألة يلحظ مجيء الثناء تارة بين يدي الطلب كما في سورة الفاتحة، وقد يأتي في ثنايا الطلب كما في دعاء إبراهيم في سورتي البقرة وإبراهيم، وقد ينفرد أحدهما عن الآخر كما في سورة الإخلاص.

ولا يعني تقسيم الدعاء إلى عبادة وثناء وطلب ومسألة أنهما متضادان بل معناه أنه في تلك الحالة دلالته على أحد النوعين أظهر، ويدل على النوع الآخر إما بدلالة التزام أو بدلالة التضمن، فإذا أريد بالدعاء الطلب دل على العبادة والثناء بطريق التضمن؛ لأن الداعي دعاء الطلب والمسألة عابد لله تعالى بسؤاله وإذا أريد بالدعاء دل على الطلب بطريق دلالة التزام، لأن العابد لله تعالى كالذي يذكر الله مثلا هو في الحقيقة سائل وإن كان لا يأتي بلفظ السؤال كالذي يطوف على بعض

---

(1) الفتاوى ج/١٠ ، ص/ ٢٣٧-٢٣٨، بدائع الفوائد، ج/٢، ص/١٩٠.

(2) نفس المرجع .

(3) الدعاء ومنزلته من العقيدة، ج/1، ص/ 114.

الأبواب والأسواق ليدعو الناس يكون سائلا وإن حذف لفظ السؤال))[1] "(الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ & الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ & مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ & إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ & اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ & صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ &) [2]"

لسورة الفاتحة أسماء كثيرة منها : الحمد، لأن أولها بعد . بسم الله الرحمن الرحيم . لفظ " الحمد " ، ومنها الشكر ، لأنها ثناء على الله بالفضل والكرم والإحسان ، ومنها الدعاء والسؤال وتعليم المسألة، لاشتمالها على ذلك، ومنها المناجاة لأن المصلي يناجي بها الرب فيجيب على ما ورد في حديث القسمة [3].

"وغرضها (إثبات استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفات الكمال، واختصاصه بالعبادة والاستعانة والسؤال...) [4] . "

"واشتملت آياتها الكريمة على نوعي الدعاء: دعاء الثناء والعبادة ودعاء الطلب والمسألة . فشطرها الأول يعلم الخالق عباده أن يتجهوا إليه بالحمد والثناء حمداً وثناءً يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العلى التي تفرد بها χ (الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ & الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ & مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ & إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) . "

"وشطرها الآخر دعاء المسألة والطلب (اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ & صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ &) ، ومجئ الثناء بين يدي الطلب أدعى للإجابة ، وهو من مظاهر التناسب والتناسق بين المعاني."

أنواع الدعاء من حيث الصيغ

ويقسم العلماء الدعاء من حيث صيغته إلى طلبية وخبرية. والمراد بالطلبية ما يراد منها إنشاء الدعاء إيجاباً أو سلباً بصيغتي أفعل أولا تفعل. والخبرية ما كان

---

(1) المرجع السابق، ج/١، ص/١١٦، الفتاوى، ج/١٥، ص/ 10- 11، وجلاء الإفهام، ص/ ٨١.

(2) سورة الفاتحة

(3) صحيح المسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ج/1، ص/ 154.

(4) نظم الدرر ، ج/1 ، ص/ 12.

الدعاء بجملة أو عدة جمل خبرية. وهي تتنوع من حيث طرفي الدعاء: الداعي والمدعو أو السائل والمسؤول إلى ثلاثة أنواع.[1]

1. "ما كان الدعاء بجملة أو عدة جمل خبرية تصف حال الداعي وحاجته وتضرعه بين يدي الله تعالى كقول موسى υ: (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)[2]."
2. "ما كان الدعاء بجملة أو عده جمل خبرية تصف حال المدعو وتثني عليه كقوله Y (قُلْ هُوَ اللَّهُ حَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ &لَمْ يَلِدْ & وَلَمْ يُولَدْ & وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [3]"
3. "ما كان الدعاء بجملة أو عده جمل خبرية تصف حالي الداعي والمدعو كدعاء ذي النون يونس عليه السلام: (لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)[4]. ويقسمونه أقساما من حيث متعلقاته: الداعي والمدعو والمدعو به[5]."

ذكر الصيغ التي استخدمت في الأدعية القرآنية وأهميتها

صيغ الحمد

تعريف الحمد

أما معنى الحمد في اللغة، فهو نقيض الذم، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة : " الحاء والميم والدال كلمة واحدة وأصل واحد يدل على خلاف الذم، يقال: حمدت فلاناً أحمده، ورجل محمود ومحمد إذا كثرت خصالة المحمودة غير المذمومة ولهذا الذي ذكرنا هـ سمي نبينا محمداً γ " [6] .

---

(1) الفتاوى، ج/10 ، ص/ 244 ، وجلاء الإفهام، ص/٧٩ ، وتفسير ابن كثير، ج/1، ص/ 21-27، والدعاء ومنزلته في العقيدة، ج/1، ص/ 146 وما بعدها.

(2) سورة القصص، رقم الآية/ ٢٤.

(3) سورة الإخلاص، رقم الآيات/ ١- ٤.

(4) سورة الأنبياء، رقم الآية/٨٧.

(5) الدعاء ومنزلته في العقيدة ، ج/1، ص/ 151 وما بعدها.

(6) معجم مقاييس اللغة، ج/2، ص/ 100.

"وقال الليث : أحمدت الرجل وجدته محموداً، وكذلك قال غيره يقال أتينا فلاناً فأحمدناه وأذممناه أي وجدناه محموداً. [1] . "

فالحمد هو الثناء بالفضيلة وهو أخص من المدح وأعم من الشكر، فإن المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره ومما يكون منه بالتسخير، فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه، كما يمدح ببذل ماله وشجاعته وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأول.

"والشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة، فكل شكر حمد، وليس كل حمدٍ شكراً، وكل حمد مدح، وليس كلُّ مدح حمداً. [2]"

قال ابن القيم رحمه الله : " الفرق بين الحمد والمدح أن يقال: الإخبار عن محاسن الغير إما أن يكون إخباراً مجرداً من حب وإرادة أو مقروناً بحبه وإرادته، فإن كان الأول فهو المدح، وإن كان الثاني فهو الحمد، فالحمد إخبارٌ عن محاسن الممدوح مع حبه وإجلاله و تعظيمه". [3]

فضل الحمد من القرآن الكريم

إن كلمة الحمد ، فإن له شأناً عظيماً وفضلاً كبيراً، وثوابه عند الله عظيم، ومنزلته عنده عالية.

"فقد افتتح سبحانه كتابه القرآن الكريم بالحمد فقال : (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ % الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ % مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [4] ، وافتتح بعض السور فيه الحمد أي الأنعام والكهف والسبأ والفاطر. "

"وافتتح خلقه بالحمد فقال تعالى : (الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ) [5] ، واختتمه بالحمد فقال بعد ما ذكر مآل أهل الجنة وأهل النار: فقال تعالى :(وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم

---

(1) تهذيب اللغة للأزهري، ج4 ، ص/ 434.

(2) بصائر ذوي التمييز، لفيروز آبادي، ج/2، ص/ 499.

(3) بدائع الفوائد، ج/2، ص/ 93.

(4) سورة الفاتحة، رقم الآية/ 1-3.

(5) سورة الأنعام، رقم الآية/ 1.

بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [1] ، وقال تعالى : (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [2] . "

"وقد ورد الحمد في القرآن الكريم في أكثر من أربعين موضعاً، جمع في بعضها أسباب الحمد، وفي بعضها ذكر أسبابه مفصلةً، فمن الآيات التي جمع فيها أسباب الحمد قوله β : (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ، وقوله β : (لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ) [3] . وقوله β : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) [4]"

"ومن الآيات التي ذكر فيها أسباب الحمد مفصلة قوله β :(وَقَالُواْ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ) [5]"، ففيها حمده على نعمة دخول الجنة، وقوله β : " (فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [6]" ، ففيها حمده على النصر على الأعداء والسلامة من شرهم، وقوله β : "(فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[7])،" ففيها حمده على نعمة التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، وقوله β : "(الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء) "[8] ، ففيها حمده سبحانه على هبة الولد. وقوله β : " (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا) "[9] ، ففيها حمده سبحانه على نعمة إنزال القرآن الكريم قيماً لا عوجَ فيه، وقوله β : "(وَقُلِ الْحَمْدُ

---

(1) سورة الأنعام، رقم الآية/ 75.

(2) سورة يونس، رقم الآية/ 10.

(3) سورة القصص، رقم الآية/ 70.

(4) سورة سبأ، رقم الآية/ 1.

(5) سورة الجاثية، رقم الآية/ 36.

(6) سورة المؤمنون، رقم الآية/ 28.

(7) سورة غافر، رقم الآية/ 65.

(8) سورة إبراهيم، رقم الآية/ 39.

(9) سورة الكهف، رقم الآية/ 1.

لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا) [(1)] ،" ففيها حمده سبحانه لكماله وجلاله، ونزهه عن النقائض والعيوب، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، فالله تبارك وتعالى هو الحميد المجيد.

فضل الحمد في الحديث النبوي γ

"إن الأحاديث النبوية مليئة بذكر الأدلة على فضل الحمد وعظم شأنه، وما يترتب عليه من الفوائد والثمار والفضائل في الدنيا والآخرة، ونبينا γ هو صاحب لواء الحمد، وهذه مفخرةٌ عظيمةٌ ومكانةٌ رفيعةٌ حظي بها صلوات الله وسلامه عليه، روي الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري η قال : قال رسول الله γ : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواءُ الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول شافع، وأول مشفع ولا فخر"[(2)] . فلما كان صلوات الله وسلامه عليه حمد الخلائق لله، وأكملهم قياماً بحمده أعطي لواء الحمد، ليأوي إلى لوائه الحامدون لله من الأولين والآخرين، وفي الجنة بيت يقال له بيت الحمد، خص للذين يحمدون الله في السراء والضراء ويصبرون على القضاء، فعن أبي موسى الأشعري η قال : قال رسول الله γ : " إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون : نعم . فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون: نعم فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون : حمدك واسترجع. فيقول الله β : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمّوه بيت الحمد" [(3)] . فهذا حمد الله على الضراء فنال بحمده هذه الرتبة العلية، ولكن كيف يبلغ العبد هذه المنزلة، وكيف يصل إلى هذه الدرجة. "

قال الشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " والحمد على الضراء يوجبه مشهدان:

"أحدهما : علم العبد بأن الله سبحانه مستوجب ذلك، مستحق له بنفسه، فإنه أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء وهو العليم الحكيم، الخبير الرحيم. "

---

(1) سورة الإسراء، رقم الآية/ **111**.

(2) سنن الترمذي، رقم الحديث/ **3615**.

(3) سنن الترمذي، رقم الحديث/ **1021**

"والثاني : علمه بأن اختيار الله لعبده المؤمن خيرٌ من اختياره لنفسه، كما روي مسلمٌ في صحيحه وغيره عن النبي γ أنه قال : " والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له" (1) ، فأخبر النبي γ أن كل قضاء يقضيه الله للمؤمن الذي يصبر على البلاء ويشكر على السراء فهو خير له" (2) . "

فإذا علم ذلك العبد وتيقّنه أقبل على حمد الله في أحواله كله في سرائه وضرائه، وفي شدّته ورخائه، ثم هو في حال شدّته لا ينسى فضل الله عليه وعطاءه ونعمته.

"عن جابر بن عبدالله η قال : سمعت رسول الله γ يقول : " أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله" (3) ، فجعل صلوات الله وسلامه عليه حمد الله أفضل الدعاء. "

فهذا مخلوق اكتفى من مخلوق بالثناء عليه، فكيف بالخالق سبحانه" .

"ويؤيد هذا المعنى قول الله β : (آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (4) ، فجعل الحمد دعاء. "

قال ابن القيم رحمه الله : " الدعاء يراد به دعاء المسألة ودعاء العبادة، والمثني على ربه بحمده وآلائه داع له بالاعتبارين ، فإنه طالب منه، طالب له، فهو الداعي حقيقة، كما قال الله β في القرآن المجيد : (هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (5) ، (6) . "

---

(1) صحيح مسلم، رقم الحديث/ **2999**

(2) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج/**10**، ص/ **43-44**.

(3) سنن الترمذي، رقم الحديث/ **3383**.

(4) سورة يونس، رقم الآية/ **10**.

(5) سورة غافر ، رقم الآية/ **65**.

(6) صيغ الحمد المطبوع باسم مطالع السعد لابن القيم، ص/ **90**.

"عن أبي مالك الأشعري η قال: قال رسول الله γ : " الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، سبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها"(1) . "

المواطن التي يتأكد فيها الحمد

الحمد مطلوب من المسلم في كل وقت وحين، إذ إن العبد في كل أوقاته متقلبٌ في نعمة الله، وهو سبحانه خالق الخلق ورازقهم، وأسبغ عليهم نعمة ظاهرة وباطنة، دينية ودنيوية، ودفع عنهم النقم والمكاره، فليس بالعباد من نعمة إلا وهو موليها، ولا يدفع الشر عنهم سواه، فهو سبحانه يستحق الحمد لكمال صفاته، وله من الأسماء الحسنى والنعوت العظيمة التي لا تنبغي إلا له، فكل اسم من أسمائه، وكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العظيمة.

إن الحمد مطلوبٌ من المسلم في كل وقتٍ، إلا أنَّ هناك أوقاتاً وأحوالاً مخصوصةً تمر بالعبد يكون فيها الحمدُ أكثر تأكيداً.

ومن هذه الأوقات والأحوال حمدُ الله في الخطبة وفي استفتاح الأمور، وفي الصلاة ، وعقب الطعام والشراب واللباس، وعند الخطب والدروس، وفي ابتداء الكتب المصنفة، وعند حصول نعمة أو اندفاع مكروه.

شواهد الحمد في الأدعية القرآنية

(" الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ % الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ % مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ % إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ % اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ % صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ % (2))

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (3))

---

(1) صحيح مسلم، رقم الحديث/ 223.

(2) سورة الفاتحة ، رقم الآيات / 1-7

(3) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 26

(تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ [1])

(الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ) [2]

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) [3]

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ %) [4]"

صيغ التسبيح

التسبيح

التسبيح هو التنزيه، فأصل هذه الكلمة من السبح وهو البعد، قال الأزهري في تهذيب اللغة، " ومعنى تنزيه الله من السوء تبعيده منه، وكذلك تسبيحه تبعيده، من قولك: سبحت في الأرض إذا أبعدت فيها، ومنه قوله β : (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [5]، وكذلك قوله β :(وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا[6]).[7]

أقوال العلماء حول التسبيح

أورد الطبراني أقوال العلماء في كتابه الدعاء في باب تفسير سبحان الله : قال ابن عباس κ : " سبحان الله تنزيه الله عزوجل عن كل سوء " .

وعن عبدالله بن بريدة أن رجلاً سأل علياً η عن سبحان الله فقال : " تعظيم جلال الله " ، قال مجاهد : " التسبيح الكفاف الله من كل سوء " .

قال ابن الأثير : " أي تنزيهه وتقديسه" .

وعن ميمون بن مهران قال : " سبحان الله اسم يعظم الله به، ويحاشى به من السوء" .

---

(1) سورة آل عمران ، رقم الآية/27

(2) سورة الأعراف، رقم الآية/ 43

(3) سورة فاطر، رقم الآية/34

(4) سورة الزمر، رقم الآية/74

(5) سورة يس، رقم الآية/ 40.

(6) سورة النازعات، رقم الآية/ 3.

(7) تهذيب الآثار للأزهري، ج/4، ص/ 338.

وعن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال : " سبحان الله : تنزيه الله وتبرئته ".

وعن محمد بن عائشة قال : " تقول العرب إذا أنكرت الشيء وأعظمته سبحان الله، فكأنه تنزيه الله β عن كل سوء ، لا ينبغي أن يوصف بغير صفته،" [1] .

ونقل الأزهري في كتابه تهذيب اللغة عن غير واحد من أئمة اللغة تفسير التسبيح بالمعنى السابق وقال: " وجماع معناه بعده تبارك وتعالى عن أن يكون له مثل أو شريك أو ضد أوند" [2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " والأمر بتسبيحه يقتضي تنزيهه عن كل عيب وسوء، وإثبات المحامد التي يحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده"[3] .

"إن التسبيح طاعة عظيمة وعبادة جليلة ، والله تبارك وتعالى يحب المسبحين، والواجب على عبد الله المؤمن أن يكون في تسبيحه لربه على هدى مستقيم، فيسبح الله وينزهه عن كل ما لا يليق به من النقائض والعيوب ويثبت له مع ذلك نعوت جلاله وصفات كماله[4] . "

فضل التسبيح من القرآن

"وكلمة سبحان الله ، التي هي إحدى هذه الكلمات الأربع لها شأن عظيم، فهي من أجل الأذكار المقربة إلى الله ، ومن أفضل العبادات الموصلة إليه ، وقد جاء في بيان فضلها وشرفها وعظم قدرها نصوص كثيرة في الكتاب . "

"وقد ورد ذكر التسبيح في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرة، بصيغ مختلفة وأساليب متنوعة، فورد تارة بلفظ الأمر كما في قوله β : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

(1) الدعاء للطبراني ، ج/5، ص/ 1591

(2) تهذيب اللغة، ج/4، ص/ 339.

(3) دقائق التفسير، ج/5، ص/ 59.

(4) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج/5، ص/ 26.

اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا % وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [1] وتارة بلفظ الماضي كما في قوله β : (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [2] ، وتارة بلفظ المضارع كما في قوله β : (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) [3] ، وتارة بلفظ المصدر كما في قوله β : (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ % وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ % وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [4]"

وقد ذكر الله χ التسبيح في مفتتح ثمان سور من القرآن الكريم، أي في أول سورة الإسراء والنحل والحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

قال بعض أهل العلم: "والتسبيح ورد في القرآن على نحو من ثلاثين وجهاً، ستة منها للملائكة ، وتسعة لنبينا محمد γ ، وأربعة من الأنبياء ، وثلاثة للحيوانات والجمادات، وثلاثة للمؤمنين خاصة، وستة لجميع الموجودات.[5] ".

وقد ذكر الله تعالى لفظة" سبحان" في القرآن في خمسة وعشرين موضعاً، في ضمن كل واحد منها إثبات صفة من صفات المدح، أو نفي صفة من صفات الذم [6] ، ومنها قوله تعالى : "(سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ) [7]"، وقوله β : (" سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ % وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ % وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ") [8] ، وقوله β : (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [9] وقوله β : (" فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ % وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ

---

(1) سورة الأحزاب، رقم الآية/ 41-42.

(2) سورة الحشر، رقم لآية/ 1.

(3) سورة الجمعة، رقم الآية/ 1.

(4) سورة الصافات، رقم الآية/ 180-182.

(5) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي، ج/3، ص/ 285.

(6) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي، ج/3، ص/ 176.

(7) سورة البقرة، رقم الآية/ 116.

(8) سورة الصافات، رقم الآية/ 180-182.

(9) سورة الطور، رقم الآية/ 43.

تُظْهِرُونَ) [1]"، وقوله β : "(سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) [2]"، وقوله β : "(دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [3]"

فضل التسبيح في السنة

إن السنة مليئة بالنصوص الدالة على عظيم شأن التسبيح، وشريف قدره، وجزيل ثواب أهله، وبيان ما أعد الله لهم من أجور كريمة، وأفضال عظيمة، وعطايا جمة، وعن أبي ذر أن رسول الله γ سئل: أي الكلام أفضل؟ قال: " ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده" [4] .

وفي لفظ آخر للحديث أن أبا ذر قال : قال رسول الله γ : " ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟ قلت: يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله ، قال : إن أحب الكلام إلي : "سبحان الله وبحمده" [5] ، فدل هذا الحديث على عظيم مكانة هذه الكلمة عند الله β.

"ومن فضائل التسبيح ما أخبر به النبي γ أن من قال : سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت عنه ذنوبه ولو كثرت، ففي الصحيح من حديث أبي هريرة η أن النبي γ قال : " من قال : سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر " . [6] .

"ومما ورد في فضل التسبيح إخبار النبي γ عن ثقل التسبيح في الميزان يوم القيامة مع خفة ويسر العمل به في الدنيا. ففي الصحيحين عن أبي هريرة η قال: قال رسول الله γ : " كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" [7] . "

---

(1) سورة الروم، رقم الآية/ 17-18.

(2) سورة الزخرف، رقم الآية/ 82.

(3) سورة يونس، رقم الآية/ 10.

(4) صحيح مسلم، رقم الحديث/ 2731

(5) صحيح مسلم، رقم الحديث/ 2731

(6) صحيح مسلم، رقم الحديث/ 2691

(7) صحيح البخاري، رقم الحديث/ 6406.

كلمة " سبحان الله " فهي إحدى الكلمات الأربع التي وصفها رسول الله γ بأنها خير الكلام وأحبه إلى الله، وذلك في قوله γ : " أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر" [1].

وقد خص لفظ الرحمن بالذكر هنا، لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالى على عباده حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل، والأجر العظيم، فما أيسر النطق بهاتين الكلمتين على اللسان، وما أعظم أجر ذلك وثوابه عند الكريم الرحمن، وقد وصفت الكلمتان في الحديث بالخفة والثقل، الخفة على اللسان والثقل في الميزان، لبيان قلة العمل وكثرة الثواب. [2] .

فهذه جملة من الأحاديث الواردة في التسبيح والدالة على عظيم فضله وثوابه عند الله، وفي أكثر هذه الأحاديث قرن مع التسبيح حمد الله تعالى ، وذلك لأن التسبيح هو تنزيه الله عن النقائص والعيوب، والتحميد به إثبات المحامد كلها للهβ ، والإثبات أكمل من السلب، وذلك في قوله β : " (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ % وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ % وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [3]"، وفي هذه الآية أيضاً حمد الله نفسه بعد أن نزهها، وذلك لأن الحمد فيه إثبات كمال الصفات، والتسبيح فيه تنزيه الله عن النقائض والعيوب، فجمع في الآية بين تنزيه عن العيوب بالتسبيح وإثبات الكمال بالحمد، وهذا المعنى يرد في القرآن والسنة كثيراً.

شواهد التسبيح في الأدعية القرآنية

(" سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[4]"

(" رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ[5])"

(" سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ[6])"

---

(1) صحيح مسلم، رقم الحديث/ **1237**.

(2) فقه الأدعية والأذكار لعبد الرازق بن عبد المحسن البدر، ج/**1**، ص/ **210**.

(3) سورة الصافات، رقم الآية/ **180-182**.

(4) سورة البقرة ، رقم الآية/**32**

(5) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **191**

(6) سورة المائدة ، رقم الآية/ **116**

(" سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [1]"

(" سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ % وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ %) [2]"

صيغ السؤال

يقال : سأل يسأل سؤالاً ومسألة، ومساءلة والجمع مسائل إذا طلب، ويقال أيضاً ، سألت، وسلت أسل، والرجلان يتساءلان، ويتسايلان.

"قرئ بالهمز وغير الهمز أسألته سُولَته مَسألته أي قضيت حاجته، والسولة كالسُّول، عن ابن جني وأصل السُّول الهمز عند العرب استقلوا ضغطة الهمزة فيه فتكلموا به على تخفيف الهمزة ... وسألته عن الشيء سؤالاً ومسألة، قال ابن بري سألته الشيء بمعنى استعطيته إياه قال الله Y (وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ) [3]"سألته عن الشيء استخبرته قال ومن لم يهمز جعله مثل خاف يقول سِلته أسله فهو مسول مثل خفته أحافه فهو مخوف قال أصله الواو بدليل قولهم في هذه اللغة هما يتساولان وفي الحديث أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن أمر لم يحرم فحرم على الناس من أجل مسألته. [4]"

والسول: ما يساله الإنسان، وهو طلبته وأمنيته التي يسألها من إطلاق الفعل على المفعول كالخبز على المخبوز والأكل على المأكول. قال تعالى : " (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) "[5] أي أمنيتك التي سألتها وطلبتك التي طلبتها. [6]

"ومن استعمال السؤال بمعنى الدعاء : قوله Y : (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) [7] بمعنى دعا داع كما قاله مجاهد [8] وقوله Y : (كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا

---

(1) سورة يونس، رقم الآية/10

(2) سورة الزخرف، رقم الآية/13-14

(3) سورة محمد، رقم الآية/ 36.

(4) لسان العرب لابن منظور، ج/3، ص/ 160.

(5) سورة طه، رقم الآية/ 36.

(6) تهذيب الآثار للأزهري ، ج/13، ص/ 67

(7) سورة المعارج، رقم الآية/ 1

(8) تهذيب الآثار للأزهري ، ج/13، ص/ 67

مَسْؤُولًا) [1] أي كان وعداً مسؤولاً إنجازه تسأله الملائكة قوله (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم) [2] أو أن المؤمنين سألوا ربهم ذلك في الدنيا حين قالوا : (رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ) [3] [4]"

"ومن ذلك أيضاً قوله β : (وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ) [5] وقوله β : (وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) [6] ، وقوله β : (يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) [7] . "

أهمية السؤال من الله تعالى

يظهر من السؤال افتقار العبد إلى الله وحاجته إلى دعائه . إن من فضائل الدعاء ودلائل عظم شأنه أن الله تبارك وتعالى يحب من عباده من يمد إليه يد السؤال مع كمال غناه عنهم، ووعد السائلين له من عباده بالإجابة، وذلك في قوله سبحانهβ : ("وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) "[8] ، وهذا من لطف الله بعباده وعظيم إكرامه لهم وإحسانه بهم، فهو سبحانه لا يخيب عبداً دعاه وسأله ، ولا يرد مؤمناً ناجاه، يقول الله تعالى كما في الحديث القدسي: " يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم " وقال فيه : " يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا على صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر"[9].

---

(1) سورة الفرقان، رقم الآية/ **16**.

(2) سورة غافر، رقم الآية/ **8**.

(3) سورة آل عمران، رقم الآية/ **194**.

(4) تهذيب الآثار للأزهري ، ج/**13**، ص/ **67**

(5) سورة النساء، رقم الآية/ **32**.

(6) سورة إبراهيم ، رقم الآية/ **34**.

(7) سورة الرحمن، رقم الآية/ **29**.

(8) سورة غافر، رقم الآية/ **60**.

(9) صحيح مسلم، رقم الحديث / **2577**.

وفي الحديث دلالة على أن الله يحب أن يسأله العباد جميع مصالح دينهم ودنياهم من الطعام والشراب والكسوة وغير ذلك، كما يسألونه الهداية والمغفرة والتوفيق والإعانة على الطاعة ونحو ذلك، ووعدهم سبحانه على ذلك كله بالإجابة.

"وفيه أيضاً دلالة على كمال قدرة الله سبحانه وكمال ملكه ، وأن ملكه وخزائنه لا تنفد ولا تنقص بالعطاء، ولو أعطى الأولين والآخرين من الجن والإنس جميع ما سألوه في مقام واحد، وفي ذلك حث على الإكثار من سؤاله وإنزال جميع الحوائج به، وفي الصحيحين عن أبي هريرة η عن النبي γ قال: " يد الله ملأي لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أفرأيتم ما أنفق ربكم منذ خلق السماوات والأرض ، فإنه لم يغض ما في يمينه" [1]"

"وتأمل قوله χ في الحديث : " لم ينقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر" فإن فيه تحقيقاً بأن ما عندالله لا ينقص ألبتة، كما قال β: (مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ) [2] ، فإن البحر إذا غمس فيه إبرة ثم أخرجت لم تنقص من البحر بذلك شيئاً، وكذلك لو فرض أن عصفوراً شرب منه فإنه لا ينقص البحر ألبتة، وهو سبحانه إذا أراد شيئاً من عطاء أو عذاب أو غير ذلك قال له: كن فيكون ، كما قال χ : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [3] ، وقال χ : (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) [4] ، فكيف يتصور هذا شأنه أن ينقص ما عنده أو ينفد. "

"عن أبي هريرة η أن النبي γ قال : " يد الله ملأي لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أفرأيتم ما أنفق ربكم منذ خلق السماوات والأرض ، فإنه لم يغض ما في يمينه" [5]"

---

(1) صحيح البخاري،رقم الحديث/ **4684**.

(2) سورة النحل، رقم الآية/ **96**.

(3) سورة يس، رقم الآية/ **82**.

(4) سورة النحل، رقم الآية/ **40**.

(5) صحيح البخاري،رقم الحديث/ **4684**.

"إن العبد محتاج إلى الله في كل شؤونه، ومفتقر إليه في جميع حاجاته، لا يستغني عن ربه ومولاه طرفة عين ولا أقل من ذلك، وأما الرب سبحانه فإنه غني حميد، لا حاجة له بطاعات العباد ودعواتهم، ولا يعود نفعها إليه، وإنما هم الذين ينتفعون بها، ولا يتضرر بمعاصيهم وإنما هم الذين يتضررون بها ولهذا قال χ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ % إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ % وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) [1] . "

النسبة بين الدعاء والسؤال

فالنسبة بينهما العموم والخصوص المطلق لأن الدعاء يعم ما كان لجلب المسار ودفع المضار، والسؤال خاص بجلب المسار، قال الشيخ الإسلام رحمه الله في شرح حديث النزول: " من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفرله" [2] " فذكر أولاً لفظ الدعاء، ثم ذكر السؤال، والاستغفار ، والمستغفر سائل، كما أن السائل داع، لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير، وذكرهما جميعاً بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما ، فهو من باب عطف الخاص على العام " [3] .

ومثله قول الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: " والفرق بين الثلاثة: أن المطلوب إما لدفع المضار أو جلب المسار، وذلك إما ديني وإما دنيوي، ففي الاستغفار إشارة إلى الأول، وفي السؤال إشارة إلى الثاني، وفي إشارة إلى الثالث" [4]

ولكن القاضي عياضاً حكي أن بعض المشايخ فرق بين الدعاء والسؤال بقوله: " الداعي : المضطر ، والسائل المختار، قال الله تعالى : (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ) [5] ، فللسائل المثوبة وللداعي الإجابة". [6]

---

(1) سورة فاطر، رقم الآية/ 15-17.

(2) صحيح البخاري، رقم الحديث/ 1145.

(3) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج/10، ص/ 239.

(4) فتح الباري لابن حجر ، ج/3، ص/ 31.

(5) سورة النمل، رقم الآية/ 62.

(6) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لعياض، ج/1، ص/ 260.

"ويدل على ضعف هذا الفرق ما ورد في الحديث من استعمال الدعاء في الاختيار وهو قوله γ : " من أراد أن يستجيب الله له في الشدة فليكثر الدعاء في الرخاء" (1) ، وذكر الكرماني شارح البخاري فرقاً أخر فقال: ويحتمل أن يقال: الدعاء ما لا طلب فيه نحو يا الله، والسؤال الطلب ، أو أن يقال: الدعاء ما لا طلب فيه نحو يا الله، والسؤال الطلب، أو أن يقال: المقصود واحد وإن اختلف اللفظان(2) ولا يخفى ضعف الاحتمال الأول مما سبق نقله عن علماء اللغة من إطلاق الدعاء على الطلب فتحصل مما سبق أن الراجح أن يقال في النسبة بينهما أن الدعاء أعم مطلقاً فكل سؤال دعاء، وليس كل دعاء سؤالاً. (3)"

"عندما نتتبع الأدعية القرآنية فنجد نوعاً آخر من دعاء المسألة لم يستعمل فيه لفظ " أسألك" ولكن السؤال عن المطلوب موجود في تلك الصيغ ، نقدم بعض نماذج منها. "

شواهد السؤال في الأدعية القرآنية

"(رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (4)"

"(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (5)"

"(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (6)"

"(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) (7)"

---

(1) سنن الترمذي، رقم الحديث/ **2282**.

(2) فتح الباري لابن حجر ، ج/3، ص/ **13**.

(3) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ، لخضر بن جيلان العروسي، ص/ **98**.

(4) سورة البقرة، رقم الآية/ **126**

(5) سورة البقرة، رقم الآية/ **127**

(6) سورة البقرة، رقم الآية/ **128**

(7) سورة البقرة، رقم الآية/ **129**

"(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [1]"

"(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)"[2]

" (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [3]"

"(سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) [4]"

"(رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [5]"

" (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) [6]"

"(رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ[7])"

"(رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [8]"

"(رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء) [9]"

(**1**) سورة البقرة، رقم الآية/**186**

(**2**) سورة البقرة، رقم الآية/ **201**

(**3**) سورة البقرة، رقم الآية/**250**

(**4**) سورة البقرة، رقم الآية/**285**

(**5**) سورة البقرة، رقم الآية/**286**

(**6**) سورة آل عمران، رقم الآية/**8**

(**7**) سورة آل عمران، رقم الآية/**9**

(**8**) سورة آل عمران، رقم الآية/ **35**

(**9**) سورة آل عمران، رقم الآية/ **38**

"(رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ) [1]"

"(رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) [2]"

"(رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ [3])"

"(رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) [4]"

"(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا) [5]"

"(رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً) [6]"

"(رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) [7]"

"(رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) [8]"

"(رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [9]"

"(رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [1]"

---

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/ 41

(2) سورة آل عمران، رقم الآية/ 53

(3) سورة آل عمران، رقم الآية/ 192

(4) سورة آل عمران، رقم الآية/ 194

(5) سورة النساء، رقم الآية/75

(6) سورة النساء، رقم الآية/ 77

(7) سورة المائدة، رقم الآية/ 25

(8) سورة المائدة، رقم الآية/ 83

(9) سورة المائدة، رقم الآية/114

"(رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) [2]"

"(رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) [3]"

"(عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [4]"

"(وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [5])"

"(رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ [6]) "

"(رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ[7])"

"(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) [8]"

"(رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ % رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ & رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ & رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء [9]&)"

"(ربِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء [10])"

"(رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) [11]"

---

(1) سورة الأعراف، رقم الآية/ 47

(2) سورة الأعراف، رقم الآية/89

(3) سورة الأعراف، رقم الآية/126

(4) سورة يونس، رقم الآية/ 85

(5) سورة يونس، رقم الآية/86

(6) سورة يونس، رقم الآية/88

(7) سورة هود، رقم الآية/ 45

(8) سورة يوسف، رقم الآية/ 101

(9) سورة إبراهيم، رقم الآية/ 35–38

(10) سورة إبراهيم، رقم الآية/ 40

(11) سورة الإسراء، رقم الآية/24

"(رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا [1])"

(" رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) [2]"

"(رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي % وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي % وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي % يَفْقَهُوا قَوْلِي % وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي) [3]"

"(رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) [4]"

"(رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ) [5]"

"(رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ) [6]"

"(رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ & رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[7])"

"(رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ % رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) [8]"

"(رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) [9]"

"(رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا % إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) [10]"

"(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) [11]"

"(رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ % وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ % وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ [12]) "

"(رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ % وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ % وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ %) [1]"

---

(1) سورة الإسراء، رقم الآية/81

(2) سورة الكهف، رقم الآية/10

(3) سورة طه، رقم الآية/25-29

(4) سورة طه، رقم الآية/114

(5) سورة المؤمنون، رقم الآية/26

(6) سورة المؤمنون، رقم الآية/29

(7) سورة المؤمنون، رقم الآية/93-94.

(8) سورة المؤمنون، رقم الآية/106-107.

(9) سورة المؤمنون، رقم الآية/109

(10) سورة الفرقان، رقم الآية/ 65-66.

(11) سورة الفرقان، رقم الآية/74.

(12) سورة الشعراء، رقم الآية/ 12-14

"(رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ % فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [2]"

"(رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ) [3]"

"(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) [4]"

"(رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [5]"

"(رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) [6]"

"(وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ) [7]"

"(رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ) [8]"

"(رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) [9]"

"(رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا & رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا) [10]"

"(رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ % وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ %) [11]"

"(رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) [12]"

---

(1) سورة الشعراء، رقم الآية/83-85.

(2) سورة الشعراء، رقم الآية/ 117-118.

(3) سورة الفرقان، رقم الآية/ 169

(4) سورة النمل، رقم الآية/ 19

(5) سورة القصص، رقم الآية/21

(6) سورة القصص، رقم الآية/24

(7) سورة القصص، رقم الآية/34

(8) سورة العنكبوت، رقم الآية/30

(9) سورة الصافات ، رقم الآية/100

(10) سورة الأحزاب، رقم الآية/ 67-68.

(11) سورة غافر، رقم الآية/7-9

(12) سورة الدخان، رقم الآية/12

(" رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ[1])"

"(رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ) [2]"

"(رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[3] "

"(رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا) [4]"

"(وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا) [5]"

"(رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا % إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا %) [6]"

صيغ الاستغفار

الاستغفار

مصدر استغفر يقال: استغفر الله لذنبه ومن ذنبه بمعنى، فغفر له ذنبه غفراً وغفراناً ومغفرة، وأصل الغفر التغطية والستر، وكل شيء سترته فقد غفرته، ومنه قيل للذي يكون تحت بيضة الحديد على الرأس، مغفر ، ومنه غفر الله ذنوبه ، أي سترها ، والغفر ، والمغفرة، التغطية على الذنوب والعفو عنها. [7]

أهمية الاستغفار

إن للاستغفار مكانة في الدين عظيمة، وللمستغفرين عند الله أجوراً كريمة، وثمار الاستغفار ونتائجه الحميدة في الدنيا والآخرة لا يحصيها إلا الله، ولهذا كثرت

---

(1) سورة الأحقاف، رقم الآية/15

(2) سورة القمر، رقم الآية/10

(3) سورة التحريم، رقم الآية/11

(4) سورة نوح، رقم الآية/21

(5) سورة نوح، رقم الآية/24

(6) سورة نوح، رقم الآية/26-27

(7) الصحاح للجوهري، ج/2، ص/ 770-772 ، لسان العرب لابن منظور، ج/6، ص/ 273-274.

النصوص القرآنية والأحاديث النبوية المرشدة إلى الاستغفار، والحاثة عليه، والمبينة لفضله وعظيم آجره.

أهمية الاستغفار في القرآن

"من كان يريد راحة البال، وانشراح الصدر وسكينة النفس وطمأنينة القلب والمتاع الحسن، فعليه بالاستغفار، (اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا) [1] . "

"من كان يريد قوة الجسم وصحة البدن والسلامة من العاهات والآفات والأمراض والأوصاب، فعليه بالاستغفار: قوله β : (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ) [2] . "

"من كان يريد دفع الكوارث والسلامة من الحوادث والأمن من الفتن والمحن ، فعليه بالاستغفار: قوله β : (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [3] . "

"الاستغفار سبب الغيث المدرار والذرية الطيبة والولد الصالح والمال الحلال والرزق الواسع:قوله β : (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا % يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا % وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا) [4] . "

"الاستغفار سبب تكفير السيئات وزيادة الحسنات ورفع الدرجات: قوله β : (وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) [5]"

أهمية الاستغفار في الأحاديث النبوية

---

(1) سورة هود، رقم الآية / 3.

(2) سورة هود، رقم الآية/ 52.

(3) سورة الأنفال، رقم الآية/ 33.

(4) سورة نوح، رقم الآية/ 10-12.

(5) سورة البقرة، رقم الآية/ 58.

الاستغفار هو الدواء الناجح والعلاج من الذنوب والخطايا، لذلك أمر النبي γ بالاستغفار دائماً وأبداً بقوله : " يا أيها الناس استغفروا الله وتوبوا إليه فإني أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة". (1)

وفي الحديث الصحيح: " من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب" (2)

عن أبي هريرية η عن النبيγ فيما يحكي عن ربه β : قال : " أذنب عبد ذنباً ، فقال : " اللهم اغفرلي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى : " أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك" .(3)

قال رسول الله γ " طوبى لمن وجد في صحيفته استغفار كثيراً" (4)

"وقد جمع النبي γ بين التوحيد والاستغفار في حديث أنس بن مالك η يقول γ : " قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة" (5)"

ومن صيغ الاستغفار التي وردت عنه γ ما رواه البخاري عن عائشة ι : أنها سمعت رسول الله γ وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مسند إليها ظهره يقول: اللهم اغفرلي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى" (6) .

"وفي هذا إشارة إلى ملازمته γ للاستغفار في كل أوقاته وجميع أحيانه إلى آخر لحظات حياته الكريمة صلوات الله وسلامه عليه، وكما أنه γ كان يختم أعماله

---

(1) صحيح مسلم، رقم الحديث/ **2076**.

(2) سنن أبي داؤد، رقم الحديث/ **1519**.

(3) صحيح البخاري، رقم الحديث/ **7507**.

(4) سنن ابن ماجة، رقم الحديث/ **3818**.

(5) سنن الترمذي، رقم الحديث/ **3540**.

(6) صحيح البخاري، رقم الحديث/ **4440**.

الصالحة ، كالصلاة والحج وقيام الليل وسائر مجالسه بالاستغفار فقد ختم حياته كلها به، رزقنا الله حسن الاقتداء به والاتباع لنهجه. "

"ولهذا فإن الواجب على الإنسان أن يبادر إلى التوبة قبل فوات أوانها، وقبل أن يحال بينه وبينها، ولا يجوز له تأخيرها في أي حال من الأحوال ، بل إن تأخيرها يعد معصية ينبغي أن يتاب منها. "

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : " إن المبادرة إلى التوبة من الذنب فرض على الفور، ولا يجوز تأخيرها، فمتى أخرها عصى الله بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرى، وهي توبته من تأخير التوبة، وقل ان تخطر هذه ببال التائب ، بل عنده أنه إذا تاب من الذنب لم يبق عليه شيء آخر، وقد بقي عليه التوبة من تأخير التوبة، ولا ينجي من هذا إلا توبة عامة، مما يعلم من ذنوبه ومما لا يعلم، فإن ما لا يعلمه العبد من ذنوبه أكثر مما يعلمه، ولا ينفعه في عدم المؤاخذة بها جهله إذا كان متمكناً من العلم، فإنه عاص بترك العلم والعمل، فالمعصية في حقه اشد، للبخاري أن النبي γ قال : " الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل، فقال أبوبكر : فكيف الخلاص منه يا رسول الله γ ؟ قال : أن تقول: اللهم إني أعوذبك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم " [1] .

المناسبة بين الاستغفار والدعاء

الدعاء يعم ما كان طلباً للخير أو طلباً لدفع الشر، والاستغفار خاص بطلب دفع الشر، فكل استغفار دعاء، وليس كل دعاء استغفاراً.

"قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في شرح حديث النزول : " من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفرله" [2] " فذكر أولاً لفظ الدعاء، ثم ذكر السؤال، والاستغفار ، والمستغفر سائل، كما أن السائل داع، لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير، وذكرهما جميعاً بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما ، فهو من باب عطف الخاص على العام "[3].

---

(1) صحيح البخاري، رقم الحديث 716.

(2) صحيح البخاري، رقم الحديث/ 1145.

(3) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج/10، ص/ 239.

ومثله قول الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: " والفرق بين الثلاثة : أن المطلوب إما لدفع المضار أو جلب المسار، وذلك إما ديني وإما دنيوي، ففي الاستغفار إشارة إلى الأول، وفي السؤال إشارة إلى الثاني، وفي إشارة إلى الثالث" [1] وقد تقدم كلام ابن تيمية وابن حجر في ذلك في بيان معنى السؤال.[2]

ثم إنه قد ورد التفريق بينهما في الأثر على وجه آخر لا يتعلق بالنظر إلى صيغتها بل إلى وصفها وهو ما روي عن ابن عباس مرفوعاً وموقوفاً: " المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك أو نحوهما والاستغفار أن تشير بإصبع واحدة، والابتهال أن تمد يديك جميعاً، وفي لفظ : " هكذا الإخلاص يشير بإصبعه التي تلى الإبهام، وهذا الدعاء فرفع يديه حذو منكبيه وهذا الابتهال فرفع يديه مداً ... " [3]

وهذا الحديث تفسير بالوصف المقارن لهذه الأمور، وفيه الإشارة إلى أن الابتهال أشد مبالغة في الطلب ويليه المسألة أو الدعاء ثم الاستغفار أو الإخلاص والله أعلم . "[4]

شواهد الاستغفار في الأدعية القرآنية

"(رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ[5] ")

"(ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ[6]) "

"(رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ ")[7]

"(إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[8])

---

(1) فتح الباري لابن حجر ، ج/3، ص/ 31.

(2) للتفصيل انظر ص 162-163 من هذا الفصل .

(3) سنن أبي داؤد ، رقم الحديث/ 1489.

(4) الدعاء ومنزلته العقائد الإسلامية، لخضر بن جيلان العروسي، ج/1، ص/ 95.

(5) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 16

(6) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 147

(7) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 193

(8) سورة المائدة، رقم الآية/ 118.

"(رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ"[1])

"(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"[2])

"(أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ) "[3]

"(يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) "[4]

"(رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) "[5]

"(رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) "[6]

"(وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ &) "[7]

"(رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"[8])

"(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) "[9]

"(رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) "[10]

"(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) "[11]

---

(1) سورة الأعراف، رقم الآية/ **23**

(2) سورة الأعراف، رقم الآية/**151**

(3) سورة الأعراف، رقم الآية/ **155**

(4) سورة يوسف، رقم الآية/ **92**

(5) سورة المؤمنون، رقم الآية/**109**

(6) سورة المؤمنون، رقم الآية/**118**

(7) سورة الشعراء، رقم الآية/**83-87**.

(8) سورة القصص، رقم الآية/**16**

(9) سورة ص ، رقم الآية/**35**

(10) سورة غافر، رقم الآية/**7**

(11) سورة الحشر، رقم الآية/**10**

"(رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ %) "[1]

"(رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) "[2]

"(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا %) "[3]

صيغ الاستعاذة

معنى الاستعاذة لغة

يقال عاذ فلان بربه يعوذ عوذاً وعياذاً ومعاذاً، لاذ به ولجأ إليه واعتصم، عذت بفلان واستعذت به أي لجأت إليه، وهو عياذي أي ملجأي، وعاذ وتعوذ، واستعاذ بمعنى واحد [4] .

وهذه المادة في تصرفاتها تدل على التحرز والتحصن، وحقيقة معناها : الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه ولهذا يسمى المستعاذ به: معاذاً ، كما يسمى : ملجأ ووزراً. [5]

وقال الرازي ما معناه: إن الاستعاذة مشتقة من العوذ، وله معنيان:

أحدهما الالتجاء والاستجارة.

"والثاني: الالتصاق ، يقال: أطيب اللحم عوَّذُه وهو ما التصق بالعظم".[6]

وقال ابن القيم رحمه الله، أن في أصله قولين:

"أحدهما : أنه مأخوذ من الستر، تقول العرب للبيت الذي في أصل الشجرة التي قد استتر بها، " عوَّذ" ، وكذلك العائذ قد استتر من عدوه بمن استعاذ به منه واستجنَّ به منه."

---

(1) سورة الممتحنة، رقم الآية/4-5

(2) سورة التحريم، رقم الآية/8

(3) سورة نوح، رقم الآية/26-28

(4) العين للخيل، ج/2، ص/ 229، تهذيب الآثار للأزهري، ج/3، ص/ 147،

(5) بدائع الفوائد لابن القيم، ج/2، ص/ 200.

(6) تفسير كبير للرازي، ج/1، ص/ 71.

"وثانيهما : أن مأخوذ من لزوم المجاورة، تقول العرب للحم إذا لصق بالعظم فلم يتخلص منه: عوذ، لأنه اعتصم به واستمسك به، فكذلك العائذ قد استمسك بالمستعاذ به، واعتصم به ، ولزمه. وقال رحمه الله : " والقولان حق ، والاستعاذة تنتظمهما معاً، فإن المستعيذ مستتر بمعاذه، مستمسك به معتصم به، قد استمسك قلبه به ولزمه، كما يلزم الولد أباه إذا أشهر عليه عدوه سيفاً وقصده به فهرب منه، فعرض له أبوه في طريق هربه، فإنه يلقي نفسه عليه يستمسك به أعظم استمساك، فكذلك العائذ قد هرب من عدوه الذي يبغي هلاكه إلى ربه ومالكه، وفر إليه، وألقى نفسه بين يديه، واعتصم به، والتجأ به، "[1].

معنى الاستعاذة شرعا

" الالتجاء إلى الله تعالى ، والالتصاق بجانبه من شر كل ذي شر " [2] .

النسبة بين الدعاء والاستعاذة

إن الاستعاذة خاصة بما إذا كان المطلوب منع الشدة، أو رفعها، وذلك أن المستعاذ منه إذا كان يخاف وقوعه في المستقبل فإنه يطلب منعه، نحو أعوذ بالله من عذاب جهنم أو عذاب القبر ، إن كان حاضراً فإنه يطلب رفعه، نحو ما ورد في الحديث: " أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" [3] فمن هنا يعلم أن الاستعاذة خاصة بدفع الضرر الحاصل أو المتوقع، وأما الدعاء فإنه يعم ما كان لمنع الشدة ورفعها، كما أنه يعم ما كان لحصول منفعة وطلب خير [4] ، فتبين بهذا العموم والخصوص المطلق، فالدعاء أعم مطلقاً، فالاستعاذة نوع من أنواع الدعاء، وقسم من أقسامه.

---

(1) بدائع الفوائد ، ج/2 ، ص/ 200

(2) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج/1، ص/ 15.

(3) صحيح المسلم، رقم الحديث/ 2202.

(4) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، لخضر بن جيلان العروسي، ج/1، ص/ 80.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فالاستعاذة ، والاستجارة ، والاستغاثة كلها من نوع الدعاء والطلب، وقول القائل: لا يستعاذ به، ولا يستجار به ولا يستغاث به، ألفاظ متقاربة " (1) .

أركان الاستعاذة و لطائفها الأدبية:

تقوم الاستعاذة في وجودها الخارجي على أربعة عناصر: المستعيذ و المستعاذ به و المستعاذ منه، و فعل الاستعاذة الدال على الحدث. وذلك كقيام المعلول المركب على علله الناقصة: الفاعلية و المادية و الصورية و الغائية. فالمستعيذ بمنزلة العلة الفاعلية للاستعاذة،(2) والمستعاذ به و المستعاذ منه و الفعل الدال على الحدث كالعلل المادية لها، ومجموع أجزاء الكلام الدالة على تلك العناصر كالعلة الصورية اللفظية لها، فلا تتم الاستعاذة إلا بذكر تلك العناصر في الكلام، لفظا كان أو تقديرا، كما ترى جميعها مذكورة في:(رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ & وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ) (3) وقد ترى بعضها مذكورة في اللفظ و بعضها مقدرة كما في: (معاذ الله).

و أما العلة الغاية للاستعاذة فهي اعاذة الله χ عبده في الواقع وهو مقدم على الاستعاذة و موقوف عليه لها في الوجود الذهني، و مؤخر عنها في الوجود الخارجي، فليس هو ركن من أركانها الموقوفة عليها في التحقق الخارجي ولا يذكر في الكلام عادة. وتوضيح بعض تلك الأركان كما يلي:

المستعيذ:

الاستعاذة لتحققها الواقعي و إتمامها تقتضى أن يكون مسبوقة بثلاث خصائل في المستعيذ جزم الاعتقاد،والحال في الفؤاد،و العمل المستفاد منهما،أما جزم الاعتقاد فعبارة عن كون المستعيذ عالما بعجزه عن دفع المضرات و جلب المنافع في

---

(1) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج/15، ص/ 227.

(2) و لذلك يجب تقدم وجوده على وجود الاستعاذة طبعا كما هو مقتضى العلة الفاعلية. و على هذا نرى الدال عليه في الكلام مقدما ذكرا، وهو الهمزة أو النون للمتكلم من حروف (أتين) للمضارعة مثلا، كما نرى في (أعوذ) و (نعوذ). ص/72

(3) سورة المؤمنون، رقم الآية/ 97-98

العاجل و الآجل و بقدرة المستعاذ به χ على دفع الضر و إيجاد النفع العاجل و الآجل قدرة لا يقدر أحد سواه على مثلها قط.

فعند رسوخ هذا الاعتقاد يتولد منه حال في فؤاده وهو عبارة عن الانكسار و التواضع وهو يثمر التضرع إلى الله تعالى و الخضوع له.و بذلك يصبح العبد مريد الصيانة عن المضرات واستفاضة الخيرات منه تعالى.

ثم يتولد من تلك الحالة في الجنان و صفة في اللسان وهي عمل الطلب من الله سبحانه و تعالى. فكأنه ترجمان لما يتلجلج في فؤاد المستعيذ و يخطر بباله و يعبر عن ذلك العمل بلفظ (الاستعاذة) وهو قوله: (أعوذ بالله).

و بالجملة:

أن الركن الأعظم في الاستعاذة هو علم المستعيذ بالله و علمه بنفسه.

أما علمه بالله: فهو أن يعلم كونه تعالى عالما قادرا على جميع الممكنات و إلا فربما يكون عاجزا عن إفادة مراد المستعيذ، و ذلك محال في شانه تعالى، و كذلك أن يعلم أنه لا قادر سواه، يعين العبد على مقاصده. إذ لو جاز ذلك لم تكن الرغبة قوية في الاستعاذة بالله β. و ذلك لا يتم إلا باعتقاد التوحيد المطلق وهو أن مدبر العالم و المتصرف فيه هو الله تعالى،و العبد أي من كان و أين ما كان غير مستقل بأفعاله، وأن الله هو الجواد الكريم مطلقا، إذ لو جاز البخل عليه لما كان في الاستعاذة به فائدة ملائمة.

و أما علمه بحال نفسه: فهو أن يعرف عجز نفسه عن دفع المضرات و الشرور و قصوره عن رعاية مصالحه بنفسه، و جلب المنافع على سبيل التمام، وأيضا أن يعرف أنه على تقدير علمه بتلك المصالح كمية و كيفية لا يمكنه تحصيلها عند عدمها و لا إبقائها عن حصولها.

و يلوح من ذلك أن المستعيذ ما لم يعرف عزة الربوبية و ذلة العبودية لا يصح منه أن يقول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم). و تترشح تلك النكتة الأدبية من دعاء ذي النون ν إذ نادى في الظلمات أن: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي

كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ[1]).حيث أشار إلى علمه بالله تعالى علما و قدرة و نفيهما عن ما سواه بجملة: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ المقصورة فيها بالنفي و الإثبات وأومي إلى اعتقاده بجوده و ببراءته عن العجز و البخل بجملة: (سبحانك) و يلوح علمه بنفسه بقوله: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بأنه قاصر عن حصول مصالح نفسه و عاجز عن جلب ما ينفع في النجاة من تلك الظلمات المتراكمة عليه و المهالك المترادفة.

المستعاذ به:

ورد المستعاذ به في الأدعية القرآنية على وجهين كما يلي:

1. "تكوين الله تعالى و تأثير قدرته كما ورد في (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق).[2]و المراد بالكلمة هو التعبير بلفظ (كن) عن نفاذ قدرته في الممكنات و سريان مشيته في الكائنات، بحيث يمتنع أن يعرض له عائق و مانع، وهذا كما قال الله تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ[3]). والأمراء في أن الاستعاذة بالله تعالى تنوط على كونه موصوفا بتلك القدرة القاهرة و المشية النافذة الباهرة. "

الكلمات كناية عن إيجاد الكائنات بجامع السرعة في الوجود. فكما أن كلا من حروف الكلمة يحدث في أن لا يتجزى، فكذا إيجاد كثير من المكونات،فان الممكنات إما أن تكون جسمانيات أن تكون روحانيات، و حدوث كثير من الجسمانيات إنما يكون على سبيل التدريج و الحركة من القوة إلى الفعل شيئا فشيئا. وأما الروحانيات فإنما تنشأ على وجه الخروج من القوة إلى الفعل دفعة.

---

(1) سورة الأنبياء، رقم الآية/ 87

(2) صحيح المسلم، ج/2، ص/ 347 ، سنن الترمذي، ج/2، ص/ 181

(3) سورة النحل، رقم الآية/ 40.

2. "وربما يكون المستعاذ به هو احد أسماء الله الحسنى، نحو: (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ).[4] و مثل: (مَعَاذَ اللَّهِ).[5] و نحو: (أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ[6]) و أمثالها. و السر في ذلك أن المستعيذ إذا توغل في أعماق الحقائق الإلهية، و تغلغل في لؤائي التوحيد البهية، حيث لم يبق في نظره التفات إلى ما سوى الله تعالى، و أصبح بحيث لا يرى في الوجود أحدا سواه، فإذا لا يحب أن يستعيذ إلا بالله و أسمائه الحسنى و لا يلتجئ إلا إليه، و لا يعول إلا عليه، فلا جرم يقول إذا: (أعوذ بالله من كذا و كذا). "

المستعاذ منه:

المستعاذ منه في الأدعية القرآنية إنما يكون هو الألم و الحزن في أي محل من محال الدنيا و الآخرة. و ذانك هما المستعاذ إن منهما بالذات. وإنما أستعيذ في الأدعية القرآنية عن أسبابهما المقربة إليهما مثل الشياطين.[7]

و النفس و المهاوي المظلمة و ما إلى تلك. فتلك الوسائل المقربة مستعاذة منها بالعرض و مهروبة عنها لغيره. فليس كل مهروب عنه مستعاذا منه بالذات، كما لا يكون مستعاذا منه بالعرض. وذلك كما نرى المطلوب بالذات في الأدعية القرآنية هو اللذة و السرور، و تكون الوسائل المقربة إليها مطلوبات بالعرض فيها،ويشهد لذلك الاستقراء و التتبع التام.

ثم لإمراء في أن المهروب عنه الذي يستعاذ منه يتنوع بتنوع قوى المستعيذ، فالمؤلم عند قوته العاقلة شيء، وعند قوته النفسية شيء آخر،وعند قوته السامعة شيء

---

(4) سورة البقرة، رقم الآية /67

(5) سورة يوسف، رقم الآية/ 23،79

(6) سورة مريم، رقم الآية/ 18

(7) لا ريب في أن الشيطان الخارجي إنما يقدم للإنسان بالوسوسة و التذكر في مرتبة السبب فقط.و رمز إلى هذا فى قوله تعالى حكاية عما يقول إبليس يوم القيامة: (مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي). فالإنسان إنما قدم على المعصية بتذكيره و أما إقدام الشيطان على التذكير و الوسوسة فذلك لحصول الاعتقاد الحادث في قلبه بإلقاء الله β و تخليقه في قلبه لا بتذكير شيطان آخر. فحينئذ لا يلزم التسلل و لا الدور. و إلى هذا يؤمى قول النبي γ في إستعذته (أعوذ برضاك من سخطك ... و أعوذ ب منك).

ثالث، وهلم جرا، كما أن اللذيذ يختلف باختلاف تلك القوى.ويترتب على إدراك الموجود في الخارج العلم بكونه لذيذا أو مؤلما محزنا حالا أو مالا، أو بكونه صفرا عنهما. ثم يترتب على ذلك العلم الميل في حصول ذلك المدرك حينما كان لذيذا عند عدم وجود المعارض، كاعتقاد لحوق الضر بحصوله، أو يترتب عليه الفرار و الرغبة عن ذلك المدرك إذا كان مؤلما عند عدم وجود المعاوق، مثل اعتقاد نيل الشهادة في معركة الإسلام. ثم تثمر الأعمال المتنوعة المتباينة عن دينك الإعتقادي من الرغبة و الرهبة.

شواهد الاستعاذة في الأدعية القرآنية

"(أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) "[1]

"(وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) "[2]

"(وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[3])

عَلِيمٌ"[3])

"(قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ) "[4]

"(قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) "[5]

"[5]

"(قَالَ مَعَاذَ اللّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّآ إِذًا لَّظَالِمُونَ) "[6]

"(قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا) "[7]

"(وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ & وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ) "[8]

(**1**) سورة البقرة، رقم الآية/ **67**

(**2**) سورة آل عمران، رقم الآية/ **36**

(**3**) سورة الأعراف، رقم الآية/ **200**

(**4**) سورة هود، رقم الآية/ **47**.

(**5**) سورة، يوسف، رقم الآية/ **23**

(**6**) سورة يوسف، رقم الآية/ **79**

(**7**) سورة مريم، رقم الآية/ **18**

(**8**) سورة المؤمنون، رقم الآية/ **97-98**

"(وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ) "[1]

"(فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) "[2]

"(وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) "[3]

"(وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ) "[4]

"(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ & مِن شَرِّ مَا خَلَقَ & وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ & وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ & وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ &) "[5]

"(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ & مَلِكِ النَّاسِ & إِلَهِ النَّاسِ & مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ & الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ & مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ& "[6])

أقوال العلماء حول مضامين الأدعية القرآنية

ومن يتأمل الأدعية القرآنية التي جاءت في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله γ يجد فيها الجمال والكمال والوفاء بتحقيق المطالب العالية، والمقاصد الرفيعة، والخير الكامل في الدنيا والآخرة، مع السلامة فيها والأمان من الوقوع في الخطأ والزلل، فهي معصومة من ذلك، لأنها وحي الله وتنزيله.

ولذا نجد أئمة العلم الأمناء الناصحين يرغبون الناس في المحافظة على الأدعية القرآنية والأذكار المشروعة، ويعتنون تمام الاعتناء بربط الناس بكتاب ربهم وسنة نبيهم γ، لأن في ذلك السلامة والعصمة والفوز بأكبر الغنيمة، ومن ذلك قول الإمام الجليل شيخ الإسلام ابن تيمية ρ : " وينبغي للخلق أن يدعوا بالأدعية الشرعية التي جاء بها الكتاب والسنة، فإن ذلك لا ريب في فضله وحسنه، وأنه الصراط المستقيم،

---

(1) سورة غافر، رقم الآية/ 27

(2) سورة غافر، رقم الآية/ 56

(3) سورة فصلت، رقم الآية/ 36

(4) سورة الدخان، رقم الآية/ 20

(5) سورة الفلق ، رقم الآية/ 1-5

(6) سورة الناس، رقم الآية / 1-7

صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً " [1] .

محتوى الأدعية القرآنية

"أولاً : الدعاء بما أمر الله به من الخير، وبما دعا به الأنبياء من قبل ولا سيما أدعية إبراهيم v ، والتعوذ مما ينهى الله تعالى به . "

"ثانياً : الاستعانة بالله تعالى في سداد العمل والقول وخلوص النفس من كل ما لا يرضي الرب وطلب الحماية والحفظ من المكارة.

ثالثاً : الإصرار الثابت على تقييم النعمة الفضلى بأنها غفران الله تعالى، وحقيقة التقوى وإيثار ما يبقى والاعتماد على الله تعالى، وترك الخيرة له في اختيار الأفضل لعبده حتى ولو كان الموت، والاكتفاء من الدنيا بالأمن والعافية والخلاص من قهر الدين وغلبة الرجال وولاية الأشرار، والاجتزاء بالرزق الحلال والتعويل على صفاء القلب. "[2]

عندما نلقي نظرة فاحصة على مضامين الأدعية القرآنية والأدعية النبوية فيمكن لنا تلخيصها فيما يلي:

1. "طلب الخير والعافية والنجاة من كل سوء وبلاء ومرض ومكروه."
2. "كثرة الشكر لله بما أنعم الله عليه وعلى عبده من النعم الظاهرة والباطنة."
3. "الاعتراف بعظمة الله وكبريائه وقوته وجميع صفاته اللائقة بذاته وإظهار ضعفه والاعتراف بعجزه."
4. "التعوذ من عذاب النار ومن كل ما يجلب سخط الله ونقمته، وجميع ما نهى الله عنه وخاصة من شر النفس."

---

(1) فقه الأدعية والأذكار، لعبدالرازق بن عبدالمحسن البدر، ج/2، ص/ 61.

(2) البحوث والدراسات، لعبدالله بن إبراهيم الأنصاري، ص/ 296.

5. "الحنين إلى رضا الله وطلبه، وإظهار الرضى بالاكتفاء بالقوت الحلال وطلب تحسين الأخلاق ونصر الله وعونه وكرمه."

6. "لتمثيل الصادق الجامع للحاجات البشرية جمعاء. "(1)

ويقول الشيخ أحمد بن محمد حول المستعاذات منهن في الأدعية القرآنية.

المستعاذ منه في الأدعية القرآنية إنما يكون هو الألم والحزن في أي محل من محال الدنيا والآخرة، وذانك هما المستعاذان منهما بالذات، وإنما استعيذ في الأدعية القرآنية عن أسبابهما المقربة إليهما مثل الشياطين، والنفس والمهاوي المظلمة وما إلى تلك، فتلك الوسائل المقربة مستعاذ منها بالعرض ومهروبة عنها لغيره، فليس كل مهروب عنه مستعاذاً منه بالذات، كما لا يكون مستعاذاً منه بالعرض، وذلك كما نرى المطلوب بالذات في الأدعية القرآنية هو اللذة والسرور، وتكون الوسائل المقربة إليها مطلوبات بالعرض فيها، ويشهد لذلك الاستقرآء والتتبع التام.

"ثم لامرآء في أن المهروب عنه الذي يستعاذ منه يتنوع بتنوع قوي المستعيذ، فالمؤلم عند قوته العاقلة شيء، وعنده قوته النفسية شيء آخر، وعند قوته السامعة شيء ثالث، وهلّم جراً، كما أن اللذيذ يختلف باختلاف تلك القوى، ويترتب على إدراك الموجود في الخارج والعلم بكونه لذيذاً أو مؤلماً محزناً حالاً أو مآلً، أو بكونه صفراً عنهما، ثم يترتب على ذلك العلم الميل في حصول ذلك المدرك حينما كان لذيذاً عند عدم وجود المعارض، كاعتقاد لحوق الضر بحصوله، أو يترتب عليه الفرار والرغبة عن ذلك المدر إذا كان مؤلماً عند عدم وجود المعاوق، مثل اعتقاد نيل الشهادة في معركة الإسلام، ثم تثمر الأعمال المتنوعة المتباينة عن ذينك الاعتقادين من الرغبة والرهبة". (2)

ـــ

ـــ

---

(1) الروائع والبدائع في البيان النبوي للنعمان الندوي، ص/ 137-138.

(2) الاستعاذة معناها وأحكامها وفوائدها لعبدالهادي حامي، ص/ 234، مجلة الجامعة الإسلامية بغزة ، يناير 2004

–––––––––––––––

––––––––––

الفصل الثالث

تقسيم الدعاء من حيث الداعيين

وسأشير إلى بعض هذه الأنواع والأبلغ منها من حيث الداعيين وأشرع الآن في دراسة آيات الدعاء، مبتدئا بدعوات الأنبياء والمرسلين، مستعيناً بالله تعالى.

دعوات الأنبياء

فقد حكي β في كتابه العزيز أدعية بعض أنبيائه ورسله، أخبر فيها بدعواتهم وتضرعهم وابتهالاتهم منذ آدم ν إلى خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، يتجلى فيها الإيمان المطلق بالله تعالى، وصدق التوجه إليه تعالى، وحسن الأدب مع الله في الخطاب، وحسن عرض الحوائج والرغائب، وقد اشتملت على المطالب العالية من خيري الدنيا والآخرة ومنها:

- o "طلب الرحمة والمغفرة، كدعاء آدم ν : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [(1)] ، وكدعاء خاتم المرسلين γ ﴿ رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [(2)] ."
- o "ومما تضمنه دعاء الأنبياء والمرسلين طلب ما يعينهم على تبليغ دعوتهم، وأداء رسالتهم، وعبادة ربهم، كدعاء موسى ν ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي & وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي & وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي & يَفْقَهُوا قَوْلِي & وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي & هَارُونَ أَخِي & اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي & وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي & كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا & وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا & إِنَّكَ كُنتَ بِنَا

---

(1) سورة أعراف، رقم الآية/ **23**.

(2) سورة المؤمنون ، رقم الأية/**118**.

بَصِيرًا & ﴾ (1) وكدعاء خاتم المرسلين : ﴿ رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ "(2)

"وقد يتضمن الدعاء مطلبا خاصاً، كدعاء إبراهيم v "﴿ رَبِّ اجْعَلْ هذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾" (3) وكدعاء سليمان v: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (4) ، وكدعاء زكريا v : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا & وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا & يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ "(5)

وقد وردت هذه الأدعية في أسلوب بليغ معجز، ويطيب لي أن أتناول بعضاً منها، لأشير إلى شيء من مظاهر الإعجاز البياني فيها.

دعا آدم v

"(رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ"(6))

أدعية نوح v

قوله β : (" رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ) "(7)

"(سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ % وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ %) "(8)

قوله β : "﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا & مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا & وَقَالَ

---

(1) سورة طه ، رقم الآية/ 25-35.

(2) سورة طه، رقم الآية/ 114.

(3) سورة البقرة، رقم الآية/ 126.

(4) سورة ص، رقم الآية/ 35.

(5) سورة مريم ، رقم الآية/ 4-5.

(6) سورة الأعراف، رقم الآية/ 23

(7) سورة المؤمنون، رقم الآية/29

(8) سورة الزخرف، رقم الآية/13-14

نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا & إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا & رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ "[1]

ولئن كان في مشاهد الأدعية السابقة نداء ورقة ورحمة، ففي بعض مواقف دعاء الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم قوة وشدة يقتضيها المقام، ويستدعيها الصراع الأزلي بين النور والظلمات وبين الهدى والضلال.

نوح v يدعو قومه ليلاً ونهاراً ، ويمكث في دعوتهم ألف سنة إلا خمسين عاما، ويسلك في سبيل هدايتهم شتى الأساليب ومختلف الوسائل، وهم يتمادون في عتوهم، ولا يزدادون إلا ضلالا واستكباراً ، استمع إلى معاناته v يصورها القرآن أبلغ وأجمل تصوير : "﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا & فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا & وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا & ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا & ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا & فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا & يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا & وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا & مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا & وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا & أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا & وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا & وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا & ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا & وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا & لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا & قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا & وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ "[2]

استمع إلى هذا الدعاء المنبعث من قلب متعب، جاهد طويلاً ، وعاني كثيراً،وأعز سمعك هذه الشكوى المرة الحزينة التي تفيض بها ألفاظ وجمل وعبارات هذه الآيات.

(**1**) سورة نوح،رقم الآية/ **24-28**.

(**2**) سورة نوح، رقم الآية/ **5 - 22**

"يقول المفسرون : (ولما يئس من إيمانهم بإخبار الله له بقوله : ﴿ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ ﴾ (1) دعا عليهم فاستجاب الله دعاءه وأغرقهم) (2) . "

لقد ذكر الله β دعوات نبيه نوح v وذكر قصته وما كان من قومه، وما أنزل بمن كفر به من العذاب والطوفان، وكيف أنجاه وأصحاب السفينة في غير موضع من كتابه العزيز، وكان v قد أرسله الله تعالى لما عُبدت الأصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد، يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه.

"قال الله تعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ & قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ & قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ& أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ & أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ & فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ"(3) &)

"لقد تلقى قوم نوح v دعوة نبيهم بالصدود والإعراض، والكبر ، والمكر والكيد، والعتو والتكبر، والتهديد لنبيهم بالرجم والقتل، ولما طال مقام نبي الله بين أظهرهم يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً وجهراً وإسراراً، حيث مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وكلما كرر عليهم الدعوة طوال هذه المدة صمموا على الكفر الغليظ والامتناع الشديد، وحينئذ دعا عليهم v دعوة استجابها الله منه، فقال (قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ & فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) "(4)، أي : فاحكم بيني وبينهم حكما من عندك تهلك به المبطل،

(1) سورة هود ، رقم الآية/ 36.

(2) صفوة التفاسير، ج/3، ص/ 1309.

(3) سورة الأعراف، رقم الآية/ 59-64.

(4) سورة الشعراء، رقم الآية/ 117-118.

وتنتقم ممن كفر بك وجحد توحيدك وكذب رسولك، وسأل الله أن ينجيه ومن معه من أهل الإيمان.

"وقد بين الله تعالى أنه استجاب دعاء عبده ونبيه نوح v فقال χ (فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ & ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ & إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ & وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) "(1)،"وقال الله تعالى في موضع آخر في بيان دعوة نوح v على قومه لما كذبوا رسالته، وبيان استجابة الله تعالى لدعائه بإهلاك قومه: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ & فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ & فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ & وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ & وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ & تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ & وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ & فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ & وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) "(2)، ونوح v إنما دعا بهذه الدعوة لما يئس من صلاح قومه وفلاحهم ورأى أنهم لا خير فيهم، وأنهم توصلوا إلى أذيته وتكذيبه بكل طريق من فعال ومقال، ودعوته عليهم إنما كانت غضباً له، فلبّى سبحانه دعوته وأجاب طلبته، ولنعم المجيب هو سبحانه والمانُّ (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ & وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) "(3)ولما أراد سبحانه إنجاء نوح والمؤمنين وإهلاك قومه أمره تعالى أن يصنع الفلك، وهي السفينة العظيمة "(قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ &فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ") (4) وعمل v على صنع السفينة وكان قومه يمرون به وهو يصنعها فيسخرون منه ويهزؤون من صنيعه "(وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ

---

(1) سورة الشعراء، رقم الآية/ **119-122**.

(2) سورة القمر، رقم الآية/ **10-17**.

(3) سورة الصافات، رقم الآية/ **75**.

(4) سورة المؤمنون، رقم الآية/ **26-27**.

)" [1] أي : نحن الذين نسخر منكم ونتعجب منكم في استمراركم على كفركم وعنادكم الذي يقتضي وقوع العذاب بكم وحلوله عليكم" (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ)" [2] ، وقد كانت سيجيتهم الكفر الغليظ والعناد البالغ والعتو والطغيان، وحلّت العقوبة قال الله تعالى : (" حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ") [3] فنبعث الأرض بالماء من سائر أرجائها ، وارتفع الماء على أعالي الجبال، وعمّ جميع الأرض طولها وعرضها، سهلها وحزنها، قِفارها ورمالها ولم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء أحد لا صغير، ولا كبيرٌ، ولما هلكوا أجمعين أذن الله β للأرض بابتلاع الماء وللسماء بالتوقف عن المطر "(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)" [4] ، وأمره سبحانه أن يهبط بسلام ومن معه لما نضب الماء الذي على الأرض وأمكن السعيُ فيها والاستقرار عليها" (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَركَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) "[5]

وقد كان ν عبداً شكوراً كما قال الله تعالى:" (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) "[6]وفي هذا تنويه بالثناء عليه بقيامه بشكر الله واتصافه بذلك، وفيه حث لذريته أن يقتدوا به في شكره ويتابعوه عليه، وأن يتذكروا نعمة الله عليهم إذ أبقاهم واستخلفهم في الأرض وأغرق غيرهم.

ومن شكر نوح ν ما ورد في قول الله β : (" فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [7] "

(**1**) سورة هود، رقم الآية/ **38**.

(**2**) سورة هود، رقم الآية/**39**.

(**3**) سورة هود، رقم الآية/ **40**.

(**4**) سورة هود، رقم الآية/ **44**.

(**5**) سورة هود، رقم الآية/**48**.

(**6**) سورة الإسراء، رقم الآية/ **3**.

(**7**) سورة المؤمنون، رقم الآية/**28**.

وهذا فيه تعليم من الله سبحانه لنبيه نوح v ولمن معه من المؤمنين أن يقولوا هذا الدعاء شكراً له سبحانه وحمداً على نجاتهم من القوم الظالمين، وسؤالاً منه سبحانه أن ييسر لهم منزلاً مباركاً.

قال ابن كثير ρ : (أمره أن يحمد ربه على ما سخر له من هذه السفينة فنجاه بها، وفتح بينه وبين قومه، وأقرَّ عينه ممن خالفه وكذّبه. كما قال تعالى : "(وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ & لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ & وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ[(1)]) " وهكذا يؤمر بالدعاء في ابتداء الأمور أن يكون على الخير والبركة وأن تكون عاقبتها محمودة كما قال تعالى لرسوله γ حين هاجر: (" وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا) [(2)] " وقد امتثل نوح v هذه الوصية فذكر الله تعالى عند ابتداء سيره وعند انتهائه كما حكي الله بقوله : "(وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) "[(3)] أي : على اسم الله ابتداءٌ سيرها وانتهاؤها.

ودعاء نوح v في هذا المقام قد استجابه الله كما قال سبحانه : "(قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَركَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ [(4)] ") أي : اهبط سالماً مباركاً عليك وعلى أمم ممن سيولد بعد، أي من أولادك، فإن الله لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلاً ولا عقبا سوى نوح v، كما قال تعالى: (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ[(5)]) .

أدعية إبراهيم v

"(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "[(6)])

---

(1) سورة الزخرف، رقم الآية/12-14.

(2) سورة الإسراء ، رقم الآية/ 80.

(3) سورة هود، رقم الآية/41.

(4) سورة هود، رقم الآية/48.

(5) سورة الصافات، رقم الآية/ 77.

(6) سورة البقرة ، رقم الآية/ 127

"(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ")[1]

"(رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ % رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ & رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ & رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء & الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء & رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء & رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ &) "[2]

"(رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ % وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ % وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ % وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ & وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ) "[3]

"(رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) "[4]

إن من دعوات الأنبياء المذكورة في القرآن دعوة إبراهيم الخليل v لمكة بأن تكون بلداً آمناً، كما قال β : (" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)" [5] ، وقال β :

(" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ & رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ & رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ &) [6] ."

---

(1) سورة البقرة ، رقم الآية/129

(2) سورة إبراهيم، رقم الآيات/ 35-41

(3) سورة الشعراء، رقم الآية/83-87.

(4) سورة الصافات ، رقم الآية/100

(5) سورة البقرة، رقم الآية/126.

(6) سورة إبراهيم، رقم الآية/35-37.

"ففي الآية الأولى قال : (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا) وفي الآية الثانية قال : (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ") ، فنكّر البلد في الأولى وعرفه في الثانية وقد قيل إن إبراهيم ν دعا بهذه الدعوة مرتين: مرة قبل بناء البيت وناسب التنكير في هذا الموضوع، ومرة بعد بنائه واستقرار أهله به فناسب التعريف ولهذا قال في آخر الدعاء في موضعه الثاني" (الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء) [1] ."

ومعنى قوله : (آمناً) أي : ذا آمن كاملاً في الأمن، يأمن فيه أهله من الخوف والرعب.

وقوله : "(وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ) " إنما سأل ذلك لأن مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر ولا ماء.

فإبراهيم ν دعا لمكة ولأهلها بالأمن ورغد العيش، مع قلة المياه فيها والأشجار والزروع والثمار، وأن تكون حرماً محرماً وأمناً محتماً فاستجاب الله تعالى لإبراهيم الخليل ν دعاءه وآتاه سؤله. قال الحسن البصري ρ : هذا دعاء دعا به إبراهيم ν فاستجاب له دعاءه فجعله بلداً آمناً. [2]

قال الله تعالى ممتناً على أهل مكة بهذه المنة: ("وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ") [3] وقال تعالى: (" أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ)" [4] وقال تعالى : "(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً) [5] ، وقال تعالى : (وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) [6] ."

---

(1) سورة إبراهيم، رقم الآية/ 39.

(2) تفسير ابن أبي حاتم ، ج/1، ض/ 229.

(3) سورة العنكبوت، رقم الآية/ 57.

(4) سورة العنكبوت، رقم الآية/ 67.

(5) سورة البقرة، رقم الآية/ 125.

(6) سورة آل عمران، رقم الآية/ 97.

إن من دعوات الأنبياء العظيمة الواردة ذكرها في القرآن الكريم ما جاء في سياق قصة إبراهيم الخليل v مع قومه ودعوته لهم إلى توحيد الله وإخلاصه الدين له والبراءة من المعبودات الباطلة التي لا تملك لنفسها نفعاً أو ضراً فضلاً من أن تملك شيئاً من ذلك لغيرها، قال تعالى: (" قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ & أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ & فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ & الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ & وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ & وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ & وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ & وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ & رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ & وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ & وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ & وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ & وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ & يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ & إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (1) ."

فهذه السياق المبارك فيه إخبار من الله تعالى عن عبده وخليله إبراهيم v وعن دعوته لقومه إلى توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له، مع بيان بطلان المعبودات التي اتخذها قومه من دون الله تعالى، وأنه v متبرئ منها كلِّها سوى المعبود الحق الذي هو رب العالمين، وذكر جملة من نعوته الدالة على عظمته وجلاله وكماله وأنه وحده المستحق للعبادة لا تلك المعبودات الباطلة التي لا تسمع إذا دعيت ولا تنفع ولا تضر.

بعد هذا انتقل إبراهيمv من وصف ربه بجلائل الصفات وعظيم النعوت إلى دعائه وسؤاله وطلبه بقوله : (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) (2) إلى آخر الدعوات المباركة التي ذكرها، وهي دعوات عظيمة مشتملة على مطالب جليلة من المصالح الدينية والدنيوية والأخروية.

"قال أهل العلم: وقد أجاب الله دعاء إبراهيم الخليل v (فوهب له من العلم والحكم ما كان به من أفضل المرسلين، وألحقه بإخوانه المرسلين، وجعله محبوباً مقبولاً معظماً مثنىً عليه في جميع الملل في جميع الأوقات) (3) ."

---

(1) سورة الشعراء، رقم الآية/ 75-89.

(2) سورة الشعراء، رقم الآية/ 83.

(3) تفسير السعدي، ص/ 693.

إن من دعوات الأنبياء العظيمة الواردة في القرآن الكريم ما ذكره الله β عن نبيه إبراهيم ν من سؤاله ربه β أن يهبه ولداً صالحاً، إذ الولد الصالح نعمة في الحياة عظيمة يهبها الله سبحانه لمن شاء من عباده، ولهذا كان دأب الصالحين سؤال الله تعالى الولد الصالح الذي هو قرة عين العبد وسلوة قلبه وزينة حياته.

"وقد ذكر الله في كتابه أن إبراهيم ν قال في دعائه ومناجاته لربه: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) [1] ."

"قال الإمام الطبري ρ : (وهذه مسألة إبراهيم ربه أن يرزقه ولداً صالحاً، يقول : يا رب هب لي منك ولداً يكون من الصالحين الذين يطيعونك ولا يعصونك، ويصلحون في الأرض ولا يفسدون) [2] . وقال ابن كثير ρ : (يعني: أولاداً مطيعين عوضاً من قومه وعشيرته الذين فارقهم) [3] ."

"وقوله : (رَبِّ هَبْ لِي) فيه الإيمان بأن وجود الولد وصلاحه منة ربانية وهبة من الله β المتفرد بالتصرف والتدبير في هذا الكون لا شريك له، كما قال تعالى : (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ & أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) [4] ."

"وعوداً على دعوة إبراهيم ν ربه أن يهبه من الصالحين أي أولاداً برة مطيعين ، فإن الله قد استجاب لإبراهيم الخليل ν دعاءه كما قال سبحانه عقب الآية السابقة مباشرة: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) [5] ، وهذا فيه دلالة على أنه بشر بابن ذكر، وأنه يبقى حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم، وهذا الابن الذي بشر به هو إسماعيل ν. "

---

(1) سورة الصافات، رقم الآية/ 100.

(2) تفسير الطبري، ج/19، ص/ 577.

(3) تفسير ابن كثير، ج/7، ص/ 22-23.

(4) سورة الشورى، رقم الآية/ 49-50.

(5) سورة الصافات، رقم الآية/ 101.

"قال ابن كثير ρ : (وهذا الغلام هو إسماعيل v فإنه أول ولد بشر به إبراهيم v وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب) [1]."

"ولما كانت هبة الولد الصالح منة عظيمة من الله تعالى ، ونعمة جليلة من نعمه، كان شكرها وحمد الرب تعالى عليها واجباً على العبد وقد وفى إبراهيم v بهذا المقام، كما ذكر الله تعالى عنه ذلك في قوله χ : (الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء) "[2]

"أي : الحمد لله الذي رزقني على كبر من السن ولداً إسماعيل وإسحاق، فهبتهم من أكبر النعم، وكونها على الكبر في حال اليأس من الأولاد نعمة أخرى، وكونهما أنبياء صالحين أجل وأفضل، وقوله: (إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء) أي : لقريب الإجابة ممن دعاه وقد دعوته فلم يخيب رجائي."

"إن من الدعوات الجوامع الواردة في القرآن ما ذكره الله عن نبيه وخليله إبراهيم وابنه إسماعيل v في قوله β : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ & رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ & رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ &) [3] ."

وقد استملت هذه الآيات على جملة من المطالب التي دعا بها إبراهيم v وابنه إسماعيل v لأنفسهما ولذريتهما.

"وأول ذلك قولهما : (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) وهذا دعاء مبارك قالاه في حال بنائهما البيت، ويقولان : (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) فهما في عمل صالح جليل ويسألان ربهما أن يتقبل منهما ما هما فيه من الطاعة العظيمة والسعي المشكور."

---

(1) تفسير ابن كثير، ج/7، ص/ 23.

(2) سورة إبراهيم، رقم الآية/ 39.

(3) سورة البقرة، رقم الآية/ 127-129.

جاء عن وُهيب بن الورد أنه قرأ: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا) ثم بكى ، ويقول: (يا خليل الرحمن ترفع قوائم بيت الرحمان وأنت مشفق أن لا يتقبل منك) ، أورده الحافظ ابن كثير ρ في تفسيره وقال : (وهذا كما حكى الله تعالى من حال المؤمنين المخلصين في قوله: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا) [1] أي : يعطون ما أعطوا من الصدقات والنفقات والقربات، (وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) [2] أي : خائفة أن لا يتقبل منهم، كما جاء به الحديث الصحيح عن عائشةι عن رسول الله γ .

"يشير إلى ما رواه الإمام أحمد [3] في مسنده عن أم المؤمنين عائشة ι أنها قالت : قلت يا رسول الله (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) [4] ، أهو الرجل يزني ويشرب الخمر ؟ قال : (لا يا بنت أبي بكر . أو لا بنت الصديق . ، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق وهو يخاف أن لا يتقبل منه) . "

وهذا الدعاء قيل : إنه للأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وقيل : إنه إخبار عن تمام دعوة إبراهيم ν لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم، أي : من جنسهم وعلى لغتهم الفصيحة البليغة لتتم عليهم النعمتان الدينوية والدينية، وعلى هذا القول الثاني يكون دعاؤهما هذا لنبينا محمد γ خاصة إذ لم يبعث الله تعالى في أهل مكة غير نبينا محمد γ [5].

ولا اختلاف في الحقيقة بين القولين في المراد بهذا الدعاء، لأن نبينا محمداً γ من ولد إسماعيل ν ، وإسماعيل من ذرية إبراهيم ν ولهذا كان النبي محمد γ يقول: (أنا دعوة أبي إبراهيم) رواه أحمد والحاكم [6] وغيرهما، والمراد هذه الدعوة كما ذكر

---

(1) سورة المؤمنون، رقم الآية/ 60.

(2) سورة المؤمنون، رقم الآية/ 60.

(3) أحمد ج/6، ص/ 205، سنن الترمذي، ح/3175، وسنن ابن ماجة ح/ 4198،

(4) سورة المؤمنون ، رقم الآية/ 60.

(5) تفسير الطبري ، ج/ 2 ، ص/ 572.

(6) أحمد، ج/4، ص/ 127- 128، والحاكم ، ج/2 ، ص/ 418.

ذلك أهل العلم، والمراد بقوله : (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) أي : القرآن الكريم (وَالْحِكْمَةَ) أي : السنة .، وقوله (وَيُزَكِّيهِمْ) أي بالإخلاص والطاعة والإنقياد لله β.

أدعية لوط v

"(رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ) "[1]

"(رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ) "[2]

إن مما حكى الله تعالى في كتابه العزيز من أدعية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دعاء نبي الله لوط v وقد كان مرسلاً إلى قوم جمعوا مع شركهم بالله تعالى منكراً عظيماً لم يفعله أحد قبلهم من أهل الدنيا، وهو فعل الفاحشة في الذكور، كما قال سبحانه: (" وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ & إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ & "[3])

وكانت هذه الفعلة القبيحة فاشية فيهم، حتى إنه لربما وقعت منهم في المحافل، ولا يستنكفون ولا يرعوون لوعظ واعظ ولا لنصيحة ناصح، وكانوا في ذلك كالأنعام بل هم أضل سبيلا.

"ولهذا كان من دعاء نبي الله لوط v ما حكاه الله عنه في قوله (قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ & رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ) "[4]

فلوط v قد أعلن بغضه الشديد وبراءته من هذا العمل الشنيع، ثم دعاء دعا ربه فقال: (رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ) وهذا الدعاء يتضمن الاستعاذة بالله تعالى من هذا العمل المنكر، ومن شؤمه وغائلته وعقوبته.

وفي هذا الدعاء تعليم وإرشاد للعباد إلى الاعتصام بالله تعالى والاستعاذة به من منكرات الأعمال والأقوال، وطلب النجاة من شؤمها وغوائلها، ولا سيما عند كثرة هذا المنكرات وانتشارها ومجاهرة فسقة الخلق بها.

---

(1) سورة الشعراء، رقم الآية/ 169

(2) سورة العنكبوت، رقم الآية/30

(3) سورة الأعراف، رقم الآية/ 80-81

(4) سورة الشعراء، رقم الآية/ 168-169.

"وقد كان من أدعية رسول الله γ ما جاء في حديث زياد بن علاقة عن عمهη قال: كان النبي γ يقول : (اللهم إني أعوذبك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء) "(1)

"وعن شكل بن حُميد η قال : أتيت النبي γ فقلت: يا نبي الله علمني تعوذاً أتعوذ به . وفي رواية علمني دعاء أنتفع به . فأخذ بيدي، ثم قال : (قل : أعوذ بك . وفي رواية : اللهم عافني . من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي، ومن شر منيي) "(2)

والتعوذ بالله من شر المني له شأن مهم في حياة الإنسان ذكراً كان أو أنثى ولا سيما عند كثرة دواعي الفتنة وبواعث الفساد، فإن شهوة الفرج من أعظم ما ابتلي به الإنسان، وثورتها أو إثارتها تؤدي بالإنسان إلى مسالك رديئة وإلى مهالك بعيدة، وقد كانت فعلة قوم لوط من هذا الباب وانزلاقهم كان من هذا المنزلق، حتى إن الله تعالى وصفهم في شهوتهم هذه بقوله سبحانه: (" لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) "(3)

ولما تملكت هذه الشهوة قوم لوط لم يستجيبوا لدعوته ولا لنهيه إياهم عن إتيان الذكور، بل ازدادوا عناداً وطغياناً، حتى طلبوا منه وقوع ما حذرهم عنه من مجيئ العذاب الأليم وحلول البأس العظيم، فعند ذلك سأل لوط رب العالمين وإله المرسلين أن ينصره على القوم المفسدين فقال: (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ) (4) فغاز الله تعالى لغيرته، وغضب لغضبته، واستجاب لدعوته فبعث ملائكته العظام لإهلاكهم، وإنزال بأسه الذي لا يرد عن القوم الظالمين المعتدين.

"ومن عجيب أمر قومه وتماديهم في سكرتهم أن ملائكة العذاب عندما أتوا إلى لوط ν وكانوا في صورة أضياف آدميين شباب حسان توافد إليه قومه في بيته

(**1**) **رواه الترمذي ، ح/3591.**

(**2**) **سنن النسائي ، ح/ 5444، 5455، 5456، 5484 .**

(**3**) **سورة الحجر، رقم الآية/ 72.**

(**4**) **سورة العنكبوت ، رقم الآية / 30.**

وجاءوه يهرعون إليه يريدون فعل الفاحشة بأضيافه، فزجرهم ونهاهم وحذرهم وأنذرهم وكان من قوله له (فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ) [1] إلا إن القوم كانوا في سكرتهم يعمهون وفي غيهم متمادين وفي شهواتهم سادرين إلى أن حل بهم العقاب ونزل بهم العذاب، كما قص الله تعالى ذلك في مواضع من كتابه العزيز. قال الله β : (رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ * فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ) "[2]

أدعية شعيب v

"(وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) "[3]

"(وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) "[4]

"قال الحافظ ابن كثير ρ : (هذا إخبار من الله عما واجهت به الكفار نبيَّ الله شعيباً ومن معه من المؤمنين في توعدهم إياه ومن معه بالنفي من القرية أو الإكراه على الرجوع في ملتهم والدخول معهم فيما هم فيه. وهذا خطاب مع الرسول والمراد أتباعه الذين كانوا معهم على الملة) "[5]

فهاهنا تهديد صريح وتوعد شديد من الكفار لنبي الله شعيب v ولمن معه من المؤمنين بالطرد من بلدهم إن لم يعودوا في ملة الكفر، ولهذا قال v جواباً لقومه (أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ) والهمزة هنا للاستفهام، وهو استفهام إنكار وتعجب(أي : أنتابعكم على دينكم وملتكم الباطلة ولو كنا كارهين لها، لعلمنا ببطلانها، فإنما يدعي إليها من له نوع رغبة فيها، أما من يعلن بالنهي عنها والتشنيع على من اتبعها فكيف يدعي إليها)[6] .

---

(1) سورة هود، رقم الآية/ 78.

(2) سورة الشعراء، رقم الآية/ 169-173.

(3) سورة الأعراف، رقم الآية/89

(4) سورة هود، رقم الآية/ 88

(5) تفسير ابن كثير، ج/3، ص/ 444.

(6) تفسير سعدي ، ص/ 334.

وفي هذا السياق دلالة على أن من هداه الله إلى الإيمان وخالطت بشاشته قلبه يسخطه أبداً ولا يريد التحول عنه لوضوح طريق الهداية وحسنه ولفساد طريق الضلال وقبحه، ولهذا قال: (" قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا) ."

وهذا القول من نبي الله شعيب ν تيئيس للكفار من دعوته هو ومن معه من المؤمنين إلى ملتهم، وبيان منه لهم أن ما هم عليه من الكفر والشرك افتراء عظيم على الله تعالى، وأنه لا أحد أعظم افتراء ممن عبد غير الله تعالى وجعل معه شريكاً في شيء من خصائصه، بل الله تعالى لا إله غيره، ولا رب سواه ولا شريك معه.

كما تضمن قوله ν ذكراً لمنّة الله تعالى عليه وعلى من آمن معه بالنجاة من الكفر والشرك والهداية إلى الإيمان والإسلام والتوحيد، فإن الله β يمن على من يشاء من عباده فيوفقه للهداية إلى الحق، ويخذُلُ من يشاء من عباده فيضلُّ عن الحق ويقيم على الباطل، وهذا المعنى أكده نبي الله شعيب ν بقوله: (وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاء اللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) فهذا رد للأمر إلى مشيئة الله على جهة التسليم له. إذ هو الذي وسع كل شيء علما، يعلم ما كان وما هو كائن وما لم يكن لو كان كيف يكون وأن توفيق العبد وهدايته بيد الله إذ لا خروج لأحد عن مشيئته وقضائه وقدره.

"ثم ختم نبي الله شعيب ν محاجته لكفار قومه بالدعاء والتوكل على الله تعالى فقال: (عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) ."

"وقد حكى الله تعالى عن نبيه شعيب ν في آية أخرى أنه قال لقومه: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)" (1) ، أي اعتمدت عليه في أموري

---

(1) سورة سبأ، رقم الآية/ 26.

ووثقت في كفاته (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) أي : في أداء ما أمرني به من أنواع العبادات. وبهذين الأمرين تستقيم أحوال العبد، وهما الاستعانة بربه والإنابة إليه.

"وقوله : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) أي: احكم بيننا وبينهم بحكمك الحق الذي لا ظلم فيه ولا حيف ولا جور بأن ينصر الحق وأهله ويذل الباطل وأهله (وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) أي: خير الحاكمين، ونظير هذا قوله تعالى : (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ) "[1]

والفتاح اسم من أسما الله الحسنى، وهو دال على صفة كمال عظيمة لله β فهو سبحانه يحكم بين عباده بما شاء ويقضي فيهم بما يريد، ويمن على من يشاء منهم بما يشاء، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره.

"وقد استجاب الله دعوة نبيه شعيب v ففتح بينه وبين قومه بالحق، فجاء أمره سبحانه بنصر نبيه شعيب v والمؤمنين معه وإهلاك الكافرين، قال الله تعالى: (وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) "[2]

أدعية يوسف v

"(فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [3]

"(مَعَاذَ اللّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّآ إِذًا لَّظَالِمُونَ)."[4]

"(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) "[5]

لقد ذكر الله تعالى في موضعين من سورة يوسف دعاءين لنبيه يوسف v كل دعاء له شأنه ومناسبته التي يحسن تأملها وتدبرها.

---

(1) نفس الآية

(2) سورة هود، رقم الآية/ 94.

(3) سورة يوسف، رقم الآية/64

(4) سورة يوسف، رقم الآية/ 79

(5) سورة يوسف، رقم الآية/ 101

"الدعاء الأول: قال الله β : (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ & فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) "(1)

وهذا مقام من مقامات الفزع إلى الله في طلب العصمة من مقارفة الذنب والوقاية من كيد الأشرار، ولا سيما كيد النساء وفتنتهن التي هي من أشد الفتن على الرجال في هذه الحياة، بل قال رسول الله γ :" (ما تركت بعد فتنة أضرَّ على الرجال من النساء) "(2)، ويوسف ν قد تعرض في شبابه وقوته لهذه الفتنة العظيمة من النسوة اللاتي أردن منه فعل الفاحشة فما كان منه ν إلا البعد عن كيدهن واللجأ إلى الله بطلب العصمة من فتنتهن، وذلك قوله χ : (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) يعني : أن دخول السجن الذي هددته به امرأة العزيز إن لم يلبِّ رغبتها ـ على ما فيه من شظف وشدة ـ أسهل عليه وأهون من الوقوع في المعصية واقتراف الخطيئة، فآثر ν مرضاة الله والتجأ إليه لعلمه بأنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه إن لم يعصمه ربه من ذلك وينجه من الوقوع فيه، ولهذا قال: (وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ) .

"وقد استجاب الله دعوة نبيه يوسف ν ، ولهذا قال سبحانه (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) أي: فاستجاب الله ليوسف دعاءه ولطف به وعصمه من كيد النسوة ومن الوقوع في المعصية، كما قال تعالى في آية أخرى: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (3) فيوسف ν قد أخلص لله تعالى توحيده وحبه، فأخلصه الله لنفسه، وخلصه من فتنة النساء المهلكة ومن الوقوع في الشهوات المردية."

"الدعاء الثاني : قال الله تعالى حكاية عن نبيه يوسف ν في تمام ذكر قصته: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ

---

(1) سورة يوسف، رقم الآية/ **33-34**.

(2) صحيح البخاري، ح/**5096**. صحيح المسلم ح/**2740**

(3) سورة يوسف، رقم الآية/ **24**.

وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) "[1]

"قال الحافظ ابن كثير ρ : (هذا دعاء من يوسف الصديق، دعا به ربه β لما تمت النعمة عليه باجتماعه بأبويه وإخوته، وما منّ الله به عليه من النبوة والملك، سأل ربه β كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة، وأن يتوفاه مسلماً حين يتوفاه قاله الضحاك وأن يلحقه بالصالحين، وهم إخوانه من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) "[2]

"فهي دعوة عظيمة مباركة جامعة، قاله العلامة ابن القيم ρ : (جمعت هذه الدعوة الإقرار بالتوحيد والاستسلام للرب، وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاة غير سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام أجل غايات العبد، وأن ذلك بيد الله لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد، وطلب مرافقة السعداء). "[3]

ويستفاد من هذا الدعاء أن على العبد أن يلجأ دائماً إلى ربه ويلح عليه بالدعاء بأن يثبت إيمانه، ويعمل الأسباب الموجبة لذلك، ويسأل الله تعالى أن يتم له النعمة ويحسن له الخاتمة، وأن يجعل خير أيامه آخرها وخير أعماله خواتمها، فإن الله كريم جواد رحيم.

وليس فيما حكاه الله من دعاء يوسف ν في هذا المقام ما يدل على أنه دعا باستعجال الموت، وإنما الذي يدل عليه ظاهر الكلام أنه ν سأل ربه الثبات على الإسلام حتى يتوفاه حين يتوفاه عليه ويلحق بالصالحين من عباده.

أدعية أيوب ν

"(وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) "[4]

(**1**) سورة يوسف، رقم الآية/ **101**.

(**2**) تفسير ابن كثير، ج/**4**، ص/ **337**.

(**3**) الفوائد، ص/ **349**.

(**4**) سورة الأنبياء، رقم الآية/**83**

إن من الدعوات العظيمة الواردة في القرآن الكريم دعاء نبي الله أيوب v الصابر المحتسب، وقد تعرض لابتلاء عظيم في بدنة وأهله وماله حتى إن المثل ليضرب بما حصل له v من أنواع البلايا، ولم يزده هذا كله إلا صبراً واحتساباً وابتهالاً إلى الله تعالى وتضرعاً إليه لكشف ما به من الضر والبلاء ، لأنه سبحانه هو وحده الملاذ في الكربات، المدعو في الشدة والرخاء.

"قال الله تعالى : (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) [1] أي : واذكر . والخطاب لنبينا محمد γ . عبدنا أيوب إذ نادى ربه داعياً مستغيثاً به، وإليه لا إلى غيره شاكياً، فقال: يا رب إني مسني الشيطان بنصب وعذاب، أي: بمشقة وتعب في جسده، وعذاب وهلاك في أهله وماله."

"وقد توسل v إلى الله β بالإخبار عن حال نفسه وأنه بلغ الضر منه مبلغاً عظيماً، وبرحمة الله الواسعة العامة، فنادى ربه (أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [2] ."

"وقد استجاب الله تعالى دعاء نبيه أيوب v ، ولهذا قال سبحانه : (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) [3] ." وبين الله سبحانه كيفية كشفه الضر عن أيوب v وأنه سبحانه لما أراد إذهاب الضر عن أيوب أمره أن يركض برجله كما قال تعالى :" (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) [4]

وفيما حكى الله تعالى من دعاء أيوب v بيانُ أن من أعظم أسباب الفرج دعاءَه β والابتهال إليه والتضرع له وإظهار الفاقة لديه، وذكره بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، والتوسل، إليه بذلك.

أدعية يونس v

---

(1) سورة ص، رقم الآية/ **41**.

(2) سورة الأنبياء، رقم الآية/ **83**.

(3) سورة الأنبياء، رقم الآية/ **84**

(4) سورة ص، رقم الآية/ **42**.

"(أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) [1] "

"ومن الدعوات العظيمة المذكورة في القرآن ما ورد في قصة يونس وكان v نبياً من أنبياء الله تعالى ، وكان مبعوثاً إلى أهل نينوى من أرض الموصل بالعراق، فدعاهم إلى الله تعالى فأبوا عليه وتمادوا في كفرهم فوعدهم بالعذاب، ثم خرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم قبل أن يأمره الله تعالى بذلك، إلى أن ركب مع جماعة في سفينة مليئة بالركاب والأحمال، فلجّجت بهم في البحر ليتخففوا منه، فوقعت القرعة على يونس v ابتلاءً من الله تعالى له، وعندئذ قام v وألقى بنفسه في البحر، فأرسل الله تعالى من البحر حوتاً عظيماً فالتقم يونس v ، وأوحى الله إلى ذلك الحوت أن لا يأكل له لحماً ولا يهشم له عظماً، بل يبتلعه ليكون بطنه له سجناً، وفي هذا يقول الله تعالى: (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ & إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ & فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ & فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ & فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ &لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) "[2]

"ولما صار يونس v في بطن الحوت في تلك الظلمات، نادى ربه مستغيثا معترفاً بخطئه، كما أخبر عنه ذو العزة والجلال الذي يعلم السر والنجوى، ويكشف الضر والبلوى، سامع الأصوات وإن ضعفت، وعالم الخفيات وإن دقت، ومجيب الدعوات وإن عظمت، حيث قال في كتابه (وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ & فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) "[3]

"وقد استجاب الله لنبيه يونس v ولهذا قال تعالى : (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) أي: فاستجبنا ليونس دعاءه إيانا، إذ دعانا في بطن الحوت ونجيناه من الغم الذي كان بسبب حبسه في بطن الحوت، وقوله β : (وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) فيه كما هذه الدعوة وأنها دعوة مستجابة، قال ابن جرير الطبرى

(**1**) سورة الأنبياء، رقم الآية/ **87**

(**2**) سورة صافات، رقم الآية/ **139-140**.

(**3**) سورة الأنبياء، رقم الآية/ **87-88**.

ρ : (يقول β : وكما أنجينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت في البحر إذ دعانا، كذلك ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا ودعونا)[1]."

أدعية موسى v

"(ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) "[2]

"(وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) "[3]

"(رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) "[4]

"(رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) "[5]

"قال الله β : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي & وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي & وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي & يَفْقَهُوا قَوْلِي & وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي & هَارُونَ أَخِي & اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي & وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي & كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا & وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا & إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا & قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ "[6]

ورد دعاء موسى v في سياق قصته في الذكر الحكم، وذكر في سور متعددة[7] منها سورة طه.

ويأتي هذا الدعاء ضمن آيات هذه السورة التي تستهدف " (حث النبي γ على الصبر على ما يلقاه من إعراض قومه عن دعوته)" [8] ، ويمثل حلقة في قصة موسى v مع فرعون الطاغية الجبار التي تتجلى في مشاهد حلقاتها رعايته χ لرسوله وتثبيته وتأييده، ليتأسى خاتم الأنبياء والمرسلين γ بما كان من ثبات موسى في وجه

---

(1) تفسير الطبري، ج/16، ص/ 385.

(2) سورة الأعراف، رقم الآية/ 55

(3) سورة الأعراف، رقم الآية/56

(4) سورة القصص، رقم الآية/21

(5) سورة القصص، رقم الآية/24

(6) سورة طه ، رقم الآية / 25 – 36 .

(7) سورة الأعراف، آية 143، يونس، آية/88، طه، آية 25-36، الشعراء ، آية 12-14، وسورة القصص، آية رقم / 33-34.

(8) النظم الفني في القرآن لعبد المتعال الصعيدي، ص/ 194، مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهرة.

فرعون ومن صبره على عناد قومه من بني إسرائيل (1) . فبعد أن اختاره الله للرسالة ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ (2) ، ولخص له أسس الرسالة وقواعدها ، ممثلة في الاعتقاد بالوحدانية والعبادة والإيمان بالساعة ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي & إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ (3) ، وأراه بعض معجزاته . بعد ذلك أرسله إلى فرعون الذي طغى وتجاوز الحد في الطغيان حتى ادعى الألوهية، ورأي V لكي يواجه ذلك الطغيان أن يتسلح بأسباب تكفل له النصر فتوجه إلى ربه بذلك الدعاء البليغ.

"(إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ"(4))

لقد ساق الله تعالى قصة نبيه موسى V في مواضع كثيرة من كتابه العزيز بأساليب متنوعة، وليس في قصص القرآن أعظمُ من قصته، ولا أكثر منها مواقف وعبراً، لأنه V عالج أكبر طاغية عرفه التاريخ فرعون وجنوده، وعالج أعنت شعب عرفه الناس بني إسرائيل، فكانت مهمة موسى V من أقوى المهمات ورسالته من أظهر الرسالات.

فمن دعاء موسى V ما جاء في قوله تعالى : (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (5) ، وهذا الدعاء قد قاله موسى V استغفاراً وتوبة إلى ربه سبحانه لقتله رجلاً قبطياً خطأً من غير قصد لقتله، ولكنه قصد مساعدة رجل إسرائيلي من شيعته استغاث به على القبطي، فوكزه موسى، أي ضربه بقبضة يده، فقضى عليه لقوة موسى V، ولم ينسب V هذا الفعل إلى القدر معتذراً بذلك، بل بادر بالتوبة والاستغفار، لأنه كان السبب فيه . وهذا

---

(1) في ظلال القرآن ، ج/4، ص/ 2329 ، والنظم الفني ، ص/ 194.

(2) سورة طه، رقم الآية / 13.

(3) سورة طه، رقم الآية/ 14-15.

(4) سورة غافر، رقم الآية/27

(5) سورة القصص، رقم الآية/ 16.

معنى ما روي عن قتادة ρ في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) قال: (وعرف نبي الله ν من أين المخرج، فأراد المخرج فلم يلق ذنبه على ربه) [1] .

"ومن دعاء موسى ν أنه لما أخبر بأن الأقباط يأتمرون به ليثأروا منه لقتله القبطي خرج من المدينة فراراً بنفسه داعياً ربه β في هذه الحال، كما قال الله تعالى : (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ & وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ) "[2]

فقوله : (رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) دعاء بالنجاة من فرعون وقومه الذين يأتمرون لقتله، وسماهم ظالمين، لأنه قد تاب من ذنبه، وفعله غضباً من غير قصد منه للقتل، فتوعدّهم له بالقتل ظلم منهم واعتداء، وقيل: سماهم ظالمين لأنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله تعالى .

وقد أجمع المفسرون على أن موسى ν طلب في هذا الدعاء ما يأكله لما به من الجوع الشديد، فإن هذا وصف لحاله بأنه فقير إلى ما أنزل الله إليه من الخير، وهو متضمن لسؤال الله إنزال الخير إليه، وهذا من أبلغ الوسائل إلى الله β.

وموسى ν وصف في هذه الدعوة حاله وأظهر فقره واحتياجه إلى ربه ومولاه، وهو يتضمن سؤاله سبحانه إنزال الخير إليه وموالة المنّ عليه.

"وقد أجابه الله فيما سأل فوالى المنّ عليه وأجزل له العطاء وبقي ν في مدين في أمن وعافية وفي خير ورزق إلى أن اصطفاه الله واجتباه رسولاً أميناً ونبياً كريماً، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى جميع النبيين."

"ومن دعاء موسى ν أن الله تعالى لما بعثه إلى فرعون وقومه لدعوتهم إلى الإسلام، سأل ربه β أن يفتح عليه في تبليغ الرسالة وبيان الدين، كما قال الله تعالى : (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي & وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي & وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي & يَفْقَهُوا قَوْلِي & وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي & هَارُونَ أَخِي &

---

(1) الدرر المنثور للسيوطي، ج/6، ص/ 399.

(2) سورة القصص، رقم الآية/ 21-22.

اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي & وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي & كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا & وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا & إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا) "[1]

"وهذا دعاء عظيم في مقام عظيم، كما قال الحافظ ابن كثير : (هذا سؤال من موسى v لربه β أن يشرح له صدره فيما بعثه به، فإنه قد أمره بأمر عظيم وخطب جسيم، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك، وأجبرهم وأشدِّهم كفراً وأكثرهم جنوداً وأعمرهم ملكاً وأطغاهم وأبلغهم تمرداً، بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله، ولا يعلم لرعاياه إلهاً غيره)[2] . والدعاء بشرح الصدر له أهمية كبيرة في هذا الشأن، فإنه قوة معنوية، يستعين بها نبي الله موسى v على أداء تلك المهمة الكبرى، فإنه مدعاة للصبر واحتمال المشاق والإقبال على الدعوة بهمة ونشاط، وأما ضيق الصدر والسآمة فهي من أسباب الضعف وخور العزيمة، ومن هذا حاله لا يصلح لهداية الخلق ودعوتهم إلى الله تعالى، كما قال الله سبحانه لنبيه محمد γ : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ) "[3]

"ولذا ذكر العلامة ابن سعدي ρ من جملة الفوائد المستفادة من قصة موسى v : (أن الفصاحة والبيان مما يعين على التعليم وعلى إقامة الدعوة، لهذا طلب موسى من ربه أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله، وأن اللثغة لا عيب فيها إذا حصل الفهم للكلام ، ومن كمال أدب موسى v مع ربه أنه لم يسأل زوال اللثغة كلها، بل سأل إزالة ما يحصل به المقصود) [4] ، قال الحسن البصري ρ : (الرسل إنما يسألون بحسب الحاجة، ولهذا بقيت في لسانه بقية) [5] . "

ثم قال موسى v :(" وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي & هَارُونَ أَخِي & اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي & وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) ."

---

(1) سورة طه، رقم الآية/ 25-35.

(2) تفسير ابن كثير ، ج/5، ص/ 276.

(3) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 159.

(4) تيسير اللطيف المنان، ص/ 136.

(5) البداية والنهاية، ج/2 ، ص/ 60.

قال الحافظ ابن كثير: " (وهذا أيضاً سؤال من موسى في أمر خارجي عنه، وهو مساعدة أخيه هارون له) "[1]. وجاء في موضع آخر من القرآن الكريم بيانُ التعليل لهذا السؤال من موسى، وهو ما حكاه الله عنه من قوله : (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ[2]) فموسى v سأل ربه أن يجعل أخاه هارون شريكاً له في النبوة وتبليغ الرسالة، وهذا من وجاهته v عند ربه، حين شفع أن يوحي الله إلى أخيه، وطلب موسى أن يكون معينُه من أهله لأنه من باب البر، وأحق ببر الإنسان قرابته، ويقال: إنه لم يكن أحد على أخيه أسعد ولأخيه أنفع من موسى لهارون [3]."ثم ذكر موسى v الفائدة في سؤاله هذا فقال: (كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا & وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا) ".

وختم موسى v دعاءه لربه في هذه الأمور كلها بقوله: (إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا) أي : (تعلم حالنا وضعفنا وعجزنا وافتقارنا إليك في كل الأمور، وأنت أبصر بنا من أنفسنا وأرحم، فمُنَّ علينا بما سألناك وأجب لنا فيما دعوناك)[4] فاستجاب الله تعالى دعاء نبيه وكليمه موسى v فقال β :" (قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى)" أي : أعطيت جميع سألت، والسؤال: الطلبةُ والمرغوب فيه. وقال تعالى جواباً لموسى أيضاً على سؤاله:(" قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ)" [5]فأخبر سبحانه أنه استجاب له الدعاء وحقق له الرجاء فعضّده وقواه بأخيه وجعل لهما سلطاناً على فرعون وقومه فلا سبيل لهم إلى أذاهما بما أيدهما به من الآيات الساطعات، وجعل الغلبة والنصر والعاقبة الحميدة لهما ولأتباعهما، فنعم المولى هو سبحانه ونعم النصير.

---

(1) تفسير ابن كثير، ج/5، ص/ 277.

(2) سورة القصص، رقم الآية/ 34.

(3) تفسير أبي المظفر السمعاني ، ج/3، ص/ 328.

(4) تفسير ابن سعدي ، ص/ 587.

(5) سورة القصص، رقم الآية/ 35.

لا يزال الحديث ماضياً عن دعاء نبي الله موسى v ، فمن دعائه أنه لما بلغه تهديد فرعون له بالقتل التجأ إلى ربه مستعيذاً به من بأس فرعون وجبروته، كما حكى الله تعالى ذلك حيث قال:" (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ & وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ[1]) "

وقول فرعون هذا ـ قبحه الله ـ من أعجب ما يكون، وهو من التمويه والترويج للباطل الذي هو عليه، ولهذا يقال في المثل ـ على سبيل التهكم : (صار فرعون مذكراً) وهذا تضليل منه، فإن فرعون يزعم في كلامه هذا أنه يخاف على الناس أن يضلهم موسى v ، فصار واعظاً يشفق على الناس من موسى ويخشى عليهم منه، من أن يبدل على الناس دينهم، أو أن يظهر في الأرض الفساد، ويزعم لنفسه أن إنما يريد بالناس الخيرَ وهدايتهم إلى سبيل الرشاد، ويزعم لنفسه أن إنما يريد بالناس الخيرَ وهدايتهم إلى سبيل الرشاد، وهذا شأن دعاة الباطل وأئمة الضلال في كل زمان ومكان. وقد قال فرعون ذلك مع أنه من شر خلق الله تعالى وأشدهم فساداً وخبثاً، ومكراً بالناس واستخفافاً بالعقول، وتكبراً على الحق وتعالياً عليه.

ولهذا قال موسى v داعياً الله تعالى ومنبهاً الناس: "(إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ) "[2]

دعاء سليمان v

"(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) "[3]

"(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) "[4]

أدعية زكريا v

مباشرة نلتقي بدعاء زكريا v في قوله β :

---

(1) سورة غافر، رقم الآية/ 26–27.

(2) سورة غافر، رقم الآية/ 27.

(3) سورة النمل، رقم الآية/ 19

(4) سورة ص ، رقم الآية/35

"﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء & فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ & قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء & قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾ "[1]

لما رأى زكريا V أن الله يرزق من يشاء بغير حساب كما أخبر سبحانه بذلك في الآيات السابقة، ومن ذلك أن الله رزق مريم فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء.

لما رأى ذلك عياناً طمع زكريا حينئذ في الولد، وإن كان شيخاً كبيراً قد وهن منه العظم، واشتغل الرأس شيباً، وكانت امرأته مع ذلك كبيرة وعاقراً، لكنه مع هذا كله سأل ربه وناداه خفياً قائلاً :" ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء ﴾ " أي رب أعطني من عندك ولداً صالحاً إنك مجيب دعاء الصالحين من عبادك المؤمنين.

فاستجاب الله دعاءه إذ خاطبته الملائكة شفاهاً خطاباً أسمعته، وهو قائم يصلي في محراب عبادته، ومحل خلوته، ومجلس مناجاته وصلاته بأن الله يبشره بولد يوجد له من صلبه اسمه يحيى.

وهذا الولد يتصف بصفات عالية منها أنه يصدق بعيسى بن مريم فهو من الصديقين السابقين إلى الخيرات.

وأنه سيكون سيداً على قومه في العلم والعبادة والحلم والشرف وفي سائر الصفات الفاضلة، وأنه سيكون حصوراً عن المعاصي، حاصراً نفسه عن الشهوات، مانعاً نفسه منها.

وأنه سيكون نبياً من أصلاب الأنبياء الصالحين.

ولكن زكريا V أدركته الدهشة من أن يأتي له ولد وهو كبير السن قريب من الموت، وامرأته مع ذلك كبيرة السن، وكانت عاقراً.

---

(1) سورة آل عمران ، رقم الآية / 38-41.

حين أدركت الدهشة قال:" ﴿ رَبِّ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾" (1) أي : رب كيف يكون لي غلام ، ومن أين ؟ والحال أني كبير في السن، وامرأتي عقيم ، فكان الجواب أن الله يفعل ما يشاء لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه.

ثم سأل زكريا ربه أن يجعل له علامة يستدل بها على وجود الولد، فأجابه تعالى أن علامة ذلك أن لا يقدر على تكليم الناس ثلاثة أيام إلا بإشارة رأس أو يد أو نحو ذلك مع أنه سوى صحيح الجسم، ثم أمره تعالى في هذه الحال بكثرة الذكر والتكبير والتسبيح وبخاصة في وقت العشي والإبكار.(2)

"(رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا % وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا % يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا %) "(3)

"(رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ % فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) % "(4)

إن من دعوات الأنبياء في القرآن ما جاء في قصة نبي الله زكريا v أن دعا ربه β أن يرزقه ولداً صالحاً يكون وارثاً له في العلم والنبوة والقيام بالدّين، ولم يكن v قد رزق ولداً في حياته، وكانت امرأته عاقراً، وتقدم به السن، لكنه على علم بكمال قدرة الله، وأنه سبحانه إذا أراد شيئاً كان، ولو لم تتوفر أسبابه المعلومة في العادة، إذ هو خالق الأسباب والمسببات، وبيده مقاليد كل شيء وخزانته.

"قال الله χ : (كهيعص & ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا & إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا & قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا & وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا

---

(1) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 40.

(2) تفسير ابن كثير، ج/1، ص/ 362-364.

(3) سورة مريم، رقم الآية/4-6

(4) سورة الأنبياء، رقم الآية/89-90

فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا & يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا(1)."

وقد تضمن هذا الدعاء العظيم الذي دعا به زكريا v ذكر حالته وشدة رغبته، وكمال أدبه مع ربه، وثقته التامة بقدرته ورحمته به خاصة وبعباده عامة.

قال العلامة ابن سعدي ρ : " (والحاصل أنه سأل الله ولداً ذكراً صالحاً يبقى بعد موته، ويكون ولياً من بعده، ويكون نبياً مرضياً عند الله وعند خلقه، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد، ومن رحمة الله بعبده أن يرزقه ولداً صالحاً جامعاً لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم) (2) ،" ومن الآيات المشتملة على ذكر دعاء زكريا v هذا قول الله تعالى : "(هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء)" (3) ، وقال تعالى : (" وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ)" (4) ، وقد أخبر الله تعالى أنه استجاب لدعاء نبيه زكريا v فجعل امرأته ولوداً بعد أن كانت عاقراً، ورزقه ولدا ذكراً صالحاً سماه يحي وجعله نبياً من الأنبياء.

قال تعالى : (" فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)" (5) وقال تعالى : "(يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ") (6) وقال تعالى :" (فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) (7) ."

---

(1) سورة مريم، رقم الآية/ 1-6.

(2) تفسير ابن سعدي، ص/ 569-570.

(3) سورة آل عمران، رقم الآية/ 38.

(4) سورة الأنبياء، رقم الآية/ 89.

(5) سورة الأنبياء ، رقم الآية/ 90.

(6) سورة مريم، رقم الآية/ 7.

(7) سورة آل عمران، رقم الآية/ 39.

قال الحافظ ابن كثير ρ : (والمقصود أن الله تعالى أمر رسوله γ أن يقص على الناس خبر زكريا v وما كان من أمره حين وهبه الله ولداً على الكبر، وكانت امرأته عاقراً في حال شبيبتها وقد أسنت أيضاً، حتى لا ييأس أحد من فضل الله ورحمته ولا يقنط من فضله تعالى وتقدس) [1] .

أدعية نبينا محمد γ

"(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ")[2]

"(تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ [3]) "

"(فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) "[4]

"(رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا "[5])

"(رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) "[6]

"(رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) "[7]

"(رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ & رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"[8])

"(رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ % وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ) "[9]

"(اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) "[1]

(**1**) البداية والنهاية، ج/**2**، ص/ **395**.

(**2**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **26**

(**3**) سورة آل عمران ، رقم الآية/**27**

(**4**) سورة التوبة، رقم الآية/**129**

(**5**) سورة الإسراء، رقم الآية/**81**

(**6**) سورة الكهف، رقم الآية/**10**

(**7**) سورة طه، رقم الآية/**114**

(**8**) سورة المؤمنون، رقم الآية/**93-94**.

(**9**) سورة المؤمنون، رقم الآية/**97-98**.

ومن الآيات التي فيها أمره γ بالدعاء قوله تعالى : "(قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [2]."

وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً γ بهذا الدعاء بعدما ذكر عن المشركين ما ذكر من المذمة لهم في حبّهم الشرك ونفرتهم عن التوحيد.

"والمعنى: ادع ـ أيها النبي ـ الله وحده لا شريك له، الذي هو فاطر السماوات والأرض، أي: خالقهما على غير مثال سبق، (عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أي : السر والعلانية، (أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) أي: في دنياهم، وستفصل بينهم يوم معادهم وقيامهم من قبورهم)[3]. "

ومن المواضع التي ورد فيها أمر النبي γ بذكر الله ودعائه قوله β : "(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا) "[4]

وهذا دعاء ثناء وتمجيد أمر الله تعالى نبيه محمداً γ بأن يقوله توحيداً لربه سبحانه وتنزيهاً له عن كل ما لا يليق به، وقد جاء في الأثر عن محمد بن كعب القراظي أنه كان يقول: إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولداً ، وقالت العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذل الله، فأنزل الله هذه الآية: "(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا[5])"

ومن المواضع التي أمر الله فيها نبيه محمداً γ بالدعاء قوله تعالى :" (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) [6] ."

---

(1) سورة الزمر، رقم الآية/ 46

(2) سورة الزمر، رقم الآية/ 46.

(3) تفسير ابن كثير، ج/7، ص/ 94.

(4) سورة الإسراء، رقم الآية/ 111.

(5) سورة الإسراء، رقم الآية/ 111.

(6) سورة النصر، رقم الآية/ 3.

وهذا أمر من الله تعالى لنبيه γ بأن يسبح بحمد ربه ويستغفره، وقد جاء هذا الأمر بعد بشارة النبي γ بنصر الله تعالى وفتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً، ولهذا فهم طائفة من الصحابةφ أن النبي γ أمر بالتسبيح والتحميد والاستغفار شكراً لله تعالى على هذه النعم التي بشر بها، وفهم بعض الصحابة كعمر وابن عباس φ أن مجيء نصر الله والفتح ودخول الناس في الدين أفواجاً علامة على اقتراب أجل رسول الله γ وانقضاء عمره، وأن الله تعالى أمره بالتسبيح والتحميد والاستغفار ليختم عمله بذلك، ويتهيأ للقاء ربه والقدوم عليه على أكمل أحواله وأتمها.

دعاء الملائكة

"(رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ % رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ % وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ %) "[1]

دعاء امرأة عمران

"﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ & فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ & فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ "[2]

يجيئ هذا الدعاء بعد قوله تعالى : "﴿ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ & ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾" [3] يجيئ لبيان أصل قصة مريم التي جعلها الله وابنها آية للعالمين، وهو هذا الدعاء الواردة معنا في هذه الآيات.

ومريم وابنها عيسىθ من الذين ذكر الله اصطفاءهم في الآية السابقة ، وهم آل عمران .

---

(1) سورة غافر، رقم الآية/7-9

(2) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 35-37

(3) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 32-33.

"وهنا في هذه الآيات يخبر تعالى بقصة دعاء أم مريم، أنها قالت ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ أي يا رب نذرت لعبادتك وطاعتك ما أحمله في بطني خالصاً لك، فتقبل مني ."

"وقالت لما ولدتها: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى﴾ أي : يا رب ولدتها أنثى لا تصلح للخدمة في بيت المقدس. والله أعلم بما ولدت. والله أعلم بأن الذكر ليس في الخدمة كالأنثى."

وقالت : "﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ."

ومع أنها أنثى فإن الله تقبلها من أمها نذرةً، وأنه تعالى أنبتها نباتاً حسناً فجعل لها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً، ويسر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير، فجعل زكريا كافلا لها. وكان إذا دخل عليها في كل وقت وجد عندها رزقاً عجيباً في غير زمانه.

فإذا رأى زكريا ذلك عندها قال : يا مريم من أين لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله ربي الذي يرزق من يشاء بغير حساب [1].

مريم عليها السلام

وفي هذه السورة نطالع دعاء مريم في قوله تعالى حكاية عنها:" ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ "[2]

يجيء هذا الدعاء بعد قوله β : "﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ & وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾"[3]

وهنا يخبر تعالى عن مريم أنها لما سمعت ببشارة الملائكة لها بابنها عيسى عن الله β قالت في مناجاتها: "﴿ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾

(1) تفسير ابن كثير ، ج/1، ص/ 364.

(2) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 47.

(3) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 45-46.

"أي: رب كيف يوجد هذا الولد مني وأنا لست بذات زوج ولست بغياً، حاشا لله فقال لها الله أو الملك عن الله في جواب ذلك السؤال: "﴿ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء﴾" أي: الله يخلق ما يشاء لا يعجزه شيء إذا أراد أمراً قال له كن فيوجد بلا تأخر[1].

أدعية المؤمنين

"(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ")[2]

"(رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ[3])."

"(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ")[4]

"(رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ[5]) "

"(رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ")[6]

"(رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ "[7])

"(سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [8]) "

"(رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) "[9]

"(رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) "[10]

---

(1) تفسير ابن كثير، ج/1، ص/ 364.

(2) سورة البقرة ، رقم الآية/201

(3) سورة البقرة ، رقم الآية/286

(4) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 26

(5) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 191

(6) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 194

(7) سورة المائدة ، رقم الآية/ 83

(8) سورة البقرة ، رقم الآية/285

(9) سورة المؤمنون، رقم الآية/109

(10) سورة التحريم، رقم الآية/8

ومن دعوات المؤمنين المذكورة في القرآن ما ورد في قوله β : (" وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [1] ."

وهذه الآية حكاية لدعاء فئة من المؤمنين وهم طالوت وجنوده في مقام المواجهة لأعداء الله تعالى، وهم جالوت وجنوده، وكانوا مشركين بالله تعالى، وكان عددهم يفوق عدد المؤمنين بكثيرة، ولهذا تضرّع هؤلاء المؤمنون إلى الله تعالى يسألونه أسباب النصر على المشركين في هذا القتال، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: (وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) أي : لما واجه حزب الإيمان وهم قليل من أصحاب طالوت، لعدوهم أصحاب جالوت وهم عدد كثير قالوا: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا) أي : أنزل واصبب علينا صبرا من عندك، (وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) أي قوِّ قلوبنا على جهادهم لتثبت أقدامنا فلا ننهزم، والأقدام إنما تثبت عند قوة القلوب. (وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) أي : اكتب النصر لنا عليهم.

وقد أجابهم الله إلى ما سألوا وأنالهم ما إليه فيه رغبوا ، ولهذا قال: (فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ) أي : غلبوهم وقهروهم بحول الله لا بحولهم ، وبقوة الله ونصره لا بقوتهم وعددهم، (وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ[2]).

وقد تضمن هذا الدعاء كمال الاستعانة بالله وتمام الالتجاء إليه في هذا الموقف العصيب.

وهو تفويض إلى الله واعتماد عليه، وهو سبحانه الذي بيده أزمة الأمور ومقاليد السماوات والأرض، ولا حول ولا قوة إلا به.

ذكر الله تعالى في مواطن متعددة من كتابه العزيز أدعية عباده المؤمنين الصالحين، وابتهالاتهم؛ لتعليمهم التوجه إلى الله عز وجل بالدعاء والثناء بما يليق بجلاله وعظمته. يقول صاحب نظم الدرر في تعليل ذلك: (فلقصورهم وعجزهم تولى الله الوكيل على كل شيء الإنباء عنهم بما كان يجب عليهم مما لا يبلغ إليه وسع

---

(1) سورة البقرة، رقم الآية/ 250.

(2) سورة آل عمران، رقم الآية/ 126.

خلقه، وجعل تلاوتهم لما أنبأ به على ألسنتهم نازلاً لهم منزلة أن لو كان ذلك النطق ظاهراً منهم، لطفاً بهم، وإتماماً للنعمة عليهم؛ لأنه تعالى لو وكلهم في ذلك إلى أنفسهم لم يأتوا بشيء تصلح به أحوالهم في دينهم ودنياهم؛ ولذلك لا يستطيعون شكر هذه النعمة إلا أن يتولى هو تعالى بما يلقنهم من كلامه مما يكون أداءً لحق فضله عليهم بذلك، وإذا كانوا لا يستطيعون الإنباء عن أنفسهم بما يجب عليهم من حق ربهم فكيف بما يكون نبأً عن تحميد الله وتمجيده..))[1]

"قوله β : (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [2]) "

"قوله β : (رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)[3]."

وقد اشتملت تلك الأدعية على معان سامية، يتجلى فيها الإيمان بوحدانية الله والثناء على الله بما يليق بجلاله وعظمته، تخصيصه بالطلب، كما تضمنت مطالب عالية، تجمع بين خيري الدنيا والآخرة منها:

- "تعليم المؤمنين أن يتوجهوا إلى الله تعالى، يحمدونه، ويمجدونه، ويستعينون به، ويستهدونه، كما في سورة الفاتحة."
- "ومنها تعليمهم أن يلجؤوا بضعفهم إلى ربهم في قوته، معلنين إيمانهم وطاعتهم، طالبين عفوالله وغفرانه ورحمته ونصره وتأييده، كما في خاتمة سورة البقرة (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ)[4]."
- "وقد يتضمن دعاء المؤمنين الإيمان بحكمة خلق السموات والأرض، والضراعة إلى الله أن يبعدهم عن الخزي يوم القيامة كدعاء أولي الألباب في خاتمة سورة آل عمران (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ & الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى

---

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لبرهان الدين البقاعي،ج/١، ص/١٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤١٥، ١٩٩٥م

(2) سورة البقرة ، رقم الآية/**285**

(3) سورة البقرة ، رقم الآية/**286**

(4) سورة البقرة، رقم الآية/ ٢٨٦،٢٨٥.

جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[1]."

o "وقد يتضمن دعاء المؤمنين تعليمهم أن يلجأوا إلى حمى الرحمن ويستعيذوا بجلاله وسلطانه من شر مخلوقاته، ومن شر إبليس وأعوانه من شياطين الجن والإنس كما في سورتي الفلق والناس."

"وقد وصفهم تعالى بأنهم أعلنوا إيمانهم بالله متضرعين إليه في محبة ورغبة قائلين : ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [2] أي ربنا صدقنا بك، وبكتابك، وبرسولك، تجاوز عنا أخطأنا بفضلك ورحمتك."

ثم وصفهم تعالى بقوله: "﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾[3] " أي : هم الصابرون في قيامهم بالطاعات وتركهم المحرمات، وهم المصدقون بالمغيبات التي أخبر بها رسولهم في كتاب ربهم.

"وهم الخاضعون الطائعون لله ورسوله فيما كرهوا وأحبوا، وهم الذين ينفقون من أموالهم في جميع ما أمروا به من الطاعات، وصلة الأرحام والقربات، ومواساة ذوي الحاجات، وهم الذين يقومون ليلهم راكعين لله ساجدين ، مستغفرين بالأسحار [4]. "

"ومن دعوات أهل الإيمان الواردة في القرآن ما ورد في قوله β : (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا) "[5]

"يحكي الله تعالى في هذه الآية دعاء المؤمنين المستضعفين الذين كانوا بمكة تحت إذلال كفار قريش، وذلك قبل فتح مكة، فهؤلاء المستضعفون من المؤمنين سألوا ربهم β أن ينجيهم من فتنة من قد استضعفهم من المشركين، وأن يجعل لهم وليا من عنده سبحانه يستفذهم، ونصيرا يمنعهم من ظلم الظالمين وينصرهم على من ظلمهم من الكافرين، فاستجاب الله دعاءهم."

---

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/190– 191.

(2) سورة آل عمران، رقم الآية/ 16.

(3) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 17.

(4) تفسير ابن كثير ، ج/1، ص/ 353.

(5) سورة النساء، رقم الآية/ 75.

"قال ابن عباسκ: (فلما فتح رسول اللهγ مكة، جعل الله β النبي γ وليّهم، واستعمل عليهم رسول الله γ عتاب بن أسيد، فكان نصيراً لهم، ينصف الضعيف من القوي)[1] ."

ومن دعوات أهل الإيمان المذكورة في القرآن ما جاء في قوله β :(" وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) [2] ."

وهذا وصف لمن آمن بخاتم النبيين محمدγ من الذين قالوا: إنا نصارى، وأنهم إذا سمعوا آيات القرآن فاضت أعينهم بالدمع لمعرفتهم بأن ما يتلى عليهم حق من عند الله، ولهذا يسألون الله تعالى ويدعونه بقولهم:" (رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ") ، أي: أنهم يقولون: يا ربنا، صدّقنا لما سمعنا ما أنزلته إلى نبيك محمد γ من كتابك، وأقررنا به أنه من عندك، وأنه الحق لا شك فيه،" (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ") ومعنى الكتابة هنا أي : الجعل ، أي: فاجعلنا مع الشاهدين، وأثبتنا معهم في عدادهم.

"وعن ابن عباس κ في قوله: (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) قال : (أي : مع محمد γ وأمته، هم الشاهدون يشهدون لنبيهم أنه قد بلّغ، والرسل أنهم قد بلّغوا). [3]
"

دعاء طالوت وجنوده

"(رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ"[4])

أدعية الراسخين في العلم :

قوله β : "﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ & رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ "[1]

(**1**) تفسير البغوي، ج/**1**، ص/ **452**.

(**2**) سورة المائدة، رقم الآية/ **83**.

(**3**) تفسير ابن كثير، ج/**3**، ص/ **159**.

(**4**) سورة البقرة ، رقم الآية/**250**

يرد هذا الدعاء بعد قوله تعالى : "﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ ﴾ "[2]

وهنا في هذا السياق يرشد الله عباده المؤمنين والراسخين في العلم منهم إلى أن يدعوا ربهم قائلين : "﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ "أي : يا متولي أمورنا، لا تمل قلوبنا عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه ، ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم ميل عن الحق وكالذين يتبعون ما تشابه من القرآن ، ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم، ودينك القويم وامنحنا من عندك فيضاً غامراً من رحمتك تثبت بها قلوبنا، وتجمع بها شملنا، وتزيدنا بها إيماناً وإيقاناً، فأنت وحدك لا غيرك كثير العطاء واسع الفضل.

وفي إطار هذا الدعاء كان رسول الله γ يكثر من قوله : " الله مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " [3] . وكان إذا استيقظ من الليل قال : " لا إله إلا أنت سبحانك استغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علماًن ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب" [4] .

ثم يخبر تعالى عن المؤمنين الصادقين، والراسخين في العلم منهم أنهم يقولون كذلك في دعائهم : "﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾" [5] أي : إنك يا ربنا ستجمع بين خلقك يوم معادهم ، وتفصل بينهم،

---

(1) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 7-8.

(2) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 6.

(3) مستدرك الحاكم ، ج/4، ص/ 475، كتاب الرقاق ح / 7907، رياض الصالحين ح/ 411. تأليف يحى بن شرف النووي ، ط/ 10 ، مؤسسة الرسالة.

(4) شعب الإيمان ، ج/1، ص/ 475، باب في الخوف من الله ، ح / 759، وفقه السنة : ج/1، ص/ 201، دار الكتاب العربي ، بيروت .

(5) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 9.

فيما كانوا فيه يختلفون ، ويرى كل منهم جزاء عمله، ويظهر ما غاب عن العباد في ذلك العظيم يوم المعاد إلى رب العالمين [1] .

دعاء الحواريين

يرد هذا الدعاء بعد قوله تعالى : (" رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ& فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) "[2]

فعيسى v لما أخبر الناس برسالته وأراهم الآيات الموعود بها، ودعاهم إلى التصديق به وطاعته، كفروا به وأحس بذلك من جماعة منهم، عندها قال مستفهماً من ينصر دين الله وينصر رسوله، فأجابه الحواريون نحن نؤمن بالله وننصرك، واشهد يا نبي الله بأنا مسلمون لله وطائعون.

دعاء الربانيين

وفي سياق سورة آل عمران وهي تتحدث عن غزوة أحد يذكر تعالى دعاء الربانيين في قوله تعالى: "﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ & فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾" [3]

يرد هذا الدعاء بعد قوله تعالى: "﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ "[4]

وهنا يخبر تعالى عن موقف هؤلاء الربانيين وحالهم أثناء الجهاد في سبيله تعالى فيذكر أن دينهم التضرع إلى الله بقولهم: "﴿ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ "، فأجاب الله دعاءهم

---

(1) تفسير ابن كثير ، ج/1، ص/ 348،دار المعرفة ، بيروت ط/ 1403 هـ .

(2) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 52-53

(3) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 147-148.

(4) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 146.

فأعطاهم النصر على الأعداء والغنيمة بالأموال، والفوز بالجنة في الآخرة، والله يحب المؤمنين المحسنين في أعمالهم.

دعاء التائبين

"(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"(1))

من بني إسرائيل مما وقعوا فيه من الشرك بالله، وذلك في قوله β : "(وَلَمَّا سُقِطَ فَي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)" (2) ، وهذه الآية إخبار عن الذين تابوا من بني إسرائيل بعد ما عبدوا العجل من دون الله تعالى.

فقوله (" وَلَمَّا سُقِطَ فَي أَيْدِيهِمْ)" أي : ندموا على ما فعلوا ، والعرب تقول: ـ لكل نادم ـ قد سقط في يده أو أسقط، وقوله: "(وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ") أي : رأوا أنهم قد حادوا عن قصد السبيل، وذهبوا عن دين الله، وانحرفوا عن صراطه المستقيم، وكفروا بالله العظيم، (" قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) " أي: قالوا هذا تائبين إلى الله تعالى منيبين إليه، فكان ذلك اعترافاً منهم بذنوبهم والتجاء إلى ربهم بأن يرحمهم ويغفر لهم، وإلا كانوا من الخاسرين، وهكذا حال كل مذنب، فإنه لولا رحمة الله تعالى ومغفرته له لكان من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ولهذا قال الأبوان من قبل ـ فيما سبق بيانه من دعاء آدم ٧ ـ : "(رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (3) ."

دعاء أولي الألباب

ونحن نتأمل آيات الدعاء في سورة آل عمران نلتقي في آواخرها بهذا الدعاء مع قوله تعالى : "{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

---

(1) سورة الأعراف، رقم الآية/151

(2) سورة الأعراف، رقم الآية/ 149.

(3) سورة الأعراف، رقم الآية/ 23.

لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ & الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ & رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ & رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ & رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ "[1]

"ذكر الله في ختام هذه السورة بعض دلائل توحيده وقدرته تعالى ومن أعظمها خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار التي فيها الآيات البينات لأصحاب العقول المتدبرة الذين يذكرون ربهم، معلنين إيمانهم به سبحانه في دعاء خاشع يسوقه تعالى على ألسنتهم وهم يتفكرون في خلق السموات والأرض.[2]"

لقد جاءت هذه الآيات ، وهي تحمل إلينا هذا الدعاء، تدعو الناس إلى التفكير والتدبر في ملكوت السموات والأرض، مبينة أن في خلق السموات والأرض مشاهد عظيمة، ومنافع كثيرة، تدل على مبدعها ، وأن في تعاقب الليل والنهار دون انقطاع علامات بينة على عظيم قدرة الله وباهر حكمته.

وهذه الآيات النابعة من خلق السموات والأرض لا يتعظ بها إلا أصحاب العقول المستنيرة، وهم الذين تلهج ألسنتهم بذكر الله ، والتفكر في خلق السموات والأرض، قائلين: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً ﴾ أي ربنا ما أوجدت هذا الخلق العظيم عبثاً وباطلاً، بل تنزهت يا الله عن كل عمل لا فائدة منه ولا حكمة فيه، داعيين ربهم أن يقيهم عذاب النار الذي أعده لمن ظن أن خلق السموات والأرض باطل، فأفسد في الأرض بكل أنواع الفساد.

وهم الذين يدركون أن الخزي وسوء العاقبة يكون في دخول النار، وأن الذين يدخلونها هم الظالمون الذين لا ناصر لهم في ذلك اليوم الرهيب.

"وهم الذين يدعون ربهم معلنين إيمانهم برسوله الذي دعاهم إلى الإيمان بالله، طالبين منه سبحانه غفران ذنوبهم، وتفكير سيئاتهم، وموتهم مع الأبرار."

---

(1) سورة آل عمران ، رقم الآيات/ 190-194.

(2) مختصر تفسير ابن كثير، ج/1، صم 346-349.

"وهم الذين يدعون ربهم أن تكون الجنة مسكنهم، وأن ينجيهم سبحانه من الخزي يوم القيامة، فهو جل جلاله الذي لا يخلف ما وعد به عباده. "

وبعد هذا الدعاء الذي ساقه تعالى على ألسنة أولي الألباب من المتقين يعلن سبحانه أن استجاب دعاءهم، فلن يضيع عمل العاملين منهم في هذه الدنيا، من الرجال والنساء، وبخاصة أولئك النفر من المؤمنين المهاجرين والمقاتلين في سبيل الله.

فالثواب الذي أعده الله لهم في الآخرة هو تكفير سيئاتهم، وإدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ونعم الجنة ثواباً لمن آمن وعمل صالحاً، وكان في الدنيا من عبادة الله الصالحين .

دعاء المستضعفين

"(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا[1]) "

أدعية أهل الإيمان

المذكورة في القرآن ما ذكره الله في سياق ذكر توبة السحرة وإيمانهم بموسى v ، وذلك في قولهχ :" (قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ & وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) "[2]

فهذا بيان من الله تعالى لحال الذين آمنوا بموسى v من قوم فرعون بعد أن كانوا سحرة، وبعد أن توعدهم فرعون لإيمانهم بقوله: (" لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) "[3]

فما كان من هؤلاء المؤمنين إلا أن جاهروا فرعون بالثبات على الإيمان ، وأن توعّده لهم لن يردّهم عما هداهم الله إليه من الإسلام وما بضرهم به من الهدى، وقالوا لفرعون: (إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ) أي : قد تحققنا أنا إليه راجعون، وعذابه أشد من عذابك، ونكاله على ما تدعونا إليه من الكفر وما أكرهتنا عليه من السحر أعظم من نكالك، فلنصبرنّ اليوم على عذابك لنخلص من عذاب الله تعالى.

---

(1) سورة النساء ، رقم الآية/ 75

(2) سورة الأعراف، رقم الآية/ 125-126.

(3) سورة الأعراف، رقم الآية/ 124.

ثم توجهوا إلى الله بالدعاء وأعظموا الرغبة إليه بأن يثبتهم على دينه وأن يصبِّرهم على ما ينالهم من أذى في سبيله فقالوا: (" رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ") (1) أي : أفض علينا صبراً عظيماً ـ كما يدل عليه التنكير ، لأن هذه محنة عظيمة تؤدي إلى ذهاب النفس ومعالجة الأذى والعذاب، فيحتاج فيها من الصبر إلى شيء كثير، ليثبت الفؤاد ويطمئن المؤمن على إيمانه، ويزول عنه الانزعاج الكثير، (وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) أي: ثابتين على الإسلام منقادين لأمرك، متبعين لرسولك.

دعاء بني إسرائيل

ومن دعوات أهل الإيمان العظيمة المذكورة في القرآن الكريم ، ما ورد في قوله تعالى: "(وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ & فَقَالُواْ عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ & وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)" (2)

حيث أخبر سبحانه في هذه الآيات عن نبيه موسى v أنه أوصى قومه بني إسرائيل بالتوكل على الله تعالى في مواجهة أعدائهم فرعون وقومه، وأن قوم موسى المؤمنين قد امتثلوا أمره فقالوا: (عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا) أي: به وثقنا ، وإليه فوضنا أمرنا، وعليه وحده اعتمدنا، ثم دعوا ربهم فقالوا: (رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

دعاء أصحاب كهف

"(رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) "(3)

قال تعالى :" (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) "(4)

وهذا إخبار من الله تعالى عن الفتية أصحاب الكهف الذين وصفهم الله بقوله تعالى: "(إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى & وَرَبَطْنَا عَلَى

---

(1) سورة الأعراف، رقم الآية/ **126**.

(2) سورة يونس، رقم الآية/ **84-86**.

(3) سورة الكهف، رقم الآية/**10**

(4) سورة الكهف، رقم الآية/ **10**.

قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا & هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا & وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا) "[1]

فهؤلاء فتية مؤمنون اتفقوا على الانحياز عن قومهم الذي أشركوا بالله تعالى، والتبري منهم، والخروج من بين أظهرهم، والفرار بدينهم منهم، وهو المشروع حال الفتن وظهور الشرور.

وقوله β : (" إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) [2] ."

قال الحافظ ابن كثير ρ : " (يخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فرّوا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه، فهربوا منهم فلجؤوا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم، فقالوا حين دخلوا سائلين من الله تعالى رحمته ولطفه بهم: "(رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ") أي : هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسترنا عن قومنا. (وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) أي: "اجعل عاقبتنا رشداً، كما جاء في الحديث: " (وما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبته رشداً)" [3] . وفي المسند [4] من حديث بسر بن أبي أرطاة عن رسول الله γ أنه كان يدعو: " (اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة)" [5]

والحاصل : أن هؤلاء الفتية المؤمنين جمعوا بين السعي في الخير والفرار من الفتنة إلى مكان يمكن الاستخفاء فيه، وبين تضرعهم وسؤالهم لله تعالى تيسير أمورهم،

---

(1) سورة الكهف، رقم الآية/ 13-16.

(2) سورة الكهف، رقم الآية/ 10.

(3) البخاري في الأدب المفرد، ح/ 639،

(4) مسند إمام أحمد، ج/4،ص/ 181

(5) تفسير ابن كثير، ج/5، ص/ 135-136.

وعدم اتكالهم على أنفسهم وعلى الخلق، فلذلك استجاب الله تعالى دعاءهم، وقيّض لهم ما لم يكن في حسابهم.

قال تعالى: "(فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا)" [1] ، أي : ألقينا عليهم النوم حين دخلوا الكهف فناموا سنين كثيرة، ومنعنا نفوذ الأصوات إلى مسامعهم، فإن النائم إذا سمع الصوت ينتبه، وفي هذا النوم المذكور حفظ لقلوبهم من الاضطراب والخوف، وحفظ لهم من قومهم، وليكون آية بيّنة للمعتبرين.

دعاء عباد الرحمن

"(رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا % إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) "[2]

"(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا"[3])

دعاء لإصلاح الذرية

"(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ"[4])

دعاء التابعين وأتباعهم

ومن دعوات أهل الإيمان المذكورة في القرآن ما نعت الله به من جاء بعد الصحابة من التابعين وأتباعهم بإحسان إلى يوم القيامة في قوله سبحانه: "(وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) "[5]

---

(1) سورة الكهف، رقم الآية/ **11**.

(2) سورة الفرقان، رقم الآية/ **65-66**.

(3) سورة الفرقان، رقم الآية/**74**.

(4) سورة الأحقاف، رقم الآية/**15**

(5) سورة الحشر، رقم الآية/ **10**

قال أهل العلم: إن هذه الآية نزلت في التابعين ـ الذين أتوا بعد أصحاب رسول الله γ ـ وكل من دخل في الإسلام إلى يوم القيامة.

فعن ابن أبي ليلى قال : (الناس على ثلاثة منازل: المهاجرون، والذين تبوأوا الدار والإيمان (الأنصار)، والذين من بعدهم، فاجهد ألا تخرج من هذه المنازل).

وعن مصعب بن سعد قال: (الناس على ثلاثة منازل، فمضت منزلتان، وبقيت منزلة، فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت) [1].

دعاء أنصار المدينة

"(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) "[2]

والمقصود أن الله تعالى وصف المؤمنين الذين جاءوا بعد المهاجرين والأنصار بأنهم يدعون للسابقين مع أنفسهم فيقولون: "(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) ."

فجمعوا في هذه الدعوة بين سلامة القلوب وسلامة الألسن، فليس في القلوب غلٌّ ولا حقد ولا ضغينة، وليس في الألسن شتم ولا ثلب ولا وقيعة، بل في القلوب المحبّة الصادقة والإخاء، وفي الألسن الذكر الحسن والدعاء، وهذا من أبين دلائل الإيمان الصادق والوفاء لأهل الفضل والسبق والإحسان.

دعا لطلب الأولاد الصالحة

(رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء) [3]

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) [4]

"(رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) "[1]

(**1**) تفسير القرطبي، ج/**18**، ص/ **21**.

(**2**) سورة الحشر، رقم الآية/**10**

(**3**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **38**

(**4**) سورة الفرقان، رقم الآية/**74**.

دعاء المجاهدين

"(ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ[2]) "

دعاء لوسع الرزق

"(رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ "[3])

دعاء النجاة من الظالم

"(عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) "[4]

"(وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ "[5])

"(رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ) "[6]

دعاء للوالدين

"(رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) "[7]

دعاء للمسافر

"(فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) "[8]

دعاء السفر

"(رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا "[9])

دعاء المريض

"(وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) "[10]

دعاء لحفاظة من وسواس الشيطان

---

(1) سورة الصافات ، رقم الآية/100

(2) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 147

(3) سورة المائدة ، رقم الآية/ 114

(4) سورة يونس، رقم الآية/ 85

(5) سورة يونس، رقم الآية/86

(6) سورة القمر، رقم الآية/10

(7) سورة الإسراء، رقم الآية/24

(8) سورة يوسف، رقم الآية/64

(9) سورة الإسراء، رقم الآية/81

(10) سورة الأنبياء، رقم الآية/83

"(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ * "[1])

"(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ *) "[2]

دعاء المغفرة

"(رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) "[3]

"(رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) "[4]

دعاء لتوفيق أعمال الصالحة

"(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ"[5])

----

(1) سورة الفلق

(2) سورة الناس

(3) سورة المؤمنون، رقم الآية/109

(4) سورة المؤمنون، رقم الآية/118

(5) سورة الأحقاف، رقم الآية/15

الفصل الرابع

فوائد الأدعية المختلفة حسب حاجات الإنسان

لا يستغني العبد عن فضل ربه Y ولو للحظات قليلة . إن الله تعالى هو الذي خلقه فسواه فعدله ورزقه، وهو الذي يعينه ويهديه، فهو المعطي والمنعم والمعين والولي النصير، فإذا عرف العبد ربه عرف أنه لا يستغني عن عونه وأنه لا يقوم بشيء ولا ينجزه إلا بفضله تعالى ، ولا يتغلب على المصاعب ولا ينجو من المصائب إلا بعونه.

لذلك نجد الأنبياء والرسل ـ عليهم أفضل الصلاة والسلام ـ يدعون الله تعالى في كل الأحوال والأحيان، ويستعينون به على كل شيء من أداء الرسالة وكشف الضر وطلب الرزق وغير ذلك. ونجدهم يدعون الله تعالى في الأوقات المناسبة بالأدعية اللائقة مع اختيار الألفاظ الملائمة، وهذا في نفسه يعدّ أدباً من الآداب التي يستحسن مراعاتها أمام الخالق المنعم I ، ومن مواضع طلبهم عون الله تعالى ما يلي :

طلب صرف الكيد :

لقد واجه الأنبياء والرسل كثيراً من المصاعب من أقوامهم وامتحنوا بأنواع من المحَن حتى وجدوا أنفسهم في مآزق لا يمكن أن يعينهم فيها إلا الله Y ، ومن تلك الشدائد ما وقع بنبي الله يوسف u عندما تعرضت له امرأة العزيز وراودته عن نفسه فاستعصم ، ثم توعدته بقولها: " (وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ)" [1] فعند ذلك توجه إلى الله تعالى يستجده أن يصرف عنه كيد تلك المرأة ومن معها "(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ)[2]"

---

(1) سورة يوسف ، الآية / 32.

(2) سورة يوسف ، الآية / 33.

فنرى في هذه الآية الكريمة توجه يوسف υ إلى الله تعالى وحده طالباً منه العون مع إظهار شدة حاجته إليه وعجزه لينال من الله تعالى كما العناية في تلك الحالة. وفي كل ذلك ما لا يخفى من الأدب مع الله Y عند مخاطبته.

طلب كشف الضر :

ابتُلي نبي الله أيوب υ بإصابات لحقت أمواله وأولاده ونفسه ، فتوجه إلى الله Y بعد صبر طويل وعناء شديد بالتمجيد والدعاء بكشف ذلك الضر عنه(1). قال تعالى : (" وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ") (2) وقال : "(وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) (3) . "

"فنجد أن أيوب υ مع أنه كان في مصيبة وبلاء إلا أنه لم ينسَ أن يراعي الأدب مع الله تعالى ولذلك ضرب به المثل في الصبر وجعل الله تعالى قصته عبرة للآخرين (وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) (4) أي تذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب في الدنيا والآخرة (5) . "

طلب النجاة من الظالمين :

وكما ذاق يوسف υ ظلماً من بعض أفراد قومه فكذلك موسى υ . فبعد أن قتل القبطي خطأً خاف على نفسه من فرعون وملئه الذين كانوا يأتمرون به ليقتلوه ، فخرج من بلاد فرعون وهو يلتفت ويتوقع لحوق القوم به ولم يتلبَّث ليتزوَّد أو يتخذ دليلاً وإنما خرج فوراً (6) وتوجه مباشرة بالطلب إلى الله تعالى ، والالتجاء إلى حماه في

---

(1) التحرير والتنوير ، ج/ 27 ، ص/ 126.

(2) سورة الأنبياء ، الآية / 83.

(3) سورة ص ، الآية / 41.

(4) سورة الأنبياء ، الآية / 84.

(5) الكشاف ، ج/3 ، ص/ 131.

(6) يفهم ذلك من الفاء ، وهو يفيد التعقيب .

المخافة [1] ، قال تعالى : "(فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [2]"

ولما وصل موسى υ إلى ماء مدين وهو مجهود مكدود وجد امرأتين تطردان غنمهما عن الماء فسقى لهما ثم رجع إلى ظل شجرة فقال: (" رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) [3]" وفيه ما يلي :

"التوجه إلى الله وحده في كل ما يحتاجه، فكما طلب عون الله تعالى في إنجائه من ظلم القوم وهدايته الطريق الصحيح فكذلك لما وصل إلى مدين سأل الله الخير مع وجود من قد يستعين به من سكان مدين في تحصيل المطعم والمشرب والمأوى. ولكنه اختار الاعتماد الكلي على الله Y وهو بهذا قد سلم نفسه لله تعالى بالكلية ثقة بحصول الفضل منه فسأله ولم يسأل الناس " [4].

ولم يصرح موسى υ بالسؤال وإنما اكتفى بالتعريض، وكما "ذكرنا سابقا فإن السائل قد يستحيي من السؤال مراراً فيلجأ إلى التنويع في أسلوبه تأدباً مع المسؤول، فتارة يسأل بصيغة الطلب وتارةً بصيغة الخبر وتارةً يصرح بالدعاء وتارة يعرض، فنجد أن موسى υ صرح بالدعاء عند الخروج من بلاد فرعون ثم عرّض بالدعاء عن طريق رجاء هدي ربه له سواء السبيل ثم لما وصل إلى مدين لَمّح تلميحاً خفياً يوحى بطلب الخير من ربه، فاقتصر على وصف حاله بأنه فقير إلى ما أنزل الله تعالى إليه من الخير فكان ذلك تضميناً لسؤال الله تعالى إنزال ذلك إليه، وهذا من باب حسن الأدب في السؤال والدعاء [5] . "

طلب تيسير أمر الرسالة :

سار موسى υ بأهله من مدين إلى مصر ، وبينما هو كذلك إذ رأى جانب الطور ناراً، فذهب إليها ليأخذ قبساً منها أو يجد من يدله على الطريق . وهناك

---

(1) ظلال القرآن ، ج/ 5 ، ص/ 2685.

(2) سورة القصص ، الآية / 21.

(3) سورة القصص ، الآية / 24.

(4) بحر العلوم ، ج/ 1 ، ص/ 604.

(5) مجموع فتاوى ابن تيمية ، ج/ 10 ، ص/ 244.

أوحى الله تعالى إليه وكلفّه بتبليغ الرسالة لفرعون وقومه، وعرف موسى υ أنه قد كلِّف أمراً عظيماً يحتاج إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط وصدر فسيح [1] . فدعا ربه ليعينه على تحمل الرسالة بإزالة ما به من أعذار وبالإرسال إلى هارون υ ليعضده في أداء الرسالة.

وقد ورد هذا الدعاء في ثلاث مواضع من القرآن الكريم وهي كالآتي: قوله تعالى في سورة طه : " (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى & قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي & وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي & وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي & يَفْقَهُوا قَوْلِي & وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي & هَارُونَ أَخِي & اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي & وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي & كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا & وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا & إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا)[2]."

وقوله تعالى في سورة الشعراء : "(قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ & وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ & وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ) [3]"

وقوله تعالى في سورة القصص: "(قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ & وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ) [4] . "

بعد أن طلب موسى υ من ربه ما يعينه على أداء الرسالة أتبعها بما يجري مجرى العلة لسؤال تلك الأشياء [5] فقال : " (كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا & وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا & إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ") [6] أي لنزيد من التسبيح وذكرك بما يليق بك، وأنت أعلم بحالنا ومصالحنا. فتوسل إلى الله تعالى بعلمه تعالى به وبأخيه وبحالهما في قبول دعائه [7] . وقد يقال: "مع أن موسى υ سأل ربه تلك الأشياء

---

(1) الكشاف ، ج/3 ، ص/ 60.

(2) سورة طه ، الآية / 24-35.

(3) سورة الشعراء ، الآية / 12-14.

(4) سورة القصص ، الآيتان / 33-34.

(5) مفاتيح الغيب ، ج/ 22، ص/ 24.

(6) سورة طه ، الآيات / 33-35.

(7) أيسر التفاسير ، ج/ 3 ، ص/ 346.

لحاجته إليها إلا أنه فوّض أمره إلى الله تعالى بالكلية ليعطيه ما هو الأصلح له [1]". وفيه الدعاء بما يحتاجه ثم التسليم والرضا بما يعطيه الله تعالى .

هذا وإن في دعاء موسى υ . عند مواجهة مشقة التبليغ . "(رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي & وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي) " [2] قدوة للمسلمين عند وقوعهم في أي صعوبة، وكثيراً ما نجد أنفسنا نردد هذه الآيات قبل الإقبال على عمل شاق. وإنه من المستحب الدعاء بالأدعية الواردة في القرآن الكريم التي أخبرنا الله تعالى بها عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وعن غيرهم من الأخيار[3] .

واعلم أن الله I استجاب لدعاء موسى υ فشدّ عضده بأخيه وجعله مبعوثاً معه إلى فرعون وأمرهما بدعوته فقال : "(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى & فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ") [4] .

طلب إنزال المائدة :

طلب عيسى υ من ربه أن ينزل عليه وعلى قومه مائدة من السماء وذلك حينما طلب منه الحواريون أن يسأل ربه نزولها وأصروا على ذلك. فتوجه إلى الله تعالى وقال : "(اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)" [5].

إن في دعاء عيسى υ ونداءه ربه مرتين بضراعة وابتهال وطلبه ما طلب للعبرة والمعجزة والرزق، في ذلك كله اعتراف بأنه هو العبد وأن الله تعالى هو ربه فينجلي أدب العبد مع إلهه. [6]

الدعاء لمصالح الدين والدنيا والآخرة

---

(1) مفاتيح الغيب ، ج/ 22، ص/ 45-46. التحرير والتنوير ، ج/ 16 ، ص/ 214.

(2) سورة طه ، رقم الآيتين / 25-26.

(3) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ε ، لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، ص/ 344، الطبعة الخامسة عشرة، دار الكتاب العربي ببيروت ، 1406 هـ / 1986 م .

(4) سورة طه ، الآيتان / 43-44.

(5) سورة المائدة ، الآية / 114.

(6) ظلال القرآن ، ج/ 5 ، ص/ 1000.

قد يقدم العبد على عمل خير ويجتهد في القيام به على أحسن وجه حتى يظن الظانّ أنه مقبول لا محالة، ولكن قبول العمل ليس إلا بيد الله I . فهو الذي يعلم ما تخفي الصدور من إخلاص أو رياء ومن إيمان أو نفاق، فيقبل العمل أو يرده ويجازي كلاً بعمله. ولما كان المرء لا يعلم مدى رضا الله تعالى عنه وعن عمله، كان طلب القبول منه تعالى أمراً طبيعياً. كيف لا؟ وهذا ما فعله الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام فلا يغترون بأعمالهم مهما بلغت ويعلمون أن كل ما فعلوه كان بتوفيق الله تعالى . ولذلك ورد في القرآن أدعية لهم بتقبل العمل وبالثبات عليه لأن الإنسان لا يضمن لنفسه حياة حافلة بالأعمال الصالحة مختتمة بها أيضاً ولا يتوصل إلى تحقيق ذلك إلا بفضل الله تعالى .

فمن دعاء الأنبياء عليهم السلام في هذا الصدد دعاء إبراهيم u . وقد وردت له أدعية عدة منها ما دعا به بعد أن حاور قومه في فساد عقيدتهم، قال تعالى : " (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ & إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ & قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ & قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ & أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ & قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ & قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ & أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ & فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ & الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ & وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ & وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ & وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ & وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)" (1) فبعد أن أبطل عقيدتهم في تقليد آبائهم في الاعتكاف على أصنام لا تضر ولا تنفع، بيّن صفات الرب الحقيقي الذي يستحق العبادة. ثم دعا الله تعالى بقوله : " (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ & وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ & وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ)" (2) ويلاحظ من الآيات ما يلي :

إنه قدَّم على دعائه الثناء على الله Y فوصف الله تعالى لقومه وعدد نعمه تعالى عليه، فذكر أن الله Y هو الذي خلقه والذي يهديه في كل حين إلى مصالح الدين والدنيا، وهو الذي يرزقه وإذا مرض فهو الذي يشفيه ذكر ذلك بإسناد المرض

(**1**) **سورة الشعراء ، الآيات / 69-82.**

(**2**) **سورة الشعراء ، رقم الآيات / 83-85 .**

إلى نفسه حفظاً للأدب لأنه في معرض الثناء على الله تعالى وهو الذي يميته في الدنيا ثم يحييه للمجازاة ، والذي يرجو منه المغفرة يوم القيامة. وبعد أن عدّد نعم الله تعالى عليه من أول خلقه على آخره أقبل على الدعاء. وفيه تنبيه على أن تقديم الثناء على الدعاء من الأمور المهمة وأن له أثر عظيم في الإجابة. [1]

قال : (**هَبْ لِي حُكْمًا**) بذكر الهبة لأن الله تعالى إن استجاب له فإن ما يعطيه يكون إحساناً ومنّاً على نبيه واعتناء خاصاً به. وفي (**وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ**) عبّر عن إدخاله الجنة بالإرث، وذلك لأن الإرث هو الذي يحصل بغير اكتساب من الوارث [2]. فكأنه يقول: " مهما قمت بالأعمال الصالحة فإني لن أستطيع أن أفي بحقك ولكني أطلب أن تجعلني من الذين يدخلون الجنة بمنّك وكرمك، وهذا تواضع من أبي الأنبياءυ ، ففي كلتي الحالتين استحقر عمله، فما عنده من الحكم فمن الله تعالى ودخوله الجنة لا يكون بعمله وعمله بل بفضل الله تعالى ".

دعاء إقامة الصلاة

ومن دعاء إبراهيم υ قوله : " (**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء** ") [3] فدعا الله Y أن يجعله ممن يقيم الصلاة ويحافظ عليها وأن يجعل من ذريته من يكون كذلك. وقد كان إبراهيم υ مطيعاً لله ملتزماً بأحكامه ولكنه سأله الثبات على ذلك تواضعاً، فإن العبد لا يثبت على العبادة إلا بمعونة الله تعالى..

ثم دعا الله تعالى أن يتقبل منه دعاءه على سبيل العموم ليعم كل ما دعا به في الماضي وما سيدعو به في المستقبل فيدخل فيه دعاؤه في هذا المقام دخولاً أولياء.

---

(1) انظر مفاتيح الغيب ، ج/ 24 ، ص/ 514

(2) نظم الدرر ، ج/ 5 ، ص/ 370.

(3) سورة إبراهيم ، رقم الآية / 40.

هذا مع تكرار نداء الله تعالى بالرب لمزيد التضرع ولأن ما يطلبه من الرعاية له ولذريته من بعده لا يكون إلا ممن اتصف بالربوبية وهو الله تعالى وحده .[1]

وفي دعاء إبراهيم υ في هذه الآية السابقة بيان لضربين من التواضع لله تعالى، فالأول كما في قوله (" وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ)" هو ازدراء المرء نفسه واستحقاره عمله حيث لا يعدّ عمله مستحقاً لإدخاله الجنة، وإنما يعتمد على فضل الله تعالى في ذلك، والثاني كما في قوله : "(رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ)" هو تواضع العبد لربه عندما يقوم بالطاعات غير معجب بفعله، فرغم أنه كان مطيعاً لله تعالى إلا أنه طلب الإعانة على إقامة الصلاة وكأنه لم يقم بشيء[2] .

دعاء بتقبل العمل والثبات عليه

ومن دعاء إبراهيم υ ما دعا به مع ابنه إسماعيل υ وذلك أن الله تعالى أمر إبراهيم υ ببناء الكعبة ففي الحديث : " قال إبراهيم υ : يا إسماعيل : إن ربك أمرني أن ابني له بيتاً ، قال: اطع ربك، قال: إنه قد أمرني أن تعينني عليه، قال: إذن أفعل ، أو كما قال" .[3]

فقام إبراهيم υ برفع قواعد البيت بمساعدة ابنه إسماعيل υ ، قال تعالى : "(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ & رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ")[4] حكى الله تعالى بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام البيت ودعاءهما بأدعية عند رفعهما القواعد

---

(1) مفاتيح الغيب ، ج/19، ص/ 107، ونظم الدرر ، ج/ 4، ص/ 193، وفتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب صديق بن حسن الحسيني القنوجي، ج/3، ص/ 556، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ببيروت 1420/ 1990م .

(2) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، ص/ 60، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد عبدالرزاق حمزة ومحمد حامد الفقي، المكتبة التجارية بمكة المكرمة ، 1414هـ ، 1993م.

(3) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب (يزفون) : النسلانُ في المشي، ص/ 273، الحديث 3365، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظه مطولاً.

(4) سورة البقرة ، الآية / 127-128.

منه، ومن تلك الأدعية دعاؤهما بتقبل العمل والتوفيق إلى الزيادة منه أو التثبت على الهدى.

ولم يكن إبراهيم u النبي الوحيد الذي دعا الله تعالى بالثبات على العمل الصالح فقد دعا النبي يوسف u بذلك أيضاً حيث قال : "(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ") [1] .

"فبدأ دعاءه بتعديد نعم الله تعالى عليه فذكر نعمة الولاية والعلم ، فقد آتاه شيئاً من ملك مصر وعلمه شيئاً من عبارة الرؤيا. وفي ذكر كلمة " من " أدب منه u وهضم النفس حيث عظم كل ما أنعمه الله عليه وإن كان جزءاً من كل . " [2]

كما نرى أدب التوسل إلى الله تعالى بسابق النعم فإن يوسف u ذكر نعمة تعالى عليه في الدنيا ثم ذكر أن الله تعالى هو وليه ولا ولي له غيره، "وكأنه يقول: أنت وليي في الدنيا والآخرة والولي يفعل لمولاه ما هو الأصلح له، فكما أحسنت إلى في الدنيا فكذلك أرجو أن تحسن إليّ في الآخرة بأن تثبتني على الإسلام وتلحقني بعبادك الصالحين، فمن حق الكريم أن لا يخيب من أكرم عليه[3]. "

دعاء شكر النعمة

ومن دعاء الأنبياء أيضاً دعاء النبي سليمان u حينما مرّ مع جنوده على وادي النمل، قال تعالى : "(حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ") [4] فلما خافت النملة أن

---

(1) دعوة الرسل إلى الله تعالى، لمحمد أحمد العدوي، ص/ 168، بدون ذكر مكان النشر وتاريخ الطباعة.

(2) نظم الدرر، ج/ 4، ص/ 99، وإرشاد العقل السليم، ج/4، ص/ 308.

(3) نظم الدرر، ج/ 4، ص/ 100، وحاشية القونوي على تفسير البيضاوي ، ج/ 10 ، ص/ 428.

(4) سورة النمل ، رقم الآيتين / 18-19.

تحطمها خيول سليمان υ وجنوده أمرت بقية النمل بدخول مساكنها لئلا يحطموها وهم لا يشعرون بذلك. فلما سمع سليما υ ذلك دخله السرور بما خصه الله تعالى من سماع النمل وفهم مرادها. " [1]

دعاء التوبة بعد المعاتبة:

من مواضع توبة أنبياء الله تعالى توبة نبيه آدم υ عندما كان في الجنة . فقد أباح الله Y لآدم وحواء عليهما السلام الأكل من جميع ثمار الجنة إلا شجرة واحدة، قال تعالى : (" وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ") [2] ولكن الشيطان حسدهما وسعى في المكر والخديعة ليسلبهما ما هما فيه من النعمة ودلاهما بغرور، بأن حلف لهما أن الشجرة التي نُهيا عن الأكل منها هي شجرة الخلد وملك لا يبلى. فأكلا من تلك الشجرة فناداهما الله تعالى: "(أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ)" [3] وعند ذلك تاب آدم وزوجته ، عليهما السلام [4]، قال تعالى : (" قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) " [5] .

ومن هنا نرى أهمية التوبة، فإن نبي الله آدم υ تاب إلى الله تعالى مما قد صدر منه ومما قد يصدر منه في المستقبل ولم يستغنِ عن التوبة مع علو شأنه [6] . فيجب على المسلمين أن يرددوا دعاء أبيهم آدم υ فإنها كلمات نافعة تفيد صحابها بإذنه Y قال تعالى : " (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ)" [7] قال ابن

(1) تفسير ابن كثير ، ج/3، ص/ 2084، وروح المعاني ، ج/ 19، ص/ 179.

(2) سورة الأعراف ، رقم الآية / 19.

(3) سورة الأعراف ، رقم الآية/ 22.

(4) تفسير ابن كثير ، ج/2، ص/ 1102.

(5) سورة الأعراف ، رقم الآية / 23.

(6) مفاتيح الغيب ، ج/ 3، ص/ 471.

(7) سورة البقرة، رقم الآية/ 37.

عاشور [1] رحمه الله تعالى : " التلقي صيغة تفعّل من لقيه وهي دالة على التكلف لحصوله وتطلبه وإنما يتكلف ويتطلب لقاء الأمر المحبوب، بخلاف لاقي فلا يدل على كون الملاقي محبوباً فالتعبير بـ " تلقى" هنا مؤذن بأن الكلمات التي أخذها آدم كلمات نافعة له فعلم أنها ليست كلمات زجر وتوبيخ بل كلمات عفو ومغفرة ورضي " [2] ثم إن الله تعالى قال : (فَتَابَ عَلَيْهِ) والفاء يدل على أن التوبة المذكورة مترتبة على تلقي تلك الكلمات [3] وهي قوله: (" رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا) " [4] فيدل ذلك على أهمية الدعاء بهذه الكلمات التي دعا بها أبونا آدم υ.

ومن مواقف توبة الأنبياء توبة نوح υ ، وذلك أن الله تعالى لما أنزل العذاب على قومه ركب نوح υ ومن آمن معه سفينة النجاة إلا ابنه فلم يركب، وقد دعاه υ ليركب معهم ولكنه أبى فكان من المغرقين. وكان الله تعالى قد وعد نبيه υ بأن ينجي من آمن من أهله فنادى نوح ربه قائلاً : " (رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ") [5] فعاتبه الله تعالى على ذلك (" قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) " [6] فسارع نوح υ إلى التوبة

---

(1) هو : محمد الطاهر بن عاشور (1296 هـ - 1393 هـ) ، كان مفسراً لغوياً نحوياً، مالكياً أشعريا المذهب ، شيخ جامع الزيتونة، تولى القضاء أكثر من عشر سنين فكان رئيس المفتين المالكين بتونس، وكان من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي العربي بدمشق. من مصنفاته : التحرير والتنوير مقاصد الشريعة الإسلامية وموجز البلاغة وغيرها. انظر ترجمته في : الأعلام ، ج/ 6 ، ص/ 174، والمفسرون (حياتهم ومنهجهم) لمحمد علي إيازي، ص/ 240-241، الطبعة الأولى ، مؤسسة الطباعة والنشر بطهران ، 1414 هـ .

(2) التحرير والتنوير ، ج/1، ص/ 437.

(3) إرشاد العقل السليم ، ج/1، ص/ 92.

(4) هناك أقوال أخرى في تحديد " الكلمات " المشار إليها في الآية، ولكن المذكور أعلاه هو ما رجحه أكثر المفسرين.

(5) سورة هود، رقم الآية/ 45.

(6) سورة هود، رقم الآية/ 46.

إلى الله Y بقوله : " (قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ) [1]"

إن النبي نوح υ تاب توبة نصوحاً بما قاله ، فإن حقيقة التوبة تقتضي أمرين: أحدهما في المستقبل: وهو في المستقبل: وهو في العزم على عدم العود كما في قوله : "(رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ)" ، والثاني في الماضي : وهو الندم على ما صدر منه كما في قوله : (" وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ)" فلا بد من توفر هذين الأمرين ليصح التوبة من العبد [2].

دعاء التوبة مما هو خلاف الأولى

إن صدر من نبي ما هو خلاف الأفضل، فإنه يتوب إلى الله تعالى وإن لم يعاتبه عليه. ومن ذلك توبة النبي يونس υ حيث أمره الله تعالى أن يدعو قومه فدعاهم ولكنهم أبَوْا عليه وتمسكوا بكفرهم فخرج من بينهم مغاضباً له، ظناً منه أن ذلك جائز وأن الله تعالى لن يضيّق عليه اختياره ولن يعاقبه لأنه لم يعاقبه لأنه لم يفعله إلا من أجل الله Y إلا أن الصبر وانتظار الإذن من الله بالخروج كان أولى، فلما ابتلاه الله Y بالتقام الحوت له، استغفر مما صدر منه وأناب[3] ، قال تعالى : (" وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ") [4]

"ومن الأمور المهمة التي نستخلصها من دعاء ذي النون υ أهمية ابتداء الدعاء بالتهليل والتسبيح والثناء ثم الإفراد بالذنب وطلب المغفرة " [5]. ومنها أهمية الاعتراف بحقيقة الحال أمام الله Y فليس لأحد منا أن يبرئ نفسه من الذنب لا سيما في مقام مناجاة الله تعالى [6] فهو أعلم بأحوال العبد منه فلا حاجة إلى تقديم

---

(1) سورة هود ، رقم الآية/ 47.

(2) مفاتيح الغيب ، ج/1، ص/ 395.

(3) نفس المرجع ، ج/22، ص/ 180.

(4) سورة الأنبياء ، رقم الآية/ 87.

(5) فتح البيان ، ج/4، ص/ 431

(6) مجموع فتاوى ابن تيمية ، ج/10، ص/ 254.

الأعذاز بين يدي العليم الخبير، بل الأولى والأسلم أن يتواضع العبد ويظهر الذل والخضوع لله تعالى باعترافه بذنبه وطلب المغفرة.

"ومن توبة الأنبياء π توبة سليمان υ ذكر الله تعالى أنه فتن سليمان υ فرجع إلى ربه وأناب" وقال : (" رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ)" [(1)] فاستغفر النبي υ ليس لذنب صدر منه وإنما لترك الأولى والأفضل، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين والأنبياء أبداء في مقام هضم النفس والخضوع لله تعالى. ثم إنه قدم الاستغفار على استيهاب الملك لا وسيلة لنيل الملك فقط ولكن لكون الاستغفار مفتاح الإجابة فطلب المغفرة مقصودة ووسيلة لمطلوب الآخر[(2)] .

ومن مواضع التوبة توبة موسى υ بعد أن قتل القبطي، قال تعالى:(" فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ & قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ & قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ") [(3)] فبعد أن قتله ندم على ما فعله فحملته الندامة على الانقطاع إلى الله تعالى والاعتراف بترك الأولى، فطلب من الله تعالى التوبة فقبل الله ذلك منه. ثم عاهد موسى υ ربه بسبب نعمه وإحسانه عليه بأن يلتزم بعدم معاونة المجرمين [(4)] . ومن هنا نعرف ما ينبغي أن يفعله العبد إذا أقدم على التوبة، فإنه لا بد وأن يندم على ظلمه نفسه ويعترف بما فعله ويتوب إلى الله منهن ويعزم على عدم العود إلى ما صدر منه، وهذه هي شروط التوبة.

ومن توبة موسى υ ما حكاه الله تعالى في الآية : " (وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ

---

(1) سورة ص ، رقم الآية/ 35.

(2) مفاتيح الغيب ، ج/ 26 ، ص/ 394، وحاشية القونوي على تفسير البيضاوي، ج/16، ص/ 415.

(3) سورة القصص ، رقم الآيات / 15-17.

(4) المحرر الوجيز ،ج/11، ص/ 276، ومفاتيح الغيب، ج/24، ص/585.

وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ)" [1] فقول موسى υ : (" سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ") عند إفاقته كان توبة منه من أن يسأل الله تعالى شيئاً قبل أن يؤذن له في السؤال [2] ، ولم يكن ذلك السؤال معصية من النبي υ ولم يعاتبه ربه عليه ولكن من عادة الأنبياء استعظام ما يصدر منهم مما قد يكون خلاف الأولى، فتاب إلى ربه بعد أن نزَّهه عن كل ما لا يليق بشأنه تعالى بقوله : (" سُبْحَانَكَ ") ، وأتبع ذلك بإعلان إيمانه بأن الله تعالى لا يُرى في الدنيا أو بأنه لا يجوز السؤال بغير إذنه تعالى. وفي تصدير الكلام . وخاصة الاستغفار . بالتسبيح اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جُعل التسبيح مفتاح التوبة وتكرر في أكثر من دعاء. [3]

دعاء التوبة من غير ذنب:

والمقصود هنا مواضع طلب فيها الأنبياء υ التوبة بدون أن يصدر منهم ذنب أو ما هو خلاف الأولى في الحال، ولكنهم يستغفرون لأي تقصير صدر منهم دون أن يشعروا بذلك، لأنهم دائماً على حذر من أن يقصروا في حق الله تعالى. فمن تلك المواضع دعاء نوح υ ، قال : "(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ") [4] حيث دعا الله تعالى المحسن إليه بأن يغفر له ما صدر منه من ترك الأولى، رغم أنه كان نبياً معصوماً داعياً إلى الله تعالى مئات السنين إلا أنه υ تواضع لله تعالى وتأدب في حضرته لأنه بشر وقد يخطئ البشر مهما يطيع ويعبد ربه. وفي طلبه المغفرة إظهار لمزيد الافتقار إليه سبحانه وتعالى [5].

---

(1) سورة الأعراف، رقم الآية/ **143**.

(2) مفاتيح الغيب، ج/**14**، ص/ **359**.

(3) أنوار التنزيل ، ج/**1**، ص/ **51**.

(4) سورة نوح ، رقم الآية/ **28**

(5) مفاتيح الغيب ، ج/ **30** ، ص/ **569-660** ، ونظم الدرر ، ج/ **8** ، ص/ **178** ، وروح المعاني ، ج/ **29** ، ص/ **81**، وفي ظلال القرآن ، ج/ **6**، ص/ **371**.

ومن تلك المواضع أيضاً طلب إبراهيم υ المغفرة من ربه Y بقوله:("وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)[1]" وقوله بعدها : (" وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ)" [2] ، فأظهر طمعه في مغفرة الله تعالى مع عصمته، فإنه υ عدَّ نفسه قاصراً عن أن يقدر الله تعالى حق قدره أو أنه استغفر لما أحس يندر منه من فعل خلاف الأولى واستعظم ذلك حتى سماه خطيئة ، فهذا تواضع منه υ لربه. ومن التواضع أيضاً ذكره لفظ " أطمع" من غير جزم مباعدةً لنفسه عن هاجس استحقاقه المغفرة ، فالمعنى : أرجو أن يغفر لي ، وهذا تلطف منه υ في حسن الاستدعاء والخضوع لله تعالى [3] .

وفي موضع آخر من القرآن الكريم أمرنا الله تعالى بالاقتداء بإبراهيم υ وقومه في التبرؤ من الشرك وأهله وفي الدعاء قال تعالى : (" قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ & رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ")[4]

"ففي هذا الدعاء ابتدأ إبراهيم υ بالثناء على الله تعالى وإظهار كمال عبوديته له فهو وحده الذي يتوكل عليه ويرجع عليه بالتوبة وإليه مرجعه يوم القيامة، ففي مجموع ما ذكره ثناء على الله Y حيث قصر التوكل والإنابة والمصير عليه" [5].

ثم أتبع الثناء بالدعاء فدعاء ربه Y ألا يسلط عليه الذين كفروا فيفتتن بذلك، وأن يغفر له الله تعالى ، وطلب المغفرة من الخليل υ تواضع منه وإدراك منه

---

(1) سورة الشعراء ، رقم الآية/ 82.

(2) سورة الشعراء ، رقم الآية/ 87.

(3) الوسيط ، ج/3 ، ص/ 355، والتحرير والتنوير ، ج/ 19، ص/ 143.

(4) سورة الممتحنة ، رقم الآيتين / 4-5.

(5) نظم الدرر ، ج/7 ، ص/ 566، و إرشاد العقل السليم ، ج/ 8 ، ص/ 238.

لمستوى العبادة التي يستحقها منه ربه Y وإدراكه لمدى عجز البشر عن بلوغ ما يحق له سبحانه، فاعترف أمام الله تعالى بهذا التقصير وطلب ستره ومحو أثره (1).

ويلاحظ في دعاء إبراهيم υ تكرار النداء بـ " ربنا " زيادة في التضرع والخضوع وذكر صفة الرب أوقع في الدعاء لأن رب الإنسان هو المحسن إليه وفي ذكره زيادة في الاستعطاف. ثم ختم υ دعاءه بالثناء أيضاً وذلك بوصف الله تعالى بصفتين مناسبتين لهذا الدعاء فقال : "(إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ") فالعزيز هو القوي القادر الذي يتوكل عليه ويرجع إليه ، والحكيم هو الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة ومصلحة راجحة فيجيب الداعي وفق حكمته (2).

ففي الثناء قبل وبعد الدعاء وفي المبالغة إظهار الخضوع والابتهال لله Y أثناء الدعاء وفي وصف الله تعالى بما يناسب الدعاء آداب عظيمة ينبغي مراعاتها عند مخاطبة الله تعالى.

ومنه دعاء إبراهيم υ في قوله : "(رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ") (3) استغفر ربه Y التجاء إليه وقطعاً للطمع إلا من فضله وكرمه لأنه مهما اجتهد الإنسان فإنه عاجز عن أداء الواجب من غير تقصير (4).

ثم إنه υ لم يحدد ذنباً خاصاً ليستغفر منه وإنما عمم في الدعاء وطلب المغفرة لكل ما صدر منه مما كان خلاف الأولى. ولهذا علّمنا نبيناε أن نستغفر مما نعلمه من ذنوبنا وما لا نعلمه، فإنه ε كان يدعو : " اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفرلي هزلي وجِدّي، وخطئي وعمدي ، وكل ذلك عندي" (5) فاستغفر لما يعلمه الله من ذنوبه مما لا يعلمه هو .

---

(1) نفس المرجع ، وفي ظلال القرآن ج/ 6 ، ص/ 3543.

(2) نفس المرجع ، وحاشية القونوي على تفسير البيضاوي ، ج/ 19 ، ص/ 54.

(3) سورة إبراهيم ، رقم الآية/ 41.

(4) مفاتيح الغيب، ج/ 19 ، ص/ 107 ، ونظم الدرر ، ج/ 4، ص/ 193.

(5) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب قول النبي ε اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، ص/ 538، الحديث 6399، عن أبي موسى الأشعري η بلفظه.

ومن هنا نتعلم أهمية التوبة وإن لم يصدر منا في الحال ما يوجب التوبة في ظننا فالإنسان مفتقر إلى رحمة الله تعالى في كل أوقاته.

ومن توبة إبراهيم وإسماعيل θ قولهما عند رفع قواعد البيت : "(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ") (1) فطلباً المغفرة من الله تعالى لأنفسهما وقيل لذريتهما أيضاً . وعلى كل فإنهما استتاباً مع عصمتهما لأن العبد مهما اجتهد في العبادة فإنه لا ينفك عن التقصير إما على سبيل السهو أو على سبيل ترك الأولى ، فكان الدعاء لأجل ذلك، والله أعلم (2). أو يكون منهما توبة من منزلة إلى منزلة أعلى حسب ما يليق بمقامهما لرفع الدرجات عند الله تعالى ، وهذا ما سماه أبو حيان رحمه الله تعالى بتوبة خواص الخواص (3) وهي كتوبة نبينا ε فمع أنه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر إلا أنه قال : " والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة " (4).

ومن مواضع التوبة توبة موسى υ لما رجع إلى قومه من مناجاة ربه ووجدهم يعبدون ربه ووجدهم يعبدون العجل ، فغضب من ذلك وأخذ برأس اخيه خوفاً من أن يكون قد قصر في نهي القوم، فلما بيّن له هارون υ من براءة ساحة أخيه توجه إلى الله تعالى (5) بقوله : "(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ") (6) فاستغفر لنفسه من إنكاره على أخيه وهو بريء واستغفر لأخيه إن قصّر في إنكار القوم عن عبادة العجل (7). وقد يكون القصد من الدعاء الاستغفار لأخيه وإنما قدّم الاستغفار لنفسه طمعاً في فضل الله تعالى وبعداً عن الاغترار بعصمته، والله أعلم.

---

(1) سورة البقرة، رقم الآية/ 128.

(2) مفاتيح الغيب ، ج/ 4، ص/ 56.

(3) البحر المحيط ، ج/1، ص/ 624

(4) سبق تخريجه.

(5) تفسير ابن كثير ،ج/2، ص/ 1156.

(6) سورة الأعراف ، رقم الآية/ 151.

(7) الوسيط ، ج/2، ص/ 413.

ثم طلب من الله تعالى أن يحيطهما برحمة مستمرة في الدنيا والآخرة بحيث لا تتفرق عنهما، وأتبع ذلك بوصف الله تعالى بأنه أرحم الراحمين توسلاً إليه في قبول دعائه [1].

دعاء طلب صلاح الذرية

إن من دعاء الأنبياءπ طلب الولد الصالح والذرية الصالحة، ومن ذلك دعاء إبراهيم υ حين لم يكن له ولد، قال: (" رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ") [2] فنادى الله تعالى نداء القريب بإسقاط الأداة، [3] واصفاً إياه بوصف الربوبية المناسبة لمقام طلب الولد. وطلب لولده أفضل الصفات وهو الصلاح، وكان قد دعا لنفسه بالصلاح أيضاً في قوله: " (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)" [4] وطلبه هنا لولده أيضاً ليكون له نصيب من أشرف مقامات العباد [5]. ومن الفطرة أن يحب الأب لابنه ما يحب لنفسه.

وكما طلب إبراهيم υ الولد الصالح فكذلك طلب زكريا υ ، وإنه كان قد كبر في السن وكانت امرأته عاقراً ، ولكنه عندما رأى أن الله تعالى رزق مريم ο الفواكه في غير مواسمها طمع في الولد، فدعا ربه أن يهب له ولداً صالحاً. وذكر الله تعالى دعاءه للولد في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، فذكر دعاءه بإسهاب في قوله : (" ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا & إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا & قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا & وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا & يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا)" [6] وبإيجاز في قوله : "(وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ)"

---

(1) الكشاف ، ج/2، ص/ 162، وأيسر التفاسير ، ج/2، ص/ 243.

(2) سورة الصافات ، رقم الآية / 100.

(3) نظم الدرر ، ج/6، ص/ 326.

(4) سورة الشعراء ، رقم الآية/ 83.

(5) مفاتيح الغيب ج/ 26، ص/ 345.

(6) سورة مريم ، رقم الآيات/ 2-6.

وبتوسط في قوله : "(هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء)" [2] [1]

ومن دعائه υ طلبه الأمن والرزق والصلاح لذريته من بعده. وورد هذا الدعاء في غير ما موضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى : "(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)" [3] وقوله تعالى : (" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ & رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ & رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ & رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء ") [4] وفيها من الآداب ما يلي :

1. "ابتدأ دعاءه بنداء الله تعالى بوصف " الرب" الدال على قبول دعاء الداعي وإجابة ضراعته، وأضافه إلى نفسه تلطفاً في السؤال ، وأسقط أداة البعد إنباءً بقربه من المدعو Y [5] . "
2. "انه υ دعا أن يجعل الله تعالى ذلك الموضع الذي ترك فيه ابنه إسماعيل وأمه هاجر θ بلداً آمناً، وأن يتعهد الله تعالى أهله بالحفظ بأن يرزقهم من الثمرات، وخصص هذا الدعاء بمن آمن بالله تعالى واليوم الآخر، لأنه لما طلب النبي υ أن يُجعل الإمامة في ذريته قال تعالى : (قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) [6] فاحترز إبراهيم υ من الدعاء لمن ليس

---

(1) سورة الأنبياء ، رقم الآية/ 89.

(2) سورة آل عمران، الآية/ 38.

(3) سورة البقرة ، رقم الآية/ 126

(4) سورة إبراهيم ، رقم الآيات / 35-38.

(5) البحر المحيط، ج/1، ص/ 612، ونظم الدرر ، ج/1 ، ص/ 241.

(6) سورة البقرة ، رقم الآية/ 124.

مرضياً عند الله تعالى بتقييد دعوة الرزق بما قيدت به دعوة الإمامة تأدباً معه تعالى [1]."

3. "قوله : (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ) [2] معناه في حق بنيه : أبعدهم عن عبادة الأصنام ، وفي حق إبراهيم υ وهو غير عابد لها، معناه: ثبتني على اجتناب عبادته. فمع عصمته υ دعا بذلك هضماً للنفس وإظهاراً للحاجة إلى فضل الله تعالى في كل المطالب. وجمع بينه وبين أبنائه في الدعاء ليستجاب لهم ببركته [3]، والله أعلم . ثم ذكر علة دعائه فقال: (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ) [4] تأكيداً للضعف البشري وافتقاره إلى عون الله تعالى في الاستقامة على الصراط السوي في العبادة. "

4. "إن إبراهيم υ أسكن ابنه الرضيع وأمه هاجر في مكة بامر الله تعالى وكانت مكة حينئذ وادياً قفراً لا زرع فيه ولا ماء. قال : (رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ) [5] فوصف ذلك الموضع بما يدل على كمال افتقار سُكانه إلى حفظ الله تعالى ورعايته، وجعله تمهيداً للدعاء بما يصلح ذلك المكان بجعله موضعاً يقصده الناس ويميلون إليه. "

ومما نجده في دعاء إبراهيم υ النداء المكرر لله تعالى بوصف الربوبية. فالرب : هو المتكفل بمصلحة الموجودات [6]، وما طلبه إبراهيم υ من الحفاظ على ذريته في مكة آنذاك وتحويل الأرض من وادٍ غير ذي زرع إلى بلدة كثير الثمرات ، وجعلها مكاناً آمناً تهوي إليها أفئدة من الناس بعد أن كان لا يسكنها إلا إسماعيل وأمه θ ،

(1) نظم الدرر، ج/1، ص/ 241، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ، ج/ 2 ، ص/ 387.

(2) سورة إبراهيم ، رقم الآية/ 35.

(3) معاني القرآن وإعرابه ، ج/3، ص/ 164، ومفاتيح الغيب ، ج/19، ص/ 101، وفتح البيان، ج/3، ص/ 552.

(4) سورة إبراهيم ، رقم الآية/ 36.

(5) نفس المرجع ، رقم الآية/ 37.

(6) المفردات في غريب القرآن ، ص/ 184

كل ذلك لا يكون إلا من الرب، فناسب نداؤه Y بتلك الوصف ليكون أدخل في القبول وإجابة المسؤول [1]. ثم إن في النداء نفسه عند الدعاء . سواء كان ذلك في صدره أو وسطه . مما يزيد الدعاء ضراعة وإظهاراً للتذلل والالتجاء إلى الله تعالى، وفيه استعطاف للرب تعالى وزيادة الاهتمام بكل جزء من أجزاء الدعاء . وإسقاط أداة النداء الدالة على البعد زيادة في التلطف بكون الداعي من أهل القرب والانقطاع إليه تعالى.[2]

ومن دعاء أبي الأنبياء υ لذريته قوله : "(الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء & رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء ") [3] وفيه ما يلي من الآداب:

1. "حمد الله تعالى على نعمه الجسيمة حيث وهب له إسماعيل وإسحاق θ وذكر أن هذه الهبة كانت منه Y في وقت وقوع اليأس من الولادة مما يجعل الهبة من أجل النعم وأحلاها في نفس الظافر [4]."

وذيل كلامه بقوله : (إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء) ، وهذا يُشعر بأنه υ قد دعا بأن يوهب له ولد فقد قال : (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) [5]"فشكر الله تعالى ما أكرمه به من إجابته، ووصفه بأنه سميع الدعاء أي أن ذلك الجميل من سنته المستمرة وأن من شأنه إجابة الدعاء على الوجه الأبلغ" [6]، ووحدّ الضمير في قوله " ربي " لما أن نعمة الهبة فائضة عليه خاصة، فهو يشكر الله تعالى على اعتنائه الخاص به حين اقترنت الهبة بقبول دعوته مما يجعل الهبة عظيماً في نفس الداعي [7].

---

(1) إرشاد العقل السليم، ج/5 ، ص/ 51.

(2) البحر المحيط، ج/6، ص/ 445-446، ونظم الدرر ، ج/4، ص/ 190.

(3) سورة إبراهيم ، رقم الآيتين/ 39-40.

(4) الكشاف ، ج/2، ص/ 561.

(5) سورة الصافات ، رقم الآية/ 100.

(6) الكشاف، ج/2، ص/ 561، و نظم الدرر، ج/4، ص/ 193، وإرشاد العقل السليم، ج/5، ص/ 54.

(7) إرشاد العقل السليم ، ج/5، ص/ 54.

2. "ذكر الرازي رحمه الله تعالى أن قوله : (الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء) [1] تعريض في الدعاء وكأن إبراهيم υ كان في قلبه أن يطلب من الله تعالى إعانة ولديه وذريتهما بعد موته ولكنه لم يصرح بذلك أدباً مع الله تعالى ، بل قال: (الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ) وذلك يدل ظاهراً على أنهما يبقيان بعد موته وأنه مشغول القلب بسببهما فكان هذا دعاء لهما بالخير والمعونة على سبيل الرمز والتعريض. ثم ختم الدعاء بقوله : (إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء) أي : هو عالم بالمقصود سواء صرحت به أو لم أصرح. وفيه دليل على أن الاشتغال بالثناء عند الحاجة إلى الدعاء أفضل من الدعاء [2]. قال نبينا ε : " من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين" [3]."

3. "وقوله : (إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء) بعد تعريضه بالدعاء توسل منه بسابق نعمة الله تعالى عليه، فقد أنعم عليه مع كبره إسماعيل وإسحاق θ فيُرجى منه تعالى ألا يضيع ولديه من بعده. [4]"

4. وبعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه دعاه لأن يثبته على إقامة الصلاة وأن يجعل من ذريته من يحافظ عليها أيضاً. ودعا للبعض تأدباً إذ أعلمه الله تعالى بأنه يكون من ذريته من يكفر [5]. وختم دعاءه بقوله: (رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء) وهو ضراعة بعد ضراعة [6] إذ نادى الله تعالى

---

(1) سورة إبراهيم ، رقم الآية / 39.

(2) مفاتيح الغيب، ج/19 ، ص/ 106.

(3) الحديث أخرجه البخاري في كتابه خلق أفعال العباد، ص/ 105، عن عمر بن الخطاب η ، الطبعة الأولى ،مؤسسة الرسالة ببيروت ، 1984/1404.

(4) روح المعاني ، ج/13، ص/ 242.

(5) نظم الدرر، ج/ 4، ص/ 193.

(6) التحرير والتنوير ، ج/ 13 ، ص/ 244.

في وسط دعائه بنداء الربوبية وطلب قبول دعواته υ لا سيما هذه التي دعا بها.

5. "ومن دعاء الأنبياء للغير دعاء إبراهيم وإسماعيل θ لذريتهما حيث قالا : (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ & رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) [1] فقد شعرا θ قيمة تلك النعمة التي أسبغها الله تعالى عليهما وهي نعمة الإيمان، فأرادا ذلك لذريتهما فدعوا الله Y أن يرزق أهلهم إيماناً وأن لا يتركهم بلا هداية [2]."

نلاحظ مرة أخرى دعاء نبي لذريته بالإسلام مبتدئاً بنفسه، ومن آداب الدعاء للغير الابتداء بالنفس، فعن أبي بن كعب [3] η : " أن رسول الله ε كان إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه " [4].

ثم إنهما θ طلبا الإسلام لذريتهما خاصة لأنهم أحق بالشفقة ولأن أولاد الأنبياء إذا صلحوا كان ذلك سبباً في صلاح العوام واستقامتهم، فكأنهما دعوا

---

(1) سورة البقرة، رقم الآيتين/ 128-129.

(2) في ظلال القرآن ، ج/ 1 ، ص/ 115.

(3) هو : أبو المنذر وأبو الطفيل أبي بن كعب بن قبيس الأنصاري. من أصحاب العقبة الثانية، شهد بدراً والمشاهد كلها . كان من فقهاء الصحابة وأقرأهم لكتاب الله تعالى. وهو أول من كتب الوحي للنبي ε . روي عنه عمر وأبو هريرة وعبادة بن الصامت وغيرهم توفي في خلافة عمر عام 20 هـ وقيل 22 هـ في خلافة عثمان عام 32 هـ η انظر ترجمته في : الاستيعاب ،ج/1، ص/ 30، المطبوع بهامش الإصابة، والإصابة ، ج/1، ص/ 31-32.

(4) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل ، باب فضائل الخضر، ص/ 1097، الحديث / 6165، عنه بلفظ : " وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه " وزيادة في أوله وأخره.

بصلاح عامة العباد عن طريق إصلاح ذريتهما [1]. وخصا مرة أخرى بعض الذرية بدلاً من كلها لأن الله تعالى أعلم إبراهيم υ أن من ذريته من لا يكون مسلماً [2].

وختما الدعاء بالثناء على الله Y بقولهما : " (إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ") [3] تعليلاً للدعاء وإجابة المسؤول . واختاراً صفتين مناسبتين لدعائهما، فالعزيز هو الذي لا يمنعه مانع من أن يفعل ما يشاء، والحكيم هو الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة، فما طلباه من بعث الرسول لا يكون إلا ممن اتصف بهاتين الصفتين. [4]

إظهار الضعف

إظهار الضعف التام أمام الله تعالى : بيَّن زكريا υ في قوله : "(قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) " [5] استيلاء الضعف على بدنه باطناً بضعف العظام، وظاهراً بانتشار الشيب في رأسه. وعبّر عن ضعفه بضعف عظامه لأنها أصلب ما في الجسد، فبضعفها يضعف البدن كله، فاستعمل طريق الكناية ليكون أبلغ في إثبات ضعفه. هذا مع تصدير الكلام بحرف التأكيد. وذكر عقم امرأته فقال: (وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا) [6] . فمجموع هذه الأساليب يزيد الدعاء توكيداً ومبالغة في التضرع والتذلل لما فيه التبري عن الأسباب الظاهرة والارتكان على حول الله تعالى وقوته [7].

ذكر أسماء الله تعالى وصفاته المناسبة للمقام: ويكون ذلك ثناء على الله Y وتوسلاً إليه لتحريك سلسلة الإجابة. فبعد أن دعا زكريا υ بقوله: "(رَبِّ هَبْ لِي

---

(1) حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي، ج/1، ص/ 423.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج/1، ص/ 433، دار المعرفة ببيروت ، 1400هـ / 1980.

(3) مفاتيح الغيب ، ج/4، ص/ 60.

(4) إرشاد العقل السليم ، ج/ 1 ، ص/ 162.

(5) سورة مريم ، رقم الآية/ 4.

(6) سورة مريم، رقم الآية/ 5.

(7) مفاتيح الغيب ، ج/21، ص/ 508-509 ، وحاشية على تفسير البيضاوي ، ج/ 6، ص/ 247، وحاشية القونوي على تفسير البيضاوي، ج/12، ص/ 192.

مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ") [1] أثنى على الله تعالى بقوله : "(إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء) " [2] أي سامع الدعا ولكن صيغة المبالغة أمدح[3]. وفيه توسل إلى الله I فكأنه قال: إنك سميع لدعاء كل داعي . وأنا منهم . والاستجابة عادة لك فاستجب لي. ورجع القونوي [4] رحمه الله تعالى كون هذه الجملة ثناء بمعنى : إنك كلما دعوتك استجبتَ لي، فيكون توسلاً على طريق ما بينّاه في قوله : ("وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا)" [5]، وعلى كل فقد توسل إلى الله تعالى بصفة الجليلة [6]. وفي هذا القول اقتدى بجده إبراهيم υ إذ قال : (" الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء ") [7].

وقال تعالى حكاية عن زكريا υ : (" رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ") [8] فبعد أن طلب من الله تعالى من يرثه من بعد موته أثنى عليه تعالى بأنه خير من بقي بعد ميتٍ وأن البقاء ليس إلا الله Y وفي ذلك توسل إلى الله تعالى ليستجيب له دعاءه . [9]

الرضا بعد الدعاء: ويؤخذ ذلك من قوله : (" رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ") فإن بعض المفسرين حملوا قوله : " (وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ") على تأدبه مع الله تعالى واستسلامه له على معنى: إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير وارث. فأظهر الرضا والاعتماد على الله Y ولو لم يجب دعاءه. [10]

---

(1) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 38.

(2) نفس المرجع

(3) جامع البيان ، ج/3 ، ص/ 168-169، طبعه دار المعرفة.

(4) هو : عصام الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن مصطفى القونوي الحنفي، كان عالماً كبيراً في الأصول والمنطق والتفسير والعلوم العقلية والنقلية.

(5) سورة مريم ، رقم الآية/ 4.

(6) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، ج/6، ص/ 130.

(7) سورة إبراهيم ، رقم الآية/ 39.

(8) سورة الأنبياء، رقم الآية/ 89

(9) الوسيط ، ج/3، ص/ 250، وأيسر التفاسير، ج/3، ص/ 438.

(10) الكشاف ، ج/3،ص/ 133، وروح المعاني، ج/17، ص/ 87.

النداء بصفة الربوبية: الرب صفة الله تعالى الدالة على الاعتداء بالمربوب الاهتمام بمصالحه، وإعطاء الولد من آثار الربوبية. والملاحظ في دعاء زكريا υ تكرار النداء بهذه الصفة بإسقاط أداة النداء والإضافة على ضميره ليدل على القرب من المدعو، وتوسيط الضمير بين كان وخبرها في قوله : "(وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ") وبين مفعولي " اجعل" في قوله : " (وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) " [1]، وكل ذلك لتحريك سلسلة الإجابة بالمبالغة في التضرع لله تعالى . [2]

دعاء طلب النجاة

من مواضع طلب النجاة للغير دعاء نوح υ لابنه عند نزول العذاب على القوم. فإن الله تعالى أمرنبيه υ بأن يبني سفينه يركبها هو ومن آمن معه، ووعد الله Y بأن ينجيه وأهله ومن آمن حيث قال: "(حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ") [3] ، فلما جاء أمر الله تعالى من تتابع الأمطار ولم يركب ابن نوح السفينة، توجه نوح υ إلى الله تعالى بطلب نجاة ابنه (" وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ)" [4] وفي الدعاء بهذا الأسلوب آداب منها:

1. ابتدأ نوح υ نداءه بقوله : (" إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي) تمهيداً لما يقوله بعده [5]. وفي ابتداء الدعاء بتمهيد سواء بذكر عذر ما أو سبب الدعاء استعطاف للمدعو وإظهار لحاجة الداعي وتضرعه. "

---

(1) إرشاد العقل السليم ، ج/ 5، ص/ 254-255، وحاشية القونوي على تفسير البيضاوي، ج/12، ص/ 188.

(2) سورة آل عمران ، رقم الآية / 39.

(3) سورة هود، رقم الآية/ 40.

(4) سورة هود ، رقم الآية/ 45.

(5) التحرير والتنوير ، ج/12، ص/ 84.

إن هذا النداء تضمن معنى السؤال وإن لمرأ يصرح به، فإن ذكر الموعد بنجاة أهله . وأن ابنه منهم . وأن كل شيء يفعله الله تعالى بحكمة وعدل، في وقت مشارفة ولده الغرق [1] تعريض بالمطلوب، وذلك ضرب من ضروب التأدب وعدم الإقدام على المسؤول صراحة استغناء بعلم المسؤول [2].

2. "ومن مواضع طلب النجاة للغير دعاء نوح υ للمؤمنين عند دعائه على قومه. فإنه طلب الفتح من الله تعالى بقوله : (قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ & فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [3] فكما طلب نزول العذاب على المكذبين فكذلك طلب النجاة من العذاب لنفسه وللمؤمنين. "

3. "ومثل دعائه لوط υ حيث دعا على الكفار قائلاً: (رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ) [4] فقد تضمن دعاءه طلب عقاب الذين كذبوه، وصرّح بطلب النجاة لنفسه ولأهله، ومن الملاحظ في دعاء نوح ولوط θ أنهما دعوا على المكذبين بنزول العذاب كناية ، وصرحاً بطلب الخير للمؤمنين. كما يلاحظ ابتداء دعائهما بالدعاء للنفس أولاً ثم للغير، وهي من آداب الدعاء التي ينبغي أن لا يغفل عنها أحد."

الاستغفار للغير

لقد عرف الأنبياءπ أهمية التوبة إلى الله تعالى وفوائدها الجمة فاستغفروا وتابوا مع عصمتهم من الذنوب. وعرفوا أن كل إنسان يخطئ من حين إلى آخر وبالتالي يكون بحاجة إلى الإنابة والرجوع إلى الله Y ، فكان من شفقة الأنبياء π على أهاليهم وأقوامهم والمؤمنين عامة أن طلبوا مغفرة الله تعالى لمن أذنب منهم. ومن ذلك

---

(1) ذهب كثير من المفسرين إلى أن دعاء نوح υ كان قبل غرق ابنه أو قيل علمه بغرقه، والكشاف ج/2،ص/ 400، والمحرر الوجيز ، ج/7،ص/ 309، وإرشاد العقل السليم ، ج/4،ص/ 213.

(2) الكشاف، ج/2،ص/ 400، والتحرير والتنوير، ج/12 ، ص/ 85.

(3) سورة الشعراء ، رقم الآيتين ، 117-118

(4) سورة الشعراء رقم الآية/ 169.

توبة نبي الله تعالى نوح υ : "(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا)" [1] وقول إبراهيم υ (" رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ") [2] فنجد في دعائهما الابتداء بالنفس. وقد تقدم أن هذا من آداب الدعاء. فالأنبياء π عرفوا قيمة الاستغفار فلم يفوتوا على أنفسهم ثواب ذكر الله تعالى والتوبة.

ثم طلبا المغفرة للوالدين لأنهما أقرب الناس إليهما وأولى الناس بدعائهما[3]. ثم دعوا لجميع من آمن بالله تعالى من المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات. ولذلك يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح وإبراهيم θ . [4]

ومن دعاء إبراهيم υ استغفاره لأبيه حيث قال: "(وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ & وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ)" [5] وكان هذا قبل موت أبيه [6]، فطلب له المغفرة المتضمنة التوفيق إلى الإيمان والهداية. وعلل دعاءه بذكر كون أبيه من الضالين الذين يحتاجون إلى الهداية ، ثم أكمل دعاءه لأبيه بأن دعا ألا يخزيه الله تعالى يوم يبعث الضالون برؤيته لأبيه فيهم [7].

وقد دعا إبراهيم وإسماعيل θ بالمغفرة لذريتهما في قولهما : "(وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)" [8] ذكر الرازي رحمه الله تعالى ، أنه تعالى لما أعلم إبراهيم υ أن في ذريته من يكون ظالماً عاصياً، طلب υ منه تعالى أن يوفق أولئك العصاة المذنبين للتوبة فقال: (وَتُبْ عَلَيْنَآ) أي على المذنبين من ذريتنا،

---

(1) سورة نوح ، رقم الآية/ 28.

(2) سورة إبراهيم ، رقم الآية/ 41.

(3) الكشاف ، ج/2،ص/ 621.

(4) تفسير ابن كثير، ج/2، ص/ 2928.

(5) سورة الشعراء، رقم الآيتين/86-87.

(6) قيل إنه دعا له بعد موته ظناً إنه كان يخفي الإيمان تقية، ولكنه مردود لما فيه من التكلف. حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، ج/14، ص/ 262-263.

(7) روح المعاني، ج/19، ص/ 99-100.

(8) سورة البقرة، رقم الآية/ 128.

كالأب المشفق الذي يعتذر لذنب صدر عن ولده وكأنه هو الذي أذنب [1] . وكذلك طلب المغفرة للعصاة في قوله : "(رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ") [2] حيث قيل إن الغرض من هذا الكلام الشفاعة في حق أصحاب الكبائر من أمته، والله أعلم [3]

استغفر موسى لقومه بعد أن عبد قوم موسى العجل أمره الله تعالى أن يختار منهم سبعين رجلاً ليذهب بهم إلى موضع عبادة ليعتذروا إلى الله Y من خطأ بني إسرائيل. ولكن لما ذهبوا إلى ذلك الموضع أخذتهم الرجفة [4]، وحينئذ دعا موسى υ فقال : "(رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ & وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ)" [5] فتوجه موسى υ إلى ربه بالدعاء ليغفر له ولقومه ما صدر منهم من التقصير في حقه تعالى.

ثم قال υ : "(أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ") فأثنى على الله Y بالاعتراف بأنه هو وحده الذي يتولى أمورهم وينصرهم ويهتم بمصالحهم . فلما كان المتوقع من الولي دفع الضرر وجلب النفع ، دعا υ بما يدفع الضرر وهو المغفرة والرحمة من الله تعالى ومتبعاً ذلك بما يؤكد استعطاف ربه في غفران الذنوب وهو قوله : (" وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ)" وبما يجلب النفع وهو مذكور في قوله : (" وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ ") [6].

(**1**) مفاتيح الغيب، ج/**4**،ص/ **56**.

(**2**) سورة إبراهيم ، رقم الآية/ **36**.

(**3**) مفاتيح الغيب، ج/ **19**، ص/ **102**.

(**4**) اختلف في المذكورين في الآية، فقال فريق : هم الذين طلبوا أن يروا الله جهرة ولذلك أخذتهم الرجفة، وقال فريق آخر: هم غير الذين طلبوا الرؤية. واختلفوا في سبب الرجفة فقيل: لأنهم لم يبالغوا في نهي القوم عن عبادة العجل وإن لم يعبدوها أنفسهم ، وقيل لأنهم لما ذهبوا للتوبة اعتدوا في الدعاء، وقيل غير ذلك. والله أعلم بالصواب. والمحرر الوجيز، ج/**6**، ص/ **94**، ومفاتيح الغيب، ج/ **15**، ص/ **376**.

(**5**) سورة الأعراف، رقم الآيتين / **155-156**.

(**6**) مفاتيح الغيب، ج/ **15**، ص/ **378**، والبحر المحيط، ج/**5**، ص/ **190**.

وأنهى دعاء بقوله : "(إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ)" أي إنا تبنا إليك، تعليلاً لطلب المغفرة والرحمة. وصدَّرها بحرف التوكيد إظهاراً لكمال النشاط والرغبة في التوبة إلى الله تعالى. [1]

فمما يلاحظ في دعاء موسى υ أنه قدم لطلب المغفرة والرحمة بالتسليم لله تعالى والاعتراف بحكمة ابتلائه وكونه ولياً للعبد وكل ذلك اعتراف بعظمة الله Y وعزة ربوبيته، ثم ختم طلب المغفرة بإعلان اشتغاله وقومه بالتوبة والإنابة والخشوع لله تعالى. وهذا اعتراف بذلة العبودية. فتوسط الدعاء بين هذين الاعترافين جعل من الأقرب أن يستعطف الله تعالى على عبيده التائبين باستجابة دعائهم. ففي دعاء دعاء موسى υ قدوةً لكل مسلم في أدب الدعاء أمام الله تعالى [2].

الدعاء على الظالم:

ومع أن الله تعالى لا يحب التكلم بالسوء إلا أنه أجاز الدعاء على الظالم. فقد تظاهرت نصوص الكتاب والسنة وأفعال السلف على جواز دعاء الإنسان على من ظلم المسلمين أو ظلمه وحده[3] . قال تعالى : " (لاَّ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) [4]" . قال ابن عباس η في معنى هذه الآية: لا يحب الله تعالى أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوماً فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه، وإن صبر فهو خير له. وقال الحسن رحمه الله تعالى [5]: الآية في الرجل يُظلم

---

(1) روح المعاني، ج/9، ص/ 86.

(2) مفاتيح الغيب، ج/15، ص/ 379، والبحر المحيط، ج/ 5، ص/ 190، وفي ظلال القرآن ، ج/3، ص/ 1377.

(3) الأذكار ، ص/ 272.

(4) سورة النساء ، رقم الآية/ 148.

(5) هو : أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، من كبار التابعين، كان عالماً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً بليغ الموعظة. روي عن ابن عمر وابن عباس والمغيرة بن شعبة، وري عنه حميد الطويل وقتادة وعطاء بن السائب وهشام بن حسان وآخرون. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر وتوفي سنة 110هـ . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان: ج/2، ص/ 69-73، وتذكرة ا لحفاظ، لأبي عبدالله شمس الدين محمد الذهبي، ج/1، ص/ 71-72، دار إحياء التراث العربي، بدون ذكر مكان النشر وتاريخ الطباعة.

فلا يدعُ على من ظلمه، ولكن ليقل: اللهم أعني عليه أو اللهم حلّ بينه وبين ما يريد ونحوه من الدعاء. [1]

(" وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ") [2]

(" وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا)" [3]

دعاء طلب النصرة والفتح :

وممن طلب النصرة على قومه نوح υ ، فإنه دعا قومه إلى دين الله تعالى فكذبوه واتهموه بالجنون. قال تعالى : (" كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ") [4] ، ومن قولهم أيضاً: (" إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ)" [5]، فعند ذلك دعا نوح υ ربه وطلب منه النصرة قوله β: (" قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ)" [6] وفي أخرى : (" فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ) " [7].

وكذلك دعا هودν [8] على قومه بعد أن كذبوه واتهموه بالافتراء على الله كذباً (" قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ") [9] .

---

(1) جامع البيان ، ج/6، ص/ 1، طبعة دار الفكر.

(2) سورة يونس، رقم الآية/ 88.

(3) سورة نوح، رقم الآية/ 26.

(4) سورة القمر، رقم الآية/ 9.

(5) سورة المؤمنون ، رقم الآية/ 25.

(6) سورة المؤمنون، رقم الآية/ 26.

(7) سورة القمر ، رقم الآية/ 10.

(8) ذهب كثير المفسرين إلى أن القصة المذكورة في سورة المؤمنون من الآية 31 إلى 41 بعد قصة نوح υ هي قصة هو υ وقومه عاد لأنهم كانوا المستخلفين بعد قوم نوح، ولمجيء قصة هود بعد قصة نوح في سورة الأعراف وهود والشعراء . وقال بعض المفسرين : المراد في الآيات صالح υ وقومه ثمود لأن الذين كذبوه من قومه هم الذين أهلكوا بالصيحة.، انظر مفاتيح الغيب، ج/23، ص/ 275.

(9) سورة المؤمنون ، رقم الآية/ 39.

كما طلب لوط υ النصرة بقوله: "(رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ") [1] وذلك بعد أن تحداه قومه بالإتيان بالعذاب استهزاء به. [2]

ومن ذلك قول نوح υ بعد تكذيب قومه له: (" قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ & فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ") [3] وقول لوط υ : (" رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ) " [4] عندما رأى تمادي قومه في الضلال، وقول شعيب υ : "(رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ") [5] حينما توعّد قومه إياه ومن معه بالنفي عن القرية أو الرجوع إلى ملّتهم. [6]

ودعا موسى υ على قومه لما عصوه ولم يدخلوا الأرض المقدسة كما أمروا وقالوا لنبيهم : (" فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ") [7] فلما قالوا كلمة الكفر ولم يبق مع موسى υ مطيع موافق يثق به إلا أخوه [8]، قال: "(رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)" [9].

ومن دعاء الأنبياء دعاء نبينا محمد ε قال تعالى : (" رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ") [10] أنه أمر من الله تعالى لنبيه أن يدعو بالفصل بينه وبين مشركي قومه، وقرئ " قال " على حكاية قول الرسول ε [1]

(1) سورة العنكبوت، رقم الآية/ 30.

(2) تفسير ابن كثير، ج/ 3، ص/ 2152.

(3) سورة الشعراء، رقم الآيتين/ 117-118.

(4) سورة الشعراء ، رقم الآية/ 169.

(5) جامع البيان ،ج/19، ص/ 106،طبعة دار الفكر.

(6) مفاتيح الغيب، ج/ 14، ص/ 319.

(7) سورة المائدة، رقم الآية/ 24.

(8) الكشاف، ج/1، ص/ 261.

(9) سورة المائدة، رقم الآية/ 25.

(10) سورة الأنبياء ، رقم الآية/ 112.

[1] ويمكن التوفيق بينهما بأن نقول : إن الله Y أمر نبيه بذلك الدعاء فامتثل υ بذلك الأمر.

ــ

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ــــــــــــــــــــــــــــ

ــــــــــــــــــــــ

(1) جامع البيان ، ج/17، ص/ 108، طبعة دار الفكر، والكشاف، ج/3، ص/ 140.

الفصل الأول

التعريف بعلم البيان ونشأته

البيان لغة:

(البيان) لغة: الكشف والظهور.

"يقول الفيروز آبادي في قاموسه: البيان هو الإفصاح مع ذكاء ، والبيِّنُ : الفصيح، جمعه أبينَاء وَبُيناءُ" (1)

و"يقول الدكتور إبراهيم أنيس وزملائه في معجم الوسيط: البيان: بان الشيء بياناً ظَهَرَ واتّضح، وبان الشيء أوضحه وأفصح عنه فهو بائن. "

"أبان : ظهر واتضح وبان فلان أفصح عما يريد، وبان الشيء أظهره وأوضحه.(2) "

تدور مادة البيان في اللغة عامة، حول معنى الوضوح والانكشاف. "فالبيان ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء بيانا: اتضح. وبين الشيء ظهر. والتبيين الإيضاح والوضوح. والبيان الفصاحة واللسن .وكلام بين فصيح. والبيان الإفصاح مع ذكاء. والبين من الرجال الفصيح. والبيان إظهار المقصود بأبلغ الألفاظ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسن وأصله الكشف والظهور ، فمادة البيان تدور حول معنى الدلالة والفصاحة والوضوح والكشف والظهور"(3).

وردت كلمة البيان ومشتقاتها كثيراً في كتاب الله تعالى ، وفي سنة الرسول γ.
فعلى حين نقرأ في كتاب الله تعالى : " (**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**") (4) وقوله β : "(**يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ**) (5)" فالمبين في هذه الآيات هو

---

(1) القاموس المحيط للفيروز آبادي، ط / الثانية، بيروت ، 1407هـ، ص/ 1526.

(2) المعجم الوسيط ، ص/ 79-80

(3) لسان العرب لابن منظور، مادة (بين)

(4) سورة البقرة، رقم الآية/ 187

(5) سورة النساء، رقم الآية/ 26

الله تعالى – نقرأ كذلك قوله β: (" بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ") [1] وقول الله β "(وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ"[2])، وفي آية أخرى نقرأ قوله χ : "(وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ") [3]

والمعنى المتبادر لهذه الآيات جميعاً هو الظهور والكشف والإيضاح، فالله تبارك وتعالى يبين آياته للناس، فيوضحها ويكشفها، فلا يبقى فيها أي خفاء، والنبي صلى الله عليه وسلم يبين ما نزّله الله فيشرحه، ويرشد إلى ما فيه من أسرار ودقائق، وقد يكون هذا البيان من الرسول γ توضيحاً لمبهم، أو تفصيلاً لمجمل، أو تقييداً لمطلق، وقد يكون غير ذلك مما ذكر في موضعه.

فالبينة: كما يقول الراغب الأصفهاني: " (هي الدلالة الواضحة حسية كانت أو عقلية.)[4] "

البيان اصطلاحاً:

"أُصول وقواعد يُعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق متعدّدة وتراكيب متفاوتة: من الحقيقة والمجاز، والتشبيه والكناية..، مختلفة من حيث وضوح الدلالة على ذلك المعنى الواحد وعدم وضوح دلالتها عليه، فالتعبير عن (جود حاتم) مثلاً يمكن أن يكون بهذه الألفاظ: جواد، كثير الرماد، مهزول الفصيل، جبان الكلب، بحر لا ينضب، سحاب ممطر، وغيرها من التراكيب المختلفة في وضوح أو خفاء دلالتها على معنى الجود[5].. "

---

(1) سورة النحل، رقم الآية/ 44.

(2) سورة آل عمران، رقم الآية/ 187.

(3) سورة إبراهيم، رقم الآية/ 45.

(4) مفردات القرآن، ص/ 52

(5) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص/ 253.

"هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه[1].
"

ودلالة اللفظ إما على ما وضع له أو على غيره، والثاني إما داخل في الأول دخول السقف في مفهوم البيت، أو الحيوان في مفهوم الإنسان، أو خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف، أو الضاحك عن مفهوم الإنسان.

وتسمى الأولى دلالة وضعية، وكل واحدة من الأخيرتين دلالة عقلية. وتختص الأولى بدلالة المطابقة، والثانية بالتضمين، والثالثة بدلالة الالتزام، وشرط الثالثة: اللزوم الذهني، أي أن يكون حصول ما وضع اللفظ له في الذهن ملزوماً لحصول الخارج فيه؛ لئلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر، لكون نسبة الخارج إليه حينئذ كنسبة سائر المعاني الخارجية.

"ولا يشترط في هذا اللزوم أن يكون مما يثبته العقل ، بل يكفي أن يكون مما يثبته اعتقاد المخاطب، إما لعرف عام أو لغيره، لإمكان الانتقال حينئذ من المفهوم الأصلي إلى الخارج[2]. "

وعرف أصحاب معجم الوسيط بأن " البيان علم يعرف إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة من تشبيه ومجاز وكناية " [3]

ثم انه لّما اشتمل التعريف على ذكر الدلالة ولم تكن الدلالات الثلاث : المطابقيّة والتضمنّية والإلتزاميّة كلها قابلة للوضوح والخفاء، لزم التنبيه على ما هو المقصود، فإنّ المقصود منها هاهنا: هي الدلالة العقليّة للألفاظ، يعني :التضمنّية والإلتزاميّة، لجواز اختلاف مراتب الوضوح والخفاء فيهما، دون الدلالة الوضعيّة للألفاظ يعني: المطابقيّة، لعدم جواز اختلاف مراتب الوضوح في بعضها دون بعض مع علم السامع بوضوح تلك الألفاظ، وإلاّ لم يكن عالماً بوضعها، فتأمل.

---

(1) الإيضاح، ج/4، ص/4

(2) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج/2، ص/ 126.

(3) المعجم الوسيط، ص/ 79-80.

"ثم إن اللّفظ إذا لم يرد منه ما وضع له من دلالته المطابقيّة، وإنما أريد به دلالته العقلية من تضمّن أو التزام، فإن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فمجاز، وإن لم تقم قرينة على عدم إرادة ما وضع له فكناية، ومن المجاز ما يتني على التشبيه، فيلزم التعرّض للتشبيه قبل التعرّض للمجاز والكناية، إذن: فعلم البيان يعتمد على أركان ثلاثة: التشبيه والمجاز والكناية".

وقد استقر البلاغيون على تعريف السكاكي لعلم البيان بأنه: "إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد به. [1]"

ويعيد علينا القزويني تعريف السكاكي لعلم البيان بقوله" :هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد، بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه" [2]. من خلال هذين النصين نلاحظ أن كلمة بيان، بدأت عامة وشاملة تدور حول معنى الوضوح والبيان، ويبدو أن هذا المعنى اللغوي قد ارتبط بعلم البيان حتى بعد أن تحدد في شكل مصطلح بلاغي على يد السكاكي والقزويني، فنرى أن مباحثه تدور في جملتها حول وضوح الدلالة وخفائها.

أبواب علم البيان

وهو يساعدنا على إظهار المعنى في أبهى صوره وأجمل درره فقد يعبر أحدنا تعبيرا عاديا لا روعة فيه ولا جمال معه فلا يطرب الحس ولا يؤثر في النفس لكن الإنسان البليغ أو الأديب لا يرضى التعبير العادي لأنه يريد أن ينقل إليك إحساسه بالأشياء وانفعال نفسه بها فيلجأ إلى تشبيه رائع أو استعارة جميلة أو كناية بليغة أو مجاز مبهر وهذه هي أبواب علم البيان الأربعة الأساسية :التشبيه ، الاستعارة ، الكناية ، المجاز.

نشأة علم البيان وتطور مباحثه

(**1**) **مفتاح العلوم لسكاكي، ص/ 224.**

(**2**) **الإيضاح، ص/ 212.**

"ظلت مفاهيم البيان والبلاغة والبراعة والفصاحة والبديع متشابكة لا تحديد فيها، ومختلطة لا تمييز بينها حتى القرن السادس الهجري حيث سيتم تقسيم علوم البلاغة على يد أبي يعقوب السكاكي فأطلق على الموضوعات المتعلقة بالنظم (علوم المعاني)، وعلى الموضوعات التي تبحث في الصورة البيانية (علوم البيان)، وألحق وجوه تحسين الكلام وتزيينه بهذين العلمين. [1]"

ارتبطت البلاغة بالنقد في النشأة الأولى حين كانت تعقد الموازنات بين الشعراء ويتم تفضيل بعضهم على بعض. وكانت أسواق العرب ـ لا سيما سوق عكاظ ـ تضم ندوات أدبية تنشر فيها الأشعار وتلقى الأحكام الأدبية المطلقة التي تخلو من التحليل والتعليل.

وكان طبيعياً أن يؤثر الإسلام تأثيراً قوياً في نشأة العلوم البلاغية، وأن يلفت إعجازه النظر في أسباب هذا الإعجاز، وقد وجدت أقوال تذهب إلى أن إعجاز القرآن يرجع إلى ما فيه من أخبار عن المغيبات كقوله β : "(الم & غُلِبَتِ الرُّومُ & فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ & فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ)[2]" ، وهذا النوع من الإعجاز ولا شك، ولكنه ليس النوع الذي تحدى به القرآن العرب، فقد تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله، ولم يرد الإخبار عن المغيبات في جميع سورة القرآن، هذا إلى جانب أن التحدي إنما يكون في أمر يظنون أنهم قادرون عليه، وما كان شعراؤهم وخطباؤهم يدعون علم الغيب، إنما كانوا يدعون القدرة على صوغ الكلام البليغ، ومن ثمَّ فقد غلب الرأي بأن إعجاز القرآن يرجع إلى بلاغته.

وكان العرب الأقحاح في أولية الإسلام يدركون بسلائقهم السليمة أن القرآن الكريم أنزل بلسان عربي مبين ، وأنه لا يشاكل شيئاً من كلام فصحاء العرب المشهود لهم بالبيان أما الموالي والمولدون فكانوا بحاجة إلى من يبين لهم أمرين : الأول أن القرآن الكريم يجري على قواعد العرب في لغتها، والثاني أنه يتميز بنهج خاص في

---

(1) مفتاح العلوم لسكاكي ، ص/ 6-8.

(2) سورة الروم، رقم الآية/ 1-4.

استعماله هذه اللغة وفي التعبير عن المعاني التي يتضمنها، وهذا سر إعجازه، وقد ظهرت كتب في هذه المرحلة تحاول جلاء الأمرين معاً، فهي تتناول (غريب القرآن) و (مشكل القرآن) و (إعراب القرآن) . ومن أوائل الكتب " مجاز القرآن" ومن أوائل الكتب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى، وكان من أئمة علماء اللغة والأدب في البصرة، وينبغي أن نلاحظ أن كلمة " مجاز" في هذا العنوان لا تعني بالضبط ما أصبحت تعنيه بعد ذلك في علم البيان، فأبو عبيدة يستعمل كلمة المجاز في مقدمة الكتاب بمعنى (طريقة التعبير). (1)

والمجاز في استعمال أبي عبيدة يمكن أن يشمل جميع الأساليب البلاغية، ولكنه في الواقع يشير إشارات مجملة إلى بعض منها نقلاً كالحذف والمجاز المرسل (دون أن يسميه بهذا الاسم) وخروج الاستفهام عن معناه إلى معنى التقرير.

وكلمة البيان في أصل معناها اللغوي تدل على الوضوح والإبانة سواء في القول الملفوظ أم المكتوب، أو الإشارة أو الهيئة التي يبدو عليها الشيء، وهذا ما يطلق عليه (دلالة الحال) وهذا المفهوم هو الذي أسس عليه الجاحظ تقسيمه لأنواع البيان، وقد ظل مصطلح (البيان) لفترة طويلة من الزمان متسعاً لمعان كثيرة، منها الإعراب عما في النفس من خواطر وأفكار ومنها مضاهاة معنى الفصاحة والبلاغة في جمال التعبير وتمام الدلالة.

ثم تطور البحث البلاغي فأصبح (البيان) علماً من علوم البلاغة، ولكنه لم يصر كذلك إلاّ بعد أن قدم البلاغيون الأوائل جهوداً عظيمة لتفسير أركان هذا العلم، فالجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) قد أورد الكثير من التشبيهات والاستعارات، وفنطن إلى تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز، وتحدث عن الكناية، ولكنه أورد ذلك كله على سبيل الإدراك التذوقي ولم يضع حدوداً وتعريفات لهذه الأبواب البيانية، وكان في كلامه قدر كبير من التعميم فالمجاز عنده ضد الحقيقة وهو يشمل التشبيه والاستعارة بل يضاف إليها الكناية التي استخرجها من كلام الرسول γ . بل تفهم من بعض أقواله أن المجاز قد يشمل التعبير الأدبي كله، حتى ما يدخل بعد ذلك

---

(1) المختصر في تاريخ البلاغة للدكتور عبد القادر حسين ، ط/ دار الشرق 1982، ص/ 130

في علم البديع وهو ما سمعناه اللغز في الجواب وهو نفسه الذي اصطلح على تسميته بأسلوب الحكيم، وما يدخل أيضاً في علم المعاني وهو إيجاز القصر والحذف، وأساليب الخبر والإنشاء.

ولا شك أن كتابات الجاحظ في وجوه البيان كانت رائدة في البلاغة العربية لكل من جاء بعده واستمد منه، وبني على ما أسس، ونلاحظ أن ابن قتيبة قد عرض في كتبه المختلفة وخاصة (تأويل مشكل القرآن) لموضوعات في علم البيان كالحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة والكناية وقد استفاد من كتابات الجاحظ على الرغم من اختلافهما المذهبي، فالجاحظ معتزلي وابن قتيبة سني، فابن قتيبة في تعريفه المجاز مقارب لتصور الجاحظ فهو يقول في تأويل مشكل القرآن " وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه، ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والإخفاء والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص، مع أشياء كثيرة" [(1)] ويستفاد من ذلك أنه فهم كالجاحظ أن المجاز معناه طرق التعبير الأدبي على وجه العموم.

وواضح أيضاً أنه استفاد من تفرقة الجاحظ بين الحقيقة والمجاز فهو يقول (وقد ذهب قوم في قول الله وكلامه إلى أنه ليس قولاً ولا كلاماً على الحقيقة، وإنما هو إيجاد للمعاني، وصرفوه في كثير من القرآن إلى المجاز) . ولكن ابن قتيبة لم يتعمق في فهم المجاز ولا كيفية اختلافه عن الحقيقة في التعبير الأدبي، ولهذا فسر الشياطين في الآية بأنها الحيات.

ثم جاء أبو العباس المبرد فأورد في كتابه (الكامل) مسائل مهمة في علم البيان وقد عرض نماذج رفيعة من الشعر والنثر، حللها وشرح ما فيها من موضوعات البيان كالمجاز والتشبيه والاستعارة والكناية، وقد حدد في بعض المواقف مدلول هذه المصطلحات، فالكناية تؤدي أغراضاً ثلاثة: للتعمية والتغطية، للرغبة عن اللفظ

---

(1) نظرات في البلاغة والإسناد، لدكتور محمد عبدالرحمن الكردي، 1400، ص/51.

الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، للتفخيم والتعظيم، أما التشبيه فقد قسمه أربعة أقسام: مفرط ، ومصيب، ومقارب، وبعيد، وساق في كل قسم أمثلة كثيرة. [1]

أما التشبيه فقد أكثر المبرد في إيضاحه وتعريفه فهو يقول : (والتشبيه جارٍ كثير في الكلام أعني كلام العرب، حتى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم لم يُبعِد، قال الله β : " (الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ)" [2] وقال : (" طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ") [3] وقد اعترض معترض من الجهلة الملحدين في هذه الآية فقال: إنما يمثّل الغائب بالحاضر، ورؤوس الشياطين لم نرها، فكيف يقع التمثيل، فهؤلاء في هذا القول كما قال الله β : "(بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ)" [4] ، وهذه الآية قد جاء تفسيرها على ضربين: أحدهما أن شجراً يقال له (الأَسْتن) منكر الصورة يقال لثمره (رؤوس الشياطين) وهو الذي ذكره النابغة في قوله (تحيدُ عن أستَنٍ سُودٍ أسافلُهُ) وزعم الأصمعي أن هذا الشجر يسمى (الصوم) والقول الأخر وهو الذي يسبق إلى القلب . أن الله جل ذكره شنّع صورة الشياطين في قلوب العباد، فكان ذلك أبلغ من المعاينة، ثم مثل هذه الشجرة بما تنفر منه كل نفس.

وفي تحليل المبرد لأنواع التشبيه ما يدل على ذوقه الأدبي الرفيع وعدم استمساكه بالمصطلحات في تقسيم جامد فالتشبيه المفرط في رأيه مثل قولهم للسخي هو كالبحر وللشجاع هو كالأسد.

"وكان لأبي الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي إسهام كبير في تأصيل علم البيان فكتابة (عيار الشعر) استهدف الأصول الغنية للشعر بما يجعله رائعاً رفيع الجمال، ومن بينها الصفة الفنية التي تعتمد فيما على حوار البيان، فالشاعر في رأيه (يكون كالنساج الحاذق الذي يفوف وشيه بأحسن التفويف وكناظم الجوهر الذي يؤلف بين النفيس منها والثمين الرائق). وقد اهتم ابن طباطبا بالتشبيه اهتماماً كبيراً

---

(1) تاريخ علوم البلاغة وتعريف برجالها، لأحمد مصطفى المراغي، 1950، ص/ 100.

(2) سورة النور، رقم الآية/ 35.

(3) سورة الصافات، رقم الآية/ 65.

(4) سورة يونس، رقم الآية/ 39.

فهو يقول (اعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها وأدركه عيانها، ومرت به تجاربها وهم أهل وبر، صحونهم البوادي وسقوفهم السماء ، فليس تعدد أوصافهم ما رأوه منها وفيها، وفي كل واحدة منها في فصول الزمان على اختلافها، من شتاء وربيع وصيف وخريف، من ماء وهواء ونار وجبل، ونبات وحيوان وجمادن وناطق وصامت، ومتحرك وساكن، وكل متولد من وقت نشوئه، وفي حال نموه إلى حال انتهائه. فتضمنت أشعارها من التشبيهات ما أدركه من ذلك كيانها وحسها إلى ما في طبائعها وأنفسها من محمود الأخلاق ومذمومها، في رخائها وشدتها، ورضائها وغضبها، وفرحها وغمها، وأمنها وخوفها، وصحتها وسقمها، والحالات المتصرفة في خَلْقها وخُلُقها، من حال الطفولة إلى حال الهرم، وفي حال الحياة إلى حال الموت. فشبهت الشيء بمثله تشبيهاً صادقاً على ما ذهبت إليه في معانيها التي أرادتها. فإذا تأملت أشعارها وفتشت جميع تشبيهاتها وجدتها على ضروب مختلفة تنفرج أنواعها، فبعضها أمن من بعض، وبعضها ألطف من بعض، فأحسن التشبيهات ما إذا عُكس لم ينتقض، بل يكون كل ما شبه بصاحبه مثل صاحبه، ويكون صاحبه مثله مشتبهاً به صورة ومعنى. وربما أشبه الشيء الشيء صورة وخالفه معنى، وربما أشبهه معنى وخالفه صورة، وربما قاربه، أو داناها أو شامه وأشبهه مجازاً لا حقيقة). " (1)

وفي موضع آخر من الكتاب يحدد ابن طباطبا أقسام التشبيه فيرى أنها: تشبيه الشيء بشيء صورة وهيئة ، وتشبيهه به معنى، وتشبيهه به في الحركة والبطء والسرعة ، وتشبيهه به صوتاً.

ونلاحظ أن ابن طباطبا يحاول استخراج حالات وجه الشبه وإيجاد وجوه التطابق بين المشبه والمشبه به في الهيئة أو الحركة أو الصوت، وواضح أنه يؤمن بأن التشبيه خاضع لأثر البيئة .

وقد أسهم الآمدي بكتابة (الموازنة بين الطائيين) في تأصيل علم البيان ونجاحة عندما فصل القول في الاستعارة القبيح منها والحسن عند أبي تمام والبحتري

---

(1) تاريخ علوم البلاغة وتعريف برجالها، لأحمد مصطفى المراغي، 1950، ص/ 105..

وقد أخذ على أبي تمام غلوه وإغراقه في استعاراته التي لا تتفق مع مذهب العرب في الكلام.

فإذا جاء الرماني إلى الاستعارة عرضها بأنها (تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة) ثم أوضح الفرق بينها وبين التشبيه في خلوها من الأداة وأنها تقوم على أركان ثلاثة: المستعار، والمستعار منه والمستعار له. وقد حلل بعض الآيات القرآنية ليشرح ما فيها من استعارات جميلة مدركاً الأثر النفسي الذي ترثه . يقول : قال الله β : "(**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا**)" [1] حقيقة (قدمنا) هنا (عمدنا) . وقدمنا أبلغ منه لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفر، لأنه من إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم، ثم قدم فرآهم على خلاف من أمرهم. وفي هذا تحذير من الاغترار بالأفهام. والمعنى الذي يجمعهما العدل لأن العمد لإبطال الفاسد عدل، والقدوم إلى إبطال الفاسد عدل، والقدوم أبلغ لما بينا، وأما هباء منثوراً فبيان ما قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه . [2]

وفي كتاب القاضي علي بن العزيز الجرجاني (الوساطة بين المتنبي وخصومه) توسع في شرح الفرق بين الاستعارة والتشبيه البليغ ، وهو لا يزال يستخدم (البليغ) بمعنى التعبير الفني الجميل فيجعل الاستعارة والتشبيه منه، وهو يرى أن الاستعارة (أحد أعمدة الكلام وعليها المعمول في التوسع والتصرف وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر).

"والاستعارة عنده إما حسنة أو قبيحة ومرد الحكم على ذلك قبول النفس أو نفورها، وهو بذلك لا يضع قواعد لجودة الاستعارة أو رداءتها وإنما يترك ذلك للتذوق والانطباع النفسي.[3] "

---

(1) سورة الفرقان ، رقم الآية/ 23

(2) جواهر البلاغة، ص/ 248.

(3) البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، ج/2، ص/ 162.

ولا شك أن جهد أبي هلال العسكري في علم البيان يفوق من سبقه ممن عرضنا بحوثهم، فهو في كتابه الصناعتين يصرح برغبته في الكشف عن الحدود والأقسام لوجوه البيان كما أشار إليها الجاحظ من قبل. أما فيما يخص علم البيان فقد خاض في موضوعاته فتحدث عن حد التشبيه ووجوهه المختلفة وأجود التشبيه عنده ما يقع على أربعة أوجه: إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه ، إخراج ما لم تجربه العادة إلى ما جرت به العادة، إخراج ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها، إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها، ثم تحدث عن أدوات التشبيه محللاً نماذج من القرآن الكريم ومن الشعر المنثور . ثم تحدث عن التشبيه القبيح وساق بعض النماذج له.

وعقد فصلاً للاستعارة فتحدث فيه عن الغرض منها، والاستعارة المصيبة، وفضل الاستعارة على الحقيقة لأنها تفعل في نفس السامع ما لا تفعل الحقيقة. ولا بد لكل استعارة ومجاز من حقيقة، وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة، كما لا بد أيضاً من معنى مشترك بين المستعار والمستعار منه ، والاستعارة أبلغ من الحقيقة لأنها إخراج ما لا يُرى. وقد قدم أبو هلال نماذج للاستعارات من كلام القدماء والمحدثين.

ووضع أبو هلال العسكري الكناية ضمن فنون البديع، وعقد لها فصلاً عرف بها فيه وأورد نماذج منها للجيد منها والرديء.

"ونجد من علماء البلاغة الذين أسهموا في تطور علم البيان ابن رشيق القيرواني وذلك في كتابه (العمدة) وقد تكلم عن المجاز وكثرته في كلام العرب وهم يعدونه من مفاخر كلامهم ودليل الفصاحة ورأس البلاغة، وهو يرى أن المجاز أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع. " (1)

ويعد عبدالقاهر الجرجاني من أهم البلاغيين العرب الذين أسهموا في إرساء قواعد علم البيان في كتابيه (أسرار البلاغة) و (دلائل الإعجاز) وقد تحدث في الكتاب الأول عن أصول علم البيان من حقيقة ومجاز واستعارة وتشبيه، وتكلم في (دلائل الإعجاز) عن الكناية وعرض أيضاً للاستعارة والمجاز العقلي، لإثبات أن ما

---

(1) جواهر البلاغة، ص/ 248.

يطبق على العبارات الحقيقة في نظرية (النظم يطبق على هذه الاستخدامات النخيلية.

وجعل عبدالقاهر التشبيه نوعين : الأول أن يكون من جهة أمر بيّن لا يُحتاج فيه إلى تأويل، والثاني أن يحصل بضرب من التأويل. و (التشبيه) يطلق على النوعين، بينما يطلق (التمثيل) على النوع الثاني، ولهذا فالتشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً.

"ومن الفوائد التي يراها عبدالقاهر في الاستعارة الإيجاز لأنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ والإفصاح (لأنك ترى بها الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخافية بادية جلية)، كذلك تفيد التجسيم فهي (إن شئت أتتك بالمعاني اللطيفة التي هي خبايا العقل كأنها جسمت حتى رأتها العيون). "(1)

ونراه يقسم الاستعارة إلى مفيدة وغير مفيدة حسب ما تؤدي من المعاني، فالاستعارة غير المفيدة كاستعارة اسم شيء لشيء مقابله دون حصول فائدة .

ويهتم عبد القاهر اهتماماً كبيراً بأثر الصور البيانية في النفس فهو يقول: (أعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو أبرزت باختصار في معرضه، ونقلت عن صورتها الأصلية إلى صورته كساها أبهة، وأكسبها منقبة ورفع من أقدارها، وشب من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً).

والمعاني عنده لا قيمة لها في ذاتها، بل قيمتها في تصويرها باستخدام الخيال الذي ينقلها من المعقول إلى المحسوس يقول في ذلك: (أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفيّ إلى جليّ، وتأتيها بصريح بعد مكني ، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، نحو أن تنقلها من العقل إلى الإحساس، وعما يُعلم بالفكر إلى ما يعلم بالطبع) .

---

(1) المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ط/ دار الكتب العلمية، 1997، ص/ 323.

"وقد جاء محمود بن عمر الزمخشري فأضاف في تفسيره للقرآن المسمى (الكشاف) مزيداً من التوضيح لقواعد علم البيان وأصوله وخاصة في صور الكناية والاستعارة والمجاز المرسل والعقلي.[1] "

وبعد هؤلاء الأعلام جاء سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي ووضع حدوداً صارمة في كتابه (مفتاح العلوم) إذ خصص القسم الثالث من كتابه لعلم المعاني وعلم البيان وألحق بهما مبحثاً في الفصاحة والبلاغة وآخر عن المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية، ويعد كتاب السكاكي الصورة النهائية التي جمدت عليها علوم البلاغة العربية، إذ أخذ العلماء من بعده يشرحون ما كتبه، وكان ما كتبه استيعاباً لما قدمه العلماء السابقون عليه، وتنظيماً وتحديداً وتقسيماً وتفريعاً. وقد عرف السكاكي البيان بأن (إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه). وقد حصر علم البيان في الدلالات العقلية فكانت مباحثه شاملة المجاز والكناية إذ ينطبق عليها تعريفه علم البيان أي إيراد المعنى الواحد بهما في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان.

"ومن أهم شراح السكاكي جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني ، وهو في شرحه لم يلتزم بنص السكاكي ولكنه أضاف إليه من آرائه وآراء العلماء السابقين، وقد أصبح كتابه (التلخيص) المحور الذي دارت عليه البلاغة العربية حتى العصر الحديث وكذلك شرحه (الإيضاح) الذي تتابعت الشروح عليه مثل(عروس الأفراح) بهاء الدين السبكي. [2]"

---

(1) البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، ج/2، ص/ 162.

(2) جواهر البلاغة، ص/ 248.

الفصل الثاني

شواهد التشبيه في الأدعية القرآنية

قبل أن نقوم بإيراد شواهد التشبيه في الأدعية القرآنية نعرف بالتشبيه لغة واصطلاحاً ، ثم التعريف بأهم أنواعه التي وردت في سياق الأدعية القرآنية.

التشبيه لغة

"التشبيه لغة مصدر من شبه يشبه من باب التفعيل ويرادف التمثيل ، معنى الشبه بمعنى مثل يقال شبهت طارقاً أسد أي مثلته أسداً ومعناه في اللغة : إبراز أو إظهار التطابق بين الشيئين تذهب أكثر المعاجم اللغوية إلى أن التشبيه هو التمثيل كما نرى في التعريفات الآتية من مختلف المعاجم . "

يقول صاحب لسان العرب : "شبه : الشبه والشبيه ، المثيل والجمع أشباه، وأشبه الشيء شيء.[1] . "

يقول صاحب معجم الوسيط : "أشبه الشيءُ الشيءَ : ماثله (شابهه) ، أشبه (شبّهه) عليه الأمر، أبهمه عليه حتى أشبه بغيره و الشيء بالشيء ، مثّله وأقامه مقام لصفة مشتركةٍ بينها.[2] "

يقول صاحب القاموس المحيط: "والتشبيه :التمثيل وتشابها واشتبها ، أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا وشبهه إياه ، وبه تشبيها.[3] "

وكتب أحمد مصطفى المراغي في علوم البلاغة : "التشبيه لغة التمثيل يقال: هذا شبه هذا ومثيله ، وشبهت الشيء بالشيء أقمته مقامه لما بينها من الصفة المشتركة" .[4]

يقول صاحب شروح التلخيص : " التشبيه في اللغة جعل الشيء شبيها بآخر ".[5]

---

(1) لسان العرب ، ج/13 ، ص/ 503.

(2) المعجم الوسيط ، ص/ 471.

(3) القاموس المحيط ، ج/4 ، ص/ 292.

(4) علوم البلاغة ، البيان والمعاني والبديع ، ص/ 253.

(5) شروح التلخيص ، ص/ 292.

التشبيه في الاصطلاح

"إن التشبيه بين الشيئين وأكثر بأداة التشبيه بناءً على شاركتهما في وصف أو أكثر ، والتشبيه في اصطلاح البلاغيين له أكثر من تعريف ،" وهذه التعاريف وإن اختلفت لفظاً فإنها متفقة معنى كما نجد في هذه التعريفات الآتية:

فابن رشيق مثلا يعرف بقوله : " التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو بجهات كثيرة ، لا من جميع جهاته ، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه، ألا ترى أن قولهم خدّ كالورد إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها، لاما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمة" .[1]

ويعرفه أحمد مصطفى المراغي بقوله : " الحاق أمر (المشبه) بأمر (المشبه به) في معنى مشترك (وجه الشبه) بأداة (الكاف وكأن وما في معناهما) لغرض (فائدة) .[2]

ويعرفه الخطيب القزويني بقوله : " التشبيه : هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى " .[3]

كتب عنه السكاكي بقوله : "وصف الشيء بمشاركة المشبه به في أمر"[4]

يقول أحمد الهاشمي في كتابه : عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر بأداةٍ لغرض يقصد المتكلم. [5]

شواهد التشبيه في الأدعية القرآنية

1. قوله β: ("رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا) [6]."

---

(1) العمدة ، ج/1 ، ص/ 286.

(2) علوم البلاغة ، ص/ 353.

(3) الإيضاح في علوم البلاغة ، ج/ 2 ، ص/ 16.

(4) مفتاح العلوم ، ص/ 157.

(5) جواهر البلاغة ، لسيد أحمد الهاشمي، ص/ 224.

(6) سورة البقرة، رقم الآية/ 286

وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من " الحمل إذا كان شاقا و أحماله على الضعيف الذي يصعب عليه تحمله". وهذه الهيئة المتجسدة منتزعة من صورتي الطرفين المشبه و المشبه به. وكل منهما منتزع من الأمور المتعددة المؤلفة كما ترى المشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من مجموع عدة أشياء: تكليف العبد بعمل شاق،و عدم استطاعته أن يعمل بذلك إلا بشق النفس، وكون ذلك العمل أمرا تشريعيا. و الأمران الأولان محسوسان، و الثالث أمر عقلي بحث. و المشبه به هيئة مؤلفة من عدة أشياء: تحميل الحمل على أحد، وكون ذلك الحمل شاقا صعبا غاية الصعوبة عليه، وكون المحمول عليه ضعيفا لا يستطيع أن يحمله إلا بكد النفس و الشدة عليها. ولا ريب في أن بعض هذه الأشياء حسية و بعضها عقلية.

2. قوله β : "(قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء ") [1]

المشبه : أفعال الله سبحانه وفق مشيئته.

المشبه به: قدرة الله سبحانه على خلق الجنين من شيخ وعاقر

أداة التشبيه: حرف التشبيه (الكاف)

وجه الشبه : القدرة المطلقة

نوع التشبيه : مرسل مجمل: مرسل: لذكر أداة التشبيه، ومجمل: لحذف وجه الشبه.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

أثر التشبيه في تفسير الآية

(" **يَفْعَلُ مَا يَشَاء** ") أي هو تكوين قدرة الله وإيجاد أسبابه، ومن أجل ذلك لم يقل هنا يخلق ما يشأ، كما قاله في جانب تكوين عيسىv [2].

---

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/ 40

(2) التحرير والتنوير ، ج/3، ص/ 242.

وقد جاءه الجواب في بساطة ويسر، يرد الأمر إلى نصابه، ويرده إلى حقيقته التي لا عسر في فهمها، ولا غرابة في كونها: كذلك! فالأمر مألوف مكرر معاد حين يرد إلى مشيئة الله، وفعله الذي يتم دائماً على هذا النحو!.

كذلك ! بهذا اليسر، وبهذه الطلاقة، يفعل الله ما يشاء، فماذا في أن يهب لزكريا غلاماً وقد بلغه الكبر وامرأته عاقر؟ إنما هذه مألوفات البشر التي يقررون قواعدهم عليها، ويتخذون منها قانوناً ! فأما القياس إلى الله فلا مألوف ولا غريب، كل شيء مرده إلى توجه المشيئة، والمشيئة مطلقة من كل القيود.[1]

3. قال اللهβ : (" فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ") [2]

المشبه : الذكر على سبيل النفي

المشبه به : الأنثى

أداة التشبيه : حرف التشبيه (الكاف)

وجه الشبه : محذوف

نوع التشبيه: تشبيه سلبي، سلب وجه الشبه عن الطرفين

غرض التشبيه: بيان حال المشبه

أثر التشبيه في تفسير الآية:

احتمل التشبيه معنيين الأول: تفضيل المشبه (الذكر) ، بأن يكون المعنى أنه لا يشبَّه بكذا، لأن وجه الشبه فيه أولى وأقوى، والثاني : أنه لا يشبَّه به لبعد المسافة بينهما[3] ، " وقد قدّم الذَكَر هنا، لأنه هو المرجو المأمول فهو أسبق إلى لفظ المتكلم" [4].

---

(1) في ظلال القرآن، ج/3 ، ص/ 394-395.

(2) سورة آل عمران، رقم الآية/ 36.

(3) روح المعاني، ج/3، ص/ 136.

(4) تفسير التحرير والتنوير ، ج/3، ص/ 234.

4. قول الله Y : "(وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ") [1]

في هذا المثال تشبيه التذلل للوالدين بتدلل الطائر حين يخفض جناحيه أو جناحه منكسراً لفراجه أو لزوجه أو لغيرهما ، ولكن أضمر التشبيه ، فلم يذكر لفظ المشبه به ، وإنما كنّي عنه بشيء من صفاته وهو الجناح ، وأضيف هذا المكني به إلى المشبه.

وهذا على ما يظهر هو من التشبيه البليغ المكني فيه عن المشبه به ببعض صفاته. ومعنى الجملة على هذا التحليل : ليكن ذُلك لِوالديك كالطائر يخفض جناحه تذللاً من الرحمة ، فحذفت أولاً أداة التشبيه فصار تشبيها بليغاً ، ثم حذف لفظ المشبه به ، ورُمز إليه بشيء من صفاته وهو الجناح الذي يستعمل خفضه للدلالة به على التذلل والرحمة ، فصار تشبيها مكنياً .

وناسب هذا التشبيه استعمال فعل " الخفض " في عبارة " (واخفض لهما) وظاهرٌ أن هذا الخفضَ يشترك فيه المشبه والمشبه به، فالطائر يخفض جناحه، والإنسان يخفض جانبه الجسدي ، ويخفض جانبه النفسي .

5. قوله β : " (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[2] "

فنجد تشبيه "الرحمة" بالتربية المحسوسة في دعاء الولد لأبويه : " (رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ "

الخفض في اللغة : التواضع ولين الجانب، والميل إلى المنخفض المطمئن من الأرض وهو ضد الرفع.

6. قوله β : " ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ "[3] .

---

(1) سورة الإسراء ، رقم الآية / 24.

(2) سورة الإسراء، رقم الآية/ 24

(3) سورة مريم، رقم الآية/ 4.

وهن العظم : ضعف بدني، واشتغل الرأس شيبا: أخذ الرأس شمطا، لم أكن عندك بدعائي يا رب خائباً. (1)

"﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا & قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾" أي ضعف بدني، قال الزمخشري عمود البدن، وهو أصل بنائه، شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة وظاهره أن فيه تشبهين أولاً بتشبيه انتشار المبيض في المسود باشتغال النار والثاني بتشبيه الشيب في بياضه وإنارته باللهب، وهذا التشبيه التمثيل. ولم أكن بدعائي إياك خائبا في وقت لم أعود منك إلا الإجابة في الدعاء ولم تردني قط. (2) .
"

رب : للاسترحام في مفتح الدعاء والتأكيد بأن للدلالة على تحققه بالحاجة، والوهن: هو الضعف ونقصان القوة، وقد نسبه إلى العظم لأنه الدعامة التي يعتمد عليها البدن في حركته وسكونه، ولم يقل: العظام مني ولا عظمي للدلالة على الجنس.

"واشتعل الرأس شيبا ، اشتغال انتشار شواظ النار ولهيبا في الشيء المحترق، قال في المجمع: من أحسن الاستعارات والمعنى اشتغل الشيب في الرأس وانتشر كما ينتشر شعاع النار، وكأن أطراد بالشعاع الشواظ واللهيب "﴿ وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ " " بدعائك " متعلق بالشقي والباء فيه للسببية ، أولم أكن محروما خائبا في دعائي ، وقيل مصدر مضاف إلى الفاعل، في هذه الآية إشارة إلى ولادة عيسى ν .
" (3)

7. "قوله β: ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي & هَارُونَ أَخِي ﴾ ".(4)

---

(1) تفسير القاسمي، ج/7، ص/ 110.

(2) تفسير القاسمي، ج/7،ص/ 110.

(3) الميزان في تفسير القرآن، ج/4، ص/ 5.

(4) سورة طه، رقم الآية/ 30-31.

"عيني على ما كلفتني به، واشتقاق الوزير إما من الوزر لأنه يحمل الثقل عن أمره، أو من الوزر وهو ملجأ لأن الأمير يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره، وهو كالعشير والجليس . [1] . "

8. قوله β: "﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾" [2] .

"يوازره في الدعوة وإعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة، لأن المتشاركين في الأمر متوازون عليه . "[3] .

9. "قوله β : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [4]

. " في هذه الآية تشبيه بحال الوارث وتصرفه في إرثه. [5]

----

(1) تفسير البيضاوي، ج/4، ص/ 48.

(2) سورة الفرقان، رقم الآية/ 35.

(3) تفسير البيضاوي، ج/4، ص/ 217.

(4) سورة الزمر، رقم الآية/ 74.

(5) التفسير المنير، ج/24، ص/ 59.

الفصل الثالث

قبل أن نقوم بإيراد شواهد المجاز في الأدعية القرآنية نعرف بالمجاز لغة واصطلاحاً ثم التعريف بأهم أنواع التي وردت في سياق الأدعية القرآنية .

المجاز لغة :

"مشتق من جاز الشيء يجوزه إذا تعدّاه . يقول عبدالرحمن حبنكة : مصدر فعل " جاز" يقال لغة " جاز المسافر ونحوه الطريق . ويطلق لفظ " المجاز" على المكان الذي اجتازه من سار فيه حتى قطعه. [1]"

المجاز في الاصطلاح:

يقول أحمد الهاشمي في كتابه : "هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي. " [2]

يقول عبدالرحمن حبنكة : "اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح به التخاطب بقرينة صارفة عن إرادة ما وضع له اللفظ . " [3]

أهم أنواع المجاز

المجاز المرسل : "هو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي، لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينةٍ دالة على عدم الإرادة المعنى الوضعي. **"** [4]

المجاز المفرد : يقول عبدالرحمن حبنكة : "وهو اللفظ المفرد المستعمل في غير ما وضع له. "

المجاز في المركب : يقول عبدالرحمن حبنكة : "هو اللفظ المركب المستعمل بهيئة المركبة في غير المعنى الذي وضع له لعلاقة مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي . [1]"

(**1**) **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، لعبدالرحمن حبنكه، ص/ 217**

(**2**) **جواهر البلاغة ، ص/264**

(**3**) **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص/ 218**

(**4**) **جواهر البلاغة ، ص/265**

شواهد المجاز المرسل في الأدعية القرآنية

1. في قولهβ : "﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾[2] نجد في هذه الآية التصوير البياني فعبر بالأفئدة عن جميع البدن لأن الفؤاد أشرف عضو مفيد) [3] ، ففي الآية مجاز مرسل علاقته الجزئية. "

2. كقوله χ على لسان سيدنا إبراهيم ν : "﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [4] ، أي : ذكرا حسناً، أطلق " اللسان" وأريد به الذكر الحسن، إذ اللسان آلته، والأثر الذي ينتج عنه، وهو مجاز مرسل علاقته " الآلية" [5]. مجاز مرسل إذ المراد باللسان هنا الثناء وذكر اللسان مجاز لأنه سببه فالعلاقة هي السببية وقد تقدم ذلك مراراً، وقيل هو مجاز من إطلاق الجزء على الكل لأن الدعوة باللسان.[6] "

المراد واجعل لي قول صدق فأطلق اللسان الذي هو آلة القول على القول نفسه، ففي كلمة اللسان مجاز مرسل علاقته الآلية. [7]

3. قوله β : "﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ & قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ & ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾" [8]

---

(1) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص/223

(2) نفس المرجع

(3) فتح القدير، ج/3،ص/ 112.

(4) سورة الشعراء، رقم الآية/ 84.

(5) في علاقات المجاز المرسل: كتاب الطراز ص/35، وجواهر البلاغة ص/ 180 وما بعدها، وعلم المعاني ، البيان ، البديع، ص/ 352، والبيان في ضوء أساليب القرآن ، ص/ 141.

(6) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/ ، ص/ 94.

(7) البلاغة الواضحة، ص/ 69.

(8) سورة غافر، رقم الآية/ 10–12.

في هذه الآيات مجاز مرسل لأن المراد بالميتتين الاثنتين خلقهم أمواتا أولاً وأماتتهم عند انقضاء آجالهم ثانياً والمراد بالإحياءتين الأحياءة الأول وأحياءة البعث وقد أوضح سبحانه ذلك ففي تسمية خلهم أمواتا إماتة مجاز لأنه باعتبار ما كان .[1]

4. "قوله χ : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا & إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[2] . "

"في قوله تعالى ﴿ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ مجاز مرسل وعلاقة هذا المجاز ما يؤول إليه، لأنهم لم يفجروا وقت الولادة، بل بعدها بزمن طويل على كل حال، أي لا يلدوا إلا من سيفجر ويكفر، فوصفهم بما يصيرون إليه.[3]"

"وتجد أن فاجراً وكفاراً مجازان لأن المولود حين يولد لا يكون فاجراً ولا كفاراً ، ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة فأطلق المولود الفاجر وأريد به الرجل الفاجر والعلاقة اعتبار ما يكون .[4] "

"ونجد العدول و المجاز المرسل في قولهβ ﴿ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ إي إلا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما هو منتظر منهم مستقبلاً باعتبار ما سيكون كما يقول البلاغيون . "

المجاز العقلي[5] :

يقول أحمد الهاشمي في كتابه : "هو إسناد الفعل، أو ما في معناه من اسم فاعل، أو اسم مفعول أو مصدر إلى غير ما هو له في الظاهر، من المتكلم، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له.[6]"

---

(1) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/8، ص/ 465

(2) سورة نوح، رقم الآية/ 26–27.

(3) الجدول في إعراب القرآن ، ج/29 ، ص/ 108.

(4) البلاغة الواضحة ، ص/ 110.

(5) اسمي عقلياً لأن تجوّز فهم من " العقل" لا من اللغة .

(6) جواهر البلاغة ، ص/270

وعند عبدالرحمن حبنكة: "هو المجاز الذي يكون في الإسناد بين مسند ومسند إليه . [(1)]"

شواهد المجاز العقلي في الأدعية القرآنية

1. "قوله β : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ & رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ & رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ & رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء & الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء & رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء & رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [(2)]"

هذه الآيات مجموعة رائعة من الابتهالات التي تغرق نفس المؤمن في سبحاتها وتذوب في بحرانها الجميل، وقد انطوت على مجموعة من الفنون البلاغية نوجزها فيما يلي:

"المجاز العقلي في إسناد الإضلال للأصنام وهي جمادات أو مجاز مرسل والعلاقة هي السببية لأنها سبب الإضلال.[(3)] "

في إسناد الإضلال للأصنام في قوله "﴿ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾" أي تسببن له في الضلال، فإسناد الإضلال إليهن مجازي لأنهن جماد لا يعقل منهن ذلك، والمضل في الحقيقة هو الله تعالى وقد يكون مجاز مرسل والعلاقة هي السببية لأنهن سبب الإضلال. [(4)]

---

(1) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص/ 222

(2) سورة إبراهيم، رقم الآية/ 35-41.

(3) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/ ، ص/ 200

(4) الجدول في إعراب القرآن ، ج/13، ص/ 200.

حيث أسند الإضلال إلى الأصنام مع كونها جمادات لا تعقل، لأنها سبب إضلالهم فكأنها أضلتهم) [1] ففيه مجاز عقلي علاقته السببية.

2. "قوله β ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [2]"

والآلية : هي كون الشيء واسطة لإيصال أثر شيء إلى آخر، وذلك فيما إذا ذكر اسمُ الآلة، وأريد الأثر الذي ينتج عنه، نحو : "﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾" أي ذكرا حسناً. فلسان بمعنى ذكر حسن مجاز مرسل. علاقته الآلية ، لأن اللسان آلة في ذكر الحسن.

"فاللسان مجاز عن الذكر بعلاقة السببية ، واللام للنفع، ومنه يستفاد الوصف بالجميل. [3]"

---

(1) الكشاف، ج/2،ص/ 304.

(2) سورة الشعراء ، رقم الآية/ 84.

(3) الجدول في إعراب القرآن ، ج/19. ص / 91.

الفصل الرابع

قبل أن نقوم بإيراد شواهد الاستعارة في الأدعية القرآنية نعرف بالاستعارة لغة واصطلاحاً ثم التعريف بأهم أنواع التي وردت في سياق الأدعية القرآنية.

الاستعارة لغة :

من قولهم : "استعار المال : إذا طلبه عارية ، ويقول عبدالرحمن هي طلب شيء ما للانتفاع زمناً ما دون مقابل، على أن يرده المستعير إلى المعير عند انتهاء المدة الممنوحة له، أو عند الطلب. "[1]

الاستعارة في الاصطلاح :

يقول أحمد الهاشمي في كتابه : "هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي [2]"

"وأشار عبدالرحمن أن الاستعارة هي استعمال لفظ في غير ما وضع له في اصطلاح به التخاطب لعلاقة مشابهة مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الموضع له في اصطلاح به التخاطب. [3]"

الاستعارة التصريحية

تعريف الاستعارة التصريحية : "إذا ذكر في الكلام لفظ المشبه فقط فاستعارة تصريحية أو مصرِّحة . "[4]

شواهد الاستعارة التصريحية في الأدعية القرآنية

1. "قوله β : (اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ) [5]"

---

(1) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص/229

(2) جواهر البلاغة ، ص/276

(3) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص/ 229

(4) جواهر البلاغة ، ص/ 277

(5) سورة الفاتحة، رقم الآية/ 5.

"الاستعارة تصريحية أصلية ، شبه الدين بالطريق، بجامع أن كليهما يوصل إلى الغاية، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، والقرينة حالية. " [1]

"والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الإفراط والتفريط. فقد شبه الدين الحق بالصراط المستقيم، ووجه الشبه بينهما أن الله χ وإن كان متعالياً عن الأمكنة لكن العبد الطالب الوصول لا بد له من قطع المسافات، ليكرم الوصول والموافاة وهذا من قبيل الاستعارة التصريحية .[2] "

2. قوله β : " ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [3]"

"الاستعارة التصريحية إذا أراد بالحي والميت المسلم والكافر ، فقد حذف المشبه وأبقى المشبه به، وإذا أراد النقطة والبيضة كان الكلام جارياً على جانب الحقيقة، لا على جانب المجاز. "[4]

إذا أراد بالحي والميت المسلم والكافر.

حيث قيل في تفسر هذه الآية : "تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، فإذا أراد هذا المعنى كان في الآية استعارة تصريحية. " [5]

3. "قوله β : ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[6]"

ينقل الله تعالي دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام و فيه تعبير عن تسرع الناس إلي ذريته حبا و شوقا ب "تهوي" وهو فعل مضارع من باب ضرب يضرب و معناه

---

(1) البلاغة الواضحة، ص/ 59.

(2) الجدول في إعراب القرآن ، ج/1، ص/ 28.

(3) سورة آل عمران، رقم الآية/ 27.

(4) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/1 ، ص/ 487

(5) الجدول في إعراب القرآن ، ج/1، ص/ 163.

(6) سورة إبراهيم، رقم الآية/ 37.

النزول من علو إلي انخفاض كالهبوط فيقول الله تعالي: "﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[1]"

فاستعير لفظ الهوى للإسراع في المشي علي طريقة الاستعارة التصريحية و هذا الإسراع في المشي في حق القلب كناية عن الميلان لأن القلوب لا تنتقل من مكان إلي مكان. ثم اشتق منه تهوي علي طريقة الاستعارة التبعية، فالمستعار منه هو الهوى و هو أمر مدرك بحاسة البصر و المستعار له وهو إسراع في المشي و هو أيضا من الأمور المحسوسة. ولكنه في حق القلوب من كان الأمور المعقولة لأن ميلان القلوب لا تدرك بالحواس الخمسة.

و الجامع بينهما هو الوصول إلي الهدف بسرعة. و الوصول من المعاني التي لا تدرك بإحدى الحواس الخمسة لأن المدرك إما المشي بسرعة أو الوجود عند الهدف و لكن الوصول مختلف تماما عن هذين الأمرين، و هو الانتقال من مكان إلي مكان و هو أمر معنوي. فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع علقي، و يمكن أن تكون الاستعارة في الأفئدة استعارة مكنية و قرينتها استعارة تخيلية و هي في "تهوي". و من المزايا البلاغية في أسلوب الاستعارة.

- "في هذه الاستعارة مبالغة في ميلان قلوب الناس إليهم لأن في الهوى مبالغة في الإسراع في المشي و بما أن الإسراع في المشي كناية عن الإسراع في الميلان فانتقلت المبالغة من الإسراع في المشي إلي الميلان قلوب الناس. قال صاحب التفسير المنير: "تهوي فيه استعارة لأن حقيقة الهوى النزول من علو إلي انخفاض كالهبوط. و المراد: تسرع إليهم شوقا و حبا من مكان بعيد". فكأن إبراهيم عليه السلام يدعو ربه أن يميل قلوب الناس على إلى أولاده إلي حد كأنها تأتي من موضع مرتفع إلى مكان منخفض و لا يخفى ما في هذا الإتيان من المبالغة في الإسراع. "

---

(1) سورة إبراهيم، رقم الآية/ 37.

o "و لا يخفى أن الميلان أمر قلبي لا يدرك بالحواس و شرح هذه الكيفية في الازدياد يحتاج إلي بيان كثير و مع ذلك لا يعطي الفكرة التي أعطاها هذه الاستعارة لأنها جاءت بهذه الفكرة إلى منصة الأمور المدركة بالحواس بإلحاقها بأمور محسوسة فهي قربتها إلى الإفهام مع المبالغة التي قد ذكرت."

4. "قوله χ : ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء &رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء & رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (1)"

"لاستعارة في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ أي يثبت ويتحقق، واستعمال القيام فيما ذكر إما مجاز مرسل أو استعارة، ومن ذلك قامت الحرب، وجوز أن يكون قد شبه الحساب برجل قائم على الاستعارة المكنية وأثبت له القيام على التخييل، وأن يكون المراد يقوم أهل الحساب فحذف المضاف أو أسند إلى الحساب ما لأهله مجازاً. (2)"

5. قوله β : " ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾(3)"

و عبر عن انتشار الشيب في الرأس باشتعال النار في قوله تعالي: "﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ "

ففي هذه الآية يمكن أن تكون استعارة تصريحية أو استعارة مكنية و لكن إذا أجريت الاستعارة في واحدة منهما امتنع إجراؤها في الأخرى.

أما الاستعارة التصريحية ففي اشتعل، فالمستعار منه هو الاشتعال و اشتق منه فعل اشتعل علي سبيل الاستعارة التبعية و المستعار له هو انتشار الشيب في الرأس و الجامع فيه هو انتشار الشيء الأبيض في الشيء الأسود، و ذكر من ملائمات المشبه

---

(1) سورة إبراهيم، رقم الآية/ 39-41.

(2) الجدول في إعراب القرآن، ج/13، ص/ 203.

(3) سورة مريم، رقم الآية/ 4.

و هوا الشيب، فالاستعارة فيه تجريدية وكل من المستعار منه و المستعار له و الجامع من الأمور المحسوسة فالاستعارة من المحسوس للمحسوس بجامع حسي.

6. قوله β : "﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾" "اشرح صدري " وسّعه ونوّره بالإيمان والنبوة، " (قال ابن جريج معناه وسع لي صدري لأعي عنك ما تودعه من حبك، وقال الكرماني: وسع قلبي ولينه لفهم خطابك وأداء رسالتك والقيام بما كلفتنيه من أعبائها) " [1] والمعنى الحسي للشرح بسط اللحم وتقطيعه، يقال : " شرحت اللحم وشرّحته"[2] وعليه فهو في الآية مستعار " (لإزالة ما في الإنسان من خواطر تكدره، أو توجب تردده في الإقدام على عمل ما تشبيها بتشريح اللحم بجامع التوسعة) [3]."

7. "قوله β : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي & يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾" [4]

"والعقدة أصلها موضع العقد والربط من الحبل ونحوه [5] ، أطلقت على عصر النطق بالكلام أو ببعض الحروف على وجه الاستعارة، لعدم تصرف اللسان عند النطق بالكلمة، وهي استعارة تصريحية ، ويقال للعقدة حُبْسة، يقال عَقِد اللسان كفرح، فهو أعقد إذا كان لا يبين الكلام، واستعار لإزالتها فعل " الحل" المناسب العقدة على طريقة الاستعارة المكنية [6] . وتنكير" عقدة " للتعظيم أي عقدة شديدة ، وعدل على التعريف بالإضافة أي عن أن يقول عقدة لساني ليتأتي التنكير المشعر بأنها عقدة شديدة. [7]"

الاستعارة المكنية

(1) البحر المحيط، ج/6، ص/ 239.

(2) المفردات في غريب القرآن، "شرح" ، ولسان العرب: " شرح" .

(3) التحرير والتنوير، ج/16، ص/ 113.

(4) سورة طه، رقم الآية / 27–28.

(5) لسان العرب، " عقد" والمفردات في غريب القرآن، " عقد".

(6) التحرير والتنوير ، ج/ 16، ص/ 113–114.

(7) نفس المرجع.

تعريف : "إذا ذكر في الكلام المشبه فقط وحذف فيه المشبه به وأشير إليه بذكر لازمه المسمى فاستعارة مكنية . [1]"

شواهد الاستعارة مكنية في الأدعية القرآنية

1. "قوله β ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [2]"

الأمر و غرض التاءة "الدعاء" بين الجملتين "افرغ ، و ثبت" وصل كلاهما متحدان إنشاء كلمة "صبر" استعارة مكنية ربنا افرغ علينا صبرا دعوا الله ضارعين إليه بثلاث دعوات تفيد إدراك أسباب النصر فقالوا أولا: "ربنا افرغ علينا صبرا" يعمنا في جمعنا و في خاصة نفوسا لنقوي على قتال عدائك "وثبت أقدامنا" أي ثبتا في ميدان الحرب ولا تجعل فرار سبيلاً إلي قلوبنا و هي الدعوة الثانية.

2. "قوله β : (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ [3]) نرى فيه الاستعارة المكنية. حيث شبه فيه "الصبر" بالماء المنصب عليهم لتثليج صدورهم بالسكينة أمام نار الحرب الحارة. فاستعارة الماء البارد "المشبه به" للصبر استعارة مكنية، و قرينتها الاستعارة التخيلية فيه، وهي إثبات الإفراغ " من لوازم الماء القوية البينة " للصبر المشبه المذكور بعد ما حذف المشبه به. "

الاستعارة مكنية، في " صبرا" شبه الصبر بالماء، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه " أفرغ الذي هو القرينة .[4]

3. "قوله β : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [5]"

(**1**) جواهر البلاغة ، ص/ **278**

(**2**) سورة البقرة، رقم الآية/ **250**.

(**3**) سورة الأعراف، رقم الآية/ **126**

(**4**) البلاغة الواضحة، ص/ **61**.

(**5**) سورة الأعراف، رقم الآية/ **126**.

الأمر و غرضه إلقاء الدعاء. و هذا إنشاء و فيه استعارة مكنية بين الجملتين وصل، و حكمة اتحاد تام خبراً.

أي أفض علينا صبرا يغمرنا عند تعذيب فرعون إيانا و توفنا علي ملة الإسلام غير مفتونين.

أي واصبروا علي شدائد الحرب أهوالها فإن الله مع الصابرين بالنصر والعون.

4. "قوله β (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [1]"

علي طريقة الاستعارة المكنية، فإنه يلمسُ المراد نفسه أيضا، ولكنّه يشعر كثافة الفاصل قد زادت من جهة، وازدانت بحلاوة ملامس خاصة بها مع ضس المراد من ورائها.

"بمعنى أنه شبّه الذل بطائر له جناح، وحذف الطائر ورمز له بشيء من لوازمه وهو الجناح على سبيل الاستعارة المكنية [2] . "

"وفي هذه الآية استعارة شغلت علماء البيان فهي استعارة مكنية لأن إثبات الجناح للذل يخيل للسامع أن ثمة جناحاً يخفض والمراد ألن لهما جانبك، وتواضع لهما تواضعاً يلصقك بالتراب، والجامع بين هذه الاستعارة والحقيقة أن الجناح الحقيقي في أحد جانبي الطائر وان الطائر إذا خفض جناحه وهو الذي به يتقوي وينهض، انحط إلى الأرض وأسف إلى الحضيض ولص بالتراب فالاستعارة مكنية إذ شبهات إلانة الجانب بخفض الجناح بجامع العطف والرقة وهذه أجمل استعارة وأحسنها وكلام العرب جاء عليها.[3] "

5. "قوله β : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[4]"

"و عبر عن انتشار الشيب في الرأس باشتعال النار في قوله تعالي: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾"

---

(1) سورة الإسراء ، رقم الآية/ 24.

(2) صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، ج/2، ص/ 162، دار القرآن الكريم، بيروت ، لبنان،

(3) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/ ، ص/ 413

(4) سورة مريم، رقم الآية/ 4.

"شبه الرأس بالوقود ثم حذف المشبه به، ورُمزَ إليه بشيء، من لوازمه وهو " اشتعل" على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات الاشتعال للرأس.[1] "

و أما الاستعارة المكنية في شيبا. فقد شبه بشواظ النار، فالمستعار منه هو شواظ النار و هو غير مذكور، أما المذكور هنا فهو المستعار له و هوا الشيب. و قد ذكر من ملائمات المشبه به و هو الاشتعال في الرأس فاشتق منه الفعل ففيه استعارة تبعية تخيلية و هي قرينة للمكنية.

ثم نلاحظ أن في هذه الاستعارة نزع الجامع من متعدد، فهي استعارة تمثلية قد شبهت صورة انتشار الشيب في الرأس باشتعال النار في الحطب بجامع أنشار الشيء الأبيض في الشيء الأسود. و المذكور هنا هي الصورة المستعارة لها، فالاستعارة مكنية، و كل من المستعار منه و له و الجامع من الأمور المحسوسة. فالاستعارة من المحسوس بجامع حسي. قال العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالي:

و شبه عموم الشيب شعر رأسه أو غلبته عليه باشتعال النار في الفحم بجامع انتشار شيء لامع في جسم أسود. تشبيها مركبا تمثيليا قابلا لاعتبار التفريق في التشبيه، و هو أبدع أنواع المركب، فشبه الشعر الأسود بفحم و الشعر الأبيض بنار علي طريق التمثيلية المكنية و رمز إلي الأمرين فعل (اشتعل).

و من المزايا البلاغية في أسلوب الاستعارة في هذه الآية ما يلي:

- "في هذه الاستعارة مبالغة في انتشار الشيب في الرأس كما أن اشتعال النار في الحطب بسرعة. فهكذا ينشر الشيب في الرأس بسرعة. "
- "و في تخيل الاستعارة بالاشتعال تتقوي الاستعارة و تتأيد و تتقوي علاقة النار بالشيب لأن بإثبات الاشتعال للشيب الذي هو من ملائمات المشبه به و هو النار يأتي بالمشبه في إطار المشبه به فكأنهما شيء واحد لا شيئان. "
- "تترآي أمام المشاهد في صورة الاستعارة التمثيلية صورة انتشار الشيب في الرأس في صورة حية فكأنها أما عينه و هو يستنبط منه كل ما يحتاج إليه من المعلومات فهو يرى سرعة انتشار الشيب في الرأس و كأن الشيب يتحرك و

---

(1) البلاغة الواضحة ، ص/ 77

يبيض كل شعر أسود كما أن النار تبدل هيئة الحطب السود من السواد إلي البياض وتتركها جمرة متوقدة مشتعلة. "

- "وقد ازدادت المبالغة في إسناد الاشتعال إلي محل الشعر و منبته و الإخراج مخرج التمييز . قال العلامة الآلوسي رحمة الله تعالى: "
- و أسند الاشتعال إلي محل الشعر و منبته و أخرج مخرج التمييز للمبالغة و إفادة الشمول فإن إسناده معني إلي ظرف ما اتصف به زمانيا أو مكانيا يفيد عموم معناه لكل ما فيه في عرف التخاطب. فقولك: "اشتعل بيته ناراً" يفيد احتراق جميع ما فيه دون اشتعل نار بيته.

قوله β : "﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾" [1] شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإثارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ ثم أخرجه مخرج الاستعارة المكنية وأسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب مميزاً ولم يضف الرأس أي أم يقل رأسي اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة ونزيد على ذلك وجوه الشبه الأربعة الكامنة في هذا الخيال البعيد: وهي:

1. "السرعة: وذلك أن النار حين تشتعل وتندلع ألسنتها فإنها تسرع في التهام ما تمتد إليه وهكذا الشيب لا يكاد يخط الرأس حتى يمتد بسرعة عجيبة. "
2. "تعذر التلافي: وذلك أن النار إذا شبت وتدافع شؤبوبها وتطاير لهيبها اجتاحت كل ما تصادفه وذلك لها الصخر والخشب على حد قول أبي تمام: "

"لقد تركت أمير المؤمنين بها للنار يوماً ذليل الصخر والخشب"

فيعنو لها الصخر ويذل الخشب ويستلم لشؤبوبها كل ما يناله دون أن تجدي في ذلك حيلة وقد يتعذر على رجل الأطفاء إخماد لهيبها وكثيراً ما يصبح الماء بمثابة

(1) سورة مريم، رقم الآية/ 4.

الحطب الذي يذكيها وكذلك الشيب ينتشر بسرعة غريبة في أجزاء الرأس ويتمادى في سرعته بحيث يتعذر بل يستحيل تلافيه، وكثيراً ما يجنح الذين أصيبوا بالشيب إلى تغطية شيبهم بالأصابغ الكاذبة ليخفوا حقيقتهم وليستهووا قلوب الغانيات فلن يدل ذلك شيئاً من الواقع الراهن.

3. "الألم: وكما أن النار لذاعة كواءة تؤلم من تلامه فكذلك الشيب يؤلم الأشيب وقد صدت عنه الغواني واقتحمته العيون .(1) "

الاستعارة التمثيلية

"تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي و ذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من شيئين فصاعدا بأخرى منهما، ثم تدخل المشبه (المستعار له) في صورة المشبه به (المستعار منه) إدخال الفرد تحت كليه مبالغة في التشبيه.(2) "

شواهد الاستعارة التمثيلية في الأدعية القرآنية

1. "قوله β : (وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ "(3)

نلاحظ أن الله تعالي نقل دعاء المؤمنين الذين كانوا يقاتلون مع جالوت و جنوده قيادة داؤد عليه السلام فقال تعالي: "﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾" (4)

فدعوا الله تعالي لإفراغ الصبر عليهم و تثبيت الأقدام. ففي هذه الآية استعارتان: أما الاستعارة الأولي أن الله تعالي عبر عن إلهامهم الصبر بالإفراغ عليهم ،

---

(1) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/ ، ص/ 59

(2) البلاغة العربية ، ج/2، ص/ 265

(3) سورة البقرة، رقم الآية/ 250.

(4) سورة البقرة، رقم الآية/ 250.

فالمستعار منه هنا هو أفرغ و هو المذكور، فالاستعارة تصريحية و هو فعل الأمر مشتق من الصبر فهي استعارة تبعية و إلهام الصبر

أمر معقول لا يدرك بالحواس. و أما الإفراغ و هو المستعار له، فهو أمر مدرك بحاسة البصر و الجامع هو الكثرة الإسباغ، و هو أيضا من الأمر المعقول فهو من استعارة محسوس لمعقول بجامع عقلي. و يلاحظ أن في هذه الاستعارة تسبيه حالهم " الله تعالي يفيض عليهم بالصبر بحال الماء الذي يصب علي الجسم كله". فوجه الشبه و هو الجامع في الاستعارة قد نزع من متعدد فهي استعارة تمثيلية. فنري صورة من يفرغ علي كل جسمه الماء بكثرة و هو يسيل من أعلاه إلي أسفله ثم نرى في ظل هذه الصورة صورة أخرى و هي صورة من يحتاج الصبر في ميدان القتال و هو يدعو أن يلهم في قبله بكثرة . و نجد في هذا الأسلوب من المزايا البلاغية ما يلي:

في كلمة الإفراغ من معني الإسباغ بطيقة لا مبالغة ، فإذا اسعيرت لإلهام الصبر انتقلت تلك المبالغة من المستعار منه إلي المستعار له فجاءت فيه المبالغة كما كانت في المستعار منه. و من المعلوم أن الألفاظ المستخدمة لحصول هذه المبالغة قليلة جدا لأن التشبيه و الاستعارة تبنى على المعلومات السابقة التي تكون موجودة لدي المخاطب.

قد قربت إلي المخاطب الصورة المنتزعة من الاستعارة التمثيلية بكل تفاصيلها التي سهلت له أخذ المعلومات من تلك الصورة التي قدمت له في صورة حية. فهو يصلح أن يقف أمامه و يجنى من شجرة تلك الصورة المفاهيم التي يحتاجها.

و قد حثت الصورة المقدمة لدى المخاطب علي التفكير في أجزاء الصورة الحية و في نفس الوقت هي تهيئ له من اللذة ما لا تساويها لذة الدنيا.

2. كما في دعاء المتضرع : " **(رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ[1])** " فيه استعارة تمثيلية حيث يستعيذ فيه من حال مكلفيته بأعمال شرعية يشق عليه أدائها أو يستعيذ من مصائب تكوينة لا يستطيع أن يصبر عليها صبرا جميلا من غير أنين، بحيث لا يزعزعه

---

(1) سورة البقرة، رقم الآية/ 286

عن الاستقامة على الدين. فشبه ذلك الحال بحال من حمل حملا ثقيلا على أكتافيه، فلا يستطيع أن يذهب مستقيما إلا بشق النفس، بل يكاد الحمل يغشيه بجامع (التكليف بما يشق و يتحرج منه المكلف حرجا شديدا) و القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي المستعار منه هي نسبة التحميل إلى الله χ حيث لا يستقيم أن يكون بمعناه الحقيقي.

3. وهكذا الاستعارة في قوله تعالى: " ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [1]"

كما في الاستعارة التمثيلية الثانية فلا داعي أن أعيد شرحها. و جاءت نفس الاستعارة في قوله تعالى: "﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [2] . "

في هذه الآية الكريمة كلمة "الذل" و هي تدل علي المبالغة في التوضع. قال ابن عاشور رحمة الله تعالي: ثم ارتقي نفع الوصية بالوالدين إلي أمر الولد بالتواضع لهما تواضعا يبلغ حد الذل لهما لإزالة وحشة نفوسهما إن صارا في حاجة إلي معونة الولد لأن الأبوين يبغيان أن يكونا هما النافعين لولدهما. و القصد من ذلك التخلق بشكره علي أنعامهما السابقة عليه. وصيغ التعبير عن التواضع بتصويره في هيئة تذلل الطائر عندما يعتريه خوف من طائر أشد منه إذا يخفض جناحه متذللا.

و قد صور التواضع في هيئة تذلل الطائر عندما يعتريه خوف من طائر أشد منه إذ يخفض جناحه متذللا، وهي صورة حية تترشح منها كل الأجزاء المطوبة.

الاستعارة الأصلية المكنية

إذا كان اللفظ المستعار اسما جامداً لذاتٍ كالبدر، إذا أُستعير للجميل، أو اسما جامداً لمعنى كالقتل إذا استعير للضرب الشديد سميت الاستعارة، " أصلية" في

---

(1) سورة الشعراء، رقم الآية/ **215**.

(2) سورة الإسراء، رقم الآية/ **24**.

من التصريحية والمكنية[1] . مثل قوله تعالى " ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [2]."

شواهد استعارة أصلية مكنية في الأدعية القرآنية

قوله β: "﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [3]"

في قوله تعالى "﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾" أي أفض علينا صبراً يغمرنا كما يفرغ الماء، أو صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون، (فأفرغ) على الأول استعارة تبعية تصريحية و (صبراً) قرينتها، والمراد هب لنا صبراً تاماً كثيراً، وعلى الثاني يكون (صبراً) استعارة أصلية مكنية و (أفرغ) تخيلية.[4]

الاستعارة التبعية

"إذا كان اللفظ المستعار اسما مشتقا أو اسما مبهماً دون باقي الأنواع التبعية فالاستعارة تبعية مكنية . [5]"

شواهد الاستعارة تبعية في الأدعية القرآنية

قوله β : (" قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا)"

نرى في دعاء النبي زكريا عليه السلام يشكو إلى ربه في إعطاء ابن صالح يرثه في الدين السماوي: (" قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) [6]." أورد فيه الاستعارة التبعيية في فعل " اشتعل " الدال على المعنى المصدري " الاشتغال " و الزمان الماضي و النسبة إلى الفاعل هو

---

(1) جواهر البلاغة ، ص/ 281

(2) سورة الإسراء ، رقم الآية/ 24.

(3) سورة الأعراف، رقم الآية/ 126.

(4) الجدول في إعراب القرآن ، ج/9، ص/ 43.

(5) جواهر البلاغة، ص/ 283

(6) سورة مريم، رقم الآية/ 4

الرأس هاهنا، والمستعار له هو " ابيض ".و مفهومه أيضا يحتوى وضعا على المعنى المصدري وهو نفس " البياض " و الزمان الماضي والنسبة إلى الفاعل وهو الرأس في كلا الفعلين لم يتبدل و لم يتغير بل إنما تحول المعنى المصدري فقط. فالطلاق الاستعارة على " اشتعل " ينوط على استعارة جزء منه.

الاستعارة التصريحية تبعية

"إذا كان اللفظ المستعار فعلاً أو اسم فعل أو اسماً مشتقاً أو اسما مبهماً أو حرفا الاستعارة تصريحية تبيعية. (1)"

شواهد الاستعارة التصريحية التبعية في الأدعية القرآنية

"عبر الله تعالي عن التمليك بالإيراث في قوله تعالي: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (2)"

قال العلامة الزمخشري رحمه الله تعالي: "عبارة عن المكان الذي أقاموا فيه و اتخذوا مقراً و متبوا و قد أورثوها أي ملكوها و جعلوا فيما يرثه و اتساعه فيه، و ذهابه في إنفاقه طولا و عرضا"

شبه التمليك بالإيراث علي سبيل الاستعارة التصريحية التبعية من قبيل استعارة المعقول بجامع عقلي. لأن الإيراث و التمليك من الأمور العقلية و الجامع و هو التمكين من التصرف أيضا من الأمور العقلية. و من المزايا البلاغية في أسلوب الاستعارة في هذه الآية ما يلي:

لعل في الإيراث إشارة إلي أن تملك الجنة ناشيء من رحمة الرب و ليس ناشئا من أعمال العباد لأن في حرز المال لا موروث ليس دخلا لعمل الوارث و إنما هو من اجل سعي المورث، فهكذا تمليك الله تعالي المؤمنين الجنة ليس من أجل الأعمال بل رحمة من رب المؤمنين.

(**1**) **جواهر البلاغة، ص/ 281**

(**2**) **سورة الزمر، رقم الآية/ 84.**

تترشح الرحمة و الشفقة من كلمة الإيراث لأن المورث يسعي لأنل الورثة فهكذا خلق الله تعالي الجنة لأجل المؤمنين رحمة بهم.

الاستعارة (المحسوس للمعقول بجامع عقلي)

الاستعارة التحقيقية

إذا كان المستعار له محققا حساً بأن يكون اللفظ قد نقل إلى أمر معلوم، يمكن أن يشار إليه إشارة حسية، كقولك: رأيت بحراً يعطي، أو كان المستعار له محققا عقلاً بأن يمكن أن ينص عليه، ويشار إليه إشارة عقلية كقولهβ : " ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾ أي " الدين الحق" فالاستعارة تحقيقية .[1] "

إذا كان اللفظ المستعار اسماً جامداً لذات كالبدر، إذا استعير للجميل، أو اسماً جامداً لمعنى كالقتل إذا استعير للضرب الشديد سميت الاستعارة " أصلية " في كل من التصريحية والمكنية ، كقوله تعالى : "﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَفي النُّورِ ﴾ "[2] ، وكقوله β "﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [3]."

الكناية لغة :

ما يتكلم به الإنسان، ويريد به غيره، وهي مصدرُ كنيت ، أو كنوتُ بكذا، إذا تركت التصريح به. [4]

يقال كني عن الأمر بغيره يكني كناية إذا تستّر، م كني عنه إذا ورّى . [5]

الكناية في الاصطلاح:

---

(1) جواهر البلاغة، ص/ 280

(2) سورة إبراهيم، رقم الآية/ 1.

(3) سورة الإسراء ، رقم الآية/ 24.

(4) جواهر البلاغة ، ص/309

(5) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص/135

يقول عبدالرحمن حبنكة : " هي اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب للدلالة به على معنى آخر لازم له أو مصاحب له. [1]"

يقول أحمد الهاشمي في كتابه : " لفظ أريدَ به غير معناه الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي، لعدم وجود قرينة ما لغة إرادته مانعة. [2]"

تنقسم الكناية بحسب المعنى الذي تشير إليه إلى ثلاثة أقسام :

1. كناية عن صفة
2. كناية عن موصوف
3. كناية عن نسبة . [3]

شواهد الكناية في الأدعية القرآنية

1. "قوله β : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [4]"

"ففي قوله تعالي إياك نعبد و إياك نستعين قال: مجاز إياك نعبد إذا بدئ بكناية المفعول قبل الفعل جاز الكلام، فإن بدأت بالفعل لم يجز نحو نعبد إياك، فإن زدت الكناية في آخر الفعل جاز الكلام نحو أدعوك إياك[5]."

2. ما جاء في قول الله β : " ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ & فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [6]"

"إنه لم يسبق ذكر لفظ الذكر صراحةً، لكنه سبق ذكره على سبيل الكناية، لأنها قالت: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ وعتق الوليد لخدمة بيت

---

(1) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص/127

(2) جواهر البلاغة ، ص/311

(3) جواهر البلاغة ، ص/207

(4) سورة الفاتحة، رقم الآية/ 5.

(5) مجاز القرآن : لأبي عبيدة معمر بن المثني، تحقيق د.محمد فؤاد سزكين، الطبعة الأولي.. مطبعة السعادة، القاهره ١٩٥٥م ،ج/١، ص/ ٢٤

(6) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 36.

المقدس لم يكن إلا للذكور، فلفظ " ما " في كلامها قد كنَّتْ به عن وليد ذكر، فلما جاء الوليد أنثى قالت: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى ﴾ . "

3. "قوله β : (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) (1)"

وفي قوله : ﴿ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ كناية عن النصر والغنيمة والعز وطيب الذكر وفي ﴿ ثَوَابِ الآخِرَةِ ﴾كناية عن الجنة والنعيم المخلد.

4. "قال β ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (2)."

لما علم عيسي عليه السلام صحة قصد الحواريين وهم إتباع عيسي عليه السلام و أنهم لا يريدون تعجيزا و لا تجربة دعا الله تعالي بهذا الدعاء، حيث قال يا ربنا و مالكنا و متولي أمورنا و مربينا ، أنزل علينا مائدة سماوية(3).

ثم وصف هذه المائدة بما أحب أن يستفاد من إنزالها. فقال في وصفها تَكُون لَنَا عِيداً كناية عن الفرح و السرور وهي كناية عن صفة.

5. "قوله β : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (4)"

وتأمل جمال النظم وروعة التصوير في قوله "﴿ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ...﴾ " ، فوهن العظم واشتعال الرأس كنايتان عن الضعف والشيخوخة، والأصل يا ربي قد شخت، ووازن بين التعبيرين لتجد الفرق بينهما شاسعا، وتأكيد الجملة لإظهار الضعف والخشوع.

---

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/ **145**

(2) سورة المائدة، رقم الآية/ ١١٤

(3) تفسير أبي السعود ج/٢، ص/١١٠، أيضا : تفسير المنار لمحمد رشيد رضاء ، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت لبنان، بلا تاريخ، ٢٢٢/٧

(4) سورة مريم ، رقم الآية/ **4**.

6. وقولهβ : "﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء ﴾" كناية عن الإجابة والقبول (وكان قد دعا الله أن يهبه ولدا بقوله: "﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [1]" فحمد الله على ما وهبه من الولد وأكرمه به من إجابة دعائه) [2] .

---

(1) سورة الصافات ، رقم الآية/ **100**.

(2) تفسير أبي السعود، ج/3، ص/ **495**.

الفصل الأول

التعريف بعلم المعاني ونشأته

علم المعاني لغة : "ينقل ابن منظور عن الأزهري معنى هذه الكلمة فيقول: " روي الأزهري عن أحمد بن يحيى قال : المعنى والتفسير والتأويل واحد، وعنيت بالقول كذا: أردت ، ومعنى كل كلام ومعناته ومعنته مقصده" .[1] ويقول الأزهري أيضاً : " ومعنى كل شيء محنته وحاله التي يصير إليها أمره) [2]."

وكان الأوائل يطلقون (المعاني) على الكتب التي تبحث عن معاني ما يشكل من القرآن، ويحتاج إلى بعض العناء في فهمه، وهي كثيرة منها (معاني القرآن) للفراء، و (معاني القرآن) للزجاج، و (معاني القرآن) للأخفش، كما تطلق على الأبيات التي لا تفهم بيسر وسهولة بسبب ما يشوبها من غموض وإبهام، إما بسبب غرابة المعنى المعبر عنه، أو بسبب تركيب صورة وتداخلها في البيت، أو غير ذلك من أنواع الغموض.

"وقد جمع بعض العلماء هذه الأبيات في كتب مستقلة كابن قتيبة في (المعاني الكبير) ، وأبي هلال العسكري في (ديوان المعاني) . وتعني هذه التسميات تدقيق النظر والتأمل في الكلام لاستخراج معانيه التي لا تظهر واضحة. "

"ثم يطالعنا ابن فارس في كتابه الصاحبي بباب (معاني الكلام) فيذكر أن معاني الكلام عند أهل العلم عشرة: خبر، واستخبار، وأمر ، ونهي ، ودعاء، وطلب، وعرض، وتحضيض ، وتمن ، وتعجب [3] . ثم يتحدث عن خروج كل نوع من هذه الأنواع عن معناه إلى معاني أخرى، فالخبر يخرج إلى التعجب والتمني والنفي والأمر والنهي. "

---

(1) لسان العرب، ج/15، ص/ 6.

(2) تهذيب اللغة ، ج/3 ، ص/ 213.

(3) الصاحبي، ص/ 289.

والاستخبار أي الاستفهام يخرج إلى التعجب والتوبيخ والتفجع وغير ذلك من المعاني، ضارباً الأمثلة لكل نوع منها، وهكذا في بقية معاني الكلام الأخرى، فالمقصود بالمعاني هنا ليست المعاني المفهومة من الكلام مباشرة، إنما المعاني التي هي مستتبع التركيب.

اصطلاحا:

عرفه الخطيب القزويني " هو علم يعرف به أحوال اللفظ[1] العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"[2].

ويعرف أحمد الهاشمي : " أصول وقواعد يعرف بها أحول الكلام العربي التي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له. " [3]

ويعرف علم المعاني تعريفاً جديداً تاركاً كتعريف السكاكي إذ يقول: " (وهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال) [4]."

فأحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال هي الأمور العارضة له من التقديم والتأخير والإثبات والحذف وغير ذلك، فهو علم يبحث في تنوع بناء الجمل حسب الحالة التي تقتضيها أحوال النفس، وفي اختيار طريقة للتعبير عن ذلك.

موضوعه: "اللفظ العربي، من حيث إفادة المعاني التي هي الأغراض المقصودة للمتكلم، من جعل الكلام مشتملاً على تلك اللطائف والخصوصيات، التي يطابق مقتضى الحال.[5] "

---

(1) أحوال اللفظ : المراد منه الأمور العارضة له من التقديم والتأخير والحذف والذكر والتعريف والتنكير.

(2)الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ، لدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، ط / دار الجيل بيروت ، 1993، ج/1 ص / 52.وانظر المصباح في المعاني والبيان والبديع للإمام أبي عبدالله بدر الدين بن مالك الدمشقي ، ط/ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص /100 . وانظر نظرات في البلاغة والإسناد، ص / 94.

(3) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للسيد أحمد الهاشمي بك، ط 1940، ص / 46

(4) الإيضاح، ص/ 84.

(5) نفس المرجع، ص / 48

فائدته : معرفة إعجاز القرآن الكريم ، من جهة ما خصه الله من جودة السبك، وحسن الوصف ، وبراعة التراكيب ولطف الإيجاز وما اشتمل عليه من سهولة التركيب ، وجزالة كلماته ، وعذوبة ألفاظه وسلامتها .

واضعه: قال السيد الهاشمي بك في كتابه جواهر البلاغة "أن واضع علم المعاني هو الشيخ عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة 471 هـ[1]. ثم ابن قتيبة ألف فيه " الشعر والشعراء " والمبرد " الكامل . "

أهم موضوعات العلم المعاني :

1. "الخبر والإنشاء
2. الذكر والحذف
3. القصر
4. الوصل والفصل
5. الإيجاز والإطناب والمساواة"

نشأة علم المعاني

"يعد بعض من المحدثين كلام ابن فارس هذا هو الأساس الذي قامت عليه نشأة أبواب علم المعاني [2] ، بل إن بعضهم قد قال إن ابن فارس ربما أوحى لعبدالقاهر كثيرا من أفكاره في الدلائل [3]"، ومن الأفضل عدم الجزم بمثل هذا التأثير، لأنه يعني إغفالاً لدراسات أخرى أسهمت في نشأة هذا العلم، ثم إن معاني الكلام التي قال عنها ابن فارس قد عرفت عند غيره من العلماء، كذلك نجد خروج مثل هذه المعاني عن معانيها الأصلية عند كثير من العلماء كسيبويه والفراء، وليس لابن فارس إلا أفضلية الجمع بين كلمة " معاني" وبين خروج الكلام عن ظاهره.

---

(1) نفس المرجع .

(2) البيان العربي لدكتور طبانة ، ص/ 128-129. والبلاغة عند السكاكي، لدكتور أحمد مطلوب، ص/ 202-203.

(3) البلاغة تطور وتاريخ، لدكتور شوقي ضيف، ص/ 63.

"ثم يذكر عبدالقاهر الجرجاني إمام البلاغيين (المعنى) و (معنى المعنى) و (معاني النحو) ، وعرف المعنى بأنه المعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، ومعنى المعنى: (وهو أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر) [(1)]" . ويذكر عبد القاهر أن معنى المعنى يكون في الكناية والاستعارة والتمثيل .

"ويربط عبد القاهر بين معاني النحو والنظم، ذلك أنه يعرف النظم بقوله: (اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه) " [(2)] ثم يجعل بعد ذلك مباحث علم المعاني، فقد ذكر الإسناد والمسند والمسند إليه وما يجريان فيه من صور كثيرة وأحوال مختلفة.

فالسند يكون اسماً أو فعلاً، ويكون معرفاً أو منكراً، ويتقدم المسند إليه ويتأخر عنه، وقد يفصل بينهما بضمير فصل، ولكل ذلك أحواله المختلفة، كما بحث في الشرط والجزاء على صوره المختلفة، ودلالة كل صورة، والحال حين يكون اسماً أو فعلاً مضارعاً أو ماضياً أو جملة اسمية، ثم تحدث عن الحروف وخصائصها الدقيقة في الكلام، فالنفي (بما) غير النفي(بلا) ومواضع استخدام (إن) الشرطية غير موضع استخدام (إذا) ، كما ذكر مواضع الفصل والفصل بين الجمل بالواو أو الفاء أو ثم، كما يرى أن النظم يتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والإضمار والإظهار، وهذه هي مباحث علم المعاني التي انتهى إليها العلماء من بعده، وهي محصورة في أبواب ثمانية.

ويرجع عبد القاهر صحة النظم وفساده إلى معاني النحو وأبوابه التي ذكرها[(3)] ، ثم يعقد فصولاً في أكثر أبواب المعاني يصور فيها المعاني الإضافية التي تفيدها هذه الأبواب.

---

(1) دلائل الإعجاز، ص/ 263.

(2) نفس المرجع، ص/ 81.

(3) دلائل الإعجاز، ص/ 82-83.

ثم يأتي الزمخشري ويذكر (علم المعاني) مقروناً بعلم البيان في مقدمة تفسيره الكشاف دون تمييزاً أحدهما عن الآخر فهو يقول: " (ولا يغوص على تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان)[1] " وكرر هذين المصطلحين في ثنايا تفسيره دون تحديد دقيق لمعنييهما، كما أشار إلى علماء المعاني، وكان يعني بهم العلماء الذين يغوصون في بواطن الكلام لاستخراج المعاني [2] ، ولم يحدد خصائص هذا النوع من المعاني.

ويلخص الفخر الرازي من بعده كتابي عبدالقاهر فيذكر على المعاني والبيان قارناً بينهما دون تحديد لمعنييهما في كتابه (نهاية الإيجاز) .

ويقسم الكتاب إلى مقدمة وجملتين، الجملة الأولى خاصة بالمفردات وأكثر ما فيها يتعلق بعلم البيان ، والجملة الثانية خاصة بالجملة، تحدث فيها عن النظم، وذكر أبواباً من علم المعاني، متبعا فيها طريقة عبدالقاهر في الحديث عن معاني هذه الأبواب . ويتحدد المعنى الدقيق لعلم المعاني عند السكاكي، فقد فصل بينه وبين علم البيان، وعرف كلا منهما تعريفاً دقيقاً يميزه ، ويحدد أبوابه، فيقول في تعريف علم المعاني،: " (هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره) " [3].

فهذا العلم يبحث في أحوال مباني الكلام، وكيف تقوم كل جملة على بناء خاص يدل على المراد، ويؤدي المعنى المقصود على ما تقتضيه الأحوال التي قيلت فيه ، ويبني السكاكي هذا العلم على تراكيب البلغاء ممن يحسنون صنع الكلام، ويجعلونه أدق المعاني وألطفها، لأنهم القادرون على ذلك لا العامة، وكأنه يريد أن يوجهنا إلى الغوص في أفضل المعاني والتراكيب، ثم يقسمه إلى قانونين:

الأول : يتعلق بالخبر .

---

(1) الكشاف، ج/1، ص/ 016.

(2) البلاغية القرآنية في تفسير الزمخشري، د. محمد أبو موسى، ص/ 249.

(3) مفتاح العلوم، ص/ 70.

الثاني: بالطلب .

وقسم القانون الأول على أربعة فنون:

الفن الأول : في تفصيل اعتبارات الإسناد الخبري.

الفن الثاني : في اعتبارات المسند إليه .

الفن الثالث: في تفصيل اعتبارات المسند .

الفن الرابع : في تفصيل اعتبارات الفصل والوصل والإيجاز والإطناب.

وقسم القانون الثاني إلى خمسة أبواب هي: التمني ، الاستفهام، الأمر، النهي، النداء.

وبهذا استطاع السكاكي أن يميز هذا العلم تمييزا واضحاً ، استقر عليه حتى يومنا هذا.

ومن ثم فقد ألفت بعد المفتاح كتب كثيرة حوله أشهرها كتابا الخطيب القزويني ، (الإيضاح) و (التلخيص) وضح فيهما ما غمض من كلام السكاكي، وناقشه في كثير من المسائل ، وترك بعض تعريفاته ووضح مكانها تعريفات أخرى أكثر دقة وضبطاً مستنيراً في ذلك بكتابي عبدالقاهر، وكشاف الزمخشري، ثم حصر الخطيب هذا العلم في ثمانية أبواب وهي:

1. أحوال الإسناد الخبري
2. أحوال المسند إليه.
3. أحوال المسند
4. أحوال متعلقات الفعل.
5. القصر.
6. الإنشاء
7. الفصل والوصل.
8. الإيجاز والإطناب والمساواة.

وأرى أن تعريف السكاكي أشمل وأدق، لأن السكاكي ضبط المسألة وحددها فيما يفيد خواص التراكيب، والأبواب التي حددها السكاكي هي التي ذكرها الخطيب القزويني غير أنه قدم في ترتيبها وأخر، فقد جعل الإسناد الحكمي أو المجازي في باب الإسناد الخبري، بينما جعله السكاكي نوعاً من أنواع الاستعارة في علم البيان، وأرى أنه أسرحا بعلم البيان منه بعلم المعاني، فالأولى أن يجعل باباً فيه.

وهكذا فعلم المعاني يبحث في الخصوصيات الزائدة المفهومة من المعاني المباشرة، والتي حصرت في أبواب محدودة على حد ما رأينا.

الفصل الثاني

شواهد الإيجاز و الإطناب والقصر في الأدعية القرآنية

الإيجاز

لغة : "أوجز الكلام : قلّ وأوجز كلامه ، قلّله" ، [1] ، "وجز في منطقه يجزُ وجزًا ووجوزاً: أسرع فيه واختصره وفي الكلام قصّره وقلّله فهو واجز" [2]

اختصار الكلام وتقليل ألفاظه مع بلاغته ، يقال لغة : " أوجز الكلام إذا جعله كثيراً ينتهي من نطقه بسرعة . "

ويقال كلامٌ وجيز، أي : خفيفٌ قصير، ويقال : "أوجز في صلاته إذا خفّفها ولم يطل فيها . "

فالمادة تدور حول التخفيف والتقصير. [3]

الإيجاز في الاصطلاح

"هو التعبير عن المراد بكلام قصير ناقص عن الألفاظ التي يؤدى بها عادةً في متعارف الناس ، مع وفائه بالدلالة على المقصود. "

أو نقول : "هو صياغة كلام قصير يدل على معنى كثير وافٍ بالمقصود، عن طريق اختيار التعبيرات ذات الدلالات الكثيرات، كالأمثال والكليات من الكلمات، أو عن طريق استخدام مجاز الحذف ، لتقليل الكلمات المنطوقة. " [4]

يقول أحمد الهاشمي في كتابه : "هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقلّ منها وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح. " [1]

---

(1) القاموس المحيط، ص/ 679

(2) المعجم الوسيط، ص/ 1014

(3) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج/2 ، ص/ 26.

(4) نفس المرجع ، ص/ 27.

وينقسم الإيجاز إلى قسمين إيجاز قصر ، وإيجاز حذف .

إيجاز القصر

يقول أحمد الهاشمي : إيجاز القصر (ويسمى إيجاز البلاغة) يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف.

"وهذا القسم مطمح نظر البلغاء ، وبه تتفاوت أقدارهم ، حتى إن بعضهم سُئل عن البلاغة فقال : هي إيجاز القِصر، وقال أكثم بن صيفي خطيب العرب : (البلاغة الإيجاز) . " [2]

إيجاز الحذف

"هو الإيجاز الذي يكون قصر الكلام فيه بسبب استخدام حذف بعض الكلام، اكتفاء بدلالة القرائن على ما حذف" . [3]

الإيجاز تكنيز المعاني الكثيرة في العبارة اليسيرة، الوافية بالمعنى المقصود مع التوضيح و الإبانة، مثل: " (رَبَّنَا آَتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ[4]) "

ثم الإيجاز في الأدعية القرآنية بكثير من محاسنه المنثورة و أمثالهما. كما في : "﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[5]" والمفعول المقدر"عملا" موصوف في التركيب لصفة "صالحا".

وقد يكون المحذوف حرفا، كما في ﴿قِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي من النار، فانه من إضافة الشيء إلى ظرفه.

---

(1) جواهر البلاغة ، ص/**203**

(2) نفس المرجع ، ص/ **204**.

(3) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج/**2** ، ص/ **29**.

(4) سورة البقرة ، رقم الآية/ **201**

(5) سورة النمل ، رقم الآية/ **19** ، و سورة الأحقاف، رقم الآية/ **15**

شواهد الإيجاز بالحذف في الأدعية القرآنية

1. "قوله β: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ") (1)

في هذه الآية إيجاز بالحذف، إذ حكى سبحانه أوامره، وحذف تتمة القصة، ولم يتعرض لامتثال إبراهيم عليه السلام لها، لأن ذلك مدرك بالبداهة.

2. وفي قوله β "﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾ " (2)إيجاز بالحذف ، لدلالة السياق على المحذوف، والتقدير : ليوم الحساب أو الجزاء (3) .

والمتأمل في الدعائين يجد أنهما يشرقان بنداء خاشع.. " في تركيبه اللفظي إيقاع الدعاء وفي ظلاله المعنوية روح الابتهال، وفي التفاتاته إلى كتاب الكون المفتوح استجاشة للمشاعر في رفق وإيناس، وفي جمعه بين تدبير الله وتصريفه لأمور الناس ولأمور الكون إشارة إلى الحقيقة الكبيرة، حقيقة الألوهية الواحدة والقوامة على الكون والناس " (4)

3. قوله β : "﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾" (5)

ومن بلاغة هذه الآية الإيجاز بالحذف في قوله ﴿ عَلَى رُسُلِكَ ﴾ والتقدير على ألسنة رسلك، وقيل تقديره على تصديق رسلك، وقيل ما وعدتنا منزلا على

---

(1) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، ج/1، ص/ 42

(2) سورة آل عمران، رقم الآية/ 9.

(3) تفسير أبي السعود ، ج/1،ص/ 442.

(4) في ظلال القرآن ، ج/3، ص/ 384.

(5) سورة آل عمران، رقم الآية/ 194.

رسلك أو محمولاً على رسلك، لأن الرسل يحملون ذلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الكفار. (1)

4. "قوله β : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾" (2)

في هذه الآية إيجاز بالحذف وقد حذف تتمة القصة، إذ حكي χ أوامره، ولم يتعرض لامتثال إبراهيم v لها، لأن ذلك مدرك بالبداهة.(3)

5. قوله β : "﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾" (4)

وفصلت جملت" ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ...﴾ " عما قبلها للاستئناف البياني، لوقوعها جوابا عن سؤال يفهم من الجملة الأولى فكأنه قيل: ما ذلك النداء؟ فقيل: ﴿ قَالَ رَبِّ ...﴾ ، وفي حذف حرف النداء وياء المتكلم إيجاز يوحي بشعور الداعي بقربه من ربه.

وإذا كان الأصل" اشتعل شيب رأسي" فما فضل الجملة القرآنية ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ يقول السكاكي" (إنما أبلغ من جهات : إحداها إسناد الاشتعال إلى الرأس لإفادة شمول الاشتعال الرأس ، إذ وزان ـ اشتعل شيب رأسي، واشتعل رأسي شيبا ـ وزان اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي نارا ـ والفرق نيّر، وثانيتها الإجمال والتفصيل في طريق التمييز، وثالثهما تنكير " شيبا" لإفادة المبالغة ، ثم ترك ـ اشتعل رأسي شيبا ـ لتوخي مزيد التقرير إلى ـ اشتعل الرأس مني شيبا ـ على نحو : " ﴿ وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾" ثم ترك لفظ مني لقرينة عطف " اشتعل الرأس " على " وهن العظم

---

(1) الكشاف، ج/1، ص/ 489.

(2) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 260.

(3) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/1، ص/ 403

(4) سورة مريم ، رقم الآية/ 4.

مني " لمزية التقرير ، وهو (إبهام) حوالة تأدية مفهومه على العقل دون اللفظ) [1] ، وتكرار النداء في قوله "﴿ وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾" للمبالغة في التضرع والابتهال والاسترحام . يقول أبو السعود : (والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن إضافة ما فيه صلاح المربوب، مع الإضافة إلى ضميرهv لا سيما توسيطه بين كان وخبرها، لتحريك سلسلة الإجابة بالمبالغة في التضرع...) [2]

6. قوله β : "﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾" [3]

وتأمل بلاغة الحذف في قوله " ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي ﴾" أي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي . وقيل بمعنى الولاية في الموالي أي خفت الذين يلون الأمر من ورائي أي بعد موتي. [4]

7. قوله β : "﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا & فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا & ﴾" [5]

ومن بلاغة هاتين الآيتين إيجاز الحذف فقد حذف حرف النداء وياء المتكلم في " رب " ، وإذا كان " سبحوا" بمعنى صلوا كما يرى الجمهور فهو من تسمية الشيء باسم جزئه، وقيل المراد بالتسبيح التنزيه وهو قولهم سبحان الله . ويعلل ابن أبي الإصبع هذا الاختيار القرآني فيقول : (وإنما خص التسبيح بالذكر لأن العادة جارية أن كل من رأى أمراً عجب منه أو رأى فيه بديع صنعه أو عجيب حكمه،

---

(1) مفتاح العلوم، ص/138. وانظر الإيضاح، ص/ 295، وبغية الإيضاح، ج/2،ص/ 126.

(2) تفسير أبي السعود، ج/4، ص/ 228.

(3) سورة مريم، رقم الآية/ 5.

(4) الكشاف، ج/2، ص/ 405.

(5) سورة مريم ، رقم الآية/ 10-11.

يقول : سبحان الله ! سبحان الخالق . فلما رأى حصول الولد من شيخ وعاقر عجب من ذلك فسبح و أمر بالتسبيح) [1] .

8. قوله β : "﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي & وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي & وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي & يَفْقَهُوا قَوْلِي & وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي & هَارُونَ أَخِي & اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي & وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي & كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾ "[2]

ويأتي قوله ﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ جوابا للطلب وغرضاً من الدعاء، وفيها إيجاز بالحذف لوقوعهما جواب شرط مقدر أي إن تحلل عقدة لساني يفقهوا قولي " [3]

وعلى قراءة "﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي & وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ " بصيغة الخبر بفتح المقطوعة في " أشدد" وبضم همزة " أشركه" يكون المعنى أشدد أنابه أزري، وأشركه أنا في أمري ، ويكون الفعلان مجزومين، ففيهما إيجاز بالحذف لوقوعهما في جواب شرط مقدر والتقدير " فإن فعلت ذلك أشدد به أزري " [4]

9. دعاء ذي النون يونس ν حينما كان مسجونا في بطن الحوت: "﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[5] "

يحتوى على حقائق كثيرة ، شاهدها في أناء حياته،وجربها في السراء و الضراء. فاكتنزها في ثلاث جمل قصيرة فهي تنطوي على مقتضيات قضاء الحاجة.

فمنها: أن كمال القدرة المعبر عنها بالألوهية يقف عليه إغاثة اللهفان .

---

(1) البحر المحيط، ج/6، ص/ 176.

(2) سورة طه، رقم الآية/ 25-33.

(3) الكشاف، ج/2، ص/ 432. والتحرير والتنوير ، ج/16، ص/ 113.

(4) معاني القرآن وإعرابه، ج/3، ص/ 356، نظم الدرر، ج/5، ص/ 17.

(5) سورة الأنبياء، رقم الآية/ 87

و منها: تخصيص تلك الأولهية بالمستغاث به لكي لا يكون مستغنى عنه في دفع الضر و جلب المنفعة. وقد صرح بهذين الأمرين في جملة: (لا إله إلا أنت). و اظهر اعتقاده هذا توسلا إلى ما يريد من قبولية الدعاء.

ومنها: تنزيه الله تعالى عما يحول بينه و بين إغاثة المستغيث من العجز و البخل و الغفلة و الكسل و نحوها. ورمز إلى ذلك في جملة: (سبحانك). ثم إنه (عليه السلام) لم يذكر فيها ناصب المفعول المطلق إيماء إلى تنزيه الله المطلق في الخارج من غير احتياج إلى تسبيح أي مسبح :متكلم كان أو مخاطب أو غائب.

ومنها: عجز المستغيث بنفسه عن درء ما يسومه سوء البلية. حيث فرع ذو النون (عليه السلام) على هؤلاء المعتقدات،المرتبة الجزئية فى لمحات حياته،عرض حاجته إلى المغيث الحق (سبحانه و تعالى) بقوله ((إني كنت من الظالمين)).

10. قوله β : "(فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ& فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [(1)]"

فالمحذوف فيه جمل عدة ، ونظم الكلام من غير حذف أن يقال: فذهبتا إلى أبيهما، وقصتا عليه ما كان من أمر موسى، فأرسل إليه، (" فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء ") .

ولما كان سبب الإيجاز في هذه الأمثلة هو الحذف سمي إيجاز حذف ويشترط في هذا النوع من الإيجاز أن يقوم دليل على المحذوف، وإلا كان الحذف ريثاً والكلام غير مقبول. [(2)]

شواهد الإيجاز القصر في الأدعية القرآنية

(**1**) سورة القصص، رقم الآية/ **24-25**.

(**2**) البلاغة الواضحة، ص/ **241**.

1. قوله β : "(رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) [(1)]"

والمتأمل في دعائهم هنا يلاحظ الإيجاز، لأن ما وعد الله به المؤمنين على ألسنة رسله، وما سطر في كتبه المنزلة أصناف شتى من نعيم الجنة.

وجمع الرسل مع أن المنادي هو الرسول γ وحده، لأن دعوته ν لاسيما في باب التوحيد وما أجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم [(2)] .

2. "﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي & وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي & وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾"

وبعد أن طلب موسى من ربه في الجملة السابقة أن يشرح صدره حتى لا يضيق بما يلاقيه في تلك الدعوة ، بعد ذلك تأتي الجملة المعطوفة: "﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ " متضمنه طلباً آخر وهو أي يسهّل ربه عليه القيام بما كلفه به من أعباء الرسالة ، والطلب هنا كسابقه خرج إلى معنى الدعاء، ووصلت هذه الجملة بما قبلها لاتحادهما إنشاء.[(3)]

3. قوله β : "(وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا & إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) [(4)]"

يقول طنطاوي :

" إن نوحاً ν ما دعا عليهم بهذا الدعاء وما قال في شأنهم هذا القول وهو أحد من أولى العزم من الرسل إلا بعد أن يئس من إيمانهم، وإلا بعد أن

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/ 194.

(2) تفسير أبي السعود، ج/1، ص/ 630.

(3) الكشاف، ج/2، ص/ 432. والتحرير والتنوير ، ج/16، ص/ 113.

(4) سورة نوح ، رقم الآية/ 27.

أخبره ربه : أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، وإلا بعد أن أرى منهم بعد ألف سنة إلا خمسين عاماً عاشها معها أنهم قوم استحبوا العمى على الهدى، وأن الأبناء منهم يسيرون على طريقة الآباء في الكفر والفجور" [1] .

فسمي الأبناء بما سيكون عليه من فجور وكفر وبذلك أصبح هذا الأخبار علّة للإهلاك على أن هذا الأخبار لم يكن بمعناه المجازي لعلاقة الاستقبال لأنه أخبار عن وحي يصل إلى الأمر الحقيقي.

شواهد ذكر الخاص بعد العام في الأدعية القرآنية

ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على ما للخاص من فضل حتى كأنه مغاير للعام في فضله و رفعته ، كقوله تعالى : " ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾[2] " فذكر جبرائيل و ميكائيل مع دخولهما في الملائكة تنبيه على زيادة فضلهما .

1. قوله β : (" ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [3]"

وطلبوا غفران الذنوب والإسراف في الأمر، ليشمل دعاءهم صغيرهم وكبيرها وقيل المراد بالذنوب صغائرها، والإسراف في الأمر كبائرها. والظاهر أن الذنوب تعم كل ما يسمى ذنباً من صغيرة أو كبيرة، والإسراف منا فيه مجاوزة للحد، فهو من عطف الخاص على العام[4] وطلبوا من ربهم تثبيت الأقدام عند ملاقاة الأعداء، ليحصل لهم الثبات في ميدان المعركة، والتقوية والتأييد من الله فينهزم الأعداء أمامهم.

---

(1) الوسيط في تفسير القرآن الكريم ، ص/ 3.

(2) سورة البقرة، رقم الآية/ 98.

(3) سورة آل عمران، رقم الآية/ 147.

(4) فتح القدير، ج/1، ص/ 378، تفسير أبي السعود، ج/1، ص/ 574.

2. قوله β : "(رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) [1]."

الخاص بعد العام : للتنبيه على فضل الخاص. كما ذكر الظالمين خصوصا ما بعد ذكر عمر ما في من تدخل النار .[2]

شواهد ذكر العام بعد الخاص في الأدعية القرآنية

ذكر العام بعد الخاص لشمول باقي الأفراد و بقاء الاهتمام بالخاص لذكره ثانيا في العام بعد ذكره في الخاص.

1. قوله β : ("رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا[3])"

إيراد العام بعد الخاص، كما ورد في هذا دعاء و فائدة هذا المنهج المقتضية شمول بقية الأفراد في الحكم المسوق له، و الاهتمام بشأن الخاص لذكره مكررا، مرة بعنوان الخاص و أخرى ضمن العنوان العام.

وفي هذا الدعاء ذكر العام بعد الخاص، فقد ذكر الله χ المؤمنين والمؤمنات وهما لفظان عامان يدخل في عمومهما من ذكر قبل ذلك، والغرض من هذه الزيادة إفادة الشمول مع العناية بالخاص لذكره مرتين، مرة وحده، ومرة مندرجاً تحت العام.

ولما دعا على الكافرين بالهلاك أتبعه بالدعاء لنفسه ووالديه والمؤمنين والمؤمنات، باسطا القول بسطا يتناسب ولما دعا على الكافرين بالهلاك أتبعه بالدعاء " المؤمنين والمؤمنات" بعدما خص به من يتصل به نسبا ودينا في قوله " وطلب الغفران ، حيث عم بالدعاء "﴿ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا ﴾ " وذلك لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص لذكره مرتين :مرة منفردا ومرة مندرجاً تحت العام ، وهذا من عطف العام على الخاص ، وهو من صور الإطناب عند البلاغيين .

---

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/ 192.

(2) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، ج/1، ص/ 414.

(3) سورة نوح، رقم الآية/ 28

لقد خص نوح v نفسه بطلب المغفرة من ربه، وأتبعه بطلب المغفرة .ولوالديه، وأتبع ذلك بطلب المغفرة لكل من دخل بيته مؤمناً، فعمّم ، ومعلومٌ أنه ممن دخل بيته مؤمنا فأدخل نفسه في العموم، وأخيرا قال: " ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ " ومعلوم أن من دعا له سابقاً يدخلون في عموم المؤمنين أو في عموم المؤمنات، فكأنه شملهم بالدعاء الأخير، فأفاد هذا التعميم بعد التخصيص تأكيد الدعاء وتكريره لمن ذكروا سابقا. (1)

شواهد الاعتراض في الأدعية القرآنية

الاعتراض : "و هو أن يؤتي في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة معترضة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لغرض يقصده المتكلم غير دفع الإيهام(2)."

ويعرف أحمد هاشمي هكذا "الاعتراض لغرض يقصده المتكلم، وهو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملةٍ معترضة، أو أكثر، لا محل لها من الإعراب. " (3)

1. قوله χ : (" فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)"(4)

تأتي الجملة الاعتراضية بقوله تعالى : ﴿ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ ، ليدل على التعظيم من جهته تعالى لموضوعها، والتفخيم لشأنه، والإفصاح عن جهلها بعظيم قدره، فالله أعلم بالشيء الذي وضعته، وما سيتعلق به من عظائم الأمور، إذ صارت مريم وابنها آية للعالمين (5).

---

(1) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، ج/4، ص/ 414.

(2) علوم البلاغة البيان والمعاني، ص/ 191.

(3) جواهر البلاغة، ص/ 210.

(4) سورة آل عمران، رقم الآية/ 36.

(5) تفسير أبي السعود ، ج/1، ص/ 471.

(" وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى)" اعتراض آخر مبين لما اشتمل عليه الأول من التعظيم وليس بياناً لمنطوقه حتى يلحق بعطف البيان الممتنع فيه العطف.

والاعتراض الآخر بقوله تعالى "﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى ﴾" يبين ما في الأولى من تعظيم الموضوع ورفع منزلته .

2. قوله β : "﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [(1)]"

"فان المراد أن هذا العالم إنما خلق دارا لابتلاء المكلفين ابتلاء يبتنى عليه التنعيم أو التعذيب، فيستعيذ العبد من الخسارة و الفشل في ذلك الابتلاء المستلزم لتعذيبه في الآخرة ، فيشير إلى ذلك بالجملة: " فقنا عذاب النار" و الجملة المعترضة "سبحانك" تنزيه الله تعالى عن العبث في تخليق العالم و اللعب في شؤونه.[(2)] "

و على منوال هذا الأسلوب ورد دعوة الداعي: " (أللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت، أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت)[(3)] " حيث وردت جملة " لا إله إلا أنت" معترضة أثناء كلام واحد، تنزيها لعزته و كرمه عن إضلال الداعي المضطر الذي يلوذ بهما.

3. قولهβ : ("لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ[(4)])
"

فجملة "سبحانك" معترضة بين كلامين المربوطين في المعنى المراد فان مرامه في الجملة الأولى: إن الله تعالى قاضى الأمور دافع المضرات و الشرور و لا قاضى و لا دافع لها أحد سواه قط. و مقصوده من الجملة الأخيرة أنه محتاج إلى قضائه بالخير و

---

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/ 191

(2) الأدعية المأثورة و مكانتها الأدبية : ص/105

(3) وردت الرواية في صحيح مسلم : ج/2، ص/349

(4) سورة الأنبياء، رقم الآية/ 87

دفاعه الضر، في جملة المحتاجين المكروبين. و أورد أثناء هاتين جملة: "سبحانك" تنزيها له تعالى عن العجز و البخل في القضاء و الإمضاء.

4. قوله β : "﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴾ (1)"

وقوله : "﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ...﴾ " اعتراض وسط بين الدعاء للدلالة من أول الأمر (بأن ما أصابهم من الإغراق والإحراق لم يصبهم إلا لأجل خطيئاتهم التي عددها نوح ν .(2)

شواهد تفصيل بعد الإجمال في الأدعية القرآنية

هو أن يذكر الشيء مجملاً ثم يؤتى بتفصيله .

1. قوله β : " (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا)(3)"

في قوله β : "﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾" فن الإطناب فقد انتقل أولا من شخت الدال على ضعف البدن وشيب الرأس إجمالاً إلا هذا التفصيل لمزيد التقرير، وثانياً من هذه المرتبة إلى ثالثة أبلغ منها وهي الكناية التي هي أبلغ من التصريح، وثالثا من هذه المرتبة إلى رابعة أبلغ في التقرير وهي بناء الكناية على المبتدأ أي قولك: أنا وهنت عظام بدني، ورابعاً من هذه المرتبة إلى خامسة أبلغ وهي إدخال إن على المبتدأ أعني قولك إني وهنت عظام بدني، وخامساً إلى مرتبة سادسة وهي سلوك طريق الإجمال ثم التفصيل أعني إني وهنت العظام من بدني، وسادساً إلى مرتبة سابعة وهي ترك توسيط البدن لادعاء اختصاصها بالبدن بحيث لا يحتاج إلى التصريح

---

(1) سورة نوح، رقم الآية/25.

(2) تفسير أبي السعود، ج/6، ص/311.

(3) سورة مريم، رقم الآية/ 4.

بالبدن، وسابعاً إلى مرتبة ثامنة وهي ترك جمع العظم إلى الإفراد لشمول الوهن العظام فرداً فرداً.(1)

2. قوله β : " (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي & وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي & وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي & يَفْقَهُوا قَوْلِي &وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي & هَارُونَ أَخِي)" (2)

وتأمل هاتين الجملتين تحلظ زيادة كلمة " لي " بعد الفعلين " اشرح" و " يسر" وهو تفصيل بعد إجمال ، فقوله "﴿ اشْرَحْ لِي ﴾" يفيد طلب شرح لشيء ماله، لأنه في تقدير : " اشرح شيئا لي " ، وقوله : " "﴿ صَدْرِي﴾" يفيد تفسيره وبيانه، وكذلك قوله: "﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ "ولو لم يطنب لقال : اشرح صدري ، ويسر أمري" ، ففي الآيتين تكرير للمعنى الواحد من جهتي الإجمال والتفصيل ، وهو من صور الإطناب عند البلاغيين، وفائدته تأكيد طلب الشرح لصدره والتيسير لأمره، والمقام مقتض للتأكيد، للإرسال في قوله : "﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾" المؤذن بتلقي المكاره والشدائد (3)، وفي تقديم " لي" على صدري وأمري وتكرارها " (إظهار مزيد اعتناء بشأن كل من المطلوبين ، وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به.) "(4) .

وبعد ذلك الدعاء الشامل بشرح الصدر وتيسير الأمر أخد v يحدد ويفصل بعض ما يعينه على أمره فقال: "﴿ ◌َاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي & يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ . "

شواهد الإجمال بعد التفصيل في الأدعية القرآنية

هو أن يذكر الشيء أولاً بالتفصيل ثم يؤتي بأجماله.

1. قوله β : ("قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ

---

(1) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/ ، ص/ 62

(2) سورة طه، رقم الآيات/ 35-39.

(3) بغية الإيضاح، ج/2، صم 133، الكشاف، ج/1، ص/ 432.

(4) تفسير أبي السعود، ج/4، ص/ 276.

إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ & تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ) [1]"

إن القرآن الكريم قد يذكر أفعال الله سبحانه بالتفصيل ثم بعد ذلك يوجزها ويجملها بخلاصة، فهو بتفصيلها يورث القناعة والاطمئنان وبإيجازها وإجمالها يسهل حفظها وتقييدها . [2]

شواهد التكرار في الأدعية القرآنية

تكرار : "و هو ذكر الشيء أكثر من مرّة و قد جاء في القرآن الكريم و في كلام العرب كثيراً .[3] "

1. قوله χ : "﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾ [4] "

لقد كرر χ ذكر ﴿ الصِّرَاطَ﴾ لأنه المكان المهيأ للسلوك، فذكر في الأول المكان دون السّالك فأعاده مع ذكره بقوله "﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ ﴾" المصرح فيه ما يخرج اليهود وهم المغضوب عليهم والنصارى وهم الضالون.[5]

2. قوله β : "(رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)" [6]

تأمل جمال الترتيب في تكرار الدعاء بالنهي أولاً المصدر بنداء " ربنا" ، وتكرار الدعاء بالأمر الدعائي . ثانياً "(وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ)" ، ولم

---

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/ 26-27.

(2) إعجاز القرآن لبديع الزمان نورسي، ص/ 127.

(3) جواهر البلاغة ، ص/ 209

(4) سورة الفاتحة، رقم الآية/ 6.

(5) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، ج/1، ص/ 28.

(6) سورة البقرة، رقم الآية/ 286

يأتي في هذه الجمل الثلاث بلفظ " ربنا" لأنها (نتائج ما تقدم من الجمل التي افتتحت بذلك) [1]

وسلاسة هذه الجمل" (وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ") ورشاقتها وعذوبتها وما توحيه من لهفة العبد على التوبة والرحمة والرجوع إلى ربه لا تخفي على صاحب الذوق السليم.

3. قوله β : "﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾" [2]

تكررت " إن " أربع مرات ، وفي الثلاث الأولى كان خبرها فعلاً ماضياً، وفي المرة الرابعة عدلت عن الماضي إلى المضارع، فقالت : ﴿أُعِيذُهَا﴾ ، لنكتة بلاغية، وهي ديمومة الاستعاذة وتجددها دون انقطاع بخلاف الأخبار السابقة فإنها انقطعت.[3]

4. قال الله β : "﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ &﴾" [4]

والمتذوق لبلاغة هذا النص يروقه الإيجاز بالحذف في قوله "﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً ﴾" أي يقولون ذلك بمعنى يتفكرون قائلين [5] ، وفي هذا الحذف إيحاء بأن تفكير أولى الألباب (قد أسلمهم مباشرة إلى التصديق بأن هذا الخلق لم يكن باطلا، وإنما لحكمة .. وإقحام هذا الفعل المحذوف يقلل من الإيحاء بهذه السرعة في

---

(1) البحر المحيط، ج/1، ص/ 367-368.

(2) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 36.

(3) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/1، ص/ 498.

(4) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 191.

(5) الكشاف ، ج/1 ، ص/ 488.

إدراك الحقيقة والاعتراف بها)[1] . وإيثار نداء " الرب" لما مر من أن إجابة الدعاء من مقتضى الربوبية.

5. قوله β : "(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ & رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ & رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ & رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء & الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء & رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء & رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ)" [2]

سر كثرة ورود " الرب" في دعوات الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين ومنها دعاء إبراهيمν فقد ورد تسع مرات، وهذا التكرار يوحي بالاهتمام والرغبة في الإجابة وإظهار الاسترحام والاستعطاف والتذلل والالتجاء إلى الله تعالى [3] .

6. قوله β : ("وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)[4]"

يحوي كتاب الله الجليل بين آياته جمعا من الأدعية الكريمة، تتنوع هذه الأدعية في أجوائها بين التقديس والتمجيد في آيات والمسألة وطلب الحاجات في آيات والتضرع والتذلل في أخرى.

---

(1) من بدائع النظم القرآني: ص/60.

(2) سورة إبراهيم ، رقم الآيات، 35-40

(3) الكشاف، ج/3،ص/ 305. وفتح القدير، ج/ 5، ص/ 433.

(4) سورة الحشر، رقم الآية/ 10.

لعل من أشد الآيات وضوحاً بالدعاء وأروعها جذباً هي تلك المحتوية على السامية ، حول عطف المطالب في هذه الآيات على بعضها مع تكرار. الخطاب بالربوبية في مواضع وعدم تكراره في أخرى بالاكتفاء بالعطف. أورد مثالاً على هذه الآيات الشريف من الآية العاشرة من سورة الحشر: (" وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ[1])"

هنا عطف جملة (ولا تجعل...) على جملة (اغفرلنا) من دون تكرار الخطاب بالربوبية حيث يتكرر هذا الخطاب في هذه الآيات مع تعدد المطالب، وهنا عطف الطلب برفع الغل في جملة (ولا تجعل) على طلب المغفرة في جملة (اغفرلنا) من دون تكرار الخطاب بالربوبية، فهل من دلالة المعنى تشير إليه الآيات الشريف بعطف المطالب على بعضها من دون تكرار الخطاب في مواضع وتكرار الخطاب في مواضع أخرى.

7. قوله β : (" قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ & مَلِكِ النَّاسِ & إِلَهِ النَّاسِ & مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ & الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ & مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ &)" [2]

لما كانت الوسوسة كلاماً يكرره الموسوس ويؤكده عند من يلقيه كرروا لفظها بأزاء تكرير معناها فقالوا (وسوس وسوسة) فراعوا تكرير اللفظ منه تكرير مسماه وقد علم بهذا أن من جعل هذا الرباعي بمعنى الثلاثي المضاعف لم يُصب لأن الثلاثي لا يدل على تكرار بخلاف الرباعي المكرر فتأمله فأنه مطابق للقاعدة العربية في الحذو بالألفاظ حذو المعاني.." [3]

وبهذا يرى التوظيف الدقيق للصوت في خدمة المعنى بالإضافة إلى ما يحققه من جمال صوتي، وقد تنبه الرافعي إلى هذا الجمل الذي تحققه البنية القرآنية ذاكراً أن

(**1**) **سورة الحشر، رقم الآية/ 10.**

(**2**) **سورة الناس، رقم الآية / 1-6 .**

(**3**) **تفسير المعوذتين، لابن القيم الجوزية، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، ص/63.**

ما يوجد في القرآن من كلمات طويلة تتسم بأنها من " الألفاظ المركبة التي ترجع عند تجريدها من المزيدات إلى الأصول الثلاثية أو الرباعية، أما أن تكون اللفظة خماسية الأصول فهذا لم يرد منه في القرآن شيء، لأنه مما لا وجه للعذوبة فيه إلا ما كان من اسم عرِّب ولم يكن في الأصل عربياً: كإبراهيم وإسماعيل... ولا يجيئ به مع ذلك إلا أن يتخلله المدّ فتخرج الكلمة وكأنها كلمتان." (1)

لنجد بهذا نكتة أخرى من نكت ذكر وتكرار مفردة الناس مع أن " السياق يقتضي أن يكون الإضمار أولى هنا من الإظهار ليكون تكرار هذا الصوت مؤكداً لصورة الخفاء التي عليها السورة وكذلك الوسوسة التي هي صوت الحلي والهمس الخفيّ وكذلك يُقال (لهمس الصائد) (2) .

وأصلها الصوت الذي لا يحسّ أو الإلقاء الخفي في النفس أما بصوت خفي لا يسمعه غلا من ألقى إليه وأما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد وأما الخناس فهو من خنس يخنس إذا توارى واختفى.(3)

و" الوسوسة: الخطرة الردئية، وأصله من الوسواس، وهو صوت الحلي، والهمس الخفي ويقال لهمس الصائد وسواس" (4) و"الخنوس: الانقباض والاستخفاء. خنس من بين أصحابه يَخنِسُ ويَخنُسُ، بالضم خُنُوساً وخِناساً وانخَنس : انقبض وتأخر، وقيل رجع يقال: خَنَسَ به أي واراه ، ويقال: يَخْنِسُ بهم أي يغيب بهم. وخنس الرجل إذا توارى وغاب". (5)

شواهد الإيغال في الأدعية القرآنية :

الإيغال: و هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها . كالمبالغة في قول الخنساء :

---

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص/ 229.

(2) تفسير مفردات القرآن، ص/927.

(3) عدة المسلمين في معاني الفاتحة وقصار السور من كتاب رب العالمين، محمد محمود الصواف، ص/ 284-285.

(4) المفردات، كتاب الواو، ص/ (وذر. وعي)

(5) لسان العرب، باب الخاء، مادة: خنس، ص/1702.

و إن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار [1]

ومنه قوله تعالى : "﴿ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾"[2] .

فعبارة (في رأسه نار) و عبارة (بغير حساب) لزيادة المبالغة .

وهو اختتام الكلام بما يفيد نكتة رائعة زائدة يتم مراد المتكلم بدونها[3]، مثل المبالغة بلفظ " بغير حساب" في آخر الآية : "﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4]. "

شواهد التذييل في الأدعية القرآنية:

التذييل و هو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة تشتمل على معناها تأكيداً لمنطوق الأولى أو لمفهومها .[5]كقوله تعالى : "﴿ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[6]."

قوله β : "﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِين ﴾ [7]"

ثم يأتي بعد ذلك قوله β : "﴿ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِين ﴾ " فالملاحظ ابتداء العبارة . بعد هذا المطلب العزيز وهو صلاح الذرية . نقوله الملاحظ ابتداء العبارة بحرف التوكيد (إنَّ) الذي يعطي المعنى قوة وجمالاً، فتأكيد التوبة هنا أمر لا يقل أهمية عن المطلب السابق إذ لا فائدة من الدعاء ولا استجابة له إذا لم يكن الداعي متجهاً إلى ربه بكل مشاعره وجوارحه ولا أدل على تلك الإنابة والخشوع

(1) جواهر البلاغة، ص/ 211

(2) سورة البقرة، رقم الآية/212.

(3) جواهر البلاغة، ص/ 211

(4) سورة آل عمران، رقم الآية/ 26

(5) جواهر البلاغة، ص/211

(6) سورة الإسراء، رقم الآية/ 81.

(7) سورة الأحقاف، رقم الآية/ 15.

والخضوع التام من اتصال ضمير المخاطب بحرف الجر (إلى) في قوله ﴿ إِليكَ﴾ ثم إتمام هذا المعنى وتوكيده بقوله تعالى ﴿ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِين ﴾ وهو ما يسمى بالتذييل في علم البلاغة . (1)

"هذه الآية من أعظم الشواهد عليه، فالجملة الأخيرة هي التذيل الذييل الذي خرج مخرج المثل السائر. (2)"

التعريض في الأدعية القرآنية

"**التعريض في اللغة** أن تقول كلاماً لا تصرّح فيه بمرادك منه . أغراض الكلام ومعارضه ومعاريضه كلام غير ظاهر الدلالة على المراد. (3)"

التعريض في الاصطلاح : التعريض طريقة من الكلام أخفى من الكناية.

ومن بلاغة التعبير بقوله : "﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ (4)" أنه يرمز " إلى ما حديث في العالم من ظلمات الجهالة ، بعد أن كان الناس على دين صحيح كدين موسى ، وإلى ما حدث بظهور الإسلام من إبطال الضلالات ، ولذلك ابتدئ بقوله : "﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ ﴾ "ليكون الانتهاء بقوله "﴿ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾" فهو نظير التعريض الوارد في قوله : "﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء ﴾"

شواهد الاسم الظاهر مكان الضمير

"**إظهار في مكان الإضمار** : قد يكون استخدام الضمير في الكلام هو المتبادر الذي يقتضيه ظاهر الأسلوب المعتاد. " (5)

---

(1) مجلة جامعة أم القرى، ع/11، ص/ 34. 1416.

(2) الجدول في إعراب القرآن، ج/5، ص/ 100.

(3) البلاغة العربية أسسها وفنونها للميداني ، ص/ 152

(4) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 27

(5) جواهر البلاغة، ص/ 503

1. "قال β : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (1)"

وإظهار النار في موضع الإضمار في قولهم "﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ﴾" بعد قولهم : "﴿ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾" لتهويل أمرها. وذكر الإدخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين فظاعته. وفي قولهم "﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾" إظهار في موضع الإضمار فقد (وضع الظالمين موضع المدخلين، لذمهم والإشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الأشياء في غير مواضعها...)(2)

1. قول الله β: "﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ & صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾" (3)

إن عبارة "﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ ﴾" بدل من عبارة " ﴿ الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾" وهذا البدل هو من الإطناب البليغ، إذ لا يتوقف عليه أصل المعنى، لكنه ذو فائدة جليلة، وهي بيان أن الصراط المستقيم هو صراط كل الذين أنعم الله عليهم في كل الأمم سواءٌ أكانوا رُسلاً أم غير رسل.

2. قوله β : "﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ & مَلِكِ النَّاسِ & إِلَهِ النَّاسِ & مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾" (4) .

ومن وضع الاسم الظاهر موضع الضمير لمراعاة صور جمالية في اللفظ أو محسِّن من محسِّنات البديع، قول الله β: "﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ & مَلِكِ النَّاسِ & إِلَهِ النَّاسِ & مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾"

الإطناب في الأدعية القرآنية

---

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/ 192.

(2) تفسير أبي السعود، ج/2، ص/ 85.

(3) سورة الفاتحة ، رقم الآية/ 6-7.

(4) سورة الناس، رقم الآية/ 1-4.

قبل أن نقوم بإيراد شواهد الإطناب في الأدعية القرآنية نعرف بالإطناب لغة واصطلاحاً ثم التعريف بأهم أنواع التي وردت في سياق الأدعية القرآنية ، ثم نذكر شواها في الفصل الثاني من هذا الباب.

تعريف الإطناب .

لغة :

أطنبَ الرجلُ : أتى بالبلاغة في الوصف مدحاً أو ذماً، و أطنب في الكلام أو الوصف أو الأمر: بالغ وأكثر مصدر أطنب في كلامه إذا بالغ فيه و طول ذيوله" [1]

ويقول عبد الرحمن حبنكة : "أن الإطناب لغة يدور حول معنى الإطالة والإكثار والطول والكثرة، والزيادة عن المعتاد. "

الإطناب في الاصطلاح :

يقول أحمد الهاشمي في كتابه : "زيادة اللفظ على المعنى لفائدة أو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط البلغاء لفائدة تقويته وتوكيده [2]" .

والإطناب في اصطلاح البلاغيين: "كون الكلام زائدا عما يمكن أن يؤذي به من المعاني في معتاد الفصحاء لفائدة تقصد. " [3]

شواهد الإطناب في الأدعية القرآنية

الإطناب تأدية أصل المعنى المراد بعبارة زائدة عما عرف بين أوساط الناس البلغاء لتقويته و إفادة معنى زائد على ذلك المعنى الأصلي بحيث يهب للكلام روعة مجلبة الأنظار. كما قوله تعالى : ("رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ

---

(1) المعجم الوسيط، ص/ 567، وانظر القاموس المحيط، ص/ 141.

(2) جواهر البلاغة ، ص/207

(3) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنوها، ج/ 2 ، ص/60

شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا"[1]) و نحوه: (" رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ[2]) "

معناه كأنه قال: (مرضت فاشفني).

الإطناب في قوله β : "(وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ)" ، وغرضها من عرضها على علام الغيوب التقرب إليه تعالى واستدعاء العصمة لها فإن مريم في لغتهم بمعنى العابدة ، وقال القرطبي: معناه خادم الرب وإظهار أنها غير راجعة عن نيتها وإن كان ما وضعته أنثى وأنها وإن لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه.[3]

الإطناب في قوله β : "﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾" والغرض من التصريح بالتسمية التقرب إلى الله والأزدلاف إليه بخدمة بيت المقدس أولاً، ورجاء عصمتها ثانياً، فإن مريم في لغتهم العابدة، وإظهاراً لعزمها على الوفاء بوعدها ثالثاً، أي: إنها وإن لم تكن خليقة بالسدانة فأرجو أن تكون من العابدات المطيعات.[4]

القصر في الأدعية القرآنية

القصر في اللغة

"لغة الحبس ، والقصر بمعنى التخصيص، يقال قصر الشيء على كذا، إذا خصصه به، ولم يجاوز به إلى غيره ". [5]

القصر في الاصطلاح:

يقول أحمد الهاشمي في كتابه : "هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص[1]، وعند عبد الرحمن، تخصيص شيء بشيء بعبارة كلامية تدل عليه."[2]

---

(1) سورة مريم، رقم الآية/ 4

(2) سورة الأنبياء، رقم الآية/ 83

(3) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، ج/1، ص/ 164.

(4) نفس المرجع ص/ 499

(5) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص/523

شواهد القصر في الأدعية القرآنية

1. قوله β : (" إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)"

وأما تقديم الضمير المنصوب وتكراره فللدلالة على الاختصاص والقصر ، ولإبراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب، والمعنى : " (نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك ونخصك بالاستعانة لا نستعين غيرك) " [3]. ويشهد لصحة هذا المعنى قول ابن عباس K : " (معناه نعبدك ولا نعبد غيرك) " [4] ، وللتقديم في الآية دلالة أخرى هي الاهتمام والعناية بالمقدم. يقول البلاغيون: (ويفيد التقديم وراء التخصيص اهتماماً بشأن المقدم ولهذا قدر المحذوف في قوله : (بسم الله) مؤخراً[5] وذلك بياناً لاهتمام الموحّد بالاسم الكريم، "ورداً على المشركين الذين كانوا يبدؤون بأسماء آلهتهم فيقولون: باسم اللات أو باسم العزى. " [6] .

وهذا مظهر من مظاهر القوة في لغة القرآن ، إذ نجد تقديم كلمة عن مكانها يعطي للجملة دلالة جديدة في إيجاز واختصار وتركيز دون أن نضيف إلى الجملة ألفاظاً زائدة كي تؤدي هذه الدلالة الإضافية.

إن الفرق شاسع بين العدول أو الانزياح ممثلاً في الأداء القرآني (" إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ") وبين (نعبدك ونستعينك) هو الفرق بين الإعجاز وبين كلام متعارف الأوساط كما تقول البلاغة . [7]

2. قوله β : "﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.[1]"

---

(1) جواهر البلاغة ، ص/141

(2) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص/ 523

(3) الكشاف، ج/1، ص/ 62.

(4) تفسير أبي السعود، ج/1، ص/ 26.

(5) بغية الإيضاح، ج/1 ، ص/ 229، وانظر المفتاح، ص/ 163.

(6) الكشاف، ج/1، ص/ 29.

(7) مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج/15، ص/ 217، ع/26.صفر 1424.

المقصور: السميع العليم

المقصور عليه الكاف راجعة إلى المولى/أنت .

قصر الصفة على الموصوف قصراً حقيقياً تحقيقاً.

والقصر في الدعاء عن طريق تعريف الخبر، مع توسط ضمير الفعل ويبدوا لي أن ضمير الفصل يفيد مع الحصر التوكيد أيضاً.

الوقف هنا موقف دعاء وتضرع .وعمل من قبل إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام .فعملهم هذا وإخلاصهم فيه تابع عن إيمانهم المطلق بالله، و إنهم ما قاموا بذلك العمل إلا ابتغاء مرضاته ، فلا أحد يطلع على سريرتهما ، ولا أ حد يسمع دعاءهما سوى الله سبحانه وتعالى.وأكدوا اختصاصه بالسمع والعلم بدخول ضمير الفعل زيادة في التضرع ، ويرى البعض أنه قصر حقيقي فيه مبالغه لأنه جيء بهاتين الصفتين بصيغه المبالغة لبيان أنه لا يعتد بسمع غيره ولا بعلمه ، فكل سمع غيره كلا سمع ، وكل علم غيره كلا علم ،" وتقدمت صفة السمع . وإن كان سوال التقبل متأخرا . عن العمل للمجاورة وتأخرت صفة العليم لكونها فاصلة ولعمومها ، إذا يشمل علم المسموعات وغير المسموعات " [2].

القصر المفهوم من تعريف طرفي الجملة المفيد للشمول ، فقولها: "﴿ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيْمُ﴾" أي لجميع المسموعات التي من جملتها تضرعي ودعائي. ﴿العَلِيمُ﴾ أي بكل المعلومات التي منها ما في ضميري.[3]

3. قوله β : "﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[4] "

نوع القصر	نوع القصر	طريق القصر	المقصور	المقصور عليه

(1) سورة البقرة ، رقم الآية/ 127

(2) البحر المحيط ،ج/٣ ، ص/ ٣٨٨.

(3) تفسير أبي السعود، ج/1، ص/ 469.

(4) سورة البقرة ، رقم الآية/ ١٢٨.

	باعتبار طرفيه				
حقيقي وتحقيقي	مبالغة	صفة على الموصوف	ضمير الفصل	التواب الرحيم	الكاف المائدة للمولى β /أنت

فقد دعا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الله سبحانه وتعالى بأن يجعلها مسلمين ، وأن يجعل ذريتهما امة مسلمة ، وسألوه التوبة والمغفرة ، ولاعتقادهم الجازم بقبول التوبة ، وإيمانهم المطلق بأنه لا توبة ،يعتد بها أمام توبته ورحمته ، قصروا التوبة والرحمة على الله وحده ، لا تتعداه إلى غيره ، وفي ذلك " مزيد استدعا للإجابة. قيل إذا أراد العبد أن يستجاب له ، فليدع الله β، مما يناسبه من أسمائه و صفاته ".[1]

وقدم ذكر التوبة على الرحمة ، لمجاورة الدعاء الأخير في قوله : وتب علينا، وتأخرت صفة الرحمة لعمومها ، لأن من الرحمة التوبة ، الكنها فاصلة والتواب لا يناسب أن يكون كذلك لأن قبلها "﴿مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2]وبعده﴿ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[3]."

4. قوله β : "﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[4]"

نوع القصر	نوع القصر بإعتبار طرفيه	طريق القصر	المقصور	المقصور عليه

(1) تفسير أبي السعود ج/ ١، ص/١٦١.

(2) سورة البقرة ، رقم الآية/ 127

(3) سورة البقرة ، رقم الآية/ 128

(4) سورة البقرة ، رقم الآية/ 129

حقيقي وتحقيقي	صفة على الموصوف	ضمير الفصل	العزيز الرحيم	الكاف العائدة إلى الذات العليا /أنت

طلب إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من الله سبحانه وتعالى إرسال الرسل والنذر إلى البشر ، ولما كان هذا الأمر لا يقدر عليه إلا من كان له القهر والغلبة المطلقة ، والحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة ، والذي لا يجهل شيئاً من إسرار الخلق ، ولإيمانهم ولأن هذا الأمر لا يقدر عليه إلا من يتصف بالعزة والحكمة ، قصروا صفتي العزيز الحكيم على الله β وحده لا تتعداه إلى غيره لكماله في الاتصاف بهما .

5. قوله β : "﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[1] "

المقصور	المقصور عليه	نوع القصر باعتبار طرفيه	نوع القصر باعتبار الواقع	طريق القصر
المصير	كونه لله	موصوف على الصفة	حقيقي و تحقيقي	تقديم المسند على المسند إليه

المتكلم في الآية الكريمة هم المؤمنون ، وهم يحسنون إحساساً عميقاً بولائهم لله β، يؤمنون إيمانا كاملاً بالبعث والرجوع فجاء القصر هنا ليسجد فكرة الولاء هذه ، حيث قصروا الرجوع والمصير على كونه لله سبحانه وتعالى دون غيره ، وفي هذا التخصيص إقرار منهم بالبعث .

"أي الرجوع بالموت والبعث إليك لا إلى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة إلى المغفرة ، لما أن الرجوع للحساب والجزاء"[1].

(**1**) سورة البقرة ، رقم الآية/ **285**

6. قولهβ "(لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ [2])"

ثم ختمت الآية بجملة " وإليك المصير" بتقديم الخبر لإفادة الاختصاص والحصر أي " الرجوع بالموت والبعث إليك لا إلى غيرك، والجملة تذييل لما قبلها (مقرر للحاجة إلى المغفرة) [3]

وانظر بعين البلاغة والذوق في قوله "(لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ") وما في هذه الصياغة من تناسق وقوة وإعجاز، فقد تقدم الجار والمجرو " لها وعليها" على الفعلين لإفادة الاختصاص والحصر أي أن ذلك لها لا لغيرها وعليها لا على غيرها.[4]

7. قوله β : "(رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ)" [5]

القصر المستفاد من ضمير الفصل في قوله : ﴿ أَنْتَ الوَهَّابُ﴾ أي أنت وحدك كثير العطاء .

8. قوله β : "﴿ قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[6]"

نوع القصر باعتبار طرفيه	المقصور	المقصور عليه	نوع القصر باعتبار الواقع	طريق القصر

(1) تفسير أبي السعود ، ج/ ١، ص/ ٢٧٦.

(2) سورة البقرة، رقم الآية/286

(3) تفسير أبي السعود، ج/1، ص/ 327.

(4) فتح القدير، ج/1، ص/ 389، وتفسير أبي السعود، ج/1، ص/ 327. وتفسير ابن كثير، ج/1، ص/ 343.

(5) سورة آل عمران، رقم الآية/ 8.

(6) سورة آل عمران ، رقم الآية/ ٢٦.

قلب	موصوف على الصفة	الخبر	كونه بيد الله	حقيقي	مبالغة	تقديم المسند على المسند إليه

ذكر الإمام الطبري[1] والزمخشري[2] وأبي السعود[3] والشوكاني[4] والآلوسي[5] أن التقديم في الآية مفيدة للقصر. إذا كان النفي عن الجميع من عده . أو هو قصر قلب لمن ظن ، أن الخير بيد غير مما كان يعبد غير الله ، ويفهم هذا من قول الطبري "بيدك الخير".أي كل ذلك بيدك وإليك ، لا يقدر على ذلك أحد لأنك على كل شيء قدير ، دون سائر خلقك ودون من إتخذه المشركون من أهل الكتاب والأميين من العرب الها ورباً، يعبدونه من دونك كالمسيح والأنداد الذي إتخذها الأميون رباً[6] .فيفهم من قوله دون سائر خلقك القصر الحقيقي لأن النفي واقع على جميع من عداه ، ومن قوله ،دون من إتخذه المشركون من أهل الكتاب الأميين من العرب إلهاورباً القصر الإضافي قصر قلب.

لما فتح الرسول مكة، وعد أمته بملك كسرى و قيصر وهذا الوعد قد يستعظمه البعض ويستكثره على الرسول صلى الله عليه وسلم فكان لابد من إزالة هذه الشكوك من النفوس، فدئ بأسلوب القصر لتأكيد حدوث هذا الأمر وجتمية وقوعه حيث خصص الخبر بيد الله وقدرته دون غيره ، " أي بقدرتك الخير كله لا يقدره أحد غيرك تتصرف فيه قبضاً وبسطاً حسبما تقتضيه شيئتك "[7] .

(1) الطبري ، م/ ٣، ج/ ٣، ص/ ١٤٨-١٤٩.
(2) الكشاف ،م/ ١، ص /٣٣٠.
(3) تفسير أبي السعود ، ج/ ٢، ص/٢١.
(4) فتح القدير ، م/١، ص/ ٣٣٠.
(5) روح المعاني ، ج/ ٣، ص/ ١١٥.
(6) الطبري ، م /٣، ج/ ٣، ص/ ١٤٨-١٤٩.
(7) تفسير أبي السعود ، ج/ ٢، ص/٢٢.٢١.

9. قوله β : (" وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ[1]) "

والمتأمل في عبارة : "﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ﴾" يجد أنها توحي باستمرارهم على التضرع بهذا الدعاء ، في السراء والضراء، وأن فيها قصراً إضافياً، لرد اعتقادهم من يتوهم أنهم قالوا ما يدل الجزع أو الهلع أو الشك في النصر أو الاستسلام للكفار. وفي هذا القصر تعريض بالذين جزعوا من ضعفاء المسلمين أو المنافقين [2].

المقصور: القول.

المقصور عليه : قولهم : ربنا إغفرلنا.قصر موصوف على صفة . قصراً حقيقياً فيه مبالغة .

"والاستثناء مفرع من اعم الأشيا ء ، ما كان قولاً لهم عند أي لقاء للعدو، اقتحام مضايق الحرب وإصابة ما أصابهم فنون الشدائد والأهوال، شيئا من الأشياء إلا أن قالوا[3] .

ليس في الآية مخاطب منكر ، أو منزل منزلة من ينكر ، وإنما جيء بالنفي والاستثناء لمحض التوكيد.ولإخراج الفكرة التي تعتمل في نفوس المتكلمين.في قالب يبرز مضمونها ويؤكده .

فلما ذكر الله سبحانه وتعالى ما كان عليه المؤمنون من الجد والصبر ، وعدم الوهن الإستكانة للعدو، وذلك كله من الأفعال النفسانية ، التي يظهر أثرها على الجوارح [4]، جاء هنا النفي والاستثناء ليقرر حقيقة أخرى من حقائق الفئة المسلمة وليؤكد " ما كانوا عليه من الإنابة والاستغفار والالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء ،

---

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/147

(2) التحرير والتنوير، ج/4، ص/ 120.

(3) تفسير أبي السعود ،م١/، ج/ ٢ ، ص/ ٩٢.

(4) البحر المحيط ،ج٣/ ، ص/ ٧٥.

وحصر قولهم في ذلك القول فلم يكن لهم ملجأ و لا مفرغ إلا الله تعالى، ولا قول إلا هذا القول "[1].وهو قصر حقيقي فيه مبالغة في بيان صلابتهم في الدين، وعدم تطرق الوهن الضعف إليهم كلية ، حيث نفى عنهم جميع الأقوال، أثبت لهم القول بطلب الغفران.

10. "﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[2] "

نوع القصر		نوع القصر باعتبار طرفيه	طريق القصر	المقصور	المقصور عليه
قصر حقيقي	فيه مبالغة	صفة على الموصوف	النفي والاستثناء	المملوك	نفسي وأخي

يوضح من السياق أن هناك رجلين كانا مع موسى عليه السلام هما " يوشع ابن نون و كالب ابن يوفنا " . وأثبت موسىv أنه لا يملك لنصة دين الله تعالى إلا نفسه وأخاه [3]. وقد وصفت الآيات بالخوف والرهبة، وهذا قمة الإيمان بالله ،" ﴿ قَالَ رَجُلانِ مِنْ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمْ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[4]." فما هو السر في إنكار موسى عليه السلام لهما ، وعدم اعتداده بهما ، على الرغم مما وصفها به من التقوى والخوف . ذكر الفخر الرازي في ذلك وجهين:

---

(1) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(2) سورة المائدة ، رقم الآية/ ٢٥.

(3) الطبري ج/ ٦، ص/١٢٢، وانظر في الكشاف ،م/1، ص/٦٠٤.

(4) سورة المائدة ، رقم الآية/ ٢٣

"فإن قيل لم قال لا أملك إلا نفسي وأخي ، وكان معه الرجلان المذكوران قلنا كأنه لم يثق بهما كل الوثوق ، لما رأى من أطباق الأكثرين على التمرد و أيضاً لعله إنما قال ذلك تقليلاً .

11. "قوله χ : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[1]."

بدئت السورة بقصر الحمد كله لله لإقامة الحجة على الذين بربهم يعدلون. اختلاف العلماء في إفادة "أل" هنا القصر ، فذهب بعضهم إلى أنها للجنس ، فتفيد الحصر ، وذهب بعضهم إلى أنها للاستغراق ، فلا تفيده. أنها سواء كانت للجنس أو للاستغراق ، فهي مفيدة للحصر.

12. "قوله β : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[2]."

في الآيتين الكريمتين أسلوباً قصر الأول في قوله تعالى :(" بِالْمُؤْمِنِيْنَ رَؤُوْفٌ الرَّحِيْم) ". حيث قدم المسند على مسند إليه لإفادة الاختصاص.

فالمقصور : رؤوف رحيم.

المقصور عليه : المؤمنين .

قصر الصفة على الموصوف قصر حقيقياً تحقيقاً فيه مبالغة ، أو هو قصر قلب.

أي رؤوف رحيم بالمؤمنين لا بغيرهم ، حيث أنزلت رحمته بغير المؤمنين منزلة العدم .

والقصر الثاني:في قوله تعالى: " عليه توكلت"

وهو قصر مستفاد عن طريق تقديم الجار والمجرور على عامله .

---

(1) الأنعام ، رقم الآية/ ١.

(2) سورة التوبة ، رقم الآية/ ٢٩.

المقصور : توكلت .

المقصور عليه : ضمير الجلالة في عليه .

قصر الصفة على الموصوف قصراً حقيقياً تحقيقياً .

أو هو قصر إضافي قصر إفراد ، أي عليه توكلت لا عليكم.

لما كان الرسولγ يا مر قومه بالجهاد والقتال ، وهو أمر صعب على نفس البشريه ، فقد يظن ظان أن في هذه قسوة منه γ ،فجاءت الآية تبين صفاته γ بأنه رسول من أنفسكم قريب الصلة منكم ومن قبلكم ، وهو حريص عليكم ، لا يريد بكم إلا الخير ،رؤوف رحيم وبعد هذا البيان لا يقفي لأحد حجة في معصيته التردد في تنفيذ أوامره ثم يجئ أسلوب القصر لتهديد و وعيد من تولى وأعرض بعد هذا البيان . الصريح من الله ، فمن تولى فقل حسبي الله لا إله إلا عليه توكلت ".

فأمر سبحانه وتعالى رسوله بتفويض أمره وقصر توكله على الله وحده لا عليكم فأن توليكم عنه لمن يضره لأنه قد قصر توكله على الله وحده وفي توكيد نصرة الله لرسوله تسلية له عن تولي المتولين وإعراض المعرضين.

13. "قوله β : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[1]."

كان الناس جاءوا للتعزية والتسلية إلى يعقوب عليه السلام و سلكو في هذا طريقة عادية وقالوا له هذا القول بطريق التسلية والتعزية والإشكاء. فقال عليه السلام :إنما أشكو ، مالي إليكم أو إلى غيركم ، إنما أشكو حزني وغمي إلى الله ، وهو قادر على كشف هذا الكرب ، وتجلى المصائب بفضله وهو يكفيني و أعلم من الله مالا تعلمون.إن الله رحيم كريم ،لا أرجع من بابه خاسر،فأرجو أن يرحمني ويكرمني ، وأنتم لا تعرفون رحمته ورأفته.وقال الزمخشري في معني هذا الآية " إني لا أشكو إلى أحد

(1) سورة يوسف ، رقم الآية/ ٨٦.

منكم ومن غيركم ، إنما أشكو إلى ربي داعياً له وملتجأً إليه ، فخلوني شكايتي ، وهذا معنى توليد عنهم أي فتولى عنهم إلى الله والشكاية إليه[1]. المقصود في هذه الآية " أشكو " والمقصور عليه هو : "إلى الله " أفادت "إنما " القصر الحقيقي ، قصر صفة على الموصوف .

النظم في اللغة والاصطلاح

النظم في اللغة يأتي بمعنى التأليف والجمع والضم،

وفي الاصطلاح : "تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني ، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل.[2] "

ويقول القزويني: "وتطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه الإمام عبدالقاهر بالنظم" . [3]

ومن بلاغة النظم الحذف في آية البسملة " بسم الله الرحمن الرحيم " فالجار والمجرور " باسم الله" متعلق بمحذوف تقديره بسم الله أبدأ أو ابتدائي أو أقرأ أو أتلو على خلاف في نوع المحذوف وموطنه [4] . ولا ريب في أن الحذف في الآية أبلغ من ذكر المحذوف (فلقد تحقق بالحذف هنا إيجاز تأدى معه الغرض كاملاً دون إخلال بالمعنى. كما أن مع الحذف تصلح العبارة لأكثر من فعل أو اسم مقدر يختلف باختلاف الموقف الذي تتلى فيه الآية الكريمة) [5] .

---

(1) الكشاف للزمخشري ، ج/ ٣، ص/ ٤٩٩.

(2) التعريفات للشريف الجرجاني ، ص/ 242. دار الكتب العلمية ، بيروت، ط/ 2، 1403هـ .

(3) دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني، تعليق محمود شاكر، ص/ 282-300. مكتبة الخانجي القاهرة.

(4) الكشاف ، ج/1، ص/ 26.، تفسير ابن كثير ، ج/1 ، ص/ 19.

(5) من بدائع النظم القرآني ، د. السيد حجاب، ص/ 86.

وإذا كان " الحمد والمدح أخوين " [1] ، وكان معنى الشكر قريباً منهما، فما سرُّ إيثار " الحمد" عليهما في قوله β : (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وما دلالة هذا الإختيار القرآني؟ .

فكأن من صدر منه الحمد يقول لمولاه χ : سواء أعطيتني أو لم تعطني فإنعامك واصل إلى كل العالمين، وأنت مستحق للحمد العظيم. [2] .

تأمل روعة النظم في قوله : (" كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ") فقد اقتضت البلاغة القرآنية الإيجاز بحذف الفعل والتقدير" يقولون لا نفرق" ووازن في كفتي ذوقك الحذف بالذكر لتجد الفرق بينهما، والإيجاز من مظاهر القوة في الأساليب.

شواهد النظم في الأدعية القرآنية

قوله β "﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ ﴾" [3]

وتأمل بلاغة النظم في هذا الدعاء، فقد افتتح بالنداء المكر (لإظهار كمال الضراعة والابتهال) [4] وأخبروا عن سماعهم داعي الإيمان على سبيل التأكيد ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا ﴾ لأنه (لما كانت حالهم .لمعرفتهم بأنهم لا ينفكون عن تقصير وإن بالغوا في الاجتهاد ، لأنه لا يستطيع أحد أن يقدر الله حق قدره شبيهة بحال من لم يؤمن، اقتضى المقام التأكيد إشارة إلى هضم أنفسهم بالاعتراف بذنوبهم فقالوا مع علمهم بأن المخاطب عالم بكل شيء ﴿ إِنَّنَا ﴾ فأظهروا النون إبلاغاً في التأكيد) [5] . والمنادى هو الرسول γ ، وأوثر على الداعي (للدلالة على كمال اعتنائه بشأن

---

(1) الكشاف، ج/1، ص/ 46.

(2) تفسير الرازي، ج/1، ص/ 218.، ومن بدائع النظم القرآني، ص/ 88-89.

(3) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 193.

(4) تفسير أبي السعود، ج/2،ص/ 85.

(5) تفسير أبي السعود، ج/2، ص/ 85، وتفسير البيضاوي، ج/1،ص/ 196. وفتح القدير، ج/1، ص/517.

الدعوة وتبليغها إلى الداني والقاصي، لما فيه من الإيذان برفع الصوت) ويتذوق العلامة أبو السعود بلاغة النظم في هذه الجملة "﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ ﴾" ويبين قيمة هذا التعبير وأثره في الإمتاع والإقناع فيقول : (وهذا أسلوب بديع يصار إليه للمبالغة في تحقيق السماع والإيذان بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل إلى تفصيله، واستحضار صورته، وقد اختص النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك، حيث عبر عن المسموع منه بالمنادى، ثم وصفه بالنداء للإيمان على طريقة قولك: سمعت متكلما يتكلم بالحكمة، كما أن التفسير بعد الإبهام والتقييد بعد الإطلاق أوقع عند النفس وأوجد بالقبول) [1]

قوله β : "﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [2]"

"ويرى عبد القاهر أن مرجع المزية والروعة أو الجمال في قوله β : " ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾" ليست لمجرد الاستعارة بل ترجع أيضاً إلى النظم، ممثلاً في إسناد الفعل " اشتعل" إلى " الرأس" فأفاد مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو أصل المعنى، الشمول وأنه قد استغرق وعم جملته... وهذا ما لا يكون إذا قيل: (واشتعل شيب الرأس، أو الشيب في الرأس) [3]."

ثم لتنأمل في السياق الكريم قوله ﴿لي﴾ بعد جملة ﴿ وأَصْلِح﴾ ذلك الجار والمجرور، وما أوحاه من شعور أبوي عميق صادق فيه قمة التلاحم والإنتماء بين الأب وأبنائه، ثم ما يطبعه في نفس السامع من شعور بحاجة الأب الصادقة القوية إلى صلاح ذريته وطاعتهم له... فلا شيء أسوأ من عقوق الوالدين ولا أشد مرارة عليهما من تجرع مرارة كأس فساد الأبناء وعدم استقامتهم . والعياذ بالله . .

---

(1) الكشاف، ج/1،ص/ 489.

(2) سورة مريم ، رقم الآية/ 4.

(3) دلائل الإعجاز، ص/ 100-102.

أم قوله : ﴿ فِي ذُرِّيَّتِي﴾ فقد ذكر الألوسي أن ﴿ أَصْلِحْ﴾ نزل منزلة الفعل اللازم ليفيد سريان الصلاح فيهم وكونهم كالآنية المحتوية على الشيء، المحتفظة به لتمكنه فيهم . وإلا صحَّ أن يقال : وأصلح لي ذريتي .

الفصل الثالث

شواهد الفصل والوصل والتقديم والتأخير في الأدعية القرآنية

تعريف الوصل : "هو العطف بين جملتين أو أكثر بواسطة الواو من أجل إشراك الجملة الثانية أو التالية في حكم الجملة الأولى" .

"وقد اقتصر الوصل على الواو دون بقية حروف العطف ، لأنها الوحيدة من الحروف العطف ، التي لا تفيد إلا مجرد الربط وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم بخلاف بقية الحروف" .[1]

يقول أحمد الهاشمي في كتابه : عطف جملة على أخرى بالواو.

الفصل ترك هذا العطف بين الجملتين .[2]

شواهد الوصل في الأدعية القرآنية

1. قوله β : ("قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)."[3]

المتتبع الباحث في الموصولات من الأدعية القرآنية ربما يرى التناسب بين الموصولتين و تلاؤمها في الاسمية و الفعلية ،و توافق الاسميتين منها في نوعية المسند من حيث الأفراد و التركيب و الظرفية ونحوها. كما يجد الفعليتين منها متناسبتين في الماضوية المضارعية ،كما ترى في : ("قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).[4] "

---

(1) الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل وعلى جميل سلوم ، ص / 85.

(2) جواهر البلاغة ، ص/164

(3) سورة آل عمران، رقم الآية /26

(4) سورة آل عمران، رقم الآية /26

2. قوله β : "﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي & وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي & وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي & يَفْقَهُوا قَوْلِي & وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي & هَارُونَ أَخِي & اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي & وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي & كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾ (1)"

ومن بلاغة هذه الآيات وصل جملة" اجعل " بجملة " اشرح" لاتحادهما إنشاء، وعلى رأي من أعرب" وزيراً " مفعولاً ثانياً لفعل " جعل " يكون تقديمه على المفعول الأول " هارون " للاهتمام والاعتناء بشأن الوزارة(2)

وقرأ الجمهور " ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي & وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ بصيغة الطلب الدعائي في فعلي " اشدد" بوصل الهمزة و " أشرك" بقطع الهمزة وفتحها، وعلى ذلك يكون المعنى: يا رب احكم به قوتي ، واجعله شريكي في أمر الرسالة حتى نتعاون على أدائها كما ينبغي (3) ،

3. قوله β : (" رَبِّ لَا تَذَرْنِيْ فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِيْن") (4)

إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والإنشائية معنى ، ولم يكن لهما محل من الإعراب ، وكان الفصل بينهما مفوت المقصود أو يوهم خلافه(5)، فإذا ترى الوصل بينهما لا محالة. كما في الدعاء المأثور عن النبي زكريا υ لإسترزاق الأولاد ،(رَبِّ لَا تَذَرْنِيْ وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِيْن) (6)، حيث عطفت الجملة الخبرية فيه على الإنشائية قبلها ، وذلك لغرض يبدوا عند إمعان النظر فيهما. وهو أن الوارث المسئول عنه في الجملة الأولى هو الوارث البشري في الدنيا ، دون الوارث الحقيقي (المطلق السرمدي الذي هو خير الورثة بقاءً سبحانه وتعالى) ، فللإيماء إلى ذلك الغرض وصلت الجملة

---

(1) سورة طه، رقم الآية/ 25-33.

(2) تفسير أبي السعود، ج/4، ص/ 277.

(3) تفسير أبي السعود،ج/ 4، ص/ 277.

(4) سورة الأنبياء ، رقم الآية / 89.

(5) وإما إذا لم يستلزم ترك الفصل أحدهما ، فيجب حينذاك ترك الوصل بين الجملتين ، نحو " سافر حامد سلمه الله".

(6) سورة الأنبياء ، رقم الآية / 89.

الثانية بالأولى بواسطة الواو العاطفة ، وأصبحت نذيلاً يوضح المسؤول عنه فيم أقبلها.

يقع الوصل بين جملتين يكون لأولاهما محلاً من الإعراب ، وقد قصد تشريك الثانية لها في حكم الإعراب ، حيثما لا يعوقه مانع من ذلك. فيكون حكمهما حكم المفردين المقتضيين مشاركتهما في الإعراب .

4. قوله β : (" وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا [1])"

وقد يكون الجامع العقلي هو التضائف بالذات بين الجملتين الموصولتين وهو التقابل بين الأمرين الوجودين بينهما غاية الخلاف ،يتعاقبان على محل واحد كالسواد والبياض كما ترى في دعاء المهاجر في سبيل الله : (وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا [2]) بيدو منه التضائف بين الإدخال و الإخراج و متعلقيها.

كمال الاتصال

هو أن يكون بين الجملتين إتحاد تام وامتزاج معنوي ، حتى إتحاد تام وامتزاج معنوي ، حتى يترآئ كأنهما أفرغا في قالب واحد، وصوغتا في صيغة واحدة، بحيث تنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها، فتكون إحداهما مقصودة بالذات دون الأخرى . وذلك بأحد الوجود التالية .

شواهد كمال الاتصال في الأدعية القرآنية

1. "قوله Y:(اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ & صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ")

بأن تكون الجملة الثانية بمنزلة البدل الكل من الأولى مثل قوله Y : ("اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ & صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ

---

(1) سورة الإسراء رقم الآية: 80

(2) سورة الإسراء رقم الآية: 80

وَلاَ الضَّالِّينَ [1]")وقوله Y:(" الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ[2]) "، في الآية عطف بيان للذين اتقوا المذكورين في الآية السابقة ، فالفصل لكمال الاتصال.

2. بأن تكون الجملة الثانية شبيهة بالتوكيد (اللفظي والمعنوي) مثل قوله Y:(" رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ"[3])، التأكيد لمعنى هذه الجملة إن ، وبتوجيه الخطاب إلى الله عن طريق كاف الخطاب ، وبعود الضمير إلى الله مرة أخرى بعد الفعل (تخلف) .

3. قوله χ "﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ ﴾" جاء دون عاطف، لأن جملة ﴿ رَبَّنَا ﴾ ندائية كالأولى فبينهما كمال الاتصال.

4. قوله β : "(قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ) [4]"

وجاءت جملة : "﴿ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا ﴾" مفصولة عما قبلها لشبه كمال الاتصال، لأنها استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال زكريا عند مشاهدة الرزق عندها؟

5. قوله تعالى : "﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾"[5] بالعاطف على الآية السابقة، لأنه عطف بيان للذين اتقوا المذكورين في الآية السابقة، فالفصل لكمال الاتصال.

---

(1) سورة الفاتحة / 5-6.
(2) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 16.
(3) سورة آل عمران ، رقم الآية / 194.
(4) سورة آل عمران، رقم الآية/ 27
(5) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 16.

6. قوله β : " (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ & اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ) [1]"

والناظر بعين البلاغة يتذوق جمال الفصل في هذه الآية. فقد فصلت جملة "﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾" عن جملة "﴿ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾" ، وأرجع بعض المفسرين هذا الفصل إلى شبه كمال الاتصال أو لكمال الاتصال. أما الأول (فعلى تقدير عموم الاستعانة والصراط وخصوصهما يكون اهدنا بياناً للمعونة المطلوبة كأنه قال: كيف أعينكم في المهمات أو في العبادة فقالوا : اهدنا طريق الحق في كل شيء أو ملة الإسلام، وأما الثاني فعلى " تقدير عموم الاستعانة وخصوص الصراط يكون اهدنا إفرادا للمقصود الأعظم من جميع المهمات) [2].

والذي يبدو أن سبب الفصل راجع إلى كمال الانقطاع الواقع بين طبيعة الجملتين، فالأولى جملة خبرية والثانية جملة إنشائية طلبية.

5. قوله β : "﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي & وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي & وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي & يَفْقَهُوا قَوْلِي & وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي & هَارُونَ أَخِي & اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي & وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي & كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾" [3]

وفصلت جملة " اشدد به " عن جملة " اجعل لي وزيرا" (لكمال الاتصال بينهما، فإن شد الأزر عبارة عن جعله وزيراً ، وأما الإشراك في الأمر فحيث كان من أحكام الوزارة توسط بنهما العاطف) [4]

7. قوله β : "(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)"

---

(1) سورة الفاتحة، رقم الآية/ 4-5.

(2) روح المعاني ، ج/1، ص/ 93، وانظر تفسير أبي السعود، ج/1، ص/ 27.

(3) سورة طه، رقم الآية/ 25-33.

(4) معاني القرآن وإعرابه، ج/3، ص/ 356، والكشاف ، ج/2، ص/ 432، ونظم الدرر ، ج/5، ص/ 17.

وهو أن تكون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى ، وذلك لوقوعها جوابا عن سؤال مقدر يترشح من الجملة الأولى ، فلا تحتاج إلى الوصل بالواو، بل يفصل بينهما كما يفصل الجواب عن السؤال ، مثل قوله Y : "(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ") (1) ، في ختام الآية بقوله (إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) لطائف بلاغية منها :

الفضل لشبه كمال الاتصال عند البلاغيين بين هذا الختام "(إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)" وما سبقه ، لأن هذه الجملة جواب لسؤال نابع من الجملة السابقة.

تأكيد معنى الآية المتضمن بيان قدرته تعالى في تصريف الأمور كيف يشاء وهذا التأكيد يسمى عند البلاغيين تشابه الأطراف أو التناسب الذي يعد من المحسنات المعنوية التي تحسن الأسلوب وتؤكد المعاني في الأذهان.

8. قوله Y:"(فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ") (2)، وجاءت جملة :(قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا) مفصولة عما قبلها لشبه كمال الاتصال ، لأنها استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال زكريا υ عند مشاهدة الرزق عندها؟ فقيل : قال(يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا).

والاستفهام هناك وارد على حقيقته ويحمل في الوقت نفسه معنى التعجب أي من أين جاء لك هذا الرزق والأبواب مغلقة دونك (3).

---

(1) سورة آل عمران ، رقم الآية / 26.

(2) سورة آل عمران ، رقم الآية / 37.

(3) تفسير أبي السعود ، ج/1 ، ص / 473.

9. قوله Y :(" رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ)(1)"

ولم يعطف قوله "(قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ") لأنه استئناف كالسابق ، فالفصل بين هذه الجمل المبدوءة بـ (قال) لشبه كمال الاتصال.

10. قوله Y :(" قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ(2)) "

قالت متضرعة إلى ربها : (" رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) " فالفصل البلاغيين لشبه كمال الاتصال .

والاستفهام يحمل معنيين بلاغيين الأول : الاستبعاد العادي والتعجب والاستعظام من قدرة الله في خلق ولد على غير المعتاد.

والمعنى الثاني : الاستفهام في الوقت نفسه عن كيفية حدوثه.

11. قوله β : (" الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)" (3)

ولم تعطب هذه الآية على ما قبلها، لأنها بيان لبعض صفات أولي الألباب، فالفصل بين الآيتين عند البلاغيين لشبه كمال الاتصال فكان هذه الآية جاءت إجابة لسؤال سائل من هم أولوا الألباب؟ فقيل الذين يذكرون الله.

12. قوله Y :(" رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ") (1).

(**1**) سورة آل عمران ، رقم الآية / **41**.

(**2**) سورة آل عمران ، رقم الآية / **47**.

(**3**) سورة آل عمران، رقم الآية/ **191**.

الفصل لشبه كمال الاتصال عند البلاغيين ، لأن هذه الجملة جواب عن سؤال نابغ من السياق هو لماذا الله جدير بهذه المطالب ؟ فكان الجواب لأنه تعالى لا يخلف الميعاد.

الفصل:

هو أن يكون بين الجملتين تباين تام بأحد الوجهين مما يلي:

بأن تختلف الجملتان خبرا و إنشاء لفظا و معنى أو معنى فقط. فقد تكون الإنشائية مقدمة على الخبرية ،كما في :("رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) (2)"

كون الثانية فعلية حالية:

الجملة الفعلية إذا وقعت حالا مما قبلها في الكلام فنراها مفصولة في :

إذا كان فعلها مضارعا فلا جرم نرى الجملة المحتوية عليه مفصولة عما قبلها في الكلام ،وذلك لحصوله و مقارنته بذي الحال. ألا ترى دعاء المستعطف:(" رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ") (3)

وهو ترك العطف بين الجملتين ، إذا عرض لهما ما يوجب الترك (4)، أو يراد بالفصل عدم الربط بين أجزاء الكلام بحرف عطف . (5)

شواهد الفصل في الأدعية القرآنية :

---

(1) سورة آل عمران ، رقم الآية / 194.

(2) سورة آل عمران، رقم الآية : 38

(3) وردت الجمل في آيتين من سورة النمل، رقم الآية/19 و سورة الأحقاف، رقم الآية/ 15

(4) الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل ، ص/ 86.

(5) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها .

الأصل في الكلام العربي (إذا ترادفت الجمل فيه فوقع بعضها إثر بعض) أن تربط بالواو ، ليكون على نسق واحد ومنوال جيد. بيد أنه قد يعتري لها أسباب الفصل بينها ، وترى تلك الأدعية القرآنية في عدة مواقع كما يلي :

"﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾" (1)

بين "كسبت وعليها " وصل كمال الاتصال ، بيان

بين "ربنا ولا تحملنا" : وصل أيضاً فعل النهي ، الإنشاء

ونختتم القول بان هذه الفواصل القرآنية صيغت جميعها في عبارات رائعة مؤتلفة أخاذة تؤكد الفكرة وتثبت تعلقها بما قبلها وتحدث معه رنينا ذا أثر نفاذ يثق صلة السامعين بالمعنى. وللفواصل ضبطها في وحدتها المتكررة منا ولها وقها وإيقاعها المباين مباينة تامة للشعر.

النكات البلاغية: في هذه الآية الكريمة "الفصل و الوصل"

لا يكلف الله: فعل النهي "الإنشاء".

إلا وسعها: خبر

بين "كسبت" و "عليها" وصل كمال الاتصال، بيان.

لا تؤاخذنا: فعل النهي الإنشاء

و لا تحمل: فعل النهي الإنشاء

اصرا كما حملته: خبر

بين "ربنا ولا تحملنا" وصل، و أيضا فعل النهي الإنشاء

---

(1) سورة البقرة، رقم الآية/ 286

و اعف عنا و اغفرلنا و ارحمنا" كل هذا الإنشاء لأن فيه التجاء أو رجاء من سبحانه و تعالي.

كمال الانقطاع:

هو أن يكون بين الجملتين تبائن تام بأحد الوجهين مما يلي :

بأن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى أو معنى فقط ، فقد تكون الإنشائية مقدمة على الخبرية ، كما في قوله Y : "(رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء[1] ")، ونحو : "(وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ)[2]."

كون جملة فعلية حالية .

الجملة الفعلية إذا وقعت حالا مما قبلها في الكلام فنراها مفصولة في صورة، إذا كان فعلها مضارعا فلا جرم نرى الجملة المحتوية عليه مفصولة عما قبلها في الكلام ، وذلك لحصوله ومقارنته بذي الحال ، ألا ترى دعاء المستعطف : "(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) "[3]، حيث وقعت الجملة (ترضاه) مفصولة عما قبلها لكونها حالاً متأبطا قبلها لكونها حالا متأبطا للفعل المضارع ، وكذلك دعائه :(اللهم اجعلني أعظم شكرك)[4] ، فإن تقدير العبارة : " اللهم اجعلني شكوراً حال كوني أعظم شكرك".

تقديم المسند أو تأخيره

---

(1) سورة آل عمران ، رقم الآية / 38.

(2) سورة الأعراف ، رقم الآية / 156.

(3) سورة النمل ، رقم الآية / 19.

(4) الترمذي ، ج/2 ص/ 300

يقول أحمد الهاشمي في كتابه :يقدم المسند إذ وجد باعث على تقديمه، كأن يكون عاملاً أو مما له الصدارة في الكلام أو إذا أريد به غرض من الأغراض. يؤخر المسند: لأن تأخيره هو الأصل وتقديم المسند إليه أهم . [1]

شواهد التقديم و التأخير في الأدعية القرآنية

1. قوله β : "﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ و إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾" [2]

فن التقديم فقد قدّم الضمير لحصر العبادة والاستعانة بالله وحده، وقدمت العبادة على الاستعانة لأن الاستعانة ثمرتها وإعادة إياك مع الفعل الثاني تفيد أن كلاً من العبادة والاستعانة مقصود بالذات فلا يستلزم كل منهما الآخر ولأن الكاف التي مع إيّا هي الكاف التي كانت تتصل بالفعل أعني بقوله نعبد لو كانت مؤخرة بعد الفعل وهي كناية عن اسم المخاطب المنصوب بالفعل فكثّرت "بإيّا" متقدمة وكان الأفصح إعادتها مع كل فعل.[3]

2. قوله β : " ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾"[4].

ذهب أئمة التفسير وعلى رأسهم الزمخشري[5]،وتبعه الفخر، والبيضاوي و أبو السعود والشوكاني والآلوسي، أن التقديم في الآية مفيدة للاختصاص.

قال الزمخشري :

"وتقديم المفعول لقصد الاختصاص ، كقوله تعالى . قل أفغير الله تأمروني أعبد . قل أغير الله أبغي رباً ، والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة " [6] وبمثل هذا قال شراح التلخيص حيث إستدلوا على إفادة القصر بقول أئمة التفسير ، فذكر الدقوسي أن "... التقديم للاختصاص وإنما كان كلام الأئمة في تفسير الآيتين دليلاً

---

(1) جواهر البلاغة ، ص/144

(2) سورة الفاتحة، رقم الآية/ 5.

(3) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/1 ، ص/16.

(4) سورة الفاتحة ، رقم الآية/ 5

(5) الكشاف ، مً ، ص /٦٠.

(6) الكشاف ، ج/1، ص/ 251 ، ص ٦٢.٦١.

على أن التقديم مفيد للاختصاص لأنه لم يوجد في الآيتين من آلات الحصر إلا التقديم ، وقد قالوا معنى الآيتين كذا فلو كان الاختصاص من مجرد ما علم من خارج ، وأن التقديم لمجرد الاهتمام كما قيل : لم يناسب أن يقال : أن معنى الآيتين كذا ، بل يقال وأستفيد مما تقرر من خارج ، أن لا عباده ، وأن لا استعانة لغيره"[(1)] .

وذهب الإمام ابن عطية إلى أن : تقديم المفعول هنا للاهتمام فقال : "وقدم المفعول على الفعل اهتماما ، وشأن العرب تقديم الأهم ، ويذكر أن عربياً سبب آخر ، فأعرض السبوب عنه ،فقال له الساب : إياك أعني فقال الآخر له وعنك أعرض ،فقدما الأهم"[(2)].و إلى مثل هذا ذهب الإمام أبو حيان ، وذكر أن الزمخشري زعم أنه : لا يقدم المعمول وعلى العامل إلا للتخصيص. فكأنه قال ما نعبد إلا إياك ، ورد عليه بقول الأعرابي السابق الذكر وبقول سيبويه. فقال : إيا مفعول مقدم ، والزمخشري يزعم أنه لا يقدم على العامل إلا للتخصيص فكأنه قال: ما نعبد إلا إياك .وقد تقدم الرد عليه في تقديره : بسم الله أتلو ، وذكر[(3)] ما نص سيبويه هنا ك فالتقديم عندنا إنما هو للاعتناء ولاهتمام بالمفعول[(4)]، ويترجح ما قاله الشهاب أنه ليس في كلا م الإمام الزمخشري ما ينافي كون التقديم يفيد الاهتمام .

3. قوله β : " (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) " [(5)]

فهم يتجهون إلى ربهم بهذا الدعاء المتضمن طلب الرحمة والعون والنجاة من الضلال [(6)] ولذا صرحوا بقولهم : "﴿ من لَّدُنكَ﴾" وجاؤوا به مقدماً على ﴿ رحمةً ﴾ لأن تيسير أسباب الرحمة كائن بتقدير الله ، إذ لو أراد سبحانه لكان الإنسان مُعَرَّضاً

---

(1) شروح التلخيص ، حاشية الدقوسي ، ج/ ٢، ص/ ١٦٥.١٦٨.
(2) المحرر الوجيز لإبن عطية ج/١ ، ص/ ٢٤ .
(3) البحر المحيط ، ج/ ١، ص/ ٢٤.
(4) حاشية الشهاب ، ج/ ١، ص /١٢٠.
(5) سورة آل عمران، رقم الآية/ 8.
(6) في ظلال القرآن ، ج/3، ص/ 371.

لنزول المصائب والشرور في كل لحظة، ولكن رحمة الله تحيط به، لأنها رحمة وسعت كل شيء [1] .

ولبيان حرص المؤمنين على الرحمة الآتية من ربهم جاء تقديم الجار والمجرور في قولهم "﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً ﴾ " على المفعول الصريح : ﴿رَحْمَةً ﴾ .

كما أن في هذا التقديم تشويقاً إلى المؤخر، فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة لوروده، لاسيما عند الإشعار بكونه من المنافع التي يحرص الإنسان عليها [2] .

4. قولهβ : "(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ & تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ") [3]

وتقديم الجار والمجرور ﴿ بيدِكَ ﴾ على ﴿ الْخَيْرُ﴾ يفيد معنى القصر أو التخصيص أي بيدك يا الله وحدك الخير كله.

ولعل تقديم الليل على النهار في هذا السياق القرآني وفي غيره يدل على الأصل في هذا الكون وهو الظلام .

ولعل من أسرار تقديم ﴿الحيَّ﴾ على ﴿ الْمِيّتِ ﴾ في ﴿ وَ تُخْرِجُ الحَيّ مِنَ المَيّتِ ﴾ التنبيه على عظيم قدرة الله في إخراج من يتصف بالحياة ممن يتصف بالموت.

---

(1) تفسير التحرير والتنوير ، ج/ 3 ، ص/ 170.

(2) تفسير أبي السعود، ج/1 ، ص/ 442.

(3) سورة آل عمران، رقم الآية/ 26-27.

5. قوله β : " (إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ & فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ& فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ") [1]

وتقديم الجار والمجرور : ﴿لَكَ﴾ يفيد كمال الاعتناء بجعل النذر لله وحده. والتعبير عن الولد بـ ﴿ مَا﴾ لأن أمره لا يزال مبهماً .[2]

وتقديم ﴿بِكَ﴾ في "﴿ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾" على ﴿ وَذُرِّيَّتَهَا ﴾ لإبراز كمال العناية بالالتجاء إلى الله في طلب الحفظ لمريم وذريتها [3].

والمتأمل في هذا النظم القرآني يجد أن تقديم ﴿ كُلَّمَا ﴾ على الفاعل ﴿زَكَرِياً ﴾ يدل على كمال عناية الله بأمرها ففي أي وقت يدخل عليها زكريا يجد عندها رزقاً .[4]

6. قوله β : "﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [5]"

وتقديم لفظ الجلالة على يخلق يفيد تحقيق الخبر وتقريره في النفس.

7. قوله β "﴿ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾[6]"

---

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/ 35–36

(2) تفسير أبي السعود، ج/1، ص/ 469. التحرير والتنوير ، ج/3، ص/ 332.

(3) التحرير والتنوير ، ج/3، ص/ 235، وفي ظلال القرآن ، ج/3،ص/ 393.

(4) تفسير أبي السعود ، ج/1،ص/ 472 .

(5) سورة آل عمران، رقم الآية/ 53.

(6) سورة آل عمران، رقم الآية/ 147.

وجاء هذا الدعاء على ترتيب عجيب، ذلك أنهم قدموا قولهم: ﴿ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾ ، لأن الذنوب من أسباب هزيمة المؤمنين أمام الكفار.

فلهذا المعنى وجب تقديم التوبة والاستغفار على طلب النصرة.

وتقديم دعاء الثناء على دعاء الطلب، لأنه أرجى في إجابة الدعاء.

وتقديم الدعاء بغفران الذنوب في معرض طلب النصر على الأعداء ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاة وطهارة وخضوع، ويكون أقرب إلى الاستجابة[1].

وأضافوا الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين، هضماً لها واستنصاراً [2] .

8. وقولهم : "﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾" [3]مبالغة في طلب الوقاية من النار وبيان لسببه.

9. قوله β : "﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾" [4]

وقدم طلب الأمن على سائر المطالب المذكورة بعده لأهميته، (لأنه إذا انتفى الأمن لم يفرغ الإنسان إلى شيء آخر من أمور الدين والدنيا) [5]

ومما يلفت النظر هنا تقديم الأرض على السماء خلافاً لما هو غالب في القرآن من تقديم السماء على الأرض، ولعل ذلك لغرض اقتضاه التناسق الصوتي بين لفظة السماء وموقف الدعاء، فلهذا قدمت الأرض وأخرت السماء وجعلت فاصلة ختمت بها الآية لما في السماء من مد يتناسب وموقف الدعاء الخاشع المطمئن، ولو قدمت السماء وأخرت الأرض وجعلت فاصلة لما تم ذلك التناسق الصوتي العذب.

وتأمل بلاغة الحذف في قوله " ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي ﴾" أي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي . وقيل بمعنى الولاية في

---

(1) الكشاف، ج/1، ص/ 416.

(2) الكشاف، ج/1، ص/ 416.

(3) سورة آل عمران، رقم الآية/ 191

(4) سورة مريم، رقم الآية/ 5.

(5) فتح القدير، ج/3، ص/ 112.

الموالي أي خفت الذين يلون الأمر من ورائي أي بعد موتي. [1] وفي قوله β : ﴿ مِن لَّدُنكَ ﴾ (تأكيد لكونه وليا مرضياً بكونه مضافاً إلى الله تعالى وصادرا من عنده)[2] وتأخير " وليا" عن الجارين (لإظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر ، فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مستشرفة له، فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن، ولأن فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتأخيرهما عن الكل أو توسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم) [3] ، وآثر التعبير بالولي عن الولد (لبعد ذلك عنده لكبره وكون امرأته عاقراً) [4] .

10. قوله β: "﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[5] "

فقد استوهب الحكم أولاً، ثم طلب الإلحاق بالصالحين، والسر فيه دقيق جداً، ذلك أن القوة النظرية مقدمة على القوة العملية، لأنه يمكنه أن يعلم الحق وإن لم يعمل به ، وعكسه غير ممكن ، لأن العلم صفة الروح والعمل صفة البدن، وكما أن الروح أشرف من البدن، كذلك العلم أفضل من الصلاح.[6]

11. قوله β : "﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾" [7]

ولعل في تقديم الدعاء بالشكر وعمل الصالحات على الدعاء بصلاح الذرية، لعل في ذلك نكتة بلاغية دقيقة إذ إن المتقدمين هنا هما أكثر أهمية من غيرهما، وتعود

---

(1) الكشاف، ج/2، ص/ 405.

(2) الكشاف، ج/2، ص/ 405.

(3) تفسير أبي السعود، ج/4، ص/ 228

(4) البحر المحيط، ج/6، ص/ 172.

(5) سورة الشعراء ، رقم الآية/ 83.

(6) الجدول في إعراب القرآن ، ج/19. ص/ 91.

(7) سورة النمل ، ر قم الآية / 19.

أهميتهما إلى أن كل منهما اشتغال بتعظيم الله β ، ودليل على الوفاء بحق الطاعة وكمال الخضوع، أما المطلوب وهو المتأخر فأقل أهمية لأنه خاص بخلق الله β ، إذ لا مجال هنا للمقارنة بين أهمية الأمرين، فالفرق كبير ولا شك، يقول الفخر الرازي ، في ذلك:

(والاشتغال بالطاعة الظاهرة اشتغال بطلب النعم المستقبلة وقضاء الحقوق الماضية يجري مجرى الدين وطلب المنافع المستقبلة طلب للزوائد. ومعلوم أن قضاء الدين مقدم على سائر المهمات. فلذا يجب الشكر على سائر الطاعات، وأيضا قدم طلب التوفيق على الشكر، وطلب التوفيق على الطاعة على طلب أن يصلح به ذريته، وذلك لأن المطلوبين، الأولين اشتغال بالتعظيم لأمر الله والمطلوب اشتغال بالشفقة على خلق الله ومعلوم أن التعظيم لأمر الله يجب تقديمه على الشفقة على خلق الله) [1].

تقديم أسماء الله الحسنى

تختم كثير من آيات القرآن الكريم باسم أو اسمين من أسماء الله الحسنى واقتضت البلاغة أن يتقدم اسم على اسم آخر لداع من الدواعي، وأن تكون هناك مناسبة ومؤاخاة معنوية بين الحكم المذكور والأسماء الكريمة التي ترد في فواصل الآيات ولأجل ذلك فسيكون حديثنا بإذن الله عن :

1. تقديم اسم على آخر.
2. المناسبة والمؤاخاة المعنوية.

تقديم اسم على آخر. السميع ـ العليم ـ الحكيم

هذه الأسماء الكريمة الثلاثة ترد في القرآن معرفة بالألف واللام وغير معرفة بهما في فواصل القرآن. فقد ورد الاسم الكريم " السميع" فاصلة في سبع وثلاثين موضعاً من القرآن الكريم ، وكان يتقدم فيها الاسم الكريم " السميع" على " العليم"

---

(1) تفسير أبي السعود، ج/4، ص/ 228

وتأتي الفاصلة معرفة بأل أحياناً ومجردة منها أحياناً أخرى. ولم يرد السميع مع العليم إلا في سبعة مواضع أخرى.

وورد الاسم الكريم " السميع" مع " البصر" في ستتة مواضع معرفين بالألف واللام في موضع، ومجردين منهما في خمسة، وورد السميع مع قريب في موضع واحد مجرداً من الألف واللام.

وأما الاسم الكريم " العليم" فأكثر حالاته ورودا مع الاسمين الكريمين سميع وحكيم وكان يتأخر عن سميع ويتقدم على حكيم في أكثر المواضع وورد مع حكيم في ثلاثين موضعاً وورد مع أسماء أخرى مثل: حليم وواسع وخبير وقدير وعزيز وفتاح وخلاق وشاكر وغير ذلك.

قد تقدم السميع على العليم في مواضع كقوله β على لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام "﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾" [1]

وقوله β: "﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [2] "

ولعل السبب في هذا التقديم أن السمع في تقديرنا نحن البشر من عمل الحس. والسمع ليس مجرد السمع وإنما هو السمع الذي يفيد علما بما يقع في الحياة من أحداث وأنباء، والعلم في تقديرنا أيضا هو مما وراء الحسن، وليس العلم مجرد علم قام على معطيات الحس وإنما هو استجلاء واستبصار لما وراء هذه المعطيات.

والسمع والعلم نثبتهما لله β بما يليق بجلاله وعظمته من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تكييف وكلامنا هنا إنما يتعلق بمعانيهما اللغوية. فالسمع يقع في كياننا أولا ثم يكون العلم ثانياً وإذا قدم سميع على عليم لأن ذلك يستقيم مع منطق وجودنا.

(**1**) سورة البقرة، رقم الآية/ **127**.

(**2**) سورة التوبة ، رقم الآية/ **103**.

ويقدم العليم على الحكيم حين تكون الحال داعية للعلم أولاً وللحكمة ثانياًكقوله β : " ﴿ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [1] . "

تقدم العلم على الحكمة لأنه هو المطلوب أولاً في هذا المقام فالملائكة حين عجز وعن إجابة قول الحق β : "﴿ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ "

اقروا بأنهم لا يعلمون شيئاً إلا أن يعلمهم الله إياه، فهم يطلبون علم الله وعلم الله سبحانه وتعالى يصيب من يشاء بحسب ما تقضي به حكمته.

"﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [2]"

عليه توكلت : أي : أخُصُّه وحده بتوكلي، وقد فهم هذا من تقديم المعمور على عامله.

ونظير هذا كثير في القرآن مثل: ﴿ وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا ﴾ ﴿ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾

"﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾" [3]

أي : ولو ترى أنت يا أيها الصالح لمثل هذا الخطاب أيا كنت.

____

____

____

____

(1) سورة البقرة، رقم الآية/ 32.

(2) سورة التوبة ، رقم الآية / 129.

(3) سورة السجدة ، رقم الآية/ 12.

الفصل الرابع

شواهد الخبر والإنشاء في الأدعية القرآنية

تعريف الخبر

لغة : "النّبَاء جمع أنباء ، وخبر جمع أخبار وأخابير ورجل خابر وخبير : عالم به ، والخِبرُ والخِبرةُ، العلم بالشيء [(1)]"

الخبر : يقول أحمد الهاشمي في كتابه : "كلام يحتمل الصدق[(2)] والكذب[(3)] لذاته. والخبر هو ما يتحقق مدلوله في الخارج بدون النطق به . " [(4)]

"هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب بإعتبار كونه مجرد كلام، دون النظر إلى قائله. [(5)]"

الأصل في الخبر أن يلقي لأحد غرضين:

أ. إما إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ن إذا كان المخاطب جاهلاً له، ويسمى هذا النوع (فائدة الخبر) ، نحو: " الدينُ المعاملة" .

ب. وإما إفادة المخاطب أن المتكلم عالم أيضاً بأن المخاطب يعلم الخبرَ ، كما تقول لتلميذ أخفى عليك نجاحه في الامتحان، وعلمت من طريق آخر: أنت نجحتَ في الامتحان، ويسمى هذا النوع (لازمَ الفائدة) لأنه يلزمُ في كل خبرٍ أن يكونَ المخبرُ به عنده علمٌ أو ظن به.

---

(1) القاموس المحيط، ص/ 488.

(2) المراد بصدق الخبر مطابقته للواقع ونفس الأمر.

(3) المراد بكذبه عدم مطابقته له .

(4) جواهر البلاغة ، ص/53

(5) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص/ 167

وقد يخرج الخبرُ ن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرفي تستفادُ بالقرائن، ومن سياق الكلام ، منها:

1. الاسترحام الاستعطاف ، نحو: إني فقير إلى عفوِ ربي.
2. إظهار الضعف والخشوع، نحو : " ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ "(1)
3. إظهار التحسر على شيء محبوب، نحو : "﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنْثَى﴾ (2) . "

شواهد الخبر في الأدعية القرآنية

قوله β : "﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (3)"

جملة الحمد لله خبر لكنها استعملت لإنشاء الحمد وفائدة الجملة الاسمية ديمومة الحمد واستمراره وثباته.

قوله ε : (" إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (4)"

إن من أول السورة على قوله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) ثناء والثناء في الغيبة أولى ومن قوله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) إلى آخر السورة دعاء والدعاء في الحضور أولى.

العبد لما شرع في الصلاة وقال نويت أن أصلي تقرباً إلى الله فينوي حصول القوية ثم إنه ذكر بعد هذه النية أنواعا من الثناء على الله فاقتضى الله إجابته في تحصيل القربة فنقله من مقام المغيبة إلى مقام الحضور فقال : " (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) . (5)"

---

(1) سورة مريم ، رقم الآية/ 4.

(2) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 36.

(3) سورة الفاتحة رقم الآية / 2.

(4) سورة الفاتحة، رقم الآية/ 5.

(5) التفسير الكبير، ج/1، ص/ 256.

هذا وقال الجاحظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير: وتحول الكلام من ا لغيبة إلى المواجهة لأنه لما أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى فلهذا قال ε : " (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ") بكاف الخطاب وفي هذا دليل على أن أول السورة خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه بجميل صفاته الحسنى وإرشاد لعباده بأن يثنوا عليه بذلك [1].

قوله β : "﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [2]"

"فائدة الخبر في قوله β : ﴿ إِنِّي وَضَعْتُهَا ﴾ للتحسر ، وليس مرادها الإخبار بمفهومه، لأن الله عالم بما وضعت بل المراد إظهار الحسرة لما فاتها من تحقيق وعدها والوفاء بما التزمت به والاعتذار حيث أتت بمولود لا يصلح للقيام بما نزرته. [3]"

"المراد بالخبر في قوله β حكاية عن نفسه: ﴿ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ لازم الفائدة، والقصد منه إفادتها دون التصريح بما سيكون من شأن المولود الذي لم تأبه له بادئ الأمر، وهي جاهلة مآل أمر هذه المولودة التي ستلد رسول الرأفة والسلام. [4] "

"والمراد بالخبر في قوله β : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى ﴾ نفي الاعتقاد السائد بين الناس بوجود تفاوت بين الأولاد، وإن هذا التفاوت الذي يبدو للوهلة الأولى، إنما هو أمر ظاهري لا يثبت عند الابتلاء والتجربة، فإن الغيب أعمق غوراً من أن

---

(1) مختصر تفسير ابن كثير، ج/1، ص/ 22.

(2) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 36.

(3) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/1 ، ص/ 498.

(4) نفس المرجع

يسبروه، وأبعد منالاً من أن يدركوه، وكم من النساء من فاقت الرجال وأربت عليهم في الدرجات . "[1]

(قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى) فائدة الخبر للتحسر .

فليس الغرض من هذا الكلام الإخبار لأنه إما للفائدة أو للازمها، وعلم الله تعالى محيط بهما، فيكون لمجرد التحسر والتحزن.

المراد بالخبر في قوله β (وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ) لازم الفائدة، وليس المراد الرد عليها في إخبارها بما هو سبحانه أعلم به كما يتراءى من السياق بل الجملة (اعتراضية) سيقت لتعظيم المولود الذي وضعته وتفخيم شأنه والتجهيل لها بقدرة ، أي والله أعلم بالشيء الذي وضعته وما علق به من عظائم الأمور ودقائق الأسرار وواضح الآيات، وهي غافلة عن ذلك كله.

(وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ) أتى هنا بخبر إن فعلاً مضارعاً دلالة على طلبها استمرار الاستفادة دون انقطاعها هذا بخلاف (وضعتها ، وسميتها) حيث أتى بالخبرين ماضيين لانقطاعهما وقدم المعاذ به على المعطوف الآتي اهتماماً به. [2]

"قوله χ : (وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ) التفات من الخطاب إلى الغيبة إظهاراً لغاية الإجلال . [3]"

"وانظر على براعة النظم والترتيب في قوله : (وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) فقدم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران، (لأن تقديم الوسيلة على المسؤول أدعى إلى الإجابة والقبول) [4]"

حذف ما يقتضي الحذف، كمفعول سمعنا أي" سمعنا أمرك" ، وكحرف النداء في جملة النداء الاعتراضية "ربنا" وإيثار نداء" الرب مع الإضافة عليه وملاءمتها

(1) نفس المرجع.
(2) الجدول في إعراب القرآن ، ج/1، ص/ 163-164.
(3) الجدول في إعراب القرآن ، ج/1، ص/ 164.
(4) تفسير أبي السعود، ج/1، ص/ 327.

لموقف الدعاء لما توحيه من (الإلحاح في التضرع والابتهال والجؤاز) [1] ولأن إجابة الدعاء من مقتضيات الربوبية.

"قال الله β : ﴿ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ ﴾ [2]"

هذا من دعاء يوسف الصديق، حين اشتاق إلى لقاء ربه، والمعنى: يا مبدع السماوات والأرض وخالقها وبارئها، أنت ولي في الدنيا والآخرة، أي: ناصري ومتولي أمري فيهما [3].

هذه الجملة من باب الخبر الواقع موقع الإنشاء (الدعاء) ، والمعنى كن وليي في الدنيا والآخرة.[4]

المسند إليه بالعلمية

يؤتى بالمسند إليه علماً لإحضار معناه في ذهن السامع، ابتداءً باسمه الخاص ليمتازَ عمّا عداه، كقوله تعالى : "﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ [5]"

تعريف المسند إليه بالموصولية

يؤتى بالمسند إليه اسم موصول، إذا تعين طريقاً لإحضار معناه، كقولك: الذي كان معنا أمس سافر، إذا لم تكن تعرف اسمه، أما إذا لم يتعين طريقاً لذلك، فيكون لأغراض أخر، ومنها: التنبيه على خطأ المخاطب: نحو قولهβ : "﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [6]"

"﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ & فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا

---

(1) تفسير أبي السعود، ج/1، ص/ 327.

(2) سورة يوسف، رقم الآية/ 101.

(3) تفسير الفخر الرازي، ج/18، ص/172.

(4) التحرير والتنوير، ج/13، ص/ 59.

(5) سورة البقرة، رقم الآية/ 127.

(6) سورة الأعراف، رقم الآية/ 194.

أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [1]"

وإما يتقدم ذكره " تلويحاً" كقوله تعالى : ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى ﴾ فالذكر وإن لم يكن مسبوقاً صريحاً، إلا أنه إشارةً إلى " ما" في الآية قبلة: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ فإنهم كانوا لا يحررون لخدمة بيت المقدس إلا الذكور، وهو المعنى بـ " ما " وسمى " كنائياً.

تعريف الإنشاء

الإنشاء: لغة الإيجاد

اصطلاحا : يقول أحمد الهاشمي في كتابه : "كلام لا يحتمل صدقاً أو كذبا لذاته[2] ."

الإنشاء الطلبي : "هو ما يستدعي مطلوباً عير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب. [3]"

الإنشاء غير الطلبي: هو ما لا يستدعي مطلوباً، إلا أنه ينشيء أمراً مرغوباً في إنشائه ، " وله صيغ تدل عليه" . [4]

شواهد الإنشاء في الأدعية القرآنية

تعريف الأمر :

لغة : فقد زادت اللغة على ذلك دلالات يسيره محدودة منها: الأمر النماء والبركة، والأمر بمعنى المعلم والعلامة، قال الأصمعي : الأمار والأمارة: الوقت والعلامة .[1]

---

(1) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 35-36.

(2) جواهر البلاغة ، ص/71

(3) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص/228

(4) نفس المرجع، ص/224

هو طلب تحقيق شيء ما ماديّ أو معنوي وتدُلّ عليه صيغ كلامية أربعة.[2]

يقول أحمد الهاشمي في كتابه : هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الإلزام، وله أربع صيغ .

طلب فعل طلباً جازماً على جهة الاستعلاء .[3]

قد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي، وهو " الإيجابُ والإلزام"، إلى معانٍ أخرفي تُستفادُ من سياق الكلام، وقرائن الأحوال.

1. كالدعاء في قوله β : "﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ [4] . "
2. والدوام، كقوله β : "﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾ [5]"

شواهد الأمر في الأدعية القرآنية

(" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) [6]"

الأمر في قوله " رب أرني" أفاد معنى الدعاء والتضرع، وهذا معنى من معاني فعل الأمر الذي خرج عن أصله.

الأمر بلفظ الخبر

اسمه ابن سراج فقد تحدث عن هذه الصيغة في معرض حديثه عن مسائل الدعاء والأمر والنهي حيث قال : (وقد يجيء الأمر والنهي والدعاء على لفظ الخبر تقول : أطال الله بقاءه ، فاللفظ الخبر والمعنى دعاء) [7]

---

(1) مقاييس اللغة ، ج/1، ص/ 13-139، والصحاح ، ج/2، ص/ 580-582، واللسان ، ج/1، ص/ 125-130.

(2) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص/228.

(3) شروح التلخيص ، ج/2، ص/ 308، والأساليب الإنشائية للدكتور صباح دراز، ص/ 15، وأساليب بلاغية للدكتور أحمد مطلوب، ص/ 110.

(4) سورة النمل، رقم الآية/ 19.

(5) سورة الفاتحة، رقم الآية/ 6.

(6) سورة البقرة، رقم الآية/ 160

(7) الأصول في النحو، ج/2،ص/ 170.

هذه الصيغة أكثر صيغ الأمر استخداماً في اللغة عامة، وفي نصوص القرآن الكريم خاصة وذلك لخفتها، وأصل وضعها للأمر، فقد أحصيت مواضعها في القرآن الكريم فكانت تبلغ 1848 موضعاً، سواء في ذلك فعل صحيح أو معتل، ومن الثلاثي أو غيره [1] .

ولصيغة فعل الأمر ستة أوجه، وهي للمخاطب، ثلاثة للمذكر، وثلاثة للمؤنث، وقد جاءت كلها في القرآن الكريم.

ويقول ابن فارس: (ويكون اللفظ خبراً، والمعنى دعاء وطلب، نحو : "﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾" [2] معناه فأعنّا على عادتك، ويقول القائل " أستغفر الله " والمعنى : إغفرْ" [3]

صيغة فعل الأمر

قوله β : "﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾" [4]

أي : ألن جانبك ، وتواضع لهما بفعلك، وكن لهما ذليلاً رحمة بهما،[5] والمقصود من هذا الأمر المبالغة في التواضع للوالدين، والله أعلم.

تخرج صيغة الأمر عن معناها الأصلي فتفيد معاني أخرى تفهم من السياق بمعونة القرائن ومقتضيات الأحوال، وفي القرآن الكريم تجد النظم كله بجرسه وألفاظه وتراكيبه يشارك في تصعيد المعنى وتجليته وبث الحياة فيه.

وذكر ابن الخطيب [6] أن في هذه الآية وجهين:

---

(1) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأولى ج/3، ص/ 479.

(2) سورة الفاتحة، رقم الآية/ 5.

(3) فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها للصاحبي ، ص/ 143، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ، 1418.

(4) سورة الإسراء ، رقم الآية/ 24.

(5) تفسير ابن كثير، ج/3، ص/ 50.

(6) هو أبو عبدالله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، (544–606) سلطان المتكلمين في عصره ، أتقن علوماً كثيرة، وبرز فيها وتقدم وساد، وصنف في فنون كثيرة، وروي عنه ندمه على الدخول في علم

1. " أن الطائر، إذا أراد ضمّ فرخه إليه للتربية خفض له جناحه، فلهذا صار خفض الجناح كناية عن حسن التربية، فكأنه قال للولد: اكفل والديك، بأن تضمّمها إلى نفسك، كما فعلا ذلك بك حال صغرك. "

2. "أن الطائر ، إذا أراد الطيران والارتفاع، نشر جناحيه، ورفعهما، ليرتفع، وإذا أرد ترك الطيران والارتفاع، خفض جناحيه، فجعل خفض الجناح كناية عن فعل التواضع واللّين.[1] "

وقال الزمخشري : " فإن قلت : ما معنى الذلّ ؟ قلت فيه وجهان:

أحدهما : أن يكون المعنى : واخفض لهما جناحك ، كما قال: "﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ " [2] فأضافه إلى الذُّلِّ أو الذِّلِّ ، كما أضيف حاتم إلى الجود على معنى : واخفض لهما جناحك الذَّليل الذَّلول.

والثاني : أن تجعل لذُلِّه أو لذِّلِّه جناحاً خفيضاً، كما جعل لبيد[3] للشمال يداً، وللقرة زماماً [4] ، مبالغة في التذلُّل والتواضع لهما . [5]

ومن شواهده في القرآن الكريم

قال الله تعال: "﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [1]"

الكلام، وله التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب، والمحصول في أصول الفقه، وغيرهما، انظر وفيات الأعيان ج/4،ص/ 248،

(1) التفسير الكبير، ج/20،ص/ 191، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1411.

(2) سورة الحجر ، رقم الآية/ 88.

(3) هو لبيد بن ربيعة مالك العامري (ت 41هـ) أحد أصحاب المعلقات، من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام، وهجر الشعر، له ديوان مطبوع، انظر الشعر والشعرا، ج/1 ، ص/ 280، والأعلام ، ج/5، ص/ 240.

(4) في قوله : وغداة ريح قد كشفت وقرّةٍ إذا أصبحت بيد الشمال زمامها

الشمال : ريح تهب عن يسار القبيلة، انظر كتاب العين ص/ 495، مادة " شمل" والقرة : البرد ، كتاب العين : ص/ 775 مادة " قر" ، يقول : كم من غداة تهب فيها الشمال، وبرد قد ملكت الشمال زمامه قد كففت عادية البرد عن الناس بنحر الجزر لهم.

(5) الكشاف ، ج/2، ص/ 658.

يذكر الله χ في هذه الآية الكريم دعاء حزب الإيمان وهم جنود طالوت ملك بني إسرائيل، وذلك حين واجهوا لعدوهم جالوت وجنوده ورأوا قلة جانبهم وكثرة عدوهم، اشتغلوا بالدعاء والتضرع، فقالوا: " ربنا أنزل علينا صبراً من عندك وثبتنا في ميدان الحرب ولقاء الأعداء وجنبنا الفرار والعجز، وانصرنا على من كفر بك وكذب رسلك وهم جالوت وجنوده. (2)

وفي ندائهم بقولهم : " ربنا " اعتراف منهم بالعبودية، وطلب لإصلاحهم، لأن لفظ " الرب" يشعر بذلك دون غيرها ، والله أعلم.

وأفعال الأمر التي وردت في الآية استعملت في معنى الدعاء لأنها صدرت من طالوت وجنوده إلى الله χ .

قال الله β : " ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (3)"

هذا من دعاء عيسى v حين دعى ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء لتكون عظة لهم ولمن بعدهم، ودليلا على ما ينصبه الله على قدرته على الأشياء، وعلى إجابة الله لدعوته v، فيصدقوه فيما يبلغه عن الله χ ، وأن يرزقه χ (4) .

وموضع الشاهد هو " أنزل" ، و " ارزقنا" إذ استعملت صيغتي الأمر في الدعاء الصادر من نبي الله عيسى بن مريم إلى الله χ .

والسر في أبلغية التعبير بلفظ الأمر عن الدعاء في مقدمه، يرجع إلى بيان مدى تلهف صاحب هذا الدعاء، وأهميته له، وحرصه على تحقيق مضمونه وقبول دعائه وسرعة إنجازه.

---

(1) سورة البقرة، رقم الآية/ 250.

(2) اللباب في علوم الكتاب ، ج/4، ص/ 289.

(3) سورة المائدة، رقم الآية/ 114.

(4) تفسير ابن كثير، ج/2، ص/160-161

قال الله β : مخبرا عن إبراهيم ν أنه قال: "﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء & رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [1]"

أي:رب اجعلني محافظاً على الصلاة مقيماً لحدودها، واجعل ذريتي كذلك مقيمين لها، ربنا تقبل دعاء فيما سألتك فيه كله، واغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم تحاسب عبادك فتجازيهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

مشتملاً لفظ الأمر " اجعلني" ، " تقبل" ، " اغفر" ، للدلالة على معنى الدعاء الصادر من نبي الله إبراهيم ν إلى الله β .

قال الله β : "﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي & وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي & وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي & يَفْقَهُوا قَوْلِي & وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي & هَارُونَ أَخِي & اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي & وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ "[2]

إذ جاءت صيغ الأمر " اشرح" ، "يسر" ، " احلل" ، "اجعل" ، " اشدد" ، "أشركه"، لغرض بلاغي هو الدلالة على معنى الدعاء الصادر من نبي الله موسى ν إلى الله χ حين دعا: رب وسع صدري للحق، وسهّل على أمري، واحلل هذه اللكنة الحاصلة في لساني حتى يفهموا كلامي، واجعل لي معيناً يساعدني ويكون من أهلي وهو أخي هارون، وقوّ به ظهري، واجعله شريكاً لي في النبوة وتبليغ الرسالة [3] .

قوله β : (" وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ[4])"

ثم جاءت الجملة ﴿ أَوْزِعْنِي ﴾ والملاحظ أن الفعل فيها جاء بصيغة الأمر، وقد خرج هنا إلى معنى الدعاء لأنه صاعد من العبد الذليل إلى الرب الجليلβ.[1]

---

(1) سورة إبراهيم ، رقم الآية / 40-41.

(2) سورة طه، رقم الآية/ 25-32.

(3) تفسير ابن كثير، ج/3، ص/ 199.

(4) سورة النمل، رقم الآية / 19

وقد غلبت الدلالتان الأمر بمعنى الشأن، وبمعنى الطلب، فهما أكثر الدلالات وروداً في القرآن الكريم. (2) .

شواهد النـهي في الأدعية القرآنية

تعريف النـهي :

النهي في اللغة :

"النهي في اللغة مصدر نهي: إذا زجره وكفه ". (3)

وفي اصطلاح البلاغيين :

"طلب الكف عن الفعل استعلاء ، وصيغته لا تفعل وهي حقيقة في التحريم. (4)"

يقول أحمد الهاشمي في كتابه : "هو طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام (5) . "

"هو طلب الكف عن شيء ما، ماديّ أو معنوي وتدل عليه صيغة كلامية واحدة. وهي الفعل المضارع الذي دخلت عليه " لا " الناهية . " (6)

---

(1) مجلة جامعة أم القرى ، ع/ 11، 1416، ص/ 26.

(2) مفردات الراغب ، ص/ 24-25، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ج/1، ص/ 49-50، وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي، ج/2، ص/ 39 وما بعدها، وذكر الفيروز آبادي لمادة أمر في القرآن ثمانية عشر معنى يمكن تداخل بعضها في بعض انظر بصائر ذوي التمييز ج/2، ص/ 40 وما بعدها.

(3) تحرير الدلالة مقاييس ، ج/5، ص/ 359 وما بعدها وأساس البلاغة ص/ 475 والصحاح ج/6، ص/ 2517 وما بعدها ، واللسان ج/6، ص/ 4564، والمفردات ، ص/ 507، ومعجم ألفاظ القرآن ج/2، ص/ 767 وما بعدها.

(4) شروح التلخيص ج/2، ص/ 324، والمطول، ص/ 241، والأطول ج/1، ص/ 249، والإتقان ج/3، ص/ 243 وما بعدها، ومعترك الأقران ، ج/1، ص/ 443، وغية الإيضاح، ج/2 ، ص/ 56، والأساليب الإنشائية، ص/ 68, وأساليب البلاغة، ص/ 116.

(5) جواهر البلاغة ، ص/77

(6) ميداني ، ص/ 228

النهي هو طلب الكفُ عن الشيء ممن هو أقل شأناً من المتكلم، وهو حقيقة في التحريم، كما عليه الجمهور ، فمتى وردت صيغة النهي أفادت الحظر والتحريم على الفور. واعلم أن النهي كالأمر، فيكون استعلاء مع الأدنى، ودعاء مع الأعلى، والتماساً مع النظير.

وقد تخرج هذه الصيغة عن أصل معناها إلى معان أُخر، تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال: كالدعاء، نحو قوله β : "﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [1] . "

شواهد النهي في الأدعية القرآنية

من المعاني المجازية التي يفيدها لفظ النهي بناء على ما اقتضاه سياق الكلام وارتضاه المقام معنى الدعاء وهو طلب الكف عن الفعل على سبيل الاستغاثة والعون والتضرع والخضوع والعفو والرحمة وما أشبه ذلك.

ويكون ذلك إذا صدرت صيغة النهي من الأدنى إلى الأعلى مع خضوع وتذلل.

واستعمال النهي في الدعاء إن عد من قبيل المجاز المرسل فعلاقته الإطلاق والتقييد لأن النهي طلب الكف عن الفعل على سبيل الاستعلاء واستعماله هنا في مطلق طلب الترك ثم في طلب الترك على سبيل التضرع.

ومن أمثله في القرآن الكريم :

قال الله β : "﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [2]"

في قوله β "﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾" يعني أنهم يقولون رغبة منهم إلى ربهم في أن يصرف عنهم ما ابتلى به الذين زاغت قلوبهم من اتباع متشابه

---

(1) سورة البقرة، رقم الآية/ **286**.

(2) سورة آل عمران، رقم الآية/ **8**.

أي القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله الذي لا يعلمه غير الله، يا ربنا لا تجعلنا مثل هؤلاء الذين زاغت قلوبهم عن الحق فصدوا عن سبيلك.

﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ لا تملها فتصرفها عن هداك ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ له فوفقتنا للإيمان بمحكم كتابك ومتشابه ﴿ وَهَبْ لَنَا﴾ يا ربنا ﴿ مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ يعني من عندك رحمة يعني بذلك : هب لنا من عندك توفيقا وثباتا نحن عليه من الإقرار بمحكم كتابك ومتشابهه ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ يعني إنك أنت المعطي عبادك التوفيق والسداد، للثبات على دينك وتصديق كتابك ورسلك[1].

في قوله β : ﴿ لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ لا تبلّنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ وأرشدنا لدينك، ولا تمنعنا الطافك بعد إذ لطفت بنا ﴿ من لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ بالتاء والياء ورفع القلوب[2].

﴿ رَبَنَا﴾ على النداء فجاز أن يكون في قول الراسخين وجاز أن يكون على إضمار قولوا ربنا ويكون قوله β ﴿ لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ أي لا تجعلنا من الذين في قلوبهم زيغ ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ وأضاف بعد إلى أذواذ إلى الجملة بعدها والمعنى بعد وقت هدايتك إيانا وختم بقوله ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ إشعار بأن جميع ما يحصل من الخيرات هو هبة من الله لهم وجاء بصيغة المبالغة ليدل على كثرة هباته تعالى [3].

قوله β : " ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ ﴾ [4]"

وهذا تعليم من الله β عباده المؤمنين دعاءه كيف يدعونه، وما يقولونه في دعائهم إياه معناه قولوا : ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا شيئا فرضت علينا عمله فلم نعمله

(**1**) تفسير الطبري ، ج/**2**، ص/ **187**.

(**2**) تفسير الكشاف، ج/**1**، ص/ **413**.

(**3**) تفسير البحر المحيط، ج/**2**، ص/ **386**.

(**4**) سورة البقرة، رقم الآية/**286**.

أو أخطأنا في فعل شيء نهيتنا عن فعله ففعلناه على غير قصد منا إلى معصيتك ولكن على جهالة منابة وخطأ.

قال ابن دريد في قوله : "﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾" إن نسينا شيئا مما افترضته علينا أو أخطأنا شيئا مما حرمته علينا.

وعن قتادة في قوله : "﴿ وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا ﴾ " قال: لا تحمل علينا عهداً وميثاقاً "﴿ كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾" يقول: كما غلظ على من قبلنا.

وعن مجاهد في قوله : "﴿ لاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾" قال: عهداً . وعن ابن عباس في قوله ﴿ إِصْراً﴾ يقول: عهداً.

وعن ابن جريج قوله : "﴿ لاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا ﴾" قال: عهداً لا نطيقه ولا نستطيع القيام به "﴿ كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾" اليهود والنصارى فلم يقوموا به فأهلكتهم.

وعن قتادة في قوله "﴿ رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾" تشديد يشدد به كما تشدد على من كان قبلكم.

وعن الضحاك في قوله : "﴿ رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾" قال: لا تحملنا من الأعمال ما لا نطيق قال ابن زيد في قوله "﴿ رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾" لا تفترض علينا من الدين ما لا طاقة لنا به فنعجز عنه .(1)

وقال ابن زيد في قوله : ﴿ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ قال: اعف عنا إن قصرنا عن شيء من أمرك مما أمرتنا به وكذلك وقوله : ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا ﴾ يعني: واستر علينا زلة أن أتيناها فيما بيننا وبينك فلا تكشفها ولا تفضحنا بإظهارها.

وقال ابن زيد ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا﴾ إن انتهكنا شيئا مما نهيتنا عنه.

---

(1) تفسير الطبري، ج/3، ص/ 155-156.

"وقال ابن زيد في قوله ﴿ وَارْحَمْنَآ﴾ قال: يقولك لا ننال العمل أمرتنا به ولا نترك ما نهينا عنه إلا برحمتك قال : ولم ينج أحد إلا برحمتك ".[1]

شروع في حكاية بقية دعواتهم أثر بيان من التكليف وقيل: استيفاء لحكاة الأقوال وقيل إن ذلك على تقدير الأمر أي قولوا في دعائكم ذلك فهو تعليم منه تعالى لعباده كيفية الدعاء والطلب وهذا من غاية الكرم ونهاية الإحسان يعلمهم الطلب ليعطيهم ويرشدهم للسؤال لتربيهم.

"والمؤاخذة المعاقبة وفاعل هنا بمعنى فعل، وقيل: المفاعلة على بابها لأن الله تعالى يؤاخذ المذنب بالعقوبة والمذنب كأنه يؤاخذ ربه بالمطالبة بالعفو إذ لا يجد من يخلصه من عذابه سواه فلذلك يتمسك العبد عند الخوف منه به فعبر عن كل واحد بلف المؤاخذة ولا يخفى فساد هذا إلا بتكليف". [2]

وقوله ﴿ لاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا ﴾ أي عبئاً ثقيلاً بأسر صاحبه أي يحبسه مكانه والمراد به التكاليف الشاقة وقيل: الأمر الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه، وقرئ (آصاراً) على الجمع وقرئ أي . ولا تحمّل . بالتشديد للمبالغة.

وقوله ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ هو استعفاء عن التكليف بما لا تفي به القدرة البشرية حقيقة فتكون الآية دليلاً على جواز التكليف بما لا يطاق وإلا لما سئل التخلص عنه.

﴿ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ أي أمح آثار ذنوبنا بترك العقوبة ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا ﴾ بستر القبيح وإظهار الجميل ﴿ وَارْحَمْنَآ ﴾ وتلطف علينا بما يوجب المزيد.

وقيل : ﴿ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ من الأفعال ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا ﴾ في الأقوال ﴿وَارْحَمْنَآ ﴾ بثقل الميزان [3]

---

(1) تفسير الطبري، ج/3، ص/ 156.

(2) تفسير روح المعاني، ص/ 70-71.

(3) نفس المرجع، ج/1، ص/ 71.

"قوله β : ﴿ لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ أي لا تؤاخذنا بالنسيان والخطأ إن فرط منا. فإن قلت: النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما؟ قال الزمخشري : ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والأغفال ألا ترى إلى قوله ﴿وَمَا أَنْسَانِيْهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ ﴾(1) والشيطان لا يقر على فعل النسيان وإنما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان. "

وقوله ﴿ وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا ﴾ والإصر : العبء الذي يأسر حامله أي يحبسه مكانه ولا يستقل به لثقله استبعد للتكليف الشاق من نحو قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك. وقرئ أصاراً على الجمع. وفي قراءة أبي : ولا تحمّل علينا بالتشديد قلت هذه للمبالغة.

وقوله ﴿ وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الإعفاء عن التكاليف الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزلت عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها. (2)

"من ذلك قوله تعالى على لسان نوح ν ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا & إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا & رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾" (3) دعا نوح ν في هذه الآيات الكريمات على قومه بالهلاك والدمار والاستنصال ، وهو يتم عن كره لهؤلاء الضالين المضلين الماكرين، فالنهي في قوله β ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ ﴾ وقوله ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ للدعاء عليهم، ونلمح في هذا الدعاء إيثار نوح ν التعبير بالفعل ﴿ تَذَرْ ﴾ لخلته وسرعته على الفعل ((تترك)) لأنه يصور ضيقة الشديد بهؤلاء الضالين حيث طلب من الله أن يستأصل شأفتهم ويجهز عليهم إجهازاً كاملاً لا يبقى منهم بقية لقلة

(1) سورة الكهف، رقم الآية/ 63.

(2) تفسير الكشاف، ج/1، ص/ 408.

(3) سورة نوح، رقم الآية/ 26-28.

الاعتداد ولذا أثر التعبير بقوله ﴿ دِيَّاراً﴾ تأكيدا لهذا المعنى وإلحاحًا في تدميرهم وإهلاكهم جميعاً في سرعة خاطفة.

وتتنوع أساليب الدعاء بعد النهي وتتفاوت في المقامات تساوقاً مع مستوى الضر والحاجة حيث نجد المضطر يخلص في دعائه وهذا ما أكده الحق χ بقوله ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ (1) في موقف الضر والحاجة يكون الإخلاص في الدعاء وتكون العبادة معبرة عن صاحبها موحية بمشاعره وخلجاته النفسية .

من ذلك قوله β على لسان زكريا ν ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (2) في هذه الكلمات القلائل التي دعا بها زكريا ربه تعبير قوي عن شدة حاجته للولد والذرية لكبر سنه حيث يكون الإنسان في هذه السن أحوج ما يكون إلى ولد يعوله ويرعاه، وهذا ما نلمحه من خلال إيثار التعبير بقوله ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا ﴾ حيث سأل ربه أن يرزقه ولداً يرثه ولا يدعه وحيداً بلا وارث، ثم إنه ν رد أمره إلى الله مستسلما فقال ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ أي إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير وارث . (3)

ومن دعاء الأنبياء أيضاً عن طريق النهي دعاء إبراهيم الخليل ν في معرض دعائه لأبيه قوله β : "﴿ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ & وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾(4)."

وعلى لسان موسىν وهارون ν قال تعالى : "﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ (5)".

وعلى لسان الرسول γ ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (6) .

---

(1) سورة النمل، رقم الآية/ **62**.

(2) سورة الأنبياء، رقم الآية/ **89**.

(3) الكشاف، ج/**2**، ص/ **582**.

(4) سورة الشعراء، رقم الآية/ **86-87**.

(5) سورة يونس، رقم الآية/ **88**.

(6) سورة المؤمنون، رقم الآية/ **94**.

فأساليب النهي في هذه الآية الكريمة بل السياق كله ينبض بالدعاء يجسد بجرسه الخفيف وألفاظه الموحية وتراكيبه المصورة الضعف الإنساني.

كما ورد الدعاء على ألسنة أهل الأعراف يوم القيامة قال تعالى : "﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ & وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾" [1]

تأتي هاتان الآيتان لترسم صورة واضحة المعالم لما أهده الله للمؤمنين من فضل وتكريم في يوم القيامة ، وهي صورة زاخرة بالحركة والمشاهد والحوار والإيحاء وتصوير المشاعر، فهي تصور مشهد أصحاب الجنة وقد إطمأن بهم المقام فيها ثم تتبعه بمشهد آخر لأصحاب النار، ثم ترسم بين المشهدين مشهداً ثالثاً لأصحاب الأعراف الذي قصرت بهم أعمالهم فلم يدخلوا الجنة وتقدمت بهم عن أن يكونوا من أهل النار، ثم تحكي ما بين الثلاثة من حوار موح، وتصور خلجات نفوسهم ومشاعرهم، وتعرض ذلك كله فيما يناسبه من صور البيان وفنون البلاغة [2] ، ويكفينا في هذا الموضع أن نتوقف عند أصحاب الأعراف وخاصة دعائهم الذي يجسد خوفهم وهلمهم الشديد من النار التي يعذب فيها المجرمون.

"﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾" فأبصارهم معلقة بالجنة وأصحابها يتحامون الالتفات إلى النار وأهلها وهذا ما يوحي به التعبير بقوله ﴿ وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ وقوله ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ ﴾ أي صرفاً دون إرادة منهم إلى أهل النار فزعوا إلى رحمة الله واستعاذوا بالله أن يكون مصيرهم مصير هؤلاء "﴿ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾" أي في النار وفي وصفهم بالظلم دون ما هم عليه حينئذ من العذاب

---

(1) سورة الأعراف، رقم الآية/ 46-47.

(2) أسلوب الدعوة القرآنية، ص/ 139.

وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء إشعار بأن المحذور عندهم ليس نفي العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدي إليه من الظلم . [1] .

تعريف الاستفهام

هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل وذلك بأداة من إحدى أدوات الاستفهام. [2]

والاستفهام يحمل معنيين بلاغيين الأول: الاستبعاد العادي والتعجب والاستعظام من قدرة الله في خلق ولد على غير المعتاد.

والمعنى الثاني: الاستفهام في الوقت نفسه عن كيفية حدوثه.

والاستفهام هنا وارد على حقيقته ويحمل في الوقت نفسه معنى التعجب أي من أين جاء لك هذا الرزق والأبواب مغلقة دونك؟ [3]

شواهد الاستفهام في الأدعية القرآنية

الاستفهام في قوله ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ أفاد معنى التعجب وهو معرفة كيفية إحياء الموتى، وإعادة الأرواح إلى الأجساد، ونظير ذلك قوله β : ﴿ أَنَّىَ يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [4] ، فإن قيل : كيف قال عزير v منكراً مستبعداً : ﴿ أَنَّىَ يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ وهو نبي ، والنبي لا تخفي عليه قدرة الله تعالى على إحياء قرية خربة وإعادة أهلها إليها؟ قلنا : ما قاله منكرا مستبعداً

---

(1) الكشاف، ج/2، ص/ 81، وتفسير أبي السعود، ج/2، ص/ 346، وفي ظلال القرآن ، ج/3، ص/ 1293، وأسلوب الدعوة القرآنية، ص/ 144.

(2) جواهر البلاغة، ص/ 79

(3) تفسير أبي السعود، ج/1، ص/ 473.

(4) سورة البقرة ، رقم الآية/ 259.

لعظيم قدرة الله تعالى ، بل متعجباً من عظيم قدرة الله تعالى أو طلباً لرؤية كيفية الإعادة، لأن " أنفي" بمعنى كيفية أيضاً" (1) .

لا الناهية تستعمل في الدعاء إذا كان الكلام بها صادراً من الأدنى للأعلى فالإنسان يدعو ربه راجيا منه أن يجنبه صفة ذميمة أو ضعفاً مهينا ولا يسمى الطلب بها عندئذ نهيا، وإنما يسمى دعاء ورجاء، وقد جاء ذلك كثيراً قال سيبويه " واعلم أن " لام " الأمر و " لام " في الدعاء بمنزلتهما في الأمر والنهي ، وذلك قولك : لا تقطع يمينك وليجزك الله خيراً"(2)

وقال المبرد : (والدعاء يجري مجرى الأمر والنهي، وإنما سمي هذا أمراً ونهياً وقيل للآخر طلب المعنى أما اللفظ فواحد وذلك قولك في الطلب " اللهم اغفرلي ولا يقطع الله يد زيد فإنما تقول : سألت الله ولا تقل أمرت الله" (3) . وقد جاءت للدعاء في مواضع كثيرة منها الآيات التالية قال الله تعالى : " ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾" (4)

والاستفهام في : "﴿ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ ﴾" معناه الاستعظام، والاستفهام عن كيفية حدوثه.(5)

وقد دفعه إلى هذا الاستفهام أنه قد بلغ من الكبر عتياً، وأن امرأته كانت عاقراً، فإذا جاء غلام لهما في هذا السن فإن هذا يعد أمراً عظيماً يدعو الإنسان إلى مثل هذا الاستفهام، ويدل في الوقت نفسه إلى التفكير في عظم قدرة الله سبحانه في أن يوجد لهما ولد في هذا السن.

---

(1) كتاب مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب أي التنـزيل ، ص/ 20، طبعة إدارة النشر والإشاعة للعلوم الإسلامية، بشاور.

(2) الكتاب لسيبويه ، ج/1، ص/ 408.

(3) المقتضب ،ج/2،ص/ 42.

(4) سورة البقرة، رقم الآية/ 286.

(5) تفسير أبي السعود، ج/1، ص/ 476.

إنها لقدرة جديرة بالتعظيم، وجديرة بالاستفهام عن كيفية حدوث الولد. وجاء إسناد البلوغ إلى الكبر في ﴿ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ﴾ على طريق القلب.

وأصله وقد بلغت الكبر، وفائدة إظهار تمكن الكبر منه، كأنه يتطلبه حتى بلغه، كقوله β : "﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ ﴾" [1] .

تعريف النداء

النداء : يقول أحمد الهاشمي في كتابه : "هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب " أنادي" المنقول من الخبر إلى الإنشاء. " [2]

ويقول عبد الرحمن : "هو طلب الإجابة لأمر ما بحرف من حروف النداء ينوب مناب " أدعو" . [3]"

"كثير من مأثورات الأذكار و الأدعية مبتدءة بالجمل الندائية. فقد نرى في جملة منها مصدرة بحرف النداء اللفظي تارة، وكثيرا ما تكون منصوبة المنادى بتقديرها أخر في ، مثل ﴿ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾[4] و ((رب اغفرلي خطيئتي وإسرافي في أمري كله)). و ربما نرى في جملة منها محذوفة الأداة الندائية مع التعويض منها بشيء في المنادى ، كالميم في ((اللهم)) المعوض[5] عن حرف النداء.

(**1**) سورة النساء، رقم الآية / **78**.

(**2**) جواهر البلاغة ، ص/ **53**

(**3**) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص/**240**

(**4**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **147**.

(**5**) ذلك ما سلك إليه جهابذة الفن البصريون. وقال النحاة الكوفيون : إن أصل ((اللهم)) (يا الله أمنا بخير) فحذفت حرف النداء و متعلقات الفعل و همزته تخفيفا ، و أبقيت الميم إمارة على المحذوف. فليست الميم عوضا عن حرف النداء المحذوف خاصة. بيد أن ما قالوا لا يخلو من الركاكة فان الميم المشددة لو كانت بقية فعل محذوف و متعلقاته لما صح أن يقال: ((اللهم اغفر لنا)) إلا بحرف العطف فيصبح تقدير العبارة حينئذ: ((يا الله ،أمنا بخير و اغفر لنا)). ولا ريب في أن المقدر كالملحوظ، فيعامل معاملته، و ليس الأمر هاهنا كما نرى . اللهم إلا أن يقال أن ((اغفر لنا)) عطف تفسير لقوله: ((أمنا بخير)) و لكن فيه ما فيه بعد. (منه) .

أن الياء الندائية لا تجتمع معه ، فلا يقال: ((يا اللهم)) لكي لا يلزم اجتماع المعوض و المعوض عنه في جملة واحدة. "

ثم إن التعويض عن حرف النداء المحذوف من خصائص جلالة اسم ((الله)) β ، لا يوجد فيما سواه كما أن من خصائصه: دخول حرف النداء عليه مع لام التعريف ، فيقال : ((يا الله)). ومنها دخول تاء القسم عليه فيقال: ((تا الله، لأكيدن أصنامكم)) و لا يقال ((تا الرحمن أو تا الرحيم)) و نحوهما.

ثم إن الياء خصت للنداء بأيّ أسم أو صفة من أسماء الله χ و صفاته الحسنى في باب الأذكار و الأدعية القرآنية، و طرحت ما عداها من حروف النداء المعروفة. و ذلك لأن بعضها و ضعت لنداء القريب خاصة، مثل الهمزة و (أي) و بعضها وضعت لنداء البعيد خاصة، نحو (أ) و(أيا) و (هيا). وأما الياء فوضعت لطلب الإقبال مطلقا (بعيدا كان المنادى أو قريبا).[1] و لذلك ناسب استخدامها في ندائه β بأيّ أسم من أسمائه الحسنى. فان الله β رتبة و تكبر ذاتا ، و الكبرياء ردائه. فلعلو رتبته نازل منزلة البعيد، و جعل بعد المنزلة كأنه بعد في المكان، بيد أنه β قريب من عباده سميع مجيب لهم في نفس الأمر، كما قال جل مجده: "(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ "[2]) فلذلك روعي في ندائه كلا جهتي قربه و بعده رتبة، فاستعمل فيه حرف الياء.

ثم لأمراء في أن النداء حقيقة هو تخصيص المنادى بطلب الإقبال على المنادى، و أن يكون حرف النداء نائبا مناب فعل (أدعوا) أو نحوه، منقولا من الخبرية إلى الإنشائية فتكون الجملة الندائية إنشائية لا محالة. بيد أن الأدعية القرآنية قد نرى فيها النداء المجردة عن طلب الإقبال، بل استخدم في تخصيص مدلول المنادى من بين سائر ما عداه بما نسب إليه قط، مثل النداء في دعاء الملائكة: " (

---

(1) هذا هو مذهب العلامة ابن الحاجب النحوي. و قال العلامة جار الله الزمخشري : أن (الياء) وضعت لنداء البعيد و إقبباله ، و تستعمل لنداء القريب تجوزا. إلا أن الأرجح هو قول ابن الحاجب ، ويشهد لذلك عدم نقل الحروف الندائية الموضوعة لإقبال البعيد في هذا الباب و إنكان تجوزا.

(2) سورة البقرة، رقم الآية/ 186

رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ"[1]) و ذلك فيما إذا ذكر المنادى اسما ظاهرا لأجل بيانه و كذلك الدال على المقصود بالنداء أيضا لابد أن يكون جملة إنشائية لضرورة تحصيل غير الحاصل.

و المقصود بالنداء في باب مأثورات الأدعية قد يكون مدلولا بعبارة الكلام كما في دعاء الولد لوالديه: (" رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا "[2]) كما قد يكون مفهوما من تلميح عرض الحال ، مثل : "(رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ[3])."

فان مقصود المريض المصاب بضر هو الشفاء منه . فكأنه يقول : (رب اشفني) إلا أنه صرح بسببي الاستعطاف و الاسترحام توسلا إلى الإجابة من ربه الصمد β، و لمح بعرض حاله و حال المنادى إلى المقصود بالنداء. [4]

شواهد النداء في الأدعية القرآنية

"﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾" [5]

فذكر الرسول γ حرف النداء (يا) مع أنه ينادي ربه الذي هو أقرب إليه من حبل الوريد، ليعبر بمد صوته بأداة النداء عن حزنه من اجل قومه، وتلهفه لاستجابتهم، وحرصه على نجاتهم من عذاب ربهم في جهنم دار عذاب الكافرين يوم الدين.

"﴿ وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاء قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ "[6]

---

(1) سورة هود، رقم الآية/ **73**

(2) سورة الإسراء، رقم الآية/ **24**

(3) سورة الأنبياء رقم الآية/ **83**

(4) أسلوب النداء في القرآن ، عبدالله الجهني، ص/ **175**.

(5) سورة الفرقان ، رقم الآية/ **30**.

(6) سورة الزخرف، رقم الآية/**88**.

أي : تصلبوا على العناد والكفر، فهم لا يتحركون حركة جديدة يشعرون فيها باقترابهم من الإيمان، فعبر بأداة النداء عن تلهفه لإيمانهم ونجاتهم، وتوجع قلبه من أجلهم .

قوله β : "﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ "[1]

قوله : " رب " نداء، افتتح به إبراهيم ν طلبه، وهو كلمة استعطاف شرع ذكرها قبل الدعاء مبالغة في استعداد الإجابة.

يبدأ إبراهيم ν دعاءه بنداء الرب "﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾" بحذف حرف النداء وحذف الياء المضاف إليه من ربي . [2]

قوله β : " (لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ") [3]

ومما يسترعي نظر الباحث تكرار النداء في هذا الدعاء وغرضه البلاغي الاسترحام والاستعطاف والتضرع وإظهار كمال الخضوع والاعتراف بربوبية الله تعالى مع الإيمان به.

أسلوب النداء

قوله β : "﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي & وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي & وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي & يَفْقَهُوا قَوْلِي & وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي & هَارُونَ أَخِي & اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي & وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي & كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا & وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا & إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا & قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ [4]"

---

(1) سورة إبراهيم ،رقم الآية/ 35

(2) مجلة جامعة أم القرى، ص/ 728.

(3) سورة البقرة، رقم الآية/ 286

(4) سورة طه ، رقم الآية / 25 – 36 .

استهل موسى ν دعاءه بنداء الرب "﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾" بحذف حرف النداء الدال على شعوره بقربه من ربه، وحذف ياء المتكلم المضاف إليه، من " رب " للتخفيف ، واختيار لفظ " الرب" هنا لأن إجابة الدعاء من مقتضى الربوبية.

قوله β : "﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾" (1)

وناداه بلفظ الرب مضافاً إليه لما في ذلك من تلطف السؤال والنداء بالوصف الدال على قبول السائل وإجابة ضراعته. (2)

وحذف حرف النداء في دعائها : " ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ "يشعر بقوة الصلة بين المؤمن وخالقه.

وإيثار وصف الربوبية ينبئ عن إفاضة ما فيه صلاح المربوب. (3)

والإضافة إلى ضميرها ﴿رَبِّ﴾ يوحي بتذلل العبد لخالقه وحرصه على إجابة دعائه.

يتجه الحواريون مباشرة إلى ربهم بهذا التضرع الخاشع ﴿رَبَّنَا﴾ دون أن يذكروا حرف النداء الاستشعارهم بعظيم الصلة بينهم وبين ربهم.

حذف حرف النداء : "وهنا يؤكد أولو الألباب في تضرعهم إلى الله أنهم بالمنادى إلى الإيمان وهو الرسول γ ، ومن أمارات التأكيد حذف حرف النداء، إذ قالوا: ﴿ رَبَّنَآ ﴾ ، ولم يقولوا يا ربنا ، لقوة إيمانهم بالله، مع استشعار قربهم منه تعالى ، ثم التأكيد بـ ﴿إِنَّنَا﴾ التي تدل على أنهم آمنوا بالرسول إيماناً راسخاً، ثم تنكير

---

(1) سورة النمل ، ر قم الآية / 19.

(2) مجلة جامعة أم القرى ، ع/ 11، 1416، ص/ 26.

(3) تفسير أبي السعود، ج/3، ص/ 232.

﴿مُنَّادِيـاً﴾ ، لبيان تعظيمه في نفوسهم، ومن كان معظماً، نال من الآخرين القبول والتصديق لما يقول. "

يبدأ الدعاء هنا بلفظ " ربنا" دون أن يقال مثلاً " يا ربنا" فيذكر حرف النداء، استشعاراً بقرب المنادى إلى نفوس المؤمنين الذين يوقنون بأن الله معهم، وقريب منهم.

"فهذا الدعاء يحمل تحذير للأمة من الوقوع في الضلال بسبب المتشابه في الكتاب ، و يحمل تحذيرا لها من اتباع البوارق الباطلة مثل ما وقع فيه بعض العرب من الردة والعصيان بعد وفاة الرسول γ .[1] "

"﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [2]"

"﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [3]"

"﴿وَ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾[4]"

"﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ & فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [5]"

"﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [6]"

تعريف النكرة والمعرفة

---

(1) تفسير التحرير والتنوير ، ج/3، ص/ 169.

(2) سورة القصص ، رقم الآية/ 24.

(3) سورة الفرقان ، رقم الآية/ 30.

(4) سورة النساء ، رقم الآية/ 126.

(5) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 174.

(6) سورة الفاتحة ، رقم الآية/ 5.

النكرة : "اسم يطلق على القليل والكثير أو على مفرده أو على أكثر ومعناه شائع في الجنس، أو نوع أو صنف أو نحو ذلك ". [1]

المعرفة : "اسم يدل على معين مميّز عن سائر الأفراد أو الجموع المشاركة له في الصفات العامة المشتركة . " [2]

شواهد التعريف في الأدعية القرآنية

التعريف

قوله β : " (فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ[3])"

والتعريف في كلمة ﴿ الْمَلآئِكَةُ ﴾ يدل على معنى الجنسية ، وإن كان المنادى واحداً هو جبريل v ، كما تفصح عنه قراءة من قرأ فناداه جبريل .. قال الزجاج: أي أتاه النداء من هذا الجنس الذين هم الملائكة.

أو أن التعريف يدل على معنى التعظيم، نظراً إلى أن جبريل v رئيس الملائكة فعبر عنه باسم الجماعة، أو نظراً إلى أن الرئيس لا بد من أتباع فأسند النداء إلى الكل مع أنه صادر عنه خاصة [4] ، وفي هذا تعظيم له فكأن هذا الاسم إذا أطلق تناول لا محالة جبريل، وإن لم يذكر باسمه الخاص.

قوله β : "(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[5])"

---

(1) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص/396

(2) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص/397

(3) سورة آل عمران، رقم الآية/ 39

(4) تفسير أبي السعود، ج/1، ص/ 474.

(5) سورة آل عمران، رقم الآية/ 26.

فالتعريف في الملك الأول لاستغراق الجنس أي كل ملك هو في الدنيا.

والتعريف في الملك الثاني والثالث للجنس دون استغراق أي طائفة وحصة من جنس الملك [1] .

والدلالة البلاغية للتعريف في ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء ﴾ تجعل لفظ ﴿الْمُلْك ﴾ متناولاً جميع أنواع الملك، فيدخل فيه ملك النبوة وملك العلم، وملك العقل، وملك الصحة، وملك الأخلاق الحسنة، وملك النفاذ والقدرة وملك المحبة، وملك الأموال. [2]

قوله β "﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ ﴾ "[3]

ويوضح صاحب الكشاف دلالة تنكير المنادى وسر تقييده بعد إطلاقه فيرى أن في ذلك (تفخيماً لشأن المنادى لأنه منادى أعظم من منادٍ ينادي للإيمان)[4] .

شواهد النكرة في الأدعية القرآنية

قوله β : "(رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) [5]"

وجاء تنكير ﴿ رحمةً﴾ في هذا السياق ، ليدل على أن مطلوبهم من ربهم رحمة عظيمة واسعة يكون بها سعادتهم في الدنيا والآخرة . [6]

قوله β : "(فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ) [1]"

---

(1) الكشاف، ج/1، ص/ 345، والتحرير والتنوير ، ج/3، ص/ 213.

(2) تفسير الرازي، ج/8، ص/ 7.

(3) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 193.

(4) الكشاف، ج/2، ص/ 81

(5) سورة آل عمران، رقم الآية/ 8

(6) فتح القدير ، ج/1 ، ص/ 318.

وتنكير ﴿رِزْقاً﴾ يوحي إلى النفس بأنه نوع غير معتاد، إذ كان ينزل ذلك من الجنة، وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء [2].

قوله β : "﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي & وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي & وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي & يَفْقَهُوا قَوْلِي & وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾" [3]

في قوله β : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ حيث نكّر العقدة، ليدل على أنه لا يسأل حل عقدة لسانه بالكلية، بل حل عقدة تمنع الإفهام، ولذلك نكرها ووصفها بقوله: ﴿ مِّن لِّسَانِي ﴾ ، أي عقدة كائنة من عقد لساني، وجعل قوله﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ جواب الأمر، وغرضاً من الدعاء، فبحلها يتحقق إيتاء سؤله عليه الصلاة والسلام.[4]

قوله β : "﴿احْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي & يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾" [5]

وقارن ـ أيها المتذوق لبلاغة القرآن ـ هذه الجملة الطلبية ﴿ وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ بالجملتين السابقتين تلحظ أن " لي " لم تأت فهيا، لأنها تضمنت طلباً (يرجع إلى تبليغ رسالة الله إلى فرعون فليست فائدتها راجعة إليه حتى يأتي لها بلام التبيين التي تفيد تقوية البيان) [6] ، ووصلت جملة " واحلل " بما قبلها لاتفاقهما إنشاء.

وفي تنكير العقدة من قوله β : "﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾" [7] دلالة أنه لم يسأه حل جميع عقد لسانه بل حل بعضها الذي يمنع الإفهام بدليل قوله ﴿

---

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/ 37

(2) تفسير أبي السعود ، ج/1،ص/ 472 ، وتفسير الرازي، ج/8، ص/ 30.

(3) سورة طه، رقم الآية/ 25-27.

(4) الجدول في إعراب القرآن ، ج/1، ص/ 364.

(5) سورة طه، رقم الآية/ 27-28.

(6) التحرير والتنوير ، ج/16، ص/ 113.

(7) سورة طه/ 27-29.

يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾كأنه قال واحلل عقدة من عقد لساني وهذه العقدة ناشئة كما يروي عن جمرة وضعها في فمه وهو صغير وقصتها في المطولات.[1]

قوله χ : " ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾" [2]

في قوله تعالى ﴿ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ نكّر وقلل، أما التنكير فلأجل تنكير القرّة، لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه، كأنه قيل: هب لنا منهم سروراً وفرحاً. وإنما قيل (أعين) دون عيون، لأنه أراد أعين المتقين، وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم. قال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [3] .

ويجوز أن يقال في تنكير (أعين) أنها أعين خاصة، وهي أعين المتقين .[4]

قوله β : (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا) [5]

وانظر إلى كلمة " البلد" جاءت هنا معرفة وفي آية البقرة جاءت نكرة ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ ولعل السر في التفريق بينهما .كما يقول بعض المفسرين . . (إنه تكرار الدعاء من " الخليل" في البقرة كان قبل بنائها فطلب من الله أن تجعل بلدا، وأن تكون آمنا، وهنا كان بعد بنائها، فطلب من الله أن تكون آمنا أي بلد أمن واستقرار) [6]

أسلوب التقييد

إن المتكلم قد يقصد زيادة إفادة المتلقي معاني لا يكفي المسند والمسند إليه للدّلالة عليها . [7]

---

(1) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/ ، ص/ 187-188.

(2) سورة الفرقان، رقم الآية/ 74.

(3) سورة سبأ، رقم الآية/ 13.

(4) الجدول في إعراب القرآن، ج/19، ص/47.

(5) سورة إبراهيم ، رقم الآية/ 35

(6) حاشية الصاوي على الجلالين: ج/2، ص/286، صفوة التفاسير، ج/2، ص/ 555.

(7) البلاغة العربية أسسها وفنونها، ص/ 451 -452.

فالتقييد يكون بالتوابع و ضمائر الفصل و نواسخ الجملة وأدوات الشرط و النفي،و المفاعيل الخمسة و الحال و التميز وأمثالها. ولكل منها فوائد و أغراض شتى تترشح منها. و الأهم في فن البلاغة من حيث الأدبية المرعية و لاسيما في أسلوب الأذكار القرآنية و الأدعية ما يلي:

التقييد بضمير الفصل:

قيد به المطلق في الكلام الدعاء لإفادة أغراض مختلفة كما يلي:

1. تخصيص الحكم بمرجع الضمير، كما في قوله تعالى: "(وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "[1]) يفيد أن عظمة الفوز يوم القيامة بالإنجاح من السيئات. كما ترى مثل ذلك في قوله تعالى : ("أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ "). [2]
2. توكيد التخصيص، إذا كان في الجملة مخصصا آخر،كما في قوله تعالى: (" رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ") [3] و نحوه: (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ).

فالمخصص في الجملة هو تعريف المسند و المسند إليه، إما بكونه ضميرا ، فإنه أعرف المعارف ، أو بلام التعريف الداخلة عليها. [4]

التقييد بالنعت:

التقيد بالنعت في الأذكار و الأدعية القرآنية أفادت غرضين:

1. حينما كان المنعوت نكرة فأفاد التقيد بالنعت تخصيصه و تميزه عما عداه،كما في الدعاء. (" فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا & يَرِثُنِي

---

(1) سورة غافر رقم الآية 9

(2) سورة التوبة، رقم الآية/ 104

(3) سورة البقرة، رقم الآية/ 127

(4) تميسزز ص : 81

وَيَرِثُ مِنْ آَلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا"[1]) و نحوه في: ((أسألك لسانا صادقا و قلبا سليما)).[2]

2. الكشف عن حقيقته بحيث يميزه عما عداه ، كقول المصلي في التشهد: " السلام علينا و على عباد الله الصالحين".[3] و ترى من هذا القبيل دعاء المجاهد في المعركة: "﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ على الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا على الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ") [4]

التقييد بالمفاعيل و أمثالها:

التقيد إما أن يكون لبيان نوع الفعل، أو لتوضيح ما وقع عليه أو فيه أو لأجله أو بمقارنته. ويذكر الحال في الجملة لبيان هيئة ذي الحال و لتقيد عامله. ويوضع التميز فيها لبيان ذات مخفية أو نسبة خفية. فكل من هؤلاء القيود مناط الفوائد،ومحط الأغراض الزوائد. و الكلام بدونها يكون إما كاذبا أو ساقطا عن درجة القبولية.

تلك الفوائد و الأغراض الزوائد تستفاد من المفاعيل و الحال و التميز إذا كانت مذكورة في الكلام. وأما إذا حذفت فيفيد حذفها أغراضا أخرفي كما يلي:

1. منها التعميم بالاختصار كما في (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ [5]) و نحو: " اللهم أطعم من أطعمني و أسق من سقاني".[6]

---

(1) سورة مريم، رقم الآية/ 5-6

(2) سنن النسائي: 1/..............

(3) صحيح البخاري: 115/1، وج291/2 ، وسنن الترمذي: 38/1

(4) سورة البقرة، رقم الآية/ 286

(5) سورة البقرة، رقم الآية/ 285

(6) صحيح مسلم: 184/2

2. ومنها قصد نفس الاختصار كما في الدعاء: ("رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ"[1]) حذف فيه "الذنوب" المفعول به اختصارا.

3. ومنها الاعتماد على فهم السامع حيث يستطيع أن يدركه من فحوى الكلام أو من كونه معينا في الخارج، مثل حذف "إعزازه" و "تذليله" و "ترزيفه" في : ("قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ & تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ[2]) "

التقييد بالشرط :

حرف "إن" الشرطية أصلها أن تستعمل لعدم جزم المتكلم و عدم قطعه بوقوع الشرط في المستقبل. فينبجس منها التشكيك في وقوعه و وقوعه. مثل ذلك في دعاء المشركين على أنفسهم: "(اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ[3])" و ذلك لأن دين التوحيد كان مشكوك الحقانية في زعمهم الباطل. لذا صدروا الجملة الشرطية في دعائهم بحرف "إن".

أسلوب التقييد بالنعمة

(1) سورة الحشر، رقم الآية/ 10

(2) سورة آل عمران رقم الآية 26-27

(3) سورة الأنفال رقم الآية 32

وتقييد النعمة بحال الكبر في الآية الثانية : "﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء ﴾" يدل على استعظامها وإظهار شكره، (لأن مجيء الشيء بعد اليأس أحلى في النفس وأبهج) [1]

تعريف الالتفات

يدور معناه في اللغة حول الانصراف عن الشيء ، وهو عند جمهور البلاغيين" التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة (التكلم والخطاب والغيبة) بعد التعبير عنه بطريق آخر منها". [2]

أما الالتفات فقد جرى الأسلوب في مطلع السورة على طريقة الغيبة ("الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ & الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ & مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)" فكان مقتضى الظاهر أن يقال (إياه نعبد وإياه نستعين) لكن اقتضى مقام الدعاء العدول أو الانتقال من الغيبة إلى الخطاب فقال: (" إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ") ، وفي هذا الالتفات ما فيه من تعظيم شأن المعبود جل وعلا .

وقد بسط البلاغيون والمفسرون القول في بيان بلاغة هذا الالتفات . يقول الزمخشري : (لما ذكر الحقيق بالحمد وأجري عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل : إياك يا من هذه الصفات نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به) [3] ، وقيل (إن الكلام من أول السورة إلى هنا ثناء والثناء في الغيبة أولى ، ومن هنا إلى آخر السورة دعاء وهو في الحضور أولى) [4] ، وقيل أيضاً : (إن المعاني السابقة من حمد الله والثناء عليه وذكر ربوبيته للعالمين

---

(1) البحر المحيط، ج/5،ص/ 434.

(2) الإيضاح، ج/1، ص/ 157، وانظر بغية الإيضاح، ج/1، ص/ 152. بديع ابن المعتز، ص/ 58. ومفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي ، ص/ 95.

(3) الكشاف، ج/1، ص/ 64.

(4) روح المعاني، ج/1، ص/ 89.

ورحمته الغامرة وملكه ليوم الدين تحث النفوس على الإقبال نحو الحق، متجهة إليه، معلنة وحدانيته بالعبادة والاستعانة، وهكذا يكون الالتفات هنا مشيراً إلى تصاعد الإحساس بالجلال حتى تخلص النفس في مراحل عروجها من شؤونها الأرضية فتشافه الحق، وتعلن هناك غاية العبودية والاستسلام) [1].

شواهد الالتفات في الأدعية القرآنية

"﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ & الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ & الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ & مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ & إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ & اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ & صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ [2]"

النص في مطلع الصورة جار وفق أسلوب الحديث عن الغائب، وبعد ذلك انتقل إلى أسلوب الخطاب:

"﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ "

وفائدة هذا الالتفات التحول من موضوع الثناء على الله β إلى موضوع التوجه له بالعبادة والدعاء، فالثناء فيه الإعلان العام، وهذا يلائمه أسلوب الحديث عن الغائب ، والعبادة والدعاء يحسن فيهما مواجهة المعبود المدعو بالخطاب.

وفي هذه السورة فن الالتفات من لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ومن لفظ الخطاب إلى لفظ الغيبة والغرض من هذا الفن التطرية لنشاط الذهن جرياً على أساليبهم ، ولأنه لما أثنى على الله بما هو أهل له وأجرى عليه تلك الصفات العظيمة ساغ له أن يطلب الاستعانة منه بعد أن مهد لذلك بما يبرر المطالبة وهو، تعالى ، خليق بالاستجابة، وللإشعار بأن أولى ما يلجأ إليه العباد لطلب ما يحتاجون إليه هو عبادته تعالى والاعتراف له بصفات الألوهية، البالغة، وقال χ : "﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾" [3] فأصرح الخطاب لما

---

(1) خصائص التراكيب ، لدكتور محمد محمد أبو موسى، ص/ 301، دار التضامن، ط/2، 1400.

(2) سورة الفاتحة ، رقم الآية / 1-7.

(3) سورة الفاتحة ، رقم الآية/ 7.

ذكر النعمة ثم قال: "﴿ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ ﴾" فزوى لفظ الغضب عنه تحننا ولطفاً وهذا غاية ما يصل إليه البيان.[1]

وعدّ ابن كثير وغيره هذا الأسلوب في الآية ـ أعني بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله ـ التفاتاً من الخطاب إلى الغيبة لتعظيم شأن الرب تبارك وتعالى[2].

هذا وكما بدأت هذا السورة الكريمة بحسن الابتداء فقد ختمت بحسن الانتهاء فجاءت الآية الأخيرة "﴿ صِراطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ " تفصيلاً لجملة المطلوب ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾ (لأن المطلوب هو الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلال، ففصل جملة ذلك بقوله ﴿ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ ﴾ والمراد المؤمنون، ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيده ليتناول كل إنعام، لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإيمان عليهم" والمراد المؤمنون، ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيده ليتناول كل إنعام، لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم الله عليه بكل نعمة لأنها مستتبعة لجميع النعم. ثم وصفهم بقوله "﴿ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾" يعني أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله تعالى والضلال المسببين عن معاصيه وتعدِّي حدوده) [3]

ويقول ابن عاشور " والانتقال من أسلوب الحديث بطريق الغائب المبتدأ قوله β : (" الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ & الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ & مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)" إلى أسلوب طريق الخطاب ابتداءً من قوله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) إلى آخر السورة، فن بديع من فنون نظم الكلام البليغ عند العرب، وهو المسمى في علم الأدب العربي والبلاغة التفاتاً" [4] .

(**1**) **إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/1 ، ص/ 16-17.**

(**2**) **المثل السائر ، ج/2، ص/ 184، وانظر البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، ج/3، ص/ 325. دار المعرفة ، بيروت ، ط/2.**

(**3**) **الإتقان في علوم القرآن، ج/2، ص/ 137.**

(**4**) **التحرير والتنوير، ص/ 1.**

("الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ[1])"

الالتفات من أسلوب الخطاب في ﴿ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ ﴾ إلى أسلوب الغيبة في ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ ، لإبراز كمال التعظيم، والإجلال الناشيء من ذكر اليوم المهيب الهائل، ولتحقيق استقلالية هذه الجملة بمعناها عما سبقها، إذ تصلح أن يستشهد بها في كل مناسبة تدعوا إليها. [2]

قوله β : " (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)" [3] فيه التفات عن المخاطب إلى الغائب .[4]

قوله χ: (" رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء ") [5]

فيه التفات من المواجهة الغيبة والسر فيه إظهار العبودية لله والخشوع لعظمته والتذلل لعزته. ولو ظل الأسلوب على الأسلوب لقال: (أَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ) لأن قوله تعالى المذكور أنفا (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ) يقتضي المواجهة. [6]

قوله β : (" فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) [7]"

وإذا قرئ ﴿ وُضِعَتْ﴾ على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب وهو قولها : ﴿ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى ﴾ إلى الغيبة يكون في هذا الاعتراض إظهار منها لغاية

---

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/ 16

(2) تفسير ابن سعود ، ج/1، ص/ 442.

(3) سورة آل عمران، رقم الآية/ 9.

(4) حاشية الجمل على الجلالين ، ج/1، ص/ 144.

(5) سورة إبراهيم ، رقم الآية/ 38.

(6) بلاغة فن الالتفات في القرآن الكريم، أطروحة لنيل درجة الدكتورة ، للباحث ظاهر الدين، ص/

(7) سورة آل عمران، رقم الآية/ 36

الإجلال لله تعالى المفيد للاعتذار إلى الله تعالى حيث أتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة .

قوله β : "﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾" (1)

ومن بلاغة الآية الالتفات من الغيبة إلى التكلم والخطاب في قوله "﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم ﴾" وذلك لإظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة، وتشريف الداعيين بشرف الخطاب، والمراد تأكيدها ببيان سببها والإشعار بأن مدارها أعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء. (2)

قوله β : " ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ (3)"

ومن مظاهر العدول الالتفات من الخطاب في مطلع الآية: "﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي ﴾" إلى الغيبة في قوله "﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء ﴾" وذلك : (لتربية المهابة والإشعار بعلة الحكم على نهج قوله تعالى: "﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾" (4) والإيذان بعمومه، لأنه ليس بشأن يختص به أو بمن يتعلق به بل شامل لجميع الأشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدأ الكل، وقيل هو من كلام الله β وارد بطريق الاعتراض لتصديقه ν) (5)

---

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/ **195**.

(2) مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج/**15**، ع/**26**، ص/ **727**,

(3) سورة إبراهيم ، رقم الآية/ **35-41**.

(4) سورة ملك، رقم الآية/ **14**.

(5) تفسير أبي السعود، ج/**3**، ص/ **495**.

قوله β : "﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾" [1]

أي : وآخر دعاءِ أهل الجنة في الجنة أن شأنهم المحمود أن يحمدوا ربهم قائلين : "﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ "

شواهد التأكيد في الأدعية القرآنية

أن يذكر الشيء أولاً ثم يؤتى بكلام يؤكده .

قوله β : "﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾" [2]

ثم يأتي قوله β : ﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ بصيغة المصدر المؤول من أن والفعل بدلاً من المصدر الصريح مثلاً مع إمكان مجيئة في السياق، إلا إننا نرى في هذا التركيب والله أعلم سبباً بليغاً وهو إرادة المتكلم إطالة الحديث مع المخاطب β فالداعي عبد ذليل متضرع إلى بارئه والمنعم الأول عليه، والمتوجه إليه بالدعاء هو رب العزة χ الذي ليس أكرم عليه من الدعاء والذي يحب من عبده الإلحاح في المسألة إذ قال γ في ذلك : " ليس شيء أكرم على الله χ من الدعاء " .[3]

ويلاحظ هنا أيضاً إضافة النعمة إلى كاف الخطاب في قوله : ﴿ نِعْمَتَكَ﴾ وهذا دليل لفظي على الاعتراف بحق صاحب تلك النعمة والمتفضل الأول بها χ ويتمم ذلك الاعتراف اتصال ياء المتكلم بحرف الجر في قوله تعالى (عَلَيَّ) ثم بالمثنى ﴿وَالِدَيَّ﴾ ثم ما يتبع ذلك الدعاء من طلب العمل الصالح الذي يرضاه رب العزة β حيث يقول β : ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ قال أبو حيان : " ولما سأل ربه شيئاً خاصاً وهو شكر النعمة سأل شيئاً عاماً وهو أن يعمل عملاً يرضاه الله تعالى فاندرج فيه شكر النعمة فكأنه سأل إيزاع الشكر مرتين ..." .

---

(1) سورة يونس ، رقم الآية / 10

(2) سورة النمل ، رقم الآية/ 19.

(3) الجدول في إعراب القرآن، ج/4، ص/ 150.

كما لا يفوتنا هنا هذا القيد الذي قيد به العمل الصالح المطلوب . وهو الذي يرضاه β دون سواه ... لأن من الأعمال الصالحة ما يمكن أن يرضى عنها صاحبها ويرضاها أيضاً مولاه β ومنها ما يظن فاعله فيه الصلاح ويرضاه ولكن لا يكون كذلك عند الله β .[1]

("رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ[2])"

تأكيد مضمون الآية، لأن المؤمنين طلبوا فيها من ربهم مطلبين عظيمين هما ألا يزيغ قلوبهم بعد هدايتها، وأن يمنحهم من لدنه رحمة واسعة .

ومن كان متصفاً بأنه وحده الوهاب، فلا ريب عند المؤمنين في تحقيق ما رجوا من الله الوهاب.

وقد برز هذا التأكيد من خلال ﴿ إِنَّكَ﴾ وضمير الفصل ﴿ أَنْتَ ﴾ وصيغة المبالغة في كلمة ﴿ الْوَهَّاب﴾ .

(رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ[3])

التأكيد على وقوع يوم الحشر والجزاء بـ ﴿ إِنَّ﴾ والإسناد إلى لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ ، والتعبير بالمضارع ﴿ لَا يُخْلِفُ﴾ الدال على استمرار صفة الوفاء بالوعد وتجددها في كل أمر وعد الله به حاضراً ومستقبلاً.

قولهβ (" الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [4]"

---

(1) إعراب القرآن وبيانه، ج/2، ص/ 80

(2) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 8

(3) سورة آل عمران، رقم الآية/ 9

(4) سورة آل عمران، رقم الآية/ 16

والتأكيد ﴿ إِنَّنَآ ءَامَنَّا ﴾ ينبئ عن قوة إيمانهم بربهم وعظيم محبتهم له. أما إعلانهم للإيمان قبل الدعاء فيدل على أن الأصل في صلاح العمل، وقبول إجابة الدعاء هو الإيمان الصادق بما أخبر الله به ورسوله من محكم التنزيل ومتشابهه الذي لا يعلم تأويله إلا الله سبحانه. [1]

قوله β : "(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [2]"

التأكيد بـ ﴿ إِنَّكَ﴾ وضمير الفصل ﴿ أَنْتَ ﴾ وتعريف طرفي الجملة : ﴿ أَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ ﴾ ، وهو تأكيد بفصح عن الثناء على الله بما هو أهله.

قوله β : "(فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) [3]"

والتأكيد في قولها : ﴿ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى ﴾ الإظهار تحسرها وحزنها على قوات ما كانت ترجوه من كون ما في بطنها ولداً يصلح لخدمة بيت المقدس [4].

والتأكيد في ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا ﴾ يدل على الاهتمام الشديد بأن يحفظها وذريتها من شر الشياطين.

قوله β : "﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[5]"

1. تأكيد مضمون الآية بوصفه تعالى في ختامها: أنه سميع الدعاء.
2. الثناء على الله بهذه الصفة، فهو تعالى وحده القادر على تحقيق مطلوب زكريا وغيره من عباد المؤمنين.

---

(1) مجلة جامعة الإمام ، العدد 46، ربيع الآخر ، 1425هـ ، ص/ 298.

(2) سورة البقرة، رقم الآية/ 127

(3) سورة آل عمران، رقم الآية/ 36

(4) فتح القدير ، ج/1، ص/ 334.

(5) سورة آل عمران، رقم الآية/ 38

والتأكيد في تلك الآيات من أوضح سماتها البلاغية، فالآية الأولى وهي قوله تعالى : "﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ ﴾" اشتملت على عدة مؤكدات:

وتصدير الجملة بالنداء لقصد المبالغة في التضرع والجوار، وتأكيدها لإظهار كمال اليقين، بمضمونها والإيذان بشدة الخوف من النار وخزيها.

قوله β : "(رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَاد) [1]"

التأكيد لمعنى هذه الجملة بـ ﴿إِنّ﴾ ، وبتوجيه الخطاب إلى الله عن طريق كاف الخطاب، وبعود الضمير إلى الله مرة أخرى بعد الفعل ﴿تُخْلِفُ﴾ .

----

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/ 194.

الفصل الأول

التعريف بعلم البديع ونشأته

البديع لغة: "الجديد والمخترع، وهو مأخوذ ومشتق من قولهم بدع الشيء، وأبدعه، أي اخترعه، وفي المعاجم اللغوية تدور المعنى البديع المعنى البديع حول الجديد والمحدث والمخترع[1]،" وورد في القرآن الكريم بمعنى جمال المنشأ وحسن البدء على غير مثال قوله β (" بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ") [2] أي مبدعها.

جاء لفظ " البديع " بمعنى الجديد والمخترع ، قال حسان بن ثابت [3] :

"قومٌ إذا حارَبوا ضرُّا عدوَّهم   أو حاولوا النفْعَ في أشياعهم نَفَعُوا"

"سجيَّةٌ تلك فيهم غيرُ مُحْدَثَةٍ   إنّ الخَلائق فاعلم شرُّها البِدَعُ"

ويقول الله β : (" بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) [4]"

كما ورد في الحديث الشريف بمعنى : الطيب والجديد ، كقوله ν في وصف تهامة : (إن تهامة كبديع العسل حلو أوله وحلو آخره) والبديع : الزق الجديد ، شبه به تهامة لطيب هوائها، وأنه لا يتغير كما أن العسل لا يتغير .[5]

وتجد هذه اللفظ تتردد في العصر الأموي بهذا المعنى أيضاً ، كقول الفرزدق:

---

(1) انظر اللسان، تاج العروس، المنجد، مادة بدع.

(2) سورة الأنعام، رقم الآية/101

(3) ديوان حسان، البدع: المراد مستحدثات الأخلاق لا ما هو ثابت كالغرائز.

(4) سورة البقرة، رقم الآية/ 117.

(5) النهاية في غريب الحديث، ص/ 106-107.

"أبتْ ناقتي إلا زياداً ورغبَتي وما الجودُ من أخلاقِه ببديعِ[1]"

وفي المعاجم اللغوية نجدها تدور حول الجديد والمحدث والمخترع .[2]

والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان، والراعي، كثير البديع في شعره، وبشار حسن البديع، والعتابي يذهب شعره في البديع[3].

البديع اصطلاحياً:" هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلامِ بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة "[4] أي هو العلم الذي يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حُسناً و طلاوة ، وتكسوه بهاءً ورونقاً ، بعد مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح دلالته على المراد لفظاً ومعنى.

نشأة علم البديع

أشار الجاحظ إلى نشأة البديع وإلى أول من اخترعه، فقال: (ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد، والرسائل الفاخرة، مع البيان الحسن، كلثوم بن عمرو العتابي، وكنيته أبو عمرو ، وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من المولدين، كنحو منصور النمري، ومسلم بن الوليد الأنصاري، وأشباههما، وكان العتابي يحتذي حذو بشار في البديع، ولم يكن في المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة)[5].

---

(1) ديوان فرزدق، ص/ 393.

(2) انظر القاموس ، اللسان ، تاج العروس ، مادة بدع.

(3) البيان والتبيين ، ج/4، ص/ 56.

(4) شرح المختصر لسعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ، ص / 135. وانظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص / 375.وانظر البديع في ضوء أساليب القرآن، لدكتور عبد الفتاح لاشين، 1978، ص / 5

(5) البيان والتبيين، ج/4، ص/ 51.

وفي قول الجاحظ ما يفيد أن البديع نشأ في الأدب العربي من التفكير المختلط والمجهود المشترك بين العرب والفرس، ولم يكن خالصاً من الفرس وحدهم الذين يعرفون بميلهم إلى التعبير باللون[1]، إذ اختلاط الأسماء العربية وهي : العتابي، والنمري، وابن هرمة، مع الأسماء الفارسية وهي: بشار، ومسلم ابن الوليد، يدل على أنه مذهب عباسي تعاونت فيه طوائف من الشعراء العرب مع الشعراء الفرس.

على أن العباسيين الذين عاصروا مولد البديع كانوا يرُدُّونه إلى مصارد عربية خالصة، كما في قول الجاحظ السابق" والبديع مقصور على العرب ...الخ) وكما يدل عليه ما كتبه ابن المعتز في مقدمة كتابه " البديع" الآتي بيانها بعد سطور.

ففي هذا العصر انتشرت الصور البديعية الطريفة في الأساليب وعلى ألسنة الشعراء، فأتى ابن المعتز وجمعها في كتابه " البديع " ، وذكر أن هذه التسمية من وضع الرواة والشعراء المولدين، فقال في مقدمة كتابه: " قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن، واللغة، وأحاديث رسول الله γ وكلام الصحابة، والأعراب، وغيرهم، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون " البديع" ليعلم أن بشاراً، ومسلما، وأبا نواس، ومن تقيلهم، وسلك سبيلهم ، لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم. [2].

فابن المعتز جعل " البديع" خمسة أنواع: الاستعارة ، التجنيس، المطابقة، رد أعجاز الكلام على ما تقدمها، المذهب الكلامي، ثم ذكر بعض محاسن الكلام، وعد منها ثلاثة عشر نوعاً ، الالتفات، الاعتراض، الرجوع، حسن الخروج، تأكيد المدح مما يشبه الذم، تجاهل العارف، الهزل يراد به الجد، حسن التضمين، الكناية، الإفراط في الصفة، حسن التشبيه، إعنات الشاعر نفسه، حسن الابتداء.

---

(1) النثر الفني ، ج/1، ص/ 44.

(2) البديع، ص/ 1.

وهناك سؤال لا بد أن يخطر باحث في الطريقة العلمية التي سلكها " ابن المعتز" ، لماذا قسم كتابه إلى قسمين: اختص أحدهما باسم " البديع" واختص الثاني باسم " محاسن الشعر أو الكلام" ، وما الداعي إلى هذا التقسيم؟ [1].

يجيب أحد المعاصرين ، ويجلى السر في هذا التقسيم، فيقول [2] :

" ذلك أن الأصناف الخمسة الأولى عرفها الشعراء، وعرفها الجاحظ قبل ابن المعتز، فالاستعارة، والتطبيق، والتجنيس، ورد الإعجاز على ما تقدمها، والمذهب الكلامي، هي أوائل أصناف البديع التي ظهرت في شعر الشعراء، من أمثال، مسلم، والعتابي، وبشار، وأبي نواس، وغيرهم، فليس لابن المعتز في العثور عليها من فضل إلا ردها إلى الشعر القديم، ليرد على الشعراء المجددين دعوتهم في التجديد. "

أما صنوف القسم الثاني فمن اختراعه وحده، وقف عليها لما تتبع أشعار القدامى والمحدثين، ودونها قبل أن يدونها غيره، وأطلق عليها أسماء لم تكن كلها معروفة قبله في مصطلحات البلاغة، لذلك فصل بين القسمين ليقول: هذا لكم وهذا لي ، وهذا منكم، وهذا مني، وهو بهذا يدل بأفضليته في السبق، فيقول:

" وما جمع فنون البديع ، وما سبقني إليه أحد" .

ويرد على اعتراض توقعه من خصوم هذا التأليف الجديد فيقول في مقدمة كتابه: " وكأني بالمعاند المغرم بالاعتراض على الفضائل قد قال: البديع أكثر من هذا .. لأن البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم.. وأحببنا لذلك أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين، ويعلم الناظر أنا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة، اختيارا من غير جهل بمحاسن الكلام، ولا ضيق في المعرفة، فمن أحب أن يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا إلى البديع، ولم يأت غير رأينا فله اختياره".

---

(1) بلاغة العرب بين أرسطو واليونان ، ص/ 134.

(2) نفس المرجع

فابن المعتز هو أول من جمع الفنون البديعية تحت اسم " البديع" وهي التي تدخل الآن ضمن علوم البلاغة الثلاثة .

ونحن إذا ذهبنا نتحسن زعيم الصنعة البديعية في عصر المحدثين على ضوء كلام الجاحظ وابن المعتز، نرى أن زعيم هذه الحركة، ومعهد ذلك الطريق هو بشار بن برد، وهما وإن كانا يختلفان في التصريح بأسماء رجالها، فيعد الجاحظ: العتابي، والنمري، ومسلم، وابن هرمة، ويذكر ابن المعتز :بشاراً ، ومسلما، وأبا نواس، لكننا إذا تأملنا نصيهما، فقرأنا في نص الجاحظ قوله : "كنحو منصور النمري، ومسلم بن الوليد الأنصاري، وأشباههما" . وقرأنا في نص ابن المعتز قوله: " ليعلم أن بشاراً ، ومسلماً، وأبا نواس، ومن تقيلهم، وسلك سبيلهم" ، تلاقي النصان وذهب ما بينهما من خلاف لقبولهما كل من جنح إلى هذا المذهب وورد وِرده.

ولما جاء قدامة بن جعفر أورد سبعا وعشرين نوعاً [1] ، توارد مع ابن المعتز في سبعة أنواع، وانفرد بعشرين:

وابتكر أبو هلال العسكري ، على ما سبق ستة أنواع، وأطلق كلمة " البديع" على أنواع ، أخرج منها التشبيه، والإيجاز ، والإطناب، والسجع ، والأردواج، بينما عدَّ الاستعارة، والمجاز، من البديع [2] ، فمدلول " البديع" عنده أخذ في التخصص.

وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت كلمة " البديع" كلمة عامة تتسع لكل أنواع علوم البلاغة بحسب وضعها الأخير " المعاني ، والبيان، والبديع" عند علماء البلاغة كابن سنانن ، وعبدالقاهر ، فقد أطلق " البديع" على التشبيه، والتمثيل، والاستعارة، والتطبيق [3] ، وهكذا لا تزال كلمة " البديع" تطلق إطلاقا عاما على هذه الأنواع المشتركة من علوم البلاغة في وضعها الأخير.

---

(1) نقد الشعر ص/ 38 وما بعدها، والنقد الأدبي ، ص/ 37.

(2) الصناعتين ، ص/180 ، 250.

(3) الأسرار ، ص/ 14.

والسكاكي أول من أطلق " علم المعاني" على المباحث التي بحثها فيه، وأول من أطلق على مباحث التشبيه، والمجاز، والكتابة اسم " علم البيان"، وأول من حكم على " علم البيان" بأنه متنزل من " علم المعاني" منزلة المركب من المفرد، كما أنه أول من فرق بين هذين العلمين على هذا الوجه من الضبط والتحديد.

وبعد أن خلص السكاكي من بيان هذين العلمين في كتابة المفتاح، قال في شأن البديع.

" وإذ تقرر أن البلاغة بمرجعيها، وأن الفصاحة بنوعيها، مما يكسو الكلام حلة التزيين، ويرقبه أعلى درجات التحسين، فها هنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار إليها لقد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها، وهي قسما: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ."[1].

"فالسكاكي وإن فصل بين علمي " المعاني والبيان " وأطلق عليهما هذين الاسمين، لم يعرض لألوان البديع على أنها علم مستقل عن العلمين، بل إنها تشارك مسائلهما في تزيين الكلام بأبهى الحلل، والوصول به إلى أعلى درجات التحسين.[2] ".

وجاء بدر الدين بن مالك فسمى هذه المحسنات " علم البديع" في كتابه " المصباح" ، وبذلك هيأ لأن تصبح البلاغة متضمن ثلاثة علوم[3].

وجاء الخطيب القزويني ، فعرفه بقوله: " هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة موضوعاتها، وانفصلت أقسامها " المعاني والبيان والبديع" وعلى ذلك سارت الدراسة البلاغية إلى الآن.[4]

"والخطيب بهذا قضى على ألوان البديع بأن تكون حلّي مزيِّنة، تكسو الكلام بهجة بعد رعاية المطابقة، ووضوح الدلالة، وأنها عرضيّة وليست ذاتية، كا جعلها ذيلا

---

(1) المفتاح، ص/ 20.

(2) الصبغ البديعي ، ص/ 252.

(3) البلاغة تطور وتاريخ ، ص/ 315.

(4) تلخيص المفتاح، ص/ 315.

وذنبا للعلمين " المعاني والبيان" ، فكان بهذا العمل أول الجانين على ألوان البديع ممن ألفوا في البلاغة بوضعها هذا الوضع الشائن البغيض، فقد اهتضمها حقها، وأجحف منزلتها حينما جعلها ذيلا من ذيول البلاغة، وذنبا من أذنابها، لا تجئ إلا تابعة، ولا تسمو إلى آفاق الذاتية والأصالة، اقرأ قوله في التلخيص: " وتتبعها وجوه أخرى تورث الكلام حسنا" [1]."

وما دمنا بصدد " علم البديع" ومن بدأ بتسميته، ومن جعله في هذا الموضوع الشائن، ومن حكم عليه بالذيلية والتبعية، فلا بد أن نتعرض لما قاله أحد الباحثين. [2].

" وبذلك كان الزمخشري أول من ميز بين العلمين ـ المعاني والبيان ـ فجعل لكل منهما مباحث الخاصة واستقلاله الذي يشخصه، ونقل عنه السيد الجرجاني أنه لم يكن يعدُّ البديع علما مستقلاً ، بل كان يراه ذيلا لعلمي المعاني والبيان، وسنرى السكاكي يتأثر به في ذلك. "

وقد بينت [3] أن الزمخشري لم يميز بين العلمين ـ المعاني والبيان ـ ولم يجعل لكل منهما مباحثه خاصة واستقلاله الذي يشخصه ـ كما زعم الباحث ـ لدرجة أنه لم يذكر اسم (علم المعاني) على مسألة بلاغية من المسائل التي تنطوي تحته على كثرة ما عرض منها، كذلك أطلق الصنعة البديعية على بعض مسائل علم البيان.

والذي نقله الباحث عن السيد الجرجاني ونسبه إلى الزمخشري في النص السابق من " أنه لم يكن يعد البديع علما مستقلا، بل كان يراه ذيلا لعلمي " المعاني والبيان" ثم علق عليه بقوله بأن السكاكي تأثر بالزمخشري في جعل البديع ذيلا للعلمين.

هذا النقل ونسبته للزمخشري، وتعليق الباحث عليه جانب الصواب، ولنا عليه تعليق.

---

(1) الصبغ البديعي، ص/ 304.

(2) البلاغة تطور وتاريخ ، ص/ 222-265.

(3) المعاني في ضوء أساليب القرآن، ص/109-111 للمؤلف.

"وقبل التعليق أنبه أنه قد سار على نهج هذا البحث باحث آخر، فقال [1]:
" وأما البديع فهو في رأي الزمخشري تابع للمعاني والبيان، وليس علما قائما بذاته"."

" ونقل السيد الجرجاني عن الزمخشري أنه لم يكن يعد البديع علما مستقلاً، بل كان يراه ذيلا لعلمي المعاني والبيان" [2].

وهذه النقول كلها اعتمدت على نقل الباحث الأول الذي نقله عن السيد الجرجاني، ولأمانة العلم، وإحقاقا للحق، ووضع الأمر في نصابه، أنقل النص الكامل الذي كتبه الشريف الجرجاني في هذا الموضوع، متضمنا النص الذي نقله الباحث الأول، لنناقشه فيما قال : ونتحس وجه الصواب فيما رأى.

قال السيد الشريف الجرجاني في بدء كلامه لشرح كتاب " المفتاح" للسكاكي : [3]

"قال المصنف: القسم الثالث من الكتاب في علمي " المعاني والبيان" ، رتب كتابه على ثلاثة أقسام، وأورد فيها بتكملة، فنين، وتوجيه، اعلم أن علم العربية المسمى بعلم الأدب: علم يحترز عن الخلل في كلام العرب لفظا أو كتابة، وينقسم على ما صرحوا به إلى اثنا عشر قسما، منها أصول، ومنها فروع. "

أما الأصول فالبحث فيها إما عن المفردات فعلم اللغة، أو من حيث صورها ومبنياتها فعلم الصرف، أو حيث انتساب بعضها من بعض بالأصالة والفرعية فعلم الاشتقاق، وإما عن المركبات على الإطلاق، فأما باعتبار بنياتها التركيبية، وتأديتها لمعانيها الأصلية فعلم النحو، أو باعتبار إفادتها لمعاني مغايرة لأصل المعنى فعلم المعاني، أو باعتبار بنية تلك الإفادة في مراتب الوضوح فعلم البيان، وأما عن المركبات الموزونة، فأما من حيث وزنها فعلم العروض، أو من حيث أواخر أبياتها فعلم القوافي.

---

(1) الزمخشري ، ص/203، 298.

(2) النظم القرآني في كشاف الزمخشري ، ص/ 22.

(3) شرح مفتاح للسيد الجرجاني، مخطوط بدار الكتب، رقم 35 ، بلاغة ، الورقة الثانية.

"وأما الفروع، فالبحث فيها إما أن يتعلق بنقوش الكتابة فعلم الخط، أو يختص بالمنظوم فالعلم المسمى بقرض الشعر، أو بالمنثور فعلم إنشاء النثر من الخطب والرسائل، ومالا يختص بشيء منها فعلم المحاضرات، ومنه التواريخ، وأما البديع فقد جعلوه ذيلا لعلمي المعاني لا قسما برأسه. "

فاختار المصنف الأصول، وترك منها اللغة، لأن مباحثها جزئية منتشرة مع كونها مستقصاة في الكتب المبسوطة، إلا أنه جعل القسم الأول من كتابه في الصرف، وخلط به الاشتقاق بأنواعه الثلاثة، والقسم الثاني في علم النحو، وحكم بأن تمامه بعلمي المعاني والبيان، وذلك لأنهما يجريان منه مجرى اللب من القشرة، وأوردهما في القسم الثالث، وزعم أن علم الاستدلال جزء من البلاغة، وادعى أن التدريب في علمي المعاني والبيان يتوقف على ممارسة النظم المحوج إلى علمي العروض والقوافي، فجعلهما من تتمة الغرض... إلخ.

ثم استطرد السيد الجرجاني في تلخيص مقدمة كتاب " المفتاح" ، وبيان المنهج الذي سار عليه السكاكي في تأليف الكتاب.

ولنا وقفة عند ذلك النص، لنناقش دعويين ادعاهما الدكتور شوقي ضيف، وهما:

الأولى : أن الزمخشري جعل البديع ذيلا لعلمي البلاغة.

الثانية: أن السكاكي متأثر به في ذلك.

أما الدعوى الأولى فقد أخذها الدكتور ضيف من قول الشريف الجرجاني: " وأما البديع فقد جعلوه ذيلاً لعلمي المعاني والبيان لا قسما برأسه" .

فكيف يصح أن ينسب ذلك للزمخشري وليس له في النص ـ على طوله ـ ذكر إطلاقاً ؟ ! وكيف يجعل الباحث الضمير في " جعلوه" عائدا علي الزمخشري، وهو لم يتقدم في الذكر ولا في العهد ؟! ، ثم من أين للباحث هذا الحكم الذي حمله على الزمخشري حملاً وهو منه براء ؟.

وبخصوص الدعوى الثانية : وهو أن السكاكي تأثر به في جعل البديع ذنبا وذيلاً ، كيف يصح هذا الحكم مع أن السكاكي لم يثبت عنه أنه جعل البديع ذيلاً لعلمي البلاغة، وإنما الثابت عنه كما تنطق به آثاره، أنه أول من أطلق " علم المعاني" على المباحث التي بحثها فيه، وأول من أطلق على مباحث التشبيه والمجاز والكناية اسم " علم البيان" وتركهما على هذا الوجه من التحديد والضبط.

"وبعد أن خلص من بيان هذين العلمين في كتابه، قال في شأن البديع: " وإذ تقرر أن البلاغة بمرجعيها، وأن الفصاحة بنوعيها، مما يكسو الكلام حلة التزيين، ويرقيه أعلى درجات التحسين، فها هنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الأعراف منها، وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ." (1).

"فالسكاكي وقد فصل بين العلمين وأطلق عليهما هذين الاسمين، لم يعرض لألوان البديع على أنها علم مستقل عن العلمين، بل إنها تشارك مسائلهما في تزيين الكلام بأبهى الحلل، والوصول به إلى أعلى درجات التحسين(2)."

فكيف بعد هذا التوضيح والذين تنطق به آثار السكاكي أن يقال: إنه جعل البديع ذيلا وذنبا لعلمي المعاني والبيان ؟.

ثم أخذ يدفع هذا النقل، ويدافع عن الزمخشري، ويحاول تخليصه من هذه التهمة، التي ألصقت به، ويدلى بالحجة تلو الأخرى، ليرد هذا القول، ويدفع هذا التحامل، ولو درى أن هذا النقل ليس عن الزمخشري لوفر على نفسه جهد البحث التي ظهرت في صفحاته الخمس إقناعا للقارئ، ولتبرئة الزمخشري مما نسب إليه من جعل البديع ذيلا وذنبا للعلمين، وأنه برئ من ذلك براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

"فالسكاكي لم يجعل البديع ذيلا وذنبا لعلمي المعاني والبيان، ولا الزمخشري جعله كذلك، وإنما أول من جعل " البديع " ذيلا وذنبا للعلمين هو الخطيب

---

(1) مفتاح العلوم ، ص/200.

(2) الصبغ البديعي، ص/ 252.

القزويني، فكان بهذا العمل أول الجانين على ألوان البديع بوضعها هذا الوضع الشائن البغيض. "

وعلى هذا يتبين لنا بوضوح أن الضمير في " جعلوه" في النص الذي جعله الدكتور ضيف عائداً على الزمخشري، وبنى على هذا حكمه السابق، هذا الضمير عائد على الخطيب القزويني ، ومن تبعه في ذلك كسعد الدين التفتازني ، ونحن نعرف أن الشريف الجرجاني ، كان في الفترة الزمنية التي تلت حياة الخطيب، كما كان معاصرا للتفتازاني.

وبهذا التوضيح يتسق النص الذي نسب إلى الزمخشري ويظهر ما فيه من مجانبته للصواب.

وقد كان الشريف الجرجاني في استطاعته إزالة هذا اللبس، وكشف تلك الظلامة التي انتابت النص بإظهار الضمير في "جعلوه"، ولو فعل لقطع قول كل خطيب.

ونحن لا نعفى الشريف الجرجاني من المؤاخذة لأنه ترك المعنى المراد معمّى ومستورا بستار كثيف من التعمية والإلغاز، ونحن بتتبع مراحل علم البديع ومن حكموا عليه بالذيلية والتبعية عرفنا أن الخطيب القزويني، مع أن كلام الشريف الجرجاني كله كان مقصورا على تلخيص مقدمة السكاكي في كتابه " المفتاح"، وبيان منهجه في التأليف، ولماذا بدأ بهذا العلم، وترك ذاك، وقدم هذا، وأخر ذلك، وليس هناك إشارة من قريب أو بعيد إلى الخطيب القزويني الذي تحققنا أنه مرجع الضمير، ولكن ذلك كان طبيعة العصر والتأليف فيه، فقد كان قائما على الملخصات، ثم الشروح والحواشي التقريرات والذي لا يخرج منها الباحث بالفائدة إلا بعد صعوبة وعسر، وذلك لركاكة الأسلوب، وكثرة الضمائر التي تحير العقل، وتكد الذهن في المرجع الذي تعود عليه.

"أما إذا كان الضمير عائداً على السكاكي ـ وهو صاحب الحديث الذي يدور حوله النص السابق ـ يكون الشريف الجرجاني قد أخطأ حينما جعل السكاكي

ممن وضعوا البديع موضع الذيل والذنب، وجعلوه التابع الذليل، وهو ما ناقشناه ونفيناه عن السكاكي. "

الفصل الثاني

المحسنات اللفظية في الأدعية القرآنية

التمهيد

فلا ريب في أن عبارات الأدعية القرآنية، قد تأبطت من المحسنات اللفظية حظوظا موفورة، فيتلألأ من أدراج قرائنها خصائص الإلهام ، فتراها ممتلئة بالروعة وحسن الإلتئام ، مستدعية لمميل لمصغى إليه بالاشتياق والإعظام فإن نفسه ترى فيها حسن الإفادة ، مترشحة في " الجناس مثلاً" من صورة التكرار والإعادة، فتأخذها الدهشة بالاستغراب ، حيث يفوق طربها من بين الطراب.

وذلك لمساعدة اللفظ المعنى المراد، في الأدعية القرآنية، ولموازاة المصنوع منها المطبوع، ولمراعات النظائر المستحسنة الوقوع ، ولتمكن القرائن من تبيان الموضوع، فترى معانيها عندئذ مسترسلة على سجاياها ، مكتسبة من الألفاظ زينتها ومزاياها.

بيد أن تلك المحسنات اللفظية المنثورة ، قد ازدهرت في مزهر الأدعية القرآنية ، مفاجأة من غير تكلف في تغريسها ، وسمح بها طبع الماثور عنه من غير تصنع في تنفيسها ، فلن تر عبارة من عباراتها تعرض بالتصنع المحتاط، معرضا من معارض السخرية والانحطاط ، كما هو دأب كثير من المتجنسين ، عدة أصناف توجد مرصعة على أزيال الأزيال الأدعية الماثورة ، وتندرج تلك الأصناف جميعها في النوعين : التجنسين التام ، والتجنيس الغير التام.

ومن ذا الذي يقرأ سورة كاملة من سور القرآن . طويلة أو قصيرة ومكية أو مدنية . ثم لا يوقظ نسقها الرائع قلبه، ويهز إيقاعها العجب مشاعره ؟

إن المرء ليحار إذا قرأ مثلاً سورة الرحمان ، فيتساءل : هل ابعث إيقاعها الرخي المنساب من مطلعها أم من ختامها أم من خلال آياتها ؟ وإذا هو يقطع بأن النغم يسري فيها كلها : في فواصلها ومقاطعها، وفي ألفاظها وحروفها، وفي انسياقها وانيسابها ، حتى لو انتفى على حدة مقطع واحد من مقاطعها، أو موضوع واحد من

موضوعاتها الجزئية، والتمس في أجزائه النغم والإيقاع لكان في كل جزء منه نغمة، وفي كل حرف منه لحن من ألحان السماء .

وبعد فذلك شأن الإيقاع في القرآن : ليست الفاصلة فيه كقافية الشعر تقاس بالتفعيلات والأوزان، ونضبط بالحركات والسكنات، ولا النظم فيه يعتمد على الحشو والتطويل، أو الزيادة والتكرار، أو الحذف والنقصان، ولا الألفاظ تحشد حشداً، وتلصق إلصاقاً، ويلتمس فيها الإبهام والإغراب، بل الفاصلة طليقة، من كل قيد، والنظم بنجوة من كل صنعة، والألفاظ بمعزل عن كل تعقيد: إن هو إلا أسلوب يؤدي غرضه كاملاً غير منقوص، يلين أو يشتد، ويهدأ أو يهيج! ينساب انسياباً كالماء إذ يسقي الغراس ، أو يعصف عصفاً كأنه صرصر عاتية تبهر الأنفاس! .

وعلى هذا الأساس من انفراد القرآن بحفاظه على تناسقه الإيقاعي سواء أحللت على تعاقب سوره وحدةً كاملة ، أم اقتطعت بغير تعمد بعض أجزائه على حدة على هذا الأساس يحلو لنا أن نقتطف من سور قرآنية متنوعة بعض مواقف الدعاء، ثم نقف بآذاننا مواطن السحر في إيقاعها الجذاب.

والدعاء بطبيعته ضرب من النشيد الصاعد إلى الله ، ولا يحلو وقعه في نفس الضارع المبتهل إلا أن تكون ألفاظه منتقاه، فلا غرو إذا بدا النبي الكريم ε في دعائه المأثور كالحريص على شيء من التقطيع المقصود، من سجع لطيف، أو طباق رشيق، أو رنة شافية. أما القرآن نفسه فلم ينطق عن لسان النبيين والصديقين والصالحين إلا بأحلى الدعاء نغماً، وأروعه سحر بيان! وإذا تذكرنا أن ابتهال الصالحين كثير في القرآن رغباً أو رهباً، طمعاً أو خوفاً، استعجالاً لخير أو دفعاً لشر [1] أدركنا سراً من أسرار التنغيم ينبعث من كل مقطع في كتاب الله.

قوله β (" رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا & وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا & يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا

---

(1) قارن بإحياء علوم الدين للغزالي ، ج/1، ص/ 301- 372 .

") [2] وإن البيان لا يرقى هنا إلى وصف العذوبة التي تنتهي في فاصلة كل آية بيائها المشددة وتنوينها المحوّل عند الوقف ألفاً لينة كأنها في الشعر ألف الإطلاق: فهذه الألف اللينة الرخية المناسبة تناسقت بها (شقياً ، ولياً ، رضياً) مع عبد الله زكريا، ينادي ربه نداءً خفياً !!.

إن في تكرار عبارة (ربنا) لما يُلين القلب، ويبعث فيه نداوة الإيمان، وإن في الوقوف بالسكون على الراء المذلقة المسبوقة بهذه الألف اللينة لما يعين على الترخيم والترنيم، ويعوض في الأسماع أحلى ضربات الوتر على أعذب العيدان ! .

(" وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا & إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا &رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا &) [3]"

ففي بعض مواقف الدعاء القرآنية الأخرى صخب رهيب : ها هو ذا نوح عليه السلام يدأب ليلاً نهاراً على دعوة قومه إلى الحق، ويصر على نصحهم سراً وعلانية ، وهم يلجون في كفرهم وعنادهم ويفرون من الهدى فراراً، ولا يزدادون إلا ضلالاً واستكباراً. فما على نوح υ . وقد أيس منهم . إلا أن يتملكه الغيظ ويمتلئ فوه بكلمات الدعاء الثائرة الغضبي تنطلق في الوجوه مديدة مجلجلة ، بموسيقاها الرهيبة وإيقاعها العنيف، وما أظنك تتخيل الجبال إلا دكاً، والسماء إلا متجهمة عابسة، والأرض إلا مهتزة مزلزلة، والبحار إلا هائجة ثائرة، حين دعا نوح على قومه بالهلاك والتبار .

(" رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا & رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ") [4]

---

(2) سورة مريم ، الآيات / 4-6

(3) سورة نوح، رقم الآية/ 26-28

(4) سورة الأحزاب، رقم الآية/ 67.

أما الحناجر الكظيمة المكبوتة التي يتركها القرآن في بعض مشاهده تطلق أصواتها الحبيسة بكل كربها وضيقها وبحتها وحشرجتها فهي حناجر الكافرين النادمين يوم الحساب العسير . ولنا الآن أن نتمثل شر ذمة من أولئك المجرمين تلفح وجوههم النار، فيتحسرون ويحاولون التنفيس عن كربهم ببعض الأصوات المتقطعة المتهدجة كأنهم بها يتخففون من أثقال تنقص ظهورهم ويفرغون عن طريقها ما يعانون من عذاب أليم.

ولو شئنا أن نستعرض نماذج أخرى سوى ما سبق لإبراز الإيقاع القرآني العجيب في مواقف الدعاء لطال بنا الحديث وخرجنا عن الإيماءة العجلى إلى البحث المفصل الدقيق، مع أن التوسع في هذا الموضوع لم يكن مقصودا لذاته في كتابنا هذا ، فقد اتجهنا بالدرجة الأولى إلى علوم القرآن، فألممنا بأكثرها إلماماً ، وحاولنا تتبعها في أطوار التاريخية ، ثم عرضنا من غير إسهاب للإعجاز القرآن في التصوير والتعبير والتناسق الفني العجيب.

الجناس لغة:

الجناس أصله في اللغة (ج،ن،س) أي جنس. و ذكر اللغويون له معان كثيرة منها: الجناس مشتق من الجنس ، الجنس ضرب من كل شيء و هو من الناس و من الطير و من حدود النحو و العروض و الأشياء جملة قال ابن سيده: و هذا علي موضوع عبارات أهل اللغة و له تحديد و الجمع أجناس و جنوس.

و منه المجانسة و التجنيس و يقال هذا يجانس هذا أي يشاكله و فلان يجانس البهائم و لا يجانس الناس إذا لم كين له تميز و لا عقل. و الحيوان أجناس: فالناس جنس، و الإبل جنس، و البقر جنس[5].

---

(5) لسان العرب لابن منظور، ج/2، ص/٣٨٣ ، تاج العروس للزبيدي، ج/٢ ص/٢٣١، القاموس المحيط للفيروز آبادي ، ج/ ٢، ص/ ٢٠٥، كتاب العين للفراهيدي، تحت مادة (الجنس)، ص/: ١٦٠ ، أساس البلاغة لزمخشري، ج/ ١، ص/ ٧٣ ، و الجوهري، تاج اللغة و الصحاح العربية لاسماعيل بن حماد: ، ج / ٣،

و يقال أجناس و أكثرهم أنجاس و هو مجانس بهذا و هما متجانسان و مع التجانس التأنس وكيف بوانسك من لا يجانسك[6].

فيتخلص مما تقدم أن الجناس لغة: هو الإتحاد في الجنس كإتحاد النمر و الأسد و السبع في الحيوانية[7].

الجناس اصطلاحا:

"تشابه لفظين نطقا و اختلافهما معني[8] . "

يقول بدوي طبانة صاحب كتاب معجم البلاغة: "و حقيقة التجنيس في مصطلح علماء البيان هو":

"أن تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه يختلف معناهما[9]."

"و نقل صاحب معجم الوسيط تعريف الجناس عن علماء البديع فقال: الجناس اتفاق الكلمتين في كل الحروف أو أكثرها مع اختلاف المعني[10]."

و يقول ضياء الدين ابن الأثير صاحب كتاب ''المثل السائر'' فى تعريف الجناس: و حقيقة أن يكون اللفظ الواحد و المعنى مختلفا، و على هذا فانه هو اللفظ المشترک و ما عداه فليس من التجنيس الحقيقى فى شئى الا أنه قد خرج من

ص/ ٩١٥ ، المعجم الوسيط لابراهيم أنيس و اصحابه، ج /١ ، ص/١٤٠، كتاب البديع لابن المعتز، ص/ ٢٥، عقود الجمان في المعاني و البيان للسيوطي ، ج/ ١ ، ص/ ١٥٩ .

(6) أساس البلاغة ، تحت مادة (جنس) ج/ ١، ص/ ٧٣

(7) بيان العرب في المعاني و البيان و البديع و العروض، ص/ ٢٤٤ ، المعجم الوسيط ، ج/١ ، ص/١٤٠ ، لسان العرب. ج/2، ص/٣٨٣ ، عقود الجمان في المعاني و البيان، ج /١، ص/١٦٠

(8) بيان العرب في المعاني و البيان ، ج/١، ص/٢٤٤ ، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، ص/ ٤١٣ ، المثل السائر في أدب الكاتب، ج/ ١، ص/٣٧٩ ، نقد الشعر، ص/٦٠

(9) معجم البلاغة العربية لبدوي طبانة، ص/١٤٠، كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الأعجاز، ج/٣، ص/٣٥١ ، كتاب الصناعتين، ص/٣٣١

(10) المعجم الوسيط ، ج/١، ص/ ١٤٥ ،المنار في علوم البلاغة، ص/ ٢٠٥ ،

ذلک ما يسمى تجنيسا و ما شبه به فأجرى مجراه، فوجدته ينقسم الى سبعة أقسام واحد منها يدل على حقيقة التجنيس، لأن لفظه واحد لا يختلف، و ستة اقسام مشبهة[11].

"و قال الله β: ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[12]"

"و قال χ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾[13]"

و قال رسول الله صلي الله عليه و سلم: "عصية عصت الله و غفار غفرالله"[14]

و قال صلي الله عليه و سلم: "الظلم ظلمات يوم القيامة"

و قال عليه السلام: "ذو الوجهين لا يكون وجيها يوم القيامة[15]"

أنواع الجناس:

يقول صاحب كتاب المنار في بيان أنواع الجناس: ومن هنا كان الجناس نوعين: "تاما" و "غير تام"[16].

التام: حقيقة أن يتفق اللفظان في كل من : (١) عدد الحروف (٢) نوعها (٣) ترتيبها (٤) هيئاتها[17].

---

(11) المثل السائر فى أدب الكاتب ، ج/١، ص/ ٣٧٩ ، و النظر لمزيد من التفصيل البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغة عند العرب و مناهبها و مصادرها الكبري لبدوي طبانة، ص/ ٩٦

(12) سورة النمل ،ر قم الآية/ 44.

(13) سورة النمل، رقم الآية/ 43.

(14) كتاب البديع، ص/ ٢٥– ٢٦ ، إعجاز القرآن الكريم، ص/٨٢، كتاب الصناعتين، / ٣٢٣ .

(15) : البديع في نقد الشعر لابن المنقذ، أسامة ، ص / ١٤

(16) المنار في علوم البلاغة، ص/ ٦٠٥ ، مختصر المعاني للتفتازاني، ص/ ٢٨٨ ، البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج/ ٣، ص/٤٥٠ ، الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج/ ٢، ص/ ١٣٥

(17) المنار في علوم البلاغة، ص/ ٦٠٥ ، معجم البلاغة العربية، ص/ ١١١ ، بيان العرب في المعاني و البيان و البديع، ص/٢٤٥، مختصر المعاني، ص/ ٢٨٨ ، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، ج/ ١ ، ص/ ٤١٣، كتاب الصناعتين، ص/ ٣٢٣، كتاب البديع، ص/ ٢٦، المثل السائر فى أدب الكاتب، ج/ ١، ص/

و نحو قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾"[18]

الجناس اللفظي الناقص : "هو ما اختلف حروفه سواء أكان الاختلاف في النوع أو العدد أو الهيئة أو الترتيب. "

جناس الاشتقاق: "هو أن يتوافقا في الحروف الأصول مرتبة مع الاتفاق في أصل المعني و يسمي الاقتضاب "

مثل قوله تعالى: **(فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ)** [19]

قال ابن الأثير في المثل السائر: "إن جماعة من علماء البيان يفصلون الاشتقاق من التجنيس وليس الأمر كذالك بل التجنيس أمر عام لهذين النوعين الا أن أحدهما تجنيس في اللفظ و الآخر في المعني لتماثل الألفاظ في الأول، و لتماثل المعني في الثاني. و الأول لم ينقل عن بابه ولا غير اسمه و الثاني نقل عن بابه في التجنيس و تسمي الاشتقاق أي لأن أحد المعنيين مشتق من الآخر[20]."

الجناس المغاير:

"هو أن يكون الكلمتان اسماً وفعلاً [21]"

شواهد الجناس في الأدعية القرآنية

---

٣٧٩ ، التلخيص في علوم البلاغة، ص/ ٣٨٨، أهر البلاغة، ص/ ٧٨ ، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، ص/ ٤١٤ ، مفتاح العلوم، ص/ ٥٣٩ ، كتاب الصناعتين، ص/ ٣٢٧ ،

(18) الاتقان في علوم القرآن، ج/ ٢، ص/ ٢٥١، كتاب جنان الجناس في علم البديع، لصلاح الدين، ص/ ٢٠ ، المطول للتفتازاني ، ص/ ٤٤٥ ، البلاغة و النقد، ص/ ١٠٤ ، كتاب الفوائد، ص/٢٤٠ ، عقود الجمان في المعاني و البيان، ص/١٦٠ ، مختصر المعاني، ص/ ٢٨٨.

(19) سورة الواقعة ، رقم الآية/89

(20) المثل السائر في أدب الكاتب لابن الأثير، ص/ 379 .

(21) البديع في نقد الشعر ، ص/ 12 ,

قال الله β :(" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (22) "

الجناس المغايرة في قوله آمنا و قوله آمن .

قال الله β : (" رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (23)"

جناس الاشتقاق بين كلمتي ، " تب " و " تواب " .

قال الله β : " (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) " (24)

جناس الاشتقاق بين كلمتي " الحكمة " و " الحكيم " .

قال الله β :("وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)" (25)

جناس الاشتقاق في قوله " دعوة" و قوله الداع " دعان" .

قال الله β :(" آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)" (26)

جناس الاشتقاق في قوله " آمن" و " المؤمنون".

قال الله β : (" لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا

(**22**) سورة البقرة، رقم الآية/ **126**

(**23**) سورة البقرة، رقم الآية/ **128**

(**24**) سورة البقرة، رقم الآية/ **129**

(**25**) سورة البقرة، رقم الآية/ **186**

(**26**) سورة البقرة، رقم الآية/**285**

كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)" [27]

جناس الاشتقاق بين كلمتي "كسبت واكتسبت"وبين كلمتي" لا تحملنا و حملته".

قال الله β : "(رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) " [28]

الجناس المغاير في قوله " هب " و قوله " الوهاب".

قال الله β : "(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [29]"

الجناس الناقص بين كلمتي " المالك " و " الملك ".

قال الله β : (" هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء) " [30]

الجناس المغاير في قوله " دعا" و قوله " الدعاء" .

قال الله β:" (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)" [31]

جناس الاشتقاق في قوله "كن " و "فيكون".

قال الله β : (" الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [32]"

---

(27) سورة البقرة، رقم الآية/**286**

(28) سورة آل عمران، رقم الآية/**8**

(29) سورة آل عمران، رقم الآية/**26**

(30) سورة آل عمران، رقم الآية/ **38**

(31) سورة آل عمران، رقم الآية/ **47**

(32) سورة آل عمران، رقم الآية/ **191**

الجناس المغاير في قوله " خلق" و " قوله " خلقت" .

قال الله β : "(رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ[33])"

الجناس المغاير بين كلمتي " للإيمان أن آمنوا فأمنا" وبين كلمتي " منادياً ينادي".

قال الله β : (" رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) [34]"

الجناس المغاير بين : وعدتنا و الميعاد.

قال الله β : "(قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [35]"

الجناس المغاير بين " ارزقنا " وقوله " الرازقين" .

قال الله β : "(قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) [36]"

الجناس في قوله " افتح" و قوله " الفاتحين" .

قال الله β : (" وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ

(**33**) سورة آل عمران، رقم الآية/ **193**

(**34**) سورة آل عمران، رقم الآية/ **194**.

(**35**) سورة المائدة، رقم الآية/**114**.

(**36**) سورة الأعراف، رقم الآية/ **89**

السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ") (37)

جناس الاشتقاق في قوله: " اغفرلنا" وقوله " الغافرين".

قال الله β : "(وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ") (38)

جناس الاشتقاق في قوله " اكتب " وقوله " سأكتبها" .

قوله تعالى:

"﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾(39) "

فهناك جناس الاشتقاق بين كلمتي "الله" و "اله" لكون أصلهما واحد

قال الله β : (" قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ") (40)

جناس الاشتقاق بين كلمتي : " ارحم " و " الراحمين". لكون أصلها واحد.

قال الله β : "(قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (41)"

جناس الاشتقاق بين كلمتي: " ارحم " و " الراحمين " لكون أصلها واحد.

قال الله β : "(قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(42))"

(**37**) سورة الأعراف، رقم الآية/**155**.

(**38**) سورة الأعراف، رقم الآية/**156**

(**39**) سورة التوبة، رقم الآية/ **129**.

(**40**) سورة يوسف، رقم الآية/**64**

(**41**) سورة يوسف، رقم الآية/ **92**.

الجناس المغاير بين كلمتي: " استغفر" و " الغفور". لكون أحدهما اسماً والآخر فعلا.

قال الله β : "(قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) [43]"

جناس الاشتقاق بين كلمتي : " أغويت" و " لأغوين". لكون أصلها واحد.

قال الله β: (" وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) [44]"

الجناس المغاير بين كلمتي " الرحمة " و " ارحم" لكون أحدهما اسما والآخر فعلاً.

قال الله β : (" وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا)" [45]

الجناس المغاير بين كلمتي " أخرج " و " مخرج" لكون أحدهما اسما والآخر فعلاً.

قال الله β : (" قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً) [46]"

جناس الاشتقاق بين كلمتي " ادعوا" و " تدعوا" لكون أصلها واحد.

قال الله β : (" إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا ") [47]

الجناس المغاير بين كلمتي " نادى " و " نداء" لكون أحدهما اسما والآخر فعلاً.

(**42**) سورة يوسف، رقم الآية/**98**.

(**43**) سورة الحجر، رقم الآية/**39**.

(**44**) سورة بني إسرائيل، رقم الآية/**24**.

(**45**) سورة بني إسرائيل، رقم الآية/**80**.

(**46**) سورة بني إسرائيل، رقم الآية/**110**.

(**47**) سورة مريم، رقم الآية/ **3**.

قال الله β : (" فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا) [48]"

جناس الاشتقاق بين كلمتي " نسيا" و " منسيا" لكون أصلها واحد.

قال الله β : "(وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا ") [49]

جناس الاشتقاق بين كلمتي " تدعون" و " وادعوا" لكون أصلها واحد.

قال الله β : (" اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى)" [50]

جناس الاشتقاق بين كلمتي " الله" و " إله" لكون أصلها واحد.

قال الله β : (" وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [51]"

جناس الاشتقاق بين كلمتي " أرحم" و " الراحمين" لكون أصلها واحد.

قال الله β : (" وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) " [52]

جناس الاشتقاق بين كلمتي " الظلمات" و " الظالمين" لكون أصلها واحد.

قوله β: "﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[53] "

الجناس المغاير بين كلمتي "فافتح" ، "فتحا" لكون أحدهما اسما و الآخر فعلا.

(**48**) سورة مريم، رقم الآية/**23**

(**49**) سورة مريم، رقم الآية/**48**.

(**50**) سورة طه، رقم الآية/ **8**

(**51**) سورة الأنبياء، رقم الآية/ **83**.

(**52**) سورة الأنبياء، رقم الآية/ **87**

(**53**) سورة الشعراء، رقم الآية/ **118**.

قال الله β :(" وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ[54])"

جناس المغاير بين كلمتي ، " أنزلني منزلاً " لكون أحدهما اسما والآخر فعلاً.

قال الله β : " (إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) [55]"

جناس الاشتقاق بين كلمتي " وارحمنا" و " الراحمين" لكون أصلها واحد.

قال الله β : (" وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ") [56]

جناس الاشتقاق بين كلمتي " وارحم" و " الراحمين" لكون أصلها واحد.

قال الله β : " (فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [57]"

الجناس المغاير بين كلمتي " فافتح وفتحا" لكون أحدهما اسما والآخر فعلاً.

قال الله β : "(فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)" [58]

جناس المغاير بين كلمتي " نعمتك" و " أنعمت" لكون أحدهما اسما والآخر فعلاً.

قال الله β : (" أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) " [59]

(**54**) سورة المؤمنون، رقم الآية/ **29**

(**55**) سورة المؤمنون ، رقم الآية/ **109**

(**56**) سورة المؤمنون ، رقم الآية/ **118**

(**57**) سورة الشعراء، رقم الآية/ **118**.

(**58**) سورة النمل، رقم الآية/ **19**

(**59**) سورة النمل، رقم الآية/**62**.

جناس الاشتقاق بين كلمتي " الله" و " إله" لكون أصلها واحد.

قوله β:" ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[60] "

جناس الاشتقاق بين كلمتي "فاغفرلي" ، "غفر" لكون اصلها واحد

الجناس المعاير بين كلمتي "غفر" ، " الغفور" لكون أحدهما اسماً و الآخر فعلاً

قال الله β : (" قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ[61])"

جناس الاشتقاق بين كلمتي " قتلت" و " يقتلون" لكون أصلها واحد.

قوله β: "﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾[62]"

جناس الاشتقاق و الجناس المغاير في قوله "ألعن" و قوله "لعنا"

قال الله β : "(لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) [63]"

جناس الاشتقاق في قوله " لتستووا " و " استويتم" .

قوله β : "﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [64]"

الجناس اللاحق بين كلمتي " النذير" و " نصير" لعدم تقاربهما في المخرج. وبين كلمتي " يتذكر" وتذكر" جناس الاشتقاق والجناس المغاير.

(**60**) سورة القصص، رقم الآية / **16**.

(**61**) سورة القصص، رقم الآية/ **33**.

(**62**) سورة الأحزاب، رقم الآية/ **68**.

(**63**) سورة الزخرف، رقم الآية/ **13**.

(**64**) سورة فاطر ، رقم الآية/ **37**.

قوله β : "﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (65)"

جناس الاشتقاق في قوله " يستغفرون" وقوله " فاغفر" .

وفي كلمتي" يؤمنون" و " آمنوا" .

وقوله χ : " ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (66)"

فبين كلمتي " ق" و " تق" جناس الاشتقاق وبينهما الجناس المتنوع لكون الزيادة في أحدهما.

قال الله β : "(هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (67)"

جناس الاشتقاق بين كلمتي " إله و الله " .

قال الله β : "(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) (68)"

الجناس المغاير وجناس الاشتقاق في قوله " هب والوهاب".

قال الله β : "(تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (69)"

جناس المغاير وجناس الاشتقاق بين كلمتي " يستغفرون و الغفور" .

(**65**) سورة غافر، رقم الآية/ **7**.

(**66**) سورة غافر، رقم الآية/ **9**.

(**67**) سورة غافر، رقم الآية/ **65**.

(**68**) سورة ص، رقم الآية/ **35**.

(**69**) سورة الشورى، رقم الآية/ **5**.

قوله β : ﴿" وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(70) "

جناس الاشتقاق والجناس المغاير بين كلمتي " حملتْ" و " حمل " وفي كلمتي " نعمة " و " أنعمت .

قال الله β :(" وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) " (71)

جناس الاشتقاق وجناس المغاير بين كلمتي " يغفر وغفور " .

قوله χ : "﴿ وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (72)"

جناس الاشتقاق والجناس المغاير بين كلمتي " الإيمان" و " آمنوا" .

قوله χ: ﴿" قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ & رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (73)".

جناس الاشتقاق بين كلمتي "كفرنا" و "كفروا " وفي كلمتي " لأستغفرن" و " اغفر" ، وبين كلمتي " قالوا " و " قول" الجناس المغاير أيضاً.

(**70**) سورة الأحقاف، رقم الآية/ **15**.

(**71**) سورة الفتح، رقم الآية/ **14**.

(**72**) سورة الحشر، رقم الآية/ **10**.

(**73**) سورة الممتحنة ، رقم الآية/ **4-5**.

قال الله β : "(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "[74])

جناس الاشتقاق وجناس المغاير بين كلمتي : توبوا وتوبة" .

قال الله β : "(قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا & فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا) [75]"

جناس الاشتقاق وجناس المغاير بين كلمتي " دعوت و دعاء" .

قال الله β : (" وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا) "[76]

جناس المغاير بين كلمتي " ضلوا وضلالاً" .

قوله β : ﴿" وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا & إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾" [77]

جناس الاشتقاق في قوله " الكافرين " وقوله "كفاراً"

قوله β : "﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ "[78] .

فبين كلمتي مؤمنين " و " مؤمنات" جناس الاشتقاق .

قوله χ : ﴿" قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ & مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾" [79] .

الجناس اللاحق بين كلمتي " فلق " و " خلق" لعدم تقاربهما في المخرج.

(**74**) سورة التحريم، رقم الآية/ **8**.

(**75**) سورة نوح، رقم الآية/ **5-6**.

(**76**) سورة نوح، رقم الآية/ **24**.

(**77**) سورة نوح، رقم الآية/ **26-27**.

(**78**) سورة نوح ، رقم الآية/ **28**.

(**79**) سورة الفلق، رقم الآية/ **1-2**.

قال الله β : ("وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) "[80]

الجناس المغاير وجناس الاشتقاق بين كلمتي " حاسد و حسد ".

قال الله β : " (مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ & الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ) [81]"

جناس المغاير بين كلمتي " الوسواس ويوسوس". والجناس المتوج في قوله " الخناس" وقوله " الناس" لكون الزيادة في أول أحدهما.

المحسنات اللفظية في الأدعية القرآنية حسن الافتتاح وبراعة الاستهلال

وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود ويسمى " براعة الاستهلال" ، وهو أن يكون مطلع الكلام دالاً على غرض المتكلم من غير تصريح بل بإشارة لطيفة.

"وأول ما يتلقاك من بلاغة هذه سورة الفاتحة " حسن الافتتاح وبراعة الاستهلال" [82]"

قوله β : (" الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ * [83])"

فإن كان أولها" بسم الله الرحمن الرحيم " على قول من عدها الفاتحة [84] ، فناهيك بذلك حسناً، إذ كان مطلعها مفتتحاً " باسم الله "، وإن كان أولها " الحمد

(**80**) سورة الفلق ، رقم الآية/ **5**

(**81**) سورة الناس، رقم الآية/ **4-5**.

(**82**) الإيضاح، ج/**1**، ص/ **591**، وانظر بغية الإيضاح ، لعبدالمتعال الصعيدي، ج/**1**، ص/ **158**، مكتبة الآداب ومطبعها بالقاهرة .

(**83**) سورة الفاتحة

(**84**) المأثور في تفسير سورة الفاتحة، لدكتور عبد الله بن سليمان الأحمدي، ص/**65 – 66** .

لله" فحمد الله والثناء عليه بما هو له أهل، ووصفه بما له من الصفات العلية أحسن ما افتتح به الكلام " [85]

أما " براعة الاستهلال" فقد استهل القرآن بالفاتحة فجاءت مشتملة على مقاصده . يقول السيوطي في الإتقان : " ومن الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى " براعة الاستهلال" ، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سبق الكلام لأجلهن والعلم الأسنى في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن ، فإنها مشتملة على جميع مقاصده فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن، وهذا هو الغاية في " براعة الاستهلال" مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة " [86]

حسن الختام: ويقال له حسن الختام .

يقول أحمد الهاشمي في كتابه : "هو أن يجعل المتكلم آخر كلامه عذب اللفظ حسن السَّبْكِ صحيح المعنى، مشعر بالتمام حتى تستحق براعة المقطع بحسن الختام، إذ هو آخر ما يبقى منه في الإسماع. [87]"

شواهد حسن الختام في الأدعية القرآنية

قوله β : "﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [88]"

ويختم أولو الألباب دعاءهم باستنجاز وعد الله تعالى وثوابه والاستعفاء من الخزي يوم القيامة وعذابه "﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾" وهذا الابتهال(يدل على شدة الخوف من هذا

---

(85) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ج/1 ، ص/ 31، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

(86) الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي، ج/2 ، ص/ 136. مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة.

(87) جواهر البلاغة ، ص/379

(88) سورة آل عمران، رقم الآية/ 194.

الخز، وشدة تذكره واستحضاره في مطلع الدعاء وفي ختامه، مما يشي بحساسية هذه القلوب ورقتها وشفافيتها وتقواها وحيائها من الله) (89)

حسن الانتهاء هو أن يجعل آخر الكلام عذب اللفظ ، حسن السبك صحيح المعاني فإن اشتمل على ما يشعر بالانتهاء سمي (براعة المقطع) .

كقوله Y : " (لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) "(90)

من حق سورة البقرة وقد اشتملت على العديد من الأحكام ، وانطوت على التشريع الجلي أن يتناول ختامها شكر المنعم الذي منّ على الإنسان بالعقل ليفكر ، ومن حق المنعم عليه أن يعترف لمن اسدى إليه أن يشكرها ويشهد له بالحول والطول والانفراد بالوحدانية المتجلية على قلوب المؤمنين .(91)

وقوله Y :(" إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ & الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ & رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ &رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ & رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ)(92)"، ومن الخصائص البلاغية العامة لهذه الآيات إنها جاءت ختاماً حسناً للسورة لأنها بدأت بذكر أدلة التوحيد والألوهية والنبوة ثم ختمت بذكر دلائل الوحدانية والقدرة ودلائل الخلق والإيجاد الموصول بهذا الدعاء الخاشع المؤثر .

---

(89) في ظلال القرآن، ج/1، ص/ 547.

(90) سورة البقرة ، رقم الآية / 286.

(91) إعراب القرآن صرفه وبيانه ، ج/5، ص/ 415

(92) سورة آل عمران ، رقم الآية / 190-194.

ومن بلاغة هذه السورة وجمالها عذوبة الجرس وحلاوة الإيقاع وتناسبه مع موقف الدعاء، ويتمثل ذلك في جمال المدود والحركات ونظم الفواصل ودقة اختيارها، وأدائها لوظيفتها الدلالية والإيقاعية الصوتية خير أداء ، فمن حيث المعنى جاءت الفاصلة في كل آية من آيات هذه السورة الكريمة متمكنة مطمئنة غير نافرة ولا قلقة،مناسبة لما قبلها، يكتمل بها معنى الآية بحيث لو حذفت أو غيرت لاختل المعنى، تأمل فاصلة الآيتين : الأولى والثانية من هذه السورة " الرحيم " فقد تقدمتها صفة أخرى لله تعالى هي " الرحمن" ، وإذا كان " الرحمن" أبلغ ويلزم من حصول الأبلغ حصول الأدنى فما فائدة هذه الفاصلة ؟

من بلاغة خاتمة سورة البقرة

قال الله β : (" آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ & لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [93]"

لئن كان الدعاء في سورة فاتحة الكتاب خبراً من الله χ بالثناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى، وإرشاداً وتعليماً لعباده المؤمنين أن يتجهوا إليه تعالى بالدعاء بما يليق بجلاله وعظمته ، لئن كان هذا هكذا كما أسلفت ففي خاتمة سورة البقرة يلجأ المؤمنون بضعفهم إلى ربهم في قوته، معلنين إيمانهم واستجابتهم وطاعتهم، طالبين أن يسبغ عليه عفوه وغفرانه ورحمته، متضرعين غليه β برفع الأغلال والآصار وطلب النصرة على الكفار.

(**93**) سورة البقرة، رقم الآية/ **285-286**.

وهذا الدعاء الخاشع الضارع حسن ختام وبراعة مقطع لسورة البقرة التي تعد أطول سورة القرآن الكريم .(94)

حسن التعليل :

يقول أحمد الهاشمي في كتابه : "هو أن يأتي الأديب صراحة، أو ضمناً علة الشيء المعروفة ويأتي بعلة أخرى أدبية طريفة . " (95)

حسن الختام ومن الخصائص البلاغية العامة لهذه الآيات ، أنها جاءت ختامًا حسناً للسورة لأنها بدأت بذكر أدلة التوحيد والألوهية والنبوة ثم ختمت بذكر دلائل الوحدانية والقدرة ودلائل الخلق والإيجاد الموصول بهذا الدعاء الخاشع المؤثر.

شواهد حسن الابتداء في الأدعية القرآنية

يقول أحمد الهاشمي في كتابه : "هو أن يجعل أو للكلام رقيقاً سهلاً واضح المعنى مستقلاً عما بعده، مناسباً للمقام بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكليته، لأنه أول ما يقرع السمع وبه يعرف مما عنده . (96)"

قوله β : "﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾"(97)

ويتأمل هذا المعنى اللغوي للفظ (رب) ثم ملاحظة استهلال الدعاء بها مع إضافتها لياء المتكلم نقول بتأمل ذلك نشعر بكمال الخضوع والتذلل من الداعي مما يكون أدعي للاستجابة له والقبول عند الله β لذا كانت لفظ (رب) التي تفيد الخصوص هنا هي التي يفضلها السياق الكريم عن لفظ الجلالة يا (الله)مثلاً الذي يفيد العموم يقول في ذلك أبو حيان ρ .

---

(94) مجلة جامعة أم القرى .... ص/ 721.

(95) جواهر البلاغة ، ص/332

(96) جواهر البلاغة ، ص/ 377

(97) سورة النمل ، رقم الآية/ 19.

السجع لغة

"السجعة لغة ، سجعت الحمامة أو الناقة سجعاً إذا رددت صوتها على طريقة واحدة ".

ويقال : "سجع المتكلم في كلامه ، إذا تكلم بكلامٍ له فواصل كفواصل الشعر مقفي غير موزون. "

والسجع في علم البديع : " هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد وهو في النثر كالقافية في الشعر. "

السجع في الاصطلاح : يقول أحمد الهاشمي في كتابه : هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من النثر، وأفضله ما تساوت فقره. وهو ثلاثة أقسام[98] (1) المرصع (2) المتوازي (3) المطرف .[99]

شواهد السجع (الفاصلة القرآنية) في الأدعية القرآنية

"﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ & اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ & صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ& ﴾[100] "

التسجيع في ﴿الرحيم﴾ و﴿المستقيم﴾ وفي ﴿نستعين﴾ و ﴿ الضالين﴾ والتسجيع هو اتفاق الكلمتين في الوزن الروي.[101]

السجع المرصع :

"وهو أن تكون ألفاظ المتقابلة في السجعتين متفقة في أوزانها وفي أعجازها، (أي : في الحرف الأخير من كل متقابلين فيها[102]" كقوله Y :(فَقَالُواْ عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ & وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ

---

(98) جواهر البلاغة ، ص/363

(99) البلاغة العربية أسسها وفنوها، ص/ 505

(100) سورة الفاتحة، رقم الآية/ 5-7.

(101) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/1، ص/ 19.

(102) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنوها ، ص/ 503.

الْكَافِرِينَ[103]) وهناك السجع في كلمتين آخرين وهما (لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) و (الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) . "

وقوله Y : "(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي &وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي &وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي & يَفْقَهُوا قَوْلِي [104]) "

السجع المطرف:

السجع المطرف عبارة عن الفاصلتين الموافقتين في التقفية دون الوزن العروضي .فربما نرى الأسجاع في الأدعية القرآنية متوافقة في الحرف الأخير من كل قرينة من قرائنها. وأما ما قبل الفواصل فيكون مطلقا من قيد التوافق في الوزن أن التقفية مثل دعاء المسافر حينما يستوي على المركب : " ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ & وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾[105] "

قوله β : "﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ & رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ & رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ & رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء & الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء & رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء & رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [106]"

"وهذا اللون من الدعاء الذي يجمع بين الثناء والطلب، وصفات المدعو، وحال الداعي هو الدعاء الأكمل الأبلغ الأفضل. " [107]

(**103**) سورة يونس ، رقم الآية / **85-86**.

(**104**) سورة طه ، رقم الآية / **25-28**.

(**105**) سورة الزخرف، رقم الآية **13**/-**14**

(**106**) سورة إبراهيم ، رقم الآية/ **35-41**.

(**107**) الفتاوى ، ج/**10**، ص/ **247**، والوابل الصيب لابن القيم ، ص/ **185**. مكتبة دار البيان .

السجع : التقديم والتأخير

قد روعيت فيها فواصل آياتها ، لما لها من عذوبة الرنين و حلاوة الجرس. فربما نرى قرائنها مختومة بحروف المد قبل الميم أو النون و هما من الأحرف المساعدة على تكوين الغنة و التطريب الصوتي. مثل دعاء المهاجر في سبيل الله β حينما يخرج من بيته: "﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ & وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[108] " كما نجدها كذلك منتهيه بغيرها من الحروف المساعدة في تكوين الأنغام و تحسين الانسجام بفواصل السور المختلفة .

بل قد نجد تقديم بعض العناصر و تأخيرها في الجملة الدعائية عن موقعه الطبيعي النحوي احتفاظا لذلك الصنيع و رعاية للتناغم الصوتي المنيع على رؤس الآي، من دون الاختلال بالمعنى الطبيعي المقصود. ومن غير تهجين الخيال الرائع المنضود، مثل: " (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ [109]) " ونحوه الدعاء: (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا [110]) فتقدم الجار و المجرور في هاتين الجملتين ليس إلا لانسجام الفاصلتين في الآيتين.

البراعة :

"البراعة في إبراز وتصوير الأحاسيس والمشاعر النفسية " ، ومن عناصر الجمال الأدبي في الكلام البراعة في إبراز وتصوير الأحاسيس والمشاعر النفسية والأفكار وقد تكون هذه البراعة بتقديم الفكرة من خلال نظير حسي، أو بالمبالغة في تصويرها ، أو تصوير آثارها ، أو غير ذلك . [111]"

"قولهY :(قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) [112]."

(**108**) سورة يونس، رقم الآية/ **85.86**

(**109**) سورة الزخرف، رقم الآية/ **13**

(**110**) سورة الفرقان، رقم الآية/ **74**

(**111**) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، ج/**1**، ص/ **94**.

(**112**) سورة مريم ، رقم الآية/ **4**.

وقول الله Y حكاية لقول زكريا υ "﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾"

ففي تصوير تسارع انتشار الشيب في رأسه حتى عم الرأس بحالة الاشتعال الذي يسارع انتشاره في الهيشم ، براعة تدل على الحالة النفسية التي أخذ يعاني منها، والتي بدأت تكوية بنار اليأس التي أخذ لهبها ينتشر شيباً في شعر رأسه.(113)

قوله β : ﴿" قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا & وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا & وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا & وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا & مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا & وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا & إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا & رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا&﴾(114)"

هذا ولا يفوت المتذوق لبلاغة هذا النص الكريم أن يشير إلى قوة الجرس الصوتي وامتداده وتناسقه مع جو هذا الدعاء الثائر للحق على الباطل مجسدا في أولئك الظالمين الضالين المضلين ، فالفواصل التي تنتهي بها جل الآيات السابقة . بمقاطعها التي تتألف من صوت متحرك هو الراء ، ومن صوتين ممدودين هما الألف التي قبل الراء والألف التي بعدها . تسهم بجرسها في الإيحاء بتلك المعاناة ، وذلك الجهد الثقيل والصبر الجميل والزمن الطويل الذي قضاه نوح v في دعوة قومه إلى النور والهدى فلم يزدادوا إلا إعراضا وضلالا واستكباراً ، ولم ييئس من إيمانهم دعا عليهم ، فعاقبهم الله بظلمهم وخطاياهم" ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (115)"

الإيقاع والتناسب الصوتي

(113) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج/1 ،ص/ 95.

(114) سورة نوح، رقم الآية / 21-28.

(115) سورة التوبة ، رقم الآية/70.

ولا أدل على هذا الجمال من مجيء جملة (أصلح) مع جاراتها... وتناسب جرسها القرآني المريح مع ما سبقها في نفس الآية الكريمة قال تعالى : "﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ " [116] فضلا عن ما يتوقعه السامع من ألفاظ محذوفة فيزيد المعنى بحذفها جمالا واتساعاً وعمقاً، فالسامع لهذا التركيب الجليل، ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ يتوقع بعده طلباً معيناً لا سيما بعد قوله : ﴿ فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ إنه ينتظر هنا أمراً معيناً أو تعداد أمور مختلفة يرجو فيها الإصلاح في هؤلاء الذرية ولكن ... الجمال يكمن هنا في حذف العبارة القرآنية لها، لينطلق فكر السامع وعقله في تقدير هذا المحذوف الجميل، ولأن الغرض من هذا الحذف هو ذكر الفعل على جهة الإطلاق لا التحديد.

شواهد الإيقاع والتناسب الصوتي في الأدعية القرآنية

(" رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ & رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ & رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ & رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ &) [117]"

هذا هو المجال الخارجي للأدعية القرآنية نرى فيها الإيقاع المنظم في فواصلها و هناك مجال آخر وهو صعيد الإيقاع الداخلي. فنرى في داخل عباراتها التامة (كالآي من الأدعية القرآنية) جملا ذات وزن واحد.وأشبه ما تكون بكافية واحدة،ونجد فقرا أخرى ذات وزن واحد،و أشبه ما تكون بقواف متنوعة. فنرى في تلك الفقر تفاعيل و أوزانا متفرقة لاستيعاب الانفعال بها.

وهذا هو الإيقاع الداخلي المنفجر من اختيار الألفاظ مفردة أو مركبة ذات وقع خاص. والمنبجس من ائتلاف تلك الألفاظ بعضها ببعض في صورة صوتية معينة. وهي التي تفصح عن جمال مفرداتها و عن تشكل عناصر الإثارة للسامع و

(**116**) **سورة الأحقاف ، رقم الآية/ 15.**

(**117**) **سورة آل عمران ، الآيات / 191-194.**

اكتساب الروعة في السامع و روعة متحركة للنفوس، جاذبة لقوى التعقل و الإحساس في الرؤس.

حيث تنظم فيها الأصوات على نهج خاص من التعبير،فتبعث الإثارة و الإمتاع بالتفكير، ويفيد الإحساس بالجمال أمام المستمع، و يتسبب ذلك من التوافق بين الدلالة و الإيقاع أو التجانس بين معنى العبارة و حروفها عند السماع.

كما نرى ذلك في: (" رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي & وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي & وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي & يَفْقَهُوا قَوْلِي) [118]"

يحتوى على أربع جمل قصيرة، ذات إيقاع و نغمه مثيرة مع إتحاد الحرف الروي في الأولين و هو الراء. فإذا قرأها القارئ قرأه فنية يشعر في كل من هؤلاء طابعا إيقاعيا واضحا ، ويرى نغمة ملائمة مع تعدد الأفكار النحوية في النص الدعاء و المقاصد المطلوبة.

قوله β : (" قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا & وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ") [119]

وورد عن هذا في (البنية الايقاعية):

" فإن أول شيء يستدعي انتباهنا، بل أسماعنا، هو تلك الصيغة المبالغة المتمثلة في لفظة (كبّارا) ، إذ أحدثت هذه اللفظة إيقاعية خاصة ذات جرس يتصل بالنطق والسماع، كما ولدت نغمة مشوبة بالقوة والعنف، إذ أن صيغة (كباراً) ، وهي صفة لمكر قوم نوح v تفيد توضيحاً وبلاغة في المعنى، كما تفيد في الوقت نفسه، وقعاً شديداً على النفس، الأمر الذي يحدث إيقاعية تشبع الفم وتملؤه انتفاخاً ضغطاً، وفي الوقت نفسه، تشعر هذه الإيقاعية النفس وكأنها تنحدر إلى الأرض تعبيراً عن شدة مكر الماكرين". [120]

(**118**) سورة طه، رقم الآية/ **28-25**

(**119**) سورة نوح، رقم الآية/ **21-22**.

(**120**) البنية الإيقاعية وجماليتها في القرآن ، ج/**2**، ص/ **3**.

فلنستمع إلى نوع من هذه الموسيقى. " إنها موسيقى الدعاء المتموجة الرخية الطويلة الخاشعة"[121] كما وصفه سيد قطب. ودعاء آخر على لسان إبراهيم V :

(" رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء & الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء & رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء & رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) [122]"

ولسنا كذلك في حاجة إلى قواعد واصطلاحات لنحس أن هذا أسلوب غير الأسلوبين السابقين، منسجم مع الدعاء كل الانسجام، بالتطريب والتموج والاسترسال" .[123]

ومن سحر القرآن أن " النغم الصاعد فيه خلال الدعاء يثير بكل لفظة صورة، وينشئ في كل لحن مرتعاً للخيال فسيحاً: فنتصور مثلاً : ونحن نرتل دعاء زكريا شيخا جليلاً مهيباً على كل لفظة ينطق بها مسحة من رهبة وشعاع من نور، ونتمثل هذا الشيخ ـ على وقاره ـ متأجج العاطفة، متهدج الصوت، طويل النفس، ما تبرح أصداء كلماته تتجاوب في أعماق قلوبنا شديدة التأثير بل إن زكريا في دعائه ليحرك القلوب المتحجرة بتعبيره الصادق عن حزنه وأساه خوفاً من انقطاع عقبه، وهو قائم يصلي في المحراب لا يني ينادي اسم (ربه) نداء خفياً، ويكرر اسم (ربه) بكرة وعشياً، ويقول في لوعة الإنسان المحروم وفي إيمان الصديق الصفي" [124] وورد دعاء المتضرع في هذا النمط من الخطاب القرآني:

"(رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا & وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ

(**121**) التصوير الفني في القرآن ، ص/ **92**..

(**122**) سورة إبراهيم، رقم الآية/ **38-41**

(**123**) التصوير الفني في القرآن ، ص/ **93**..

(**124**) مباحث في علوم القرآن، ص/**337-338**.

لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا & يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ") (125)

" ذلك دعاء زكريا لربه في ضراعة وخفية . " والألفاظ والمعاني والظلال والإيقاع الرخي، كلها تشارك في تصوير مشهد الدعاء" (126) ، " وإن البيان لا يرقى هنا إلى وصف العذوبة التي تنتهي في فاصلة كل آية بيائها المشددة وتنوينها المحوّل عند الموقف ألفاً لينة كأنها في الشعر ألف الإطلاق، فهذه الألف اللينة الرخية المناسبة تناسقت بها (شقياً . ولياً . رضياً) مع عبد الله زكريا، ينادي ربه نداء خفياً! " (127).

ولقد استشعرنا " هذا الجو الغنائي كله ونحن نتصور نبياً يبتهل وحده في خلوة مع الله ، وكدنا نصغي إلى ألحانه الخفية تصاعد في السماء، فكيف بنا لو تصورنا جماعة من الصديقين الصالحين وصفهم الله بأنهم من أولي الألباب" (128)

كيف بنا لو تصونا هؤلاء يشركون ذكراناً وإناثاً، شباناً وشيباً، بأصوات رخية متناسقة تصعد معاً وتهبط معاً وهي تجأر إلى الله وتنشد هذا الفخم الجليل.

(" رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ & رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ & رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ & رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) (129)"

يشرح الدكتور صبحي الصالح هذا الدعاء: " إن في تكرار عبارة (ربنا) لما يلين القلب، ويبعث فيه نداوة الإيمان، وإن في الوقوف بالسكون على الراء المذلقة

---

(125) سورة مريم، رقم الآية/ 4-6.

(126) في ظلال القرآن، ص/4.

(127) مباحث في علوم القرآن، ص/ 338.

(128) مباحث في علوم القرآن، ص/ 338.

(129) سورة آل عمران، رقم الآية/ 191-193.

المسبوقة بهذه الألف اللينة لما يعين على الترخيم والترنيم، ويعوض في الأسماع أحلى ضربات الوتر على أعذب العيدان!" (130)

ويقول سيد قطب في تفسير هذه الآيات الدعائية:

" إن كل سورة من سور القرآن تغلب فيها قافية معينة لآياتها . والقوافي في القرآن غيرها في الشعر، فهي ليست حرفاً متحداً، ولكنها إيقاع متشابه . مثل بصير ، حكيم، مبين، مريب.. الألباب، الأبصار، النار، قرار.. خفياً، شقياً، شرقياً، شيئاً... الخ

قال نوحv :

"(رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا & إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا & رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ") (131)

فيشرح الدكتور صبحي هذا الخطاب القرآني: " أما الحناجر الكظيمة المكبوتة التي يتركها القرآن في بعض مشاهده تطلق أصواتها الحبيسة . بكل كربها وضيقها وبحتها حشرجتها . فهي جناجر الكافرين النادمين يوم الحساب العسير، ولنا الآن أن نتمثل شر ذمة من أولئك المجرمين تلفح وجوههم النار، فيتحسرون ويحاولون التنفيس عن كربهم ببعض الأصوات المتقطعة المتهدجة كأنهم بها يتخففون من أثقال تنقض ظهورهم ويفرغون عن طريقها ما يعانون من عذاب أليم: وإذا هم يوم الدين يدعون ربهم دعاء التائبين النادمين " (132) ويقولون :

"(رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا & رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا)" (133)

(**130**) مباحث في علوم القرآن ، ص/ **338**.

(**131**) سورة نوح ، رقم الآية/ **26-27**.

(**132**) مباحث في علوم القرآن، ص/ **339**.

(**133**) سورة الأحزاب، رقم الآية/ **67-68**.

والابتداء بالنداء ووصف الربوبية " إظهار للتضرع والابتهال" [134] وزيادة الألف " لإطلاق الصوت" [135] فذلك شأن الإيقاع في القرآن "ليست الفاصلة فيه كقافية الشعر تقاس بالتفعيلات والأوزان، وتضبط بالحركات والسكنات، ولا النظم فيه يعتمد على الحشو والتطويل، أو الزيادة والتكرار، أو الحذف والنقصان، ولا الألفاظ تحشد حشداً، وتلصق إلصاقاً، ويلتمس فيها الإبهام والأغراب" [136] بل الفاصلة فيه حرة من أي تقييد، والنظم لا يتابع أي صنعة، والألفاظ خالٍ من كل تعقيد، وهو أسلوب يؤدي غرضه كاملاً بلا نقص، كان إيقاعه لين أو شديد، ويسري بهدوء أو متهيج، وانسيابه كالماء يسقي الغرس ويرويه.

أما من حيث الإيقاع أو الجرس فبكل فاصلة يكتمل التناسق الصوتي الإيقاعي للآية. فهذه السورة ذات روي متقارب، فقد تألفت حروف روي فواصلها من حرفين " الميم " في ثلاث آيات " الرحيم، الرحيم، المستقيم، والنون في أربع آيات" العالمين، الدين، نستعين، الضالين" ، وجميعها يوقف عليها بالسكون مسبوقاً بحرف مد هو " الياء" وذلك مظهر لوحد الجرس في حرف الروي وما قبله، لأن للسكون بعد المد وقعا وأثراً يرتاح له السمع، هذا بالإضافة إلى مدود أخرى قبل الفواصل في " الله، الرحمن، مالك، الصراط، المغضوب، ..." وهذه المدود جميعها مع الفواصل تكسب التنغيم هدوءاً وامتداداً يصور جو الدعاء ويناسب موقف الخشوع والتضرع والمناجاة.

هذا ولا يفوت الناظر في بلاغة هذا الدعاء أن يشير إلى جمال الإيقاع الصوتي وعذوبته وتناسبه وموقف الدعاء، فالوقوف بالسكون على حروف روي الفواصل " الألباب ، ثواب، الأبصار، النار ، قرار" المسبوقة بحروف مد في هذه الفواصل وما قبلها من كلمات يحدث جرساً يهز المشاعر، ويجذب القلوب، ويبعث

---

(134) التحرير والتنوير، ص/1.

(135) الكشاف ، ص/

(136) مباحث في علوم القرآن، ص/ 340.

في النفس الرقة والخشوع (ويمنح الدعاء رنة رخية، وعذوبة صوتية، تناسب جو الدعاء والتوجه والابتهال) [137] .

ومما يلفت النظر هنا تقديم الأرض على السماء خلافاً لما هو غالب في القرآن من تقديم السماء على الأرض، ولعل ذلك لغرض اقتضاه التناسق الصوتي بين لفظة السماء وموقف الدعاء، فلهذا قدمت الأرض وأخرت السماء وجعلت فاصلة ختمت بها الآية لما في السماء من مد يتناسب وموقف الدعاء الخاشع المطمئن، ولو قدمت السماء وأخرت الأرض وجعلت فاصلة لما تم ذلك التناسق الصوتي العذب.

قوله β : (" كهيعص & ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا & إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا & قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا & وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا & يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا & يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا & قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا & قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا & قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا & فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا & "[138])

هذا وإن البيان ليعجز عن وصف عذوبة الإيقاع وحلاوته في فواصل هذا الدعاء الصادق المؤثر : زكريا، خفيّا، شقيّا، وليّا ، رضيّا ، سميّا، عشيّا، وتناسقه مع جو العبادة وموقف الدعاء.

أسلوب التصوير

فالتصوير هو أداء المعاني المجردة عن المادة بصورة مهتزة، يكاد الخيال يجسم تلك المعاني. تصوير الأمور المعنوية بصورة حسية، توضح الفكرة و تقررها في ذهن السامع.

(**137**) في ظلال القرآن، ج/**1**، ص/ **548**.

(**138**) سورة مريم، رقم الآيات/ **1-11**.

و أيما كان فأسلوب الأدعية القرآنية و لاسيما بالوحي الجلي يهيئ للمعاني كلما سحرية متناسقة الإيقاع و يرسم لها صورة حية في جميع تلك البقاع حيث تكسبها جمالا و قوة ذات هدف معين لها في النفس أثر خلاب فنرى خصائص الكلم تنطبق على المعاني و يزيد عليها ذلك النسق السماح لكل لفظ بإتساعه و شحنه من الإيقاع و الدلال و الصور و الظلال.

قوله χ : "(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ & مِن شَرِّ مَا خَلَقَ & وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ & وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ & وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) (139)"

هنا اقتبس من كلام سيد قطب للأسلوب التصويري في القرآن الكريم :

" التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة. فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية. فأما الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة، وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل. فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستعين نظارة، وحتى ينقلهم نقلاً إلى مسرح الحوادث الأول، الذي وقعت فيه أو ستقع، حيث تتوالى المناظر، وتتجدد الحركات، وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى، ومثل يضرب ويتخيل أنه منظر يعرض، وحادث يقع، فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو، وهذه سمات الإنفعال بشتى الوجدانا، المنبعثة من الموقف، المتساوقة مع الحوادث، وهذه كلمات تتحرك بها الألسنة، فتنم عن الأحاسيس المضمرة. "

وكذلك قال الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم:

(**139**) **سورة الفلق ، رقم الآية/ 1- 5.**

" من السمات البارزة للأسلوب القرآني هو اعتماده على الطريقة التصويرية للتعبير عن المعاني والأفكار التي يريد إيضاحها، وسواء كانت معاني ذهنية مجردة أو قصصاً غابرة، أو مشاهد ليوم القيامة وغيرها من المجالات. "

"إن الأسلوب القرآني يحمل تاليه إلى أجواء الصور وكأنه ينظر في تفصيلات الصورة المجسمة أمامه، وكأن المشهد يجري أمامه حياً متحركاً ولا شك أن الفكرة أو المعنى الذي يراد إيضاحه يكون أقرب إلى الفهم وأوضح في الذهن مما لو نقل المعنى مجرداً من تلك الصور الحية، ويكفي لبيان هذه الميزة أن نتصور هذه المعاني كلها في صورها التجريدية ثم نقارنها بالصورة التي وضعا فيها القرآن الكريم" (140)

أسلوب القصص

استخدمها الشارع في الأدعية القرآنية عنه بأطوار شتى و أوضاع مختلفة. نحو دعاء المجاهد: "(وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) " (141) و كدعائه: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) (142)و مثل:

"(فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ "(143)) حيث صور القرآن الحكيم المعاني المجردة بصورة حسية ،وهي الأحوال النفسية من الصبر على مصائب الجهاد. و على نيل الآلام من أعدائه و اصطبار القلب و ربطه بصورة تثبيت الأقدام التي لا تزلزل و لا تنخلع فرارا من الزحف في المعركة الدامية.

---

(140) الأسلوب القرآني الفريد، للدكتور مصطفى مسلم، هذا المقال نشر على موقع : www.55a.net/firas/arabic/indes.php?page=show_det&id=1312&select_page=9

(141) سورة البقرة، رقم الآية/ 250

(142) سورة الأعراف، رقم الآية/ 126

(143) سورة غافر، رقم الآية/ 7

و كذلك نرى تلك المعاني مصورة بصورة أفراغ الماء البارد من فوق الرأس مدارا، فيصيب كل الجسم انحدارا. و مثل ذلك تصوير الدين السماوي و هو الأمر المعنوي بصورة السبيل المحسوس المعهود الموصل إلى الفلاح المقصود.

أولاً جزء من قصة إبراهيم v مع ابنه إسماعيل v ، فقال الله β : " (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ & رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ & رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) (144)"

هذا مشهد من قصة إبراهيم، وهو يبني الكعبة مع ابنه إسماعيل، " وكأنما نحن نشهدهما يبنيان ويدعوان الآن، لا قبل اليوم بأجيال وأزمان" (145)

"يرسم مشهد تنفيذ إبراهيم وإسماعيل θ للأمر الذي تلقياه من ربهما بإعداد البيت وتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود... يرسمه مشهوداً كما لو كانت الأعين تراهما اللحظة وتسمعهما في آن : "

(" وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ & رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ & رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) . "

"وبعد الدعاء تختم القصة فجأة كما يبين لنا سيد قطب" لقد انتهى الدعاء، وانتهى المشهد، وسدل الستار " (146) .

ويبن الجزئيات الدقيقة، فأولاً في البداية: " إن التعبير يبدأ بصيغة الخبر ... حكاية تحكي : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) .

(**144**) سورة البقرة، رقم الآية/ **127-128**.

(**145**) التصوير الفني في القرآن ، ص/ **49**.

(**146**) التصوير الفني في القرآن ، ص/ **49**

ثم ينتقل الخبر إلى الدعاء فجأة : " هنا حركة عجيبة في الانتقال من الخبر إلى الدعاء، هي التي أحيت المشهد وردته حاضراً، فالخبر : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) كان كأنما هو الإشارة برفع الستار ليظهر المشهد : البيت ، وإبراهيم وإسماعيل، يدعوان هذا الدعاء الطويل" [147] .

وكذلك أنه : " عبر بالمضارع فقال: (وَإِذْ يَرْفَعُ) مع أن رفع القواعد كان قبل نزول الآية، وذلك ليخرجه في صورة الحاضر في الواقع لأهميته. " [148] .

ويعبر ابن عاشور عن أسلوب القصة تفصيلاً: " وخولف الأسلوب الذي يقتضيه الظاهر في حكاية الماضي أن يكون بالفعل الماضي بأن يقول وإذ رفع إلى كونه بالمضارع لاستحضار الحالة وحكايتها كأنها مشاهدة لأن المضارع دال على زمن الحال فاستعماله هنا استعارة تبعية، شبه الماضي بالحال لشهرته ولتكرر الحديث عنه بينهم فإنهم لحبهم إبراهيم وإجلالهم إياه لا يزالون يذكرون مناقبه وأعظمها بناء الكعبة فشبه الماضي لذلك بالحال ولأن ما مضى من الآيات في ذكر إبراهيم v من قوله (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ [149]) إلى هنا مما يوجب امتلاء أذهان السامعين بإبراهيم وشؤونه حتى كأنه حاضر بينهم وكأن أحواله حاضرة مشاهدة وكلمة (إذ) قرينه على هذا التنزيل .."[150]

ويقول عن الدعاء: " وجملة (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) مقول قول محذوف يقدر حالاً من (يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ) وهذا القول من كلام إبراهيم v والعدول عن ذكر القول إلى نطق المتكلم بما قاله المحكي عنه هو ضرب من استحضار الحالة قد مهد له الإخبار بالفعل المضارع في قوله : (وَإِذْ يَرْفَعُ) حتى كأن المتكلم هو صاحب القول وهذا ضرب من الإيغال. "[151]

(**147**) التصوير الفني في القرآن ، ص/ **49**

(**148**) الوسيط في تفسير القرآن ، ص/ **4**.

(**149**) سورة البقرة، رقم الآية/ **124**.

(**150**) التحرير والتنوير ، ص/**1**.

(**151**) التحرير والتنوير ، ص/ **2**.

ثم يتقدم القصة ويستمر جو الدعاء إيقاعية الرجاء والطلب. وبينما نحن في انتظار بقية الخبر، إذا بالسياق يكشف لنا عنهما، ويرينا إياهما، كما لو كانت رؤية العين لا رؤيا الخيال، إنهما أمامنا حاضران ، نكاد نسمع صوتيهما يبتهلان:

(" رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ & رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ & رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) [152]"

فنغمة الدعاء وموسيقى الدعاء وجو الدعاء، كلها حاضرة كأنها تقع اللحظة شاخصة متحركة.. وتلك إحدى خصائص التعبير القرآني الجميل. رد المشهد الغائب الذاهب، حاضراً يسمع ويرى، ويتحرك ويشخص، وتفيض منه الحياة ... إنها خصيصة" التصوير الفني" بمعناه الصادق ، اللائق بالكتاب الخالد."[153]

ثم يوضح سيد قطب الدقائق الفنية في تصوير القصة: " وكم في الانتقال هنا من الحكاية إلى الدعاء من إعجاز فني بارز، يزيد وضوحاً لو فرضت استمرار الحكاية، ورأيت كم كانت الصورة تنقص لو قيل: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) يقولان : ربنا ... الخ ، إنها في هذه الصورة حكاية، وفي الصورة القرآنية حياة، وهذا هو الفارق الكبير . إن الحياة في النص لتثب متحركة حاضرة، وسر الحركة كله في حذف لفظة واحدة... وذلك هو الإعجاز. " [154]

ويذكر تفاصيل طريقة الدعاء: " وماذا في ثنايا الدعاء؟ إنه أدب النبوة، وإيمان النبوة، وشعور النبوة بقيمة العقيدة في هذا الوجود، وهو الأدب والإيمان والشعور الذي يريد القرآن أن يعلمه لورثة الأنبياء ، وأن يعمقه في قلوبهم ومشاعرهم بهذا الإيحاء: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .

(**152**) **سورة البقرة، رقم الآية/ 127-129.**

(**153**) **في ظلال القرآن ، س/5.**

(**154**) **التصوير الفني في القرآن، ص/ 49.**

ويفسر طباطبائي هذه القصة كذلك : " قوله β (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) دعاءلإبراهيم وإسماعيل θ ، وليس على تقدير القول، أو ما يشبهه والمعنى يقولان: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ، بل هو في الحقيقة حكاية المقول نفسه، فإن قوله : (يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) ، حكاية الحال الماضية، فهما يمثلان بذلك تمثيلاً كأنهما يشاهدان وهما مشتغلان بالرفع، والسامع يراهما على حالهما ذلك ثم يسمع دعاءهما بألفاظهما من غير وساطة المتكلم المشير إلى موقفهما وعملهما، وهذا كثير في القرآن ، وهو من أجمل السياقات القرآنية . وكلها جميل . وفيه من تمثيل القصة وتقريبه إلى الحس ما لا يوجد ولا شيء من نوع بداعته في التقبل بمثل القول ونحوه" (155).

ائتلاف اللفظ مع المعاني

"هو أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد منها. (156)"

شواهد ائتلاف اللفظ مع المعاني في الأدعية القرآنية

قوله β : "(الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ & الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ & مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ & إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ & اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ (157)) "

وهذا مظهر من مظاهر الدقة والوضوح في اختيار الألفاظ في أسلوب القرآن الكريم، فالقرآن يراعي ما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالاتها، ويوظف كل لفظ بحيث يؤدي معناه في دقة فائقة، فكل لفظة في القرآن وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك دعا القرآن العظيم ألا يستخدم لفظ مكان آخر.

وإذا كان القرآن يراعي الدقة في اختيار الألفاظ فإنه يراعي ذلك في تركيب الجمل ونظمها وبنائها، لتؤدي دلالات معينة لا تؤدي إلا بها. فالجملة القرآنية

---

(155) التصوير الفني في القرآن، ص/ 49.

(156) البلاغة العربية أسسها وفنونها ، ج/2، ص/ 520

(157) سورة الفاتحة/ 1-6

تركيب لا يسد غيره مسده، ومما يشهد لهذا ويؤكد صحته إيثار الجملة الاسمية على الجملة الفعلية في آية (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فما سر هذا الاختيار ؟ .

بالتدبر وإنعام النظر وانطلاقاً من الفروق بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية نجد أن نظم الآية على ما هو عليه يؤدي دلالة معينة تعجز صور التعبير الأخرى عن أدائها على وجهها الدقيق.

فنظم الآية " يفيد أن الحمد ثابت لله تعالى، وأنه χ كان محموداً قبل حمد الحامدين له، فسواء منهم حمدوا أو لم يحمدوا فهو محمود من الأزل إلى الأبد، بحمده القديم وكلامه القديم. "

وأما التعبير بالفعل (أحمد أو نحمد الله) فلا يفيد أكثر من الإخبار بحدوث الحمد من العبد لخالقه، وما وراء ذلك من المعاني مسكوت عنه ولا يمكن للفعل أن يدل عليه) [158] .

والمتأمل دلالة النعت المضاف (رَبِّ الْعَالَمِينَ) يجد أن وصف المعبود بالربوبية في مقام الدعاء والثناء (أقرب ـ كما يقول العلامة الألوسي ـ لدر ثدي الإجابة وأقوى لتحريك عرق الرحمة) [159] .

وتأتي آية (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) لتثبت صفة كمال لله تعالى تضاف إلى صفات الكمال السابقة" الرب" الرحمن ، الرحيم ، المالك " . والمولى χ مالك ومتصرف في الأيام كلها، وفي كل شيء ، فما وجه تخصيص يوم الدين بالإضافة؟ وما دلالته البلاغية ؟

"والإضافة هنا ـ كما يقول المفسرون ـ (لتعظيم ذلك اليوم أو تهويله أو لبيان تفرده تعالى بإجراء الأمر فيه) [160]."

---

(158) من بدائع النظم القرآني، ص/ 90.

(159) روح المعاني، ج/1 ، ص/ 80.

(160) تفسير أبي السعود، ج/1 ، ص/ 25، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/1 ، 1419.

هذا والثناء على الله بتلك الصفات الجليلة بعد الدلالة على اختصاص الحمد به تعالى اقتضى خطابه بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة، لهذا جاء النظم على هذه الصورة. (" إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) . " [161]

قوله β : "﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ "

فأصرح الخطاب لما ذكر النعمة ثم قال : " ﴿ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ ﴾ "عطفا على الأول، لأن الأول موضع التقرب من الله يذكر نعمه وآلائه فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب فأسند إليه النعمة لفظاً وزوي عنه لفظ الغضب تحنّنا ولطفاً.[162]

قوله β : (" لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ") [163]

نقرأ الأدعية القرآنية و لاسيما التي نبعت من الوحي الجلي ،فإذا هي دقيقة السبك ،محكمة السرد متينة الأسلوب، قوية الاتصال. فكل دعاء منها كلام أخذ بعض أجزائه برقاب بعض في عبارته و جمله، يجرى دم الإعجاز في كلمها. فترى كل دعاء منها كأنه حلقة مفرغة ، أو كأنه سمط وحيد وعقد فريد يأخذ بالأبصار، نظمت حروفها و كلمها بأقوى الاوتار، ونسقت جملها فتبعث الروعة في الأفكار. جاء آخر الكلام مساوقا لأوله و بدا أوله مواتيا لأخره. ولا يترآئ أحد تلك الخصائل الحميدة في أسجاع الكهنة و المتنبئين قط.

لا تحسبن أن جودة السبك و إحكام السرد شيء لا يعتد به. وذلك لأن الكلام هو مرآة المعاني، فإذا اتسق و اتحد و تأبطت أجزائه و تلاحمت أفراده و

(**161**) **مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج/15، ص/ 716، ع/ 26 .**

(**162**) **إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/1، ص/ 17.**

(**163**) **سورة البقرة، رقم الآية /286**

أحكم سرده صفت معانيه و انجلت و إن لم يكن الكلام كذلك فسيتبدد المعنى و ستفترق أجزائه لا محالة كما تبدد الصورة المرئية على المرآة المشروخة.

ثم إنا نجد في الأدعية القرآنية رصف المعاني كرصف المباني ،بعضها البناء لبنة فلبنة، ويضع ما بين اللبنات ما يربط بعضها ببعض ،ثم يعود عليها كلها بما يغطى آحادها و يظهرها على كمال المؤثر: " ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. "

قوله β : "﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾[1] "

وصيغة ﴿ تُزِغ ﴾ أدل على معنى الانحراف عن الحق من نحو " تمل " فالزيغ يحصل بسبب عوارض تعرض للعقل من خلل في ذاته أو دواع من الشهوة واللبس، أو ضعف في الإدارة تميل بالنفس عن الفضائل الكريمة التي كانت تتحلى بها إلى الخصال الرذيلة [2] .

والتعبير بـ " القلب " أدل على المعنى المراد في سياق الدعاء هنا من كلمة "الأفئدة" التي جاءت في بعض الآيات.

ولعل الدعاء الذي كان يكثر منه γ يوضح هذه الدلالة وهو " اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " [3] ففي كلمة " القلب " معنى الانقلاب من حال إلى حال .

قوله β :(" رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء[1])"
الدُّعَاء[1])"

---

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/ 8

(2) تفسير التحرير والتنوير ، ج/3 ، ص/ 170.

(3) تفسير ابن كثير ، ج/1 ، ص/ 348.

وقال زكريا v في دعائه : "﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء ﴾" ولم يقل هب لي ذرية طيبة، لأن " حصوله في العرف والعادة له أسباب مخصوصة، فلما طلب الولد مع فقدان تلك الأسباب كان المعنى: أريد منك إلهي أن تعزل الأسباب في هذه الواقعة، وأن تحدث هذه الولد بمحض قدرتك من غير توسط شيء من هذه الأسباب " [2].

والمراد بكلمة ﴿ ذُرِّيَّةً ﴾ النسل، وهي كلمة نفع على الواحد والجمع والذكر والأنثى.

و زكريا v حرص على أن يهبه الله ولداً صالحاً يكون نسله صالحين .

وتأنيث ﴿ طَيِّبَةً ﴾ لتأنيث الذرية في الظاهر، فالتأنيث والتذكير في أسماء الأجناس تارة يجيء على اللفظ وتارة على المعنى [3] .

ووصف الذرية بـ ﴿ طَيِّبَةً ﴾ ، لأنها هي التي يرجى منها خير الدنيا والآخرة، وهي التي تعمل الأعمال الصالحة النافعة لها ولآبائها ولجماعة المؤمنين.[4]

وفي ختام الآية بقوله : ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء ﴾

وقال زكريا v في دعائه : "﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء ﴾" ولم يقل هب لي ذرية طيبة، لأن " حصوله في العرف والعادة له أسباب مخصوصة، فلما طلب الولد مع فقدان تلك الأسباب كان المعنى: أريد منك إلهي أن تعزل الأسباب في هذه الواقعة، وأن تحدث هذه الولد بمحض قدرتك من غير توسط شيء من هذه الأسباب " [5].

(**1**) **سورة آل عمران، رقم الآية/ 38**

(**2**) **تفسير الرازي، ج/8، ص/ 33.**

(**3**) **تفسير الرازي، ج/8، ص/ 33.**

(**4**) **التحرير والتنوير ، ج/3، ص/ 238.**

(**5**) **تفسير الرازي، ج/8، ص/ 33.**

والمراد بكلمة ﴿ ذُرِّيَّةً ﴾ النسل، وهي كلمة نفع على الواحد والجمع والذكر والأنثى.

و زكريا v حرص على أن يهبه الله ولداً صالحاً يكون نسله صالحين .

وتأنيث ﴿ طَيِّبَةً ﴾ لتأنيث الذرية في الظاهر، فالتأنيث والتذكير في أسماء الأجناس تارة يجيء على اللفظ وتارة على المعنى [1] .

ووصف الذرية بـ ﴿ طَيِّبَةً ﴾ ، لأنها هي التي يرجى منها خير الدنيا والآخرة، وهي التي تعمل الأعمال الصالحة النافعة لها ولآبائها ولجماعة المؤمنين.[2]

"﴿ وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]"

فقد عطف الحمد على إتيان العلم، و هذا إشعار بأن الحمد الذي قالاه ، كان سببه العلم الذي أوتياه .فجاء المسبب وهو الحمد من جنس السبب ، وهو إتيان العلم، فإن السبب يجب أن يكون عظيماً–وهو الحمد–، ولذلك قالا: الحمد لله ، ولم يقولاالشكر لله ، لأن الحمد أعظم من الشكر، فالحمد يكون للذات الإلهية ولصفاته ولنعمه ، بينما يكون الشكر فقط على النعمة الإلهية أكثر منها لذاتها وصفاتها، وكذلك يكون الحمد بالقول والفعل و التأمل والتفكير في مخلوقات الله. بينما الشكر بالقول والفعل ولذلك قال تعالى : ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً ﴾[4] والحمد أوقع تأثيراً في النفس من الشكر فالحمد صفة نفسية قلبية عقلية يترك في النفس أثراً، فهو ينبع من قرارة النفس و من القلب، فتجعل الحامد أعلى درجة من الشاكر، وأكثر تجرداً من الأنانية وحب الذات ، ويكفينا قوله صلى الله عليه

---

(1) تفسير الرازي، ج/8، ص/ 33.

(2) التحرير والتنوير ، ج/3، ص/ 238.

(3) سورة النمل ، رقم الآية/ 15.

(4) . سورة سبأ، رقم الآية/ 13، أي اشكروا يا آل داؤد ربكم على هذه النعم الجليلة واعلموا بطاعة الله شكراً له جل جلاله،

وسلم:"الحمد رأس الشكر" [1]وحمد داؤد و سليمان لله تعالى كان هو التفضيل الثاني لهما.

ولقد جاء الحمد معرفاً وبأل الاستغراقية، ليشمل على كل حمدلله تعالى، وكذلك جاء الحمد مرفوعاًليفيد الديمومة و الاستمراروالثبات كقوله تعالى بالنسبة لتحية الإسلام "﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ ﴾ [2]" فجاء سلام إبراهيم – عليه السلام – مرفوعاًفكان أبلغ من سلام الملائكة الذي كان مفتوحاً.

لقدإستغرق حمد داؤد و سليمان لله تعالى كل حمد، قال – صلى الله عليه وسلم– : "اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله بيدك الخير كله إليك يرجع الأمركله علانيه وسره" [3].

داؤد وسليمان حمدا الله ، ولم يفتخر بعلمهما ، فكان هذا تواضعاً منهما لله خالقهما ، وهو الذي قدرهما على حمد هما له، فكان هذا التواضع وعدم الإغتراربالعلم هو تفضل الإلهي الثالث عليهماوالمتمثل في قوله سبحانه : "﴿ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾" وهذا إعتراف منهما أن هناك من هو أفضل منهما، فالآية تدل على أنهما فضلا على كثيرٍ، ونوجز عظمة قوله تعالى على لسانهما : ﴿ وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾في أربع نقاط.

الأولى : إن عظمة الحمدوهو المسبب جاء من جنس عظمة العلم وهو السبب.

الثانية: إن عظمة الحمد جاءت من كون الحمد وردمعرفاً بأل الإستغراقية ليشمل كل الحمد.

---

(1) فيض الكبير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤف المناوي ، دار المعرفة / بيروت ، ط 2، 1972م ، ج418/3

(2) . سورة الذاريات ، رقم الآية/ 25.

(3) . رواه أحمد في مسنده ،ج490/5، مسند الأنصار.

الثالثة: إن عظمة الحمد جاءت من كون الحمد وردمرفوعاً ليدل على ثباته وإستمراره ، وهذا عكس الحمد المنصوب الذي يحتاج للتجديد.

الرابعة: إن عظمة الحمد جاءت من كون الحمد وورود الثناءعلى الله تعالى بكلمة الحمد لا بكلمة الشكر – لأن الحمد أعظم من الشكر–على نعمه التي فضلهما بها على سائر خلقه.

إن التفضيل الإلهي الرابع على داؤد وسليمان ، يأتي من كون حمدهما لربهما، وإن ما جاء في معرض الإبتداء الرباني لهما فنجحا فيه،و حمدا الله على إبتلائه لهما.

قوله β : (" وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ[1]) "

قال الزمخشري : "وحقيقة أوزعني :اجعلني أزع شكر نعمتك عندي و أكفه و ارتبطه لا ينفلت عني حتى لا أنفك شاكراً لك" [2].

وكما يقول سيد قطب رحمه الله : بهذا الندا ء القريب المباشر المتصل: أوزعني: أجمعني كلي ، و أجمع جواري ومشاعري و لساني و جناني وخواطري و خلجاتي وكلماتي وعباراتي و أعمالي وتوجهاتي ، وأجمعني كلي أجمع طاقاتي كلها أولها على آخرها،وهذا هو المدلول اللغوي لكلمة أوزعني لتكون كلهافي شكر نعمتك علي وعلى والدي [3]. فتكون حقيقة أوزعني : ألهمني ووفقني و قدرني و أعني وساعدني على شكر نعمائك وأفضالك ألتيأنعمتها علي وعلى والدي.ولقد ادرج ذكر والديه ، لأن النعمة على الولد نعمة على الوالدين ، خصوصاً نعمة الدين والإيمان و الصلاح ، فالولد إن كان تقياًنفع والديه بدعائه و شفاعته ، ودعا المؤمنين لهما.وقوله: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾ وهو ايضاً نعمة من نعم الله يدعو به المرء المؤمن.وهو

---

(1) سورة النمل، رقم الآية/19

(2) . الكشاف عن حقائق التنزيلوعيون الأقاويل, محموج بن عمر الزمخشري, دار الفكر بيروت، ج 142/3.

(3) . سيد قطب في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط 1971،7م ، ج18/267–268.

فضل من الله يؤتيه لمن يشكره على نعمائه، وسليمان هو الشاكر هنا يدعو ربه أن يرزقه من الأعمال الصالحات، ويوفقه إلى كل عمل صالح يرضى به عنه ربه. وعلى اعتبار أن العمل الصالح يبقي من نعم الله العظيمة التي تستحق الدعاء لها.

وقوله : "﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾" أي يوفقني برحمتك أن أكون فرداً في مجموع عبادك الصالحين، وأكون منهم ومعهم حتى ندخل الجنة برحمتك وتوفيقك.

وقال: "﴿فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾" ولم يقل مع عبادك الصالحين، لأن في ذلك أكثر إعجازاً في البيان.وفي الرحمة ،فبالنسبة للبيان:فإن عبارة ﴿فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾تفيد إظهاراً للعبودية لله أكثر، تواضعاً لله أكبر، وتفيد حسن الظن بالله، والإخلاص له في الدعاء ، فيكون بدعائه : ﴿ فِي عِبَادِكَ﴾رجاء منه إلى الله أن يجعله في داخلٍ ، ومن بين.وفي زمرة الصالحين كفردٍ منهم، ويتساوي معهم في حسن الصلاح والإيمان والثواب.

وبالنسبة للرحمة: فإن ﴿فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾تفيد طلب الرحمة من الله ، وبكل تذللٍ و خشوعٍ له، ورجاء منه إلى أن يكون من بين ، وفي زمرة ، وفي جملة من وسعتهم رحمة الله ، فكان الرجاء أن يدخله في عباد الله المرحومين من جنس دعائه ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ ﴾هو على إعتبار أن نعمة الله المرجوة : بأن يكون من المرحومين الصالحين هي مسبب لسبب سابق من جنسها هو دعاءه بالقول: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ ﴾ وفي كل هذا صريح إذعان و ازلال و خشوع وخضوع من سليمان لربه.وإن قوله: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ فيه إقرار و اعتراف من سليمان بأن تحقيق الهداية والصلاح والخير ودخول الجنة لا يكون إلا برحمة الله تعالى، فاعمل مهما عظُم ، فلوحده ، وبدون رحمة الله ، لن يدخل صاحبه الجنة وهذا ما أكده الرسول _صلى الله عليه وسلم- بقوله : "لن يدخل أحدكم الجنة

بعمله ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال : ولا أنا أن يتغمدني الله بفضلٍ ورحمة فسددو وقاربوا" [1].

"وقوله تعالى أيضاً: ﴿رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [2]قال أبو حيان : "ومعلوم أنه عليه السلام معصوم عما يكون سبباً لجعله من الظالمين ، ولكنه أمر أن يدعوا بذلك إظهاراً للعبودية وتواضعاً لله " [3]."

وبهذا الدعا ء: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ يختم سليمان حكايته مع النملة ، ويبداء حواره مع هدهد.

"أما مادة (وَزَعَ) في اللغة فكما ذكر ابن فارس إنه بناء موضوع على غير قياس ولها استعملان. "

"لأول : ويعني الكف والحبس كما يقال (ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن)[4] "

"الثاني : ويعني الإلهام أو الولع بالشيء قال ابن فارس : (يقال : أَوزَع اللهُ فلاناً الشُّكرَ، الْهَمَهُ إِيَّاه، ويقال : هو من أوزع بالشيء، إذا أولع به، كأنَّ الله تعالى يولعه بشكر، وبها أوزاعٌ من الناس أي جماعات [5]"

والأنساب للسياق هو المعنى الثاني أي الإلهام والولع وهنا نلمح جمال اللفظ في موقعه إذ إن المؤمن قد تشغله هموم الدنيا وأعباء الحياة عن تذكر أهم النعم المسبقة عليه كالإسلام وتوحيد الله β [6].

---

(1)رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، كتاب المرضى برقم : 5349.

(2)سورة المؤمنون ، الآية : 94.

(3)تفسير البحر المحيط ، عبد الله بن محمد بن علي بن حيان الأندلسي ، ط/الأولى،مطبعة السادسة بمصر،1320هـ، ج 6/420،419.

(4) مجلة جامعة أم القرى ، ع/ 11، 1416، ص/ 26

(5) نفس المرجع.

(6) مجلة جامعة أم القرى ، ع/ 11، 1416، ص/ 26.

لذا كان جميلاً أن يلهمه الله β ومن أفضل منه ملهماً؟ ! بل ويولعه أيضاً بشكر هذه النعمة،.

لا سيما وأن الشكر من أهم أسباب المحافظة على النعمة واستمرار زيادتها قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (1)

وقد جاءت السنة المطهرة مؤيدة لهذا المعنى مؤكدة عليه إذ كان من وصايا رسول الله γ لمعاذ بن جبل η أن قال له : " يا معاذ إني والله لأحبك فلا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول : " أللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" .(2)

ولتتأمل هنا استعمال السياق الكريم جملة (أشكر) والتي قد يمكن أن يكون بدلاً منها (أحمد) مثلاً ، لأن الشكر يمكن أن يكون حمداً وليس كل حمد شكراً ، قال الأصفهاني : (والشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة فكل شكر حمد وليس كل حمد شكراً...) (3)

"وجاء في تاج العروس عن الشكر: (إن الشكر يكون القلب خضوعاً واستكانةً وباللسان ثناءً واعترافاً، وبالجوارح طاعةً وانقياداً ، ومتعلقه المنعم دون الأوصاف الذاتية فلا يقال شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه وهو المحمود بها كما هو محمود على إحسانه وعدله والشكر يكون على الإحسان والنعم فكل ما يتعلق به الشكر من غير عكس فإن الشكر يقع بالجوارح والحمد باللسان) . وفي موضع آخر من التاج ذكر عن ثعلب أن الحمد يكون عن يد وغير يد. أما الشكر فلا يكون غلا عن يد. وأيدَّه في ذلك الأزهري، وقيل الحمد هو الرضا والجزاء وقضاء الحق .(4) "

---

(1) سورة إبراهيم ، رقم الآية/ 7.

(2) مجلة جامعة أم القرى ، ع/ 11، 1416، ص/ 27

(3) مجلة جامعة أم القرى ، ع/ 11، 1416، ص/ 28.

(4) تاج العروس ، ص/ 430

في ضوء هذا المعنى اللغوي الجميل تلمح البلاغة القرآنية في مجئي جملة (أشكر) هنا إذ إن الشكر في هذا الموضع شمل الحمد والثناء على المعطي الأولβ وهذا هو المطلوب في الدعاء حتى يكون مستجاباً بإذن الله تعالى .

"قوله β : (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) [(1)]"

موضع الجمال في قوله (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) ،

"حركة الاشتعال التي تتناول الرأس في لحظة، فهذه الحركة التخييلية تلمس الحس وتثير الخيال، وتشرك النظر والمخيلة في تذوق الجمال . وهي في (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) أوضح وأقوى، لأن حركة الاشتعال هنا حركة ممنوحة للشيب. وليست له في الحقيقة، وهذه الحركة هي عنصر الجمال الصحيح، يدل على ما نقول، إن الجمال في قولك: (اشتعل البيت ناراً) ، لا يقاس ولا يقرب من قول القرآن: (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) ، ففي التعبير بالاشتعال عن الشيب جمال، وفي إسناد الاشتعال إلى الرأس جمال آخر، يكمل أحدهما الآخر، ومن كليها، لا من أحدهما، كان هذا الجمال الباهر. [(2)]"

"قولهβ : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا & إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[(3)]"

الملائمة الواضحة بين الألفاظ و المعاني،فالأدعية التي سيقت في التهويل و الدعاء على أحد، فنرى كلمها قوية ذات جزالة رهيبة، و ربما تكون كلماتها لينة ذات سهولة رغيبة ، كما يترای في كلم الاستعفاف، و جمل الاستعطاف من الأدعية القرآنية. كقولهβ : "﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا & إِنَّكَ

(**1**) سورة مريم ، رقم الآية/ **4**.

(**2**) التصوير الفني في القرآن ، لسيد قطب، ص/ **29**.

(**3**) سورة نوح، رقم الآية/ **26**–**27**

إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾" [1]. حيث رسم مشهد هلاكهم المروع المخيف و هو الذي يشاهد بعد دمارهم العنيف.

اختيار الكلم قوية الإيحاء ، معتبرة سهلة. واضحة التعبير عن المعنى المقصود تكون بينها مناسبة تامة بحيث لو نزعت من تلك الجملة الدعائية كلمة و أقيم مقامها ما يرادفها من لفظة حسينة لاختل معنى الجملة لا محالة.

مثل نفي اتخاذ الولد في: "﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾"[2] وإن يترائ مترادفا لنفي توليد الولد في ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[3] بادئ الرأي. إلا أن دقة النظر و عمق الفهم يكشف لكل منهما موقعا يلائم و يليق به، حيث لا يسد كل منهما موقع الأخر ففي الأول ترديد الولد المجازى المزعوم عند مشركي اليهود ، وعند النصارى و عامة جاهلي العرب و الهنود، حيث زعموا أن بعض الصلحاء من الأنبياء ومن تابعهم قربهم الله تعالى لديه قرب الولد من الوالد فيكره تفجيعهم بترديد شفاعتهم لأحد من المستشفعين بهم. بل ربما ينوبون منابة في شؤون الربوبية، كما هو حال الولد المطيع المحسن عند الوالد فما هذا إلا ترديد الشبيه بالولد . و أما الجملة الثانية ((لم يلد)) ففيها ترديد التوليد الحقيقي كما لا يخفي على من له أدنى مسكة في الأدب العربي و أساليبه.

وإيثار كلمة : ﴿الظَّالِمِيْن﴾ على الكافرين ، لأن الذي لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر فقد ظلم نفسه والآخرين من عباد الله بارتكاب المعاصي والإفساد في الأرض.

وبعد أن أعلن أولو الألباب إيمانهم بالله وباليوم الآخرن رابطين ذلك بالتفكير في دلائل قدرته تعالى ، أعلنوا في الآية الآتية إيمانهم برسوله داعين متضرعين قائلين : "﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَار ﴾ "

---

(1) سورة نوح ، رقم الآية/ 27– 26

(2) سورة الإسراء، رقم الآية/ 110

(3) سورة الإخلاص، رقم الآية/ 3

ائتلاف بين اللفظ والمعنى

قد تحققت في الأدعية القرآنية الدقة من حيث أداء الفكرة كما هي في الضمير، ممتازة عما سواها، ظاهرة الخواص و المعالم. فنرى تلك الفكرة المودوعة في العبارة سهلة قريبة .

فنجد انطواء تلك الأدعية على الكلمات المعينة الدالة على الفكرة المقصودة دلالة كاملة من غير اشتراك بين معان، حيث لم تبق فيه لطافة بعيدة الفهم مخترعة، تلفت النظر ويحتاج إلى أناة و احتوائها على الكلمات الظاهرة المعالم والميزات ، حيث يعرف السامع الفروق الدقيقة بينها و بين ما يرادفها ويميزها عما عداها من غير كد ومشقة .

مثل ((إقامة الصلاة)) في دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام ((ربنا لِيُقِيْمُوْا الصَّلاةَ))[1] له ميزة لا توجد في جملة ((ليأدوا الصلاة)) فإن ((ليقيموا)) يدل على الاستمرار التجددي بخلاف جملة ((ليؤدوا الصلاة)) فإن فعل ((ليؤدوا)) و إن كان يدل على التجدد بمقتضى المضارعية إلا أن نفس الأداء لا يقتضى الاستمرار.

حسن الترتيب

هذه من أهم موضوعا علم البديع وتشتمل على النظم الرائعة بين أفكار والبيان حتى يحس القاري روعة حسن البيان وتنسيق ا لكلام .

كقوله Y:(" رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ & وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ & وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ [2]) "

في قوله Y (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) فقد استوهب الحكم أولاً ثم طلب الإلحاق بالصالحين، والسر فيه دقيق جداً ، ذلك أن القوة النظرية مقدمة على القوة العلمية ، لأنه يمكنه أن يعلم الحق وأن لم يعمل به ، وعكسه غير

---

(1) سورة إبراهيم، رقم الآية/ 37

(2) سورة الشعراء ، رقم الآية / 83-85

ممكن ، لأن العلم صفة الروح والعمل صفة البدن : وكما أن الروح أشرف من البدن ، كذالك العلم أفضل من الصلاح.

وفي قوله Y : "(وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ") فاللسان مجاز عن الذكر بعلاقة السببية ، واللام للنفع ، ومنه يستفاد الوصف بالجميل .

وقوله Y : "(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ [1]")، ونبه هنا على التفكير في خلق هذه الأمور الأربعة : السموات ، والأرض ، والليل، والنهار واختلافهما، لأنها أعظم المخلوقات التي يراها الإنسان، وقد يألفها فلا يتفكر فيها.

وقد جاءت على ترتيب البديع فأعظم الآيات خلق السموات، ثم الأرض ، ثم اختلاف الليل والنهار.

وقولهY : "(رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ) [2] " وورد دعاؤهم على ترتيب بديع حيث بدؤوا بطلب غفران الذنوب وهي الكبائر من المعاصي ثم طلبوا تكفير السيئات ، وهي الصغائر ، ثم طلبوا الوفاة مع الأبرار ، وهم أفاضل الصالحين من عباد الله.

وقولهY : "(وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [3]")، فنجد في هذه الآية حسن الترتيب حيث طلبوا أولاً:(إفراغ الصبر على قلوبهم عند اللقاء وثانياً : ثبات القدم والقوة على مقاومة العدوّ حيث أن الصبر قد يحصل لمن لا مقاومة له ، وثالثاً : العمدة والمقصود من المحاربة وهو النصرة على الخصم حيث إن الشجاعة بدون النصرة طريق عتبته عن النفع خارجة.

تعريف رد العجز على الصدر:

---

(1) سورة آل عمران ، رقم الآية / **190**.

(2) سورة آل عمران ، رقم الآية / **194**.

(3) سورة البقرة ، رقم الآية / **250**.

يقول أحمد الهاشمي في كتابه : " في النثر هو أن يُجعل أحد اللفظين المكررين أو متجانسين، أو ملحقين بهما بأن جمعهما اشتقاق أو شبهه في أول الفقرة ثم تعاد في آخرها . [1]"

شواهد رد العجز على الصدر

قوله β : "﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[2] "

وفي هذه الآية رد العجز على الصدر ، فقد رد ﴿ الْعَزِيْزُ ﴾ إلى تفرده بالوحدانية التي تقتضي العزة، ورد ﴿ الْحَكِيمُ﴾ إلى العدل الذي هو القسط، فهو تعالى حكيم لا يتحيفه جور أو انحراف.[3]

"رد العجز على الصدر في الكلام عبارة عن ورود المتجانسين المكررين فيه بأن يكون أحدهما في بدايته و الثاني في نهايته و يجمعهما الاشتقاق. وهذا هو رد العجز على الصدر نجده في كثير من الأدعية القرآنية مثل : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾[4] فكلمتي (هب) و (الوهاب) و إن اختلفا معنى لاختلاف هيأتيهما (فان الأول صيغة الأمر الحاضر، و الثاني صيغة المبالغة للفاعل). بيد أن الاشتقاق من (الوهب) المصدر ينظمهما في السمطه الواحد. "

التعديد (أو حسن التعديد):

و قالوا من البديع فى الألفاظ المفردة المتتالية أن يؤتى بها على سيا ق واحد، دون أن يكون بينها ما يشذ و ينبو عن الذوق الأ دبي الرفيع ، في دلالاتها و الفا ظها ، و أكثر ما يوجد في الصفات المتتاليات. وسموا إيقاعها على سياق واحد متلائم : ((التعديد)) و الأحسن أ ن يسمى ((حسن التعديد)).

---

(1) جواهر البلاغة ، ص/366

(2) سورة آل عمران، رقم الآية/ 18.

(3) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/1، ص/ 474.

(4) سورة آل عمران، رقم الآية/ 8

شواهد التعديد في الأدعية القرآنية:

"قوله β (شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [1]"

في الآية رد العجز على الصدر، فقد رد العزيز إلى قوله β (لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ) أي إلى تفرده بالوحدانية التي تقتضي العزة، ورد (الْحَكِيمُ) إلى قوله تعالى (قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ) فهو تعالى حكيم لا يتحيفه جور أو انحراف. [2]

قوله β : "(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [3]"

الاكتفاء : في قوله (بِيَدِكَ الْخَيْرُ) حيث خص الخير بالذكر . وإن كان الشرُّ أيضاً . وقد أراد الخير والشرَّن واكتفى بأحدهما لدلالته على الآخر، كما في قوله تعالى (سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ) [4] أي والبرد، وإنما خص الخير بالذكر لأنه هو المرغوب فيه. [5]

قول الله β "﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[6]."

فجاء البدع بذكر إسم ((الملك)) إذ هو مالك كل شيئ وذو سلطان على كل شيئ، والبد به هو ملائم في السياق بعد بيان إسمه (الله) و بيان أنه لاإله بحق إلا هو،وجاء بعد ((الملك)) اسمان من أسماء الله الحسنى متلائمان يتطلبهما السياق وهما ((القدوس)) و ((السلام)) فمعنى القدوس : المنزه عن الصفات النقص التي لا تليق

---

(1) سورة آل عمران ، رقم الآية/ **18**.

(2) الجدول في إعراب القرآن ، ج/ **1**، ص/ **131**.

(3) سورة آل عمران، رقم الآية/ **26**.

(4) سورة النحل، رقم الآية/ **81**.

(5) الجدول في إعراب القرآن ، ج/ **1**، ص/ **146**.

(6) سورة الحشر، رقم الآية/ **23**.

بالرب الخالق المعبود.ومعنى السلام :ذو السلامة من كل نقص في ذاته وصفاته وأفعاله ، فهما متلائمان ، وبعد التنزيه يستدعي السياق إثبات الصفات الكمال له، و أولهما شمول علمه كل شيئ ،وأنه يعلم كل شيئ علماً يقينياً لا يخالطه أدنى شك، والإسم الملائم لهذا ((المؤمن))و بعد شمول علمه كل شيئ يستدعي الفكر إثبات هيمنيته بقدرته و سلطانه على كل ما سواه مما هو خالق له، ومما سيخلقه ، فجاء الإسم الملائم وهو ((المهيمن))و من هيمنته بقدرته وسلطانه، أن يكون قوياً ذا قوة غالبة، لا يستطيع معارض أن يعارضها، فجاء الاسم الملائم لهذا هو ((العزيز)) إذ معناه القو ي الغالب، ومن عزته أن يكون إذا أراد شيئاً فعله بالجبر، ضد أية قوة لها إرادة معارضة،من خلقه الذين منحهم الإرادات الحرة وسخر لهم في كونه بعض المسخرات ، و الا سم الدال على هذا هو ((الجبار)) و يدرك الذهن أن من جمع الصفاف السابقات لا بد أن يكون أكبر من كل كبير في الوجود، و أن يكون عالماً بهذه الصفة من صفاته، فجاء الاسم الدال على هذه الحقيقة ((المتكبر))أي : المثبت لنفسه أنه أكبر من كل كبير إثباتاً مؤكداً.

تعريف التفويت

وهو أن يأتي المتكلم بمعاني شتي من موضوعات مختلفات ، كالمدح ، و الوصف ، و الإقرار ، والإنكار، والنصح ، والأمر ، و النهي ، وغير ذلك، ويجعل ذلك في جمل متفاصلة ، مع تساويها في الوزن بوجه العام.

ويكو ن في الجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة.[1]

شواهد التفويت في الأدعية القرآنية

"قول الله β : ﴿قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ & تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ

(**1**) **البلاغة العربية أسسها وفنونها، ج/2، ص/ 529**

مِنْ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ & ﴾ [1]"

أسلوب تناسب

هو الجمع في العبارة الواحدة بين المعاني التي بينها تناسب وائتلاف، ويكون هذا التناسب بين المعنيين فأكثر. [2]

شواهد التناسب في الأدعية القرآنية

قوله β : "(إهدنا الصراطَ المُسْتَقِيم) "

وتأتي الآيتان الأخيرتان من هذا الدعاء الكريم في غاية التناسب والتناسق يطلب العبد فيها من ربه الهداية إلى الصراط المستقيم بعد أن وضع بين يدي هذا الطلب ذلك الثناء البليغ.

يقول ابن القيم : (إن الدعاء الذي يتقدمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد...) [3]

ومما جاء منه على ألسنة المؤمنين قوله تعالى : " ﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ & رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [4]"

وعلى لسان إمرأة فرعون قال β : " ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [5]"

---

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/ 26-27.

(2) البلاغة العربية أسسها وفنونها، ج/2، ص/ 382 ، جواهر البلاغة، ص/ 329

(3) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب: ابن القيم الجوزي، تحقيق بشير محمد عيون، ص/ 185. مكتبة دار البيان.

(4) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 161-164.

(5) سورة التحريم ، رقم الآية / 11.

في هذا الدعاء نلاحظ أنها أثرت التعبير ببعض الألفاظ التي تجسد رغبتها في الخلاص والنجاة من طغيان فرعون وجبروته وطغيان قومه. فالتعبير بقوله ﴿ ابْنِ لِيْ عِنْدَكَ بِيْتًا ﴾ يصور خوفها وعدم استقرارها رغم أنها كانت تعيش في قصر مشيد لكنها لا تشعر فيه بالأمان والسكينة فلذلك لهجت بالدعاء إلى الله بأن يبني لها بيتاً في الجنة تطمأن فيه وتركن إلى الهدوء والسكينة وتشعر فيه بالأمان.

كما أن تكرار الفعل " نجني " يجسد ضعف المرأة وخوفها الشديد من فرعون وملئه.

دعا زكريا v : (" وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا & يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا[1]) "

وانظر إلى جمالا التعبير بقوله ﴿ فَهَبْ لِي ﴾ حيث يصور رغبة زكرياv الملحة في يرزقه الله ولداً، ويجسد بجرسه السريع شدة فاقته وحاجته لهذا الولد ولا ينسى زكريا v أن يصور أمله في ذلك الوريث الذي ينتظره أن يجعله الله رضياً لا جباراً ولا غليظاً ولا متبطراً ولا عاقاً، ولفظه " رضي " تلقي هذه الظلا، فالرضي الذي يرضى ويرضي، وينشر ظلال الرضي فيما حوله ومن حوله. فالألفاظ والمعاني والظلال وجرس الألفاظ ، كلها تشارك في تصوير مشهد هذا الدعاء .[2]

ودعاء سليمان v قوله β : " (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) [3]"

في هذا السياق نلاحظ إيثار التعبير بقوله (أَوْزِعْنِي) لما يشي به من معان وظلال تتناسب مع هذا الموقف.

---

(1) سورة مريم ، رقم الآية ، 5-6.

(2) في ظلال القرآن ، ج/4، ص/ 2302.

(3) سورة النمل ، رقم الآية/ 19.

فهو يصور رغبة سليمان v في إخلاص الدعاء والشكر لله ، أي ألهمني وأجمع كل جوارحي ومشاعري ولساني وجميع طاقاتي لتكون كلها في شكر نعمتك عليَّ وعلى والدي .

وهذا التعبير بشي بنعمة الله التي مست قلب سليمان v في تلك اللحظة ويصور نوع تأثره وقوة توجهه، وارتعاشة وجدانه، وهو يستشعر فضل الله الجزيل، ويتمثل يد الله عليه وعلى والديه، ويحس بالنعمة والرحمة في ارتياح وابتهال.(1)

ومما جاء على ألسنة الملائكة للمؤمنين قوله β : " ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (2) . "

كما جاء الدعاء على لسان إبليس اللعين حيث طلب من الله أن يمهله إلى يوم البعث ولم يطلب إلا مقدوراً اختباراً من الله لعباده قال β : " ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ & قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ & إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ (3)"

ومما جاء على ألسنة المعذبين في نار جهنم قوله β : "﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴾ " (4) فهذا السياق يجسد غيظهم الشديد وضيقهم بهؤلاء المضلين، ويصور رغبتهم في أن يضاعف الله للمضلين العذاب ضعفين، ولذا نلمح السرعة والخفة المناسبة للانفعال والضيق من خلال إيثار التعبير بالأمر من الفعل (أت).

مما سبق نلحظ كما لحظ الدكتور صباح دراز.

---

(1) مفردات الراغب، ص/ 522، وظلال القرآن ج/5، ص/ 2636 وما بعدها.

(2) سورة غافر ، رقم الآية/ 7.

(3) سورة الحجر، رقم الآية / 36-38.

(4) سورة الأعراف، رقم الآية/ 38.

أن كل دعاء يتناسب مع الداعي وقدره ومطلبه، وكل دعاء يختلف عن الأخر فدعاء الأنبياء مثلاً يختلف أسلوباً ومقاماً عن دعاء عباد الرحمن، وكذلك الحال بالنسبة لدعاء الملائكة يختلف عن دعاء اللعين إبليس.

كما التزم في أساليب الدعاء اسم رب وربنا دون أي اسم أخر من أسمائه الحسنى لأن صفة الربوبية . بما فيها من معاني التربية والإنعام والتفضل وهي آثار لا تنقطع دنيا وآخرة . أنسب وفيها اعتراف بالربوبية ولجوء إلى مصدر الخير أملاً في الإجابة.

ولم يذكر وصف آخر إلا في موطن واحد في سورة يوسف من دعائه ختاماً لهذه القصة قال تعالى : " ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [(1)]"

فقد بدأ بالاسم ﴿ رب ﴾ ثم ﴿ فاطر ﴾ أي يا فاطر السماوات والأرض، وهذا مناسب لعظيم العطاء والاقتدار على النعم الخاصة في أحداث القصة المحكمة من إخراجه من السجن وإيتائه الملك وتعليمه التأويل، كما أنه مناسب لحكمة يوسف في جوامع دعائه .[(2)] .

كما التزم في الدعاء حذف أداء النداء " يا " من " رب " لكثرة الاستعمال أو لإحساس الداعي وشعوره بالقرب من ربه ، والإيناس بهذا القرب. [(3)]

وعلى كثرة ما نودي الرب في القرآن كما يقول الدكتور أحمد بدوي لم أعثر عليه مسبوقاً بحرف النداء إلا في تلك الآية الكريمة : "﴿ وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاء قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ & فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [(4)]" وألمح في المجيء بحرف النداء هنا خاصة، تعبيراً عن حالة نفسية ألمت بالرسول، وقد أفرغ

---

(1) سورة يوسف، رقم الآية/ 101.

(2) الأساليب الإنشائية ، ص/ 65-66.

(3) الأساليب الإنشائية، ص/66، ومن بلاغة القرآن للدكتور أحمد بدوي ، ص/ 168.

(4) سورة الزخرف، رقم الآية/ 89.

جهده في دعوة قومه وإنذارهم، فلم يزدهم ذلك إلا تمادياً في كفرهم، فأطبق السهم على فؤاده، وكأنما شعر بتخلي الرب عن نصرته، وبعده عن أن يعد إليه يد المساعدة، فأتي بحرف النداء، كأنما يريد أن يرفع صوته زيادة في الضراعة إلى الله واستجلاب رضاه . (1)

وقد يسبق النداء ثناء على الله كثناء يوسف v قال تعالى : "﴿ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (2)"

وقد يعقب الدعاء بتذليل يؤكد مضمونه ويقوي الأمل في الاجابة (3) نحو قوله β على لسان إبراهيمv وإسماعيل v "﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾" (4) وقوله β : "﴿ رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾(5) . "

كما نلاحظ في أساليب الأمر التي تفيد الدعاء في القرآن الكريم تقديم ضمير الداعي على المفعول وهو ذات الدعاء أملاً في الإجابة وطمعاً في الرحمة وتصويراً لأشراق النفس حين تضع أمالها على باب الكريم المنان قال تعالى : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ (6) وقوله β : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي & وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ (7) .

كما نلاحظ أن أساليب الأمر التي أفادت الدعاء في القرآن تفاوتت وتباينت من حيث المقاصد فبعضها مقاصد دنيوية كما قوله تعالى على لسان زكريا v : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا & يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا

(1) سورة يوسف، رقم الآية/ **101**.

(2) من بلاغة القرآن، ص/**169**.

(3) الأساليب الإنشائية، ص/**66**.

(4) سورة البقرة، رقم الآية/ **127**.

(5) سورة الأعراف، رقم الآية/ **151**.

(6) سورة مريم، رقم الآية/ **5**.

(7) سورة طه، رقم الآية/ **25**، الأساليب الإنشائية ، ص/**67**.

﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [2] وبعضها مقاصدها دينية أخروية نحو قوله β : "﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ & رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [3]."

والحظ التناسب المعنوي بالتضاد بين (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) فاللام للملك المؤذن بالانتفاع، وعلى للاستعلاء المؤذن بالتحمل والضرر، والفعل الأول يختص بالخير، والفعل الثاني يختص بالشر(لأن الاكتساب فيه (احتمال) واعتمال الشر تشتهيه النفس (الأمارة) وتنجذب إليه فكانت أجدّ في تحصيله وأعمل بخلاف الخير) [4] . والتقديم والتضاد من عوامل القوة في الأسلوب.

(" رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [5]"

دعاء يصور حال المؤمنين مع ربهم وإدراكهم لضعفهم وحاجتهم إلى رحمة ربهم وعفوه وغفرانه ونصره (في نغمة وادعة واجفة تصور بإيقاعاتها وجيب القلب ورفرفة الروح) [6]

لزوم ما لم يلزم : يقول أحمد الهاشمي في كتابه : هو أن يجيء قبل حروف الروي، أو ما في معناه من الفاصلة بما ليس بلازم في التقفية، ويلتزم في بيتين أو أكثر من النظم أو في فاصلتين أو أكثر من النثر . [1]

---

(1) سورة مريم، رقم الآية/ 5-6.

(2) سورة البقرة ، رقم الآية/ 286.

(3) سورة آل عمران، رقم الآية/ 193-194.

(4) الكشاف ،ج/1، ص/ 408، وتفسير البيضاوي، ج/1، ص/ 146-147. دار الكتب العلمية، بيروت ط/1، 1420.

(5) سورة البقرة، رقم الآية/ 286.

(6) في ظلال القرآن ، ج/1، ص/ 345، دار الشروق. 1988.

شواهد لزوم ما لم يلزم:

"قد يترآئ في كثير من الأدعية القرآنية لزوم ما لم يلتزم في التسجيع ، وهو إيراد حرف قبل الآخر في الفاصلة من الكلام يتحد جنسا بما قبل الأخير في الفاصلة الأخرى منه ، كالراء من الفاصلتين في الدعاء القرآنية عن سيدنا موسى عليه السلام : (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي & وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي [2]) "

----

(1) جواهر البلاغة ، ص/329

(2) سورة طه رقم الآية/ 25-26

الفصل الثالث

المحسنات المعنوية في الأدعية القرآنية

الافتنـان:

"هو الإتيان في الكلام الواحد بفنين مختلفين أو أكثر من فنون القول، كالمدح والهجاء والفخر والتحدث، والتهنئة والتعزية والمدح والعتاب . " [1]

"الافتنان في الأدعية القرآنية فنان مختلفان فصاعدا ، قد اجتمعا في كلام واحد منها، مثل التقديس و التحميد والاستغفار و الاستعفاف والاستعاذة و الاستعطاف و ما إلى تلك. كما في دعاء النبي الله ذي النون ، يتمثل من بين قرائنها أنين المسجون، وهو: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2] حيث اجتمع في كلامه الواحد التقديس و التنزيه و الإتعفاف و الاستعطاف. "

الطباق :

يقول أحمد الهاشمي في كتابه : "هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، وهما قد يكونان اسمين أو فعلين أو حرفين أو مختلفين[3] . "

شواهد الطباق في الأدعية القرآنية

لقد استغرق الطباق المركب " المقابلة" الآيتين بكاملهما وقد أشاع في جو الآيتين المذكورتين نوعاً من الموسيقى القرآنية المعجزة كما أنه قرّر معاني متقابلة فزادهما وضوحاً وقرَّب للأذهان قدرة الله المطلقة في سائر الأحوال. [1]

---

(1) البلاغة العربية أسسها وفنونها، ج/2، ص/ 475.

(2) سورة الأنبياء ، رقم الآية/ 87

(3) جواهر البلاغة ، ص/328

قوله β : "﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ & رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ & رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ & رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾[2]"

الطباق بصورة متعددة كقوله β : "﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾[3]"

الطباق قال β : (" قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [4] في هذه الآية الطابق ما بني على المضادة تأويلا في المعنى. "

قال β : (وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [5] . فإن التعذيب لا يقابل المغفرة صريحاً لكن على تأويل كونه صادر عن المؤاخذة التي هي ضد المغفرة.

قال β : (" فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ) [6]"، فطابق الله ، الدنيا والآخرة .

قال β : (" رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ") [7] فطابق الله العشي والإبكار . [8]

---

(1) الجدول في إعراب القرآن ، ج/1، ص/ 147.

(2) سورة إبراهيم، رقم الآية/ 35-38.

(3) سورة إبراهيم رقم الآية/ 38.

(4) سورة آل عمران، رقم الآية/26

(5) سورة آل عمران، رقم الآية/ 129

(6) سورة البقرة، رقم الآية/ 200

(7) سورة مريم، رقم الآية/ 10.

(8) صفوة التفاسير، ج/2، ص/ 21

قال β : (" الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)" [1] فالطباق : الدنيا والآخرة.

قال β : (" فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ % وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [2]"

فطابق الله بين رجلين ، (ربنا آتنا ، وربنا آتنا في حسنة وفي الآخرة) وفيها مقابلة لطيفة.

قال β :(" رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [3]"

فقابل الله . لها وعليها . وهو قابل كسبت واكتسبت .

قال β : "(قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [4]"

الطباق هو . في أولنا وآخرنا . .

قال β : (" وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) [5]"

فالطباق بين الغداة والعشي .

(**1**) سورة آل عمران، رقم الآية/ **190**.

(**2**) سورة البقرة، رقم الآية/**200-201**

(**3**) سورة البقرة، رقم الآية/ **286**.

(**4**) سورة المائدة ، رقم الآية/ **114**

(**5**) سورة المائدة ، رقم الآية/ **52**.

قال β : "(قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [1]"

"فالطباق بين البر والبحر . "

قال : β" (فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ) [2] "

"فالطباق في الهداية والضلالة . "

قال β : (" قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[3]) ". فطابق الله بين محياي ومماتي .

قال β : (" وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) [4]"

فطابق الله بين خوفا وطمعاً.

قال β : (" وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ) [5]"

فطابق الله بين : تضل بها تشاء و تهدي من تشاء . [6]

قال β : " (وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) [1]"

---

(1) سورة الأنعام، رقم الآية/ 63.

(2) سورة الأنعام، رقم الآية/ 78.

(3) سورة الأنعام، رقم الآية/ 163.

(4) سورة الأعراف، رقم الآية/ 56.

(5) سورة الأعراف ، رقم الآية/ 155.

(6) صفوة التفاسير، ج/4، ص/ 42.

فطابق الله بين : الدنيا والآخرة ، و عذابي و رحمتي .

قال β : (" وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ) [2]"

الطباق بين الغدو والآصال.

قال χ : " (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ) "[3]

فطابق الله بين تعلم ولا أعلم .

قال β : "(وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) [4]"

فطابق الله بين مجراها ومرساها.

قال χ : (" رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) [5]"

فطابق الله بين السماوات والأرض .

قال β : (" رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [6]"

فطابق الله بين : تبعني وعصاني .

---

(1) سورة الأعراف، رقم الآية/ **156**.

(2) سورة الأعراف، رقم الآية/ **205**.

(3) سورة المائدة، رقم الآية/ **116**.

(4) سورة هود ، رقم الآية/ **41**.

(5) سورة يوسف ،رقم الآية/ **101**.

(6) سورة إبراهيم ، رقم الآية/ **36**.

قال : β : (" رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء) [1]"

الطباق بصورة متعددة، كقوله β : مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ، وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء

قال β : (" وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) [2]"

الطباق : بالغدوة والعشي .

قال β : "(قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) [3]"

فطابق بين قوله أعلم وقوله مالا تعلمون.

قال β : "(وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ) [4]"

الطباق في قوله : يصدقني ، ويكذبون .

قال β : (" وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [5]"

فطابق بين الأولى والآخرة . [6]

(**1**) **سورة إبراهيم ، رقم الآية' 38.**

(**2**) **سورة الكهف، رقم الآية/ 28.**

(**3**) **سورة يوسف، رقم الآية/ 86.**

(**4**) **سورة القصص، رقم الآية/ 34.**

(**5**) **سورة القصص ، رقم الآية/ 70.**

(**6**) **صفوة التفاسير، ج/ 2، ص/ 443.**

قال β : "(وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ[1])"

فالطباق بين : يضيق صدري ولا ينطلق لساني.

قال β : "(إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) [2]"

قال β : (" خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) [3]"

فالطباق بين نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار.حسنت مستقرا ومقاما، مقابل عن أهل النار مستقرا و مقاماً، [4] .

قال β : (" قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [5]"

الطباق بين الغيب والشهادة.

قال β : "(قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا) [6]"

الطباق بين ليلا ونهاراً.

قال χ: "(وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا) [7]"

الطباق بين مؤمنين ومؤمنات.

قال β : "(ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا & ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) "[8]

---

(1) سورة الشعراء، رقم الآية/ 13.

(2) سورة الفرقان، رقم الآية/ 66.

(3) سورة الفرقان، رقم الآية/ 76.

(4) صفوة التفاسير، ج/2، ص/ 368.

(5) سورة نوح، رقم الآية/ 8-9.

(6) صفوة التفاسير، ج/3، ص/ 355

(7) سورة نوح، رقم الآية/ 28

(8) سورة نوح، رقم الآية/ 8-9

الطباق بين جهاراً وأسراراً .

المقابلة : يقول أحمد الهاشمي في كتابه : "هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب . [1]"

شواهد المقابلة في الأدعية القرآنية

"في قوله β : "﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾" [2] فقد طابق بين لها وعليها، وبين كسبت واكتسبت ، فالفعل الأول يختص بالخير، والفعل الثاني يختص بالشر فإن في الاكتساب اعتمالاً، والشر تشهاه النفس وتجنح إليه بالطبع بخلاف الخير فإنه يهبط على النفس كما يهبط الفيض من آلاء الله ، وكما يشرق اليقين في النفس. [3]"

قوله β : "﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ & تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [4]"

الاكتفاء في قوله β : ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ فاقتصر على الخير من باب الاكتفاء بالمقابل أي والشر، كقوله تعالى : ﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ [5] أي والبرد ، و لأن الخير هو المرغوب فيه.

المقابلة فقد طابق بين ﴿ تُؤْتِي وتَنْزِع ﴾ وبين ﴿ تُعِزُّ وتُذِلُّ ﴾ وبين ﴿ اللَّيل والنَّهار ﴾ وبين ﴿ الحيّ والميّت ﴾ [6]

---

(1) جواهر البلاغة ، ص/329

(2) سورة البقرة، رقم الآية/ 286.

(3) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/1، ص/ 451.

(4) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 26-27.

(5) سورة النحل ، رقم الآية/ 81.

(6) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/1، ص/ 487.

"وقال محمود صافي : وفي الآية فن المقابلة : فقد طابق بين (تُؤْتِي) و (تَنْزِع) وبين (تُعِزُّ) و (تُذِلُّ) .[1] "

وإذا تأملت في نظم هذه الآية تلحظ المقابلة البديعية التي تعد سراً من أسرار بلاغتها.

فعندما تسمع هذه الجملة ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ ﴾ يتبادر إلى ذهنك الجملة الأخرى : ﴿ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ .

وعندما تسمع هذه الجملة ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ يتبادر إلى ذهنك ﴿ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ .

قوله β ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ يحمل وجوها بلاغية محتملة هي أنه تعالى :

1. "يخرج المؤمن من الكافر كإبراهيم من آزر، والكافر من المؤمن مثل كنعان من نوح ν."
2. "يخرج الطيب من الخبيث ، والخبيث من الطيب . "
3. "يخرج الحيوان من النطفة، والطير من البيضة، ويخرج النطفة من الحيوان، والبيضة من الطير. "
4. "يخرج السنبلة من الحبة، والحبة من السنبلة، والنخلة من النواة، والنواة من النخلة. [2]"

والعكس أو التبديل في هذه الجمل له بلاغته المعنوية والجمالية ، إذ لا يتم المعنى بأن يقال: تولج الليل في النهار، أو يقال: وتخرج الحي من الميت، لأن الجملة المقابلة تحمل معنى يختلف تمامًا عن معنى الجملة الأول.

---

(1) الجدول في إعراب القرآن ، ج/1، ص/ 146.

(2) تفسير الرازي ، ج/8 ، ص/ 9

قولهβ : "﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا & وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [(1)]"

المقابلة في قوله تعالى ﴿ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ و ﴿ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ وبين ﴿ جَاء الْحَقُّ ﴾ و ﴿ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ [(2)]

"ولما ذكر تعالى حال الربيين في الصبر وحالهم في الدعاء، ذكر ما ضمن لهم في مقابلة ذلك في الدنيا والآخرة فقال: ﴿ فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ﴾ [(3)]."

والفاء في قوله : ﴿ فَآتَاهُمُ ﴾ توحي بتعجيل إجابة دعوتهم، وأن ما حصل لهم من خيري الدنيا والآخرة كان يسبب صبرهم وإخلاصهم لربهم [(4)] .

مقابلة بديعية وفي الجمع بين ثواب الدنيا والآخرة مقابلة بديعة أوضحت المعنى المراد، وكانت من أسرار الجمال في النظم القرآن الكريم .

قال تعالى : "(قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)" [(5)] القرآن الكريم يرسم صورة مجسدة واضحة بكل تفاصيل بحسناتها وعيوبها لهذا المخلوق العجيب.

"قال تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ % وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ % وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ

---

(1) سورة الإسراء ، رقم الآية/ 79–80.

(2) الجدول في إعراب القرآن، ج/15، ص/ 100.

(3) سورة آل عمران، رقم الآية/ 148

(4) تفسير الرازي ، ج/9، ص/ 28، تفسير أبي السعود، ج/1، ص/ 575، والتحرير ،ج/4، ص/ 121.

(5) سورة الأنعام، رقم الآية/ 63.

فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ[(1)]) "

في الآية تقابل بين حالتين متضادتين حصلتا على أرض الواقع، وإن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت فلا انتفاع ولا ضرر عند الله.

في هاتين الآتين لعبت المقابلة دوراً مهماً حيث بلورت الفكرة الرئيسية في هذا المثل وهي أن الأسباب والصلات كلها تنقطع يوم القيامة، ولا يبقى منها إلا ما كان متصلاً بالله وحده في امتثال أمره، فلا تنقطع أي صلة أخرى من قرابة أو مظاهرة .

قال β : "(يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ % وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ) [(2)]"

ومما بلغت الانتباه في هذه الآية هو التقابل في النعيم الروحاني والعذاب الروحاني.

قال β : "(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) [(3)]"

في هذه الآية المقابلة المعنوية، فالتقابل حاصل بين السوقين سوق أهل الجنة وسوق أهل النار.

"قال تعالى : (إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) [(4)]"

"قال β : (خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) [(5)]"

المقابلة الطيفة بين نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار. "(حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) "مقابل قوله عن أهل النار : "(سَاءتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا)" [(1)]

---

(1) سورة التحريم، رقم الآية/ 10-12.

(2) سورة الحاقة ، رقم الآية/ 32.

(3) سورة الزمر، رقم الآية/ 74.

(4) سورة الفرقان، رقم الآية/ 66.

(5) سورة الفرقان، 76.

قال β : "(وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ[2])"

المقابلة اللطيفة (يضيق صدري، ولا ينطلق لساني) .

الطباق بصورة متعددة[3] كقوله β : "﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء ﴾ [4]"

مراعاة النظير:

الجمع في العبارة الواحدة بين المعاني التي بينهما تناسب وائتلاف ما ، لا على سبيل تقابل التناقض أو التضاد أو التضايف. [5]

مراعاة النظير[6] هي الجمع بين أمرين متناسبين (فصاعدا) في الكلام لا على سبيل التضاد، بل تكون بينهما شدة التلاؤم فقد توجد ذلك التلاؤم بين اثنين، كما نرى التناسب بين الرأفة و الرحمة في دعوة الداع : " (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾. [7]"

ثم هذا الصنف من المحسنات المعنوية في الأذكار والأدعية القرآنية يلحق به تشابه الأطراف. وهو اختتام الكلام بما يناسب ابتدائه في المعنى. فقد يترآئ ذلك التلاؤم واضحا بينا، كما في: "(وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ

---

(1) صفوة التفاسير، ج/2، ص/ 368.

(2) سورة الشعراء، رقم الآية/ 13.

(3) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/ ، ص/ 200

(4) سورة إبراهيم، رقم الآية/ 38،

(5) البلاغة العربية أسسها وفنونها، ج/2، ص/ 382

(6) وقد يسمى هذا الصنف بالتناسب و التوافق و مراعاة النظير أيضا.

(7) سورة الحشر، رقم الآية/ 10

الْمُنْزِلِينَ ﴾[1] " ونحوه : (" رَبَّنَا وَآَتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾.[2] "

و قد يوجد (تشابه الأطراف) في الكلام بتلاؤم خفي ،يفهم بالتأمل مثل دعاء المهاجر في سبيل الله : " (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[3]" حيث ترى الوصفين : (العزيز الحكيم) من الطرف الأخير منه بلائمان الأمرين: (العصمة من فتنة الكفرة و غفران رب البررة) المذكورين قبلهما ترتيبا. وذلك لأن عصمة العبد تحتاج وجودا إلى غرة العاصم β ومتفرع على قوته الكاملة ،و أما غفران المذنب فمبني على حكمة الغافر χ كما أن تعذيبه مقتضى عدله . والله تعالى هو المالك المختار يفعل ما يشاء و ما يريد و لا يسأل عنه ، ثم إن ذينك الوصفين حجتان اللميتان في الحقيقة للأمرين المذكورين فيما قبلهما على الترتيب.

و ذلك كما لمح الله جل مجده إليه في حكاية عن دعاء روح الله عيسى بن مريم عليه الصلوات و التسليمات يوم القيامة : "(إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾"[4] فإنه عليه السلام أورد ذينك الوصفين على سبيل الاستدلال للأمرين: (التعذيب و الغفران) المذكورين على نمط تشابه الأطراف المعنوي الخفي ، فكل واحد منهما برهان لمي لذينك الأمرين ترتيبا.

الإرصاد :

الإرصاد عند البلغاء اصطلاحا[5]: أن يوضع قبل العجز من الفقرة لفظ يدل على تعين الفاصلة (من النثر كالقافية من البيت) التي تتضمن للروي صيغة

---

(1) سورة المؤمنون، رقم الآية/ 29

(2) سورة آل عمران، رقم الآية/ 194

(3) سورة الممتحنة، رقم الآية/ 5

(4) سورة المائدة، رقم الآية/ 118

(5) " الإرصاد" مصدر باب الأفعال ،أخذ من أرصد فلانا ،يرصده إرصادا في الطريق، إذا نصبه رقيبا فيه. ثم أخذ منه اسم (المرصد) للأسد حينما يرقب للصيد في الغابة. ويسميه بعض البلغاء بالتسهيم المأخوذ من البرد المسهم إذا كان فيه خطوطا مستوية.

وهيئة ، مثل اسم " الوهاب " المشتمل على الحرف الروي وهو الباء في الدعاء : (" رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ "[1]) فان المخاطب حينما يسمع هذا الكلام حتى يصل إلى (انك أنت) بعد ما عرف حرف الروي وهو الباء هنا ، لا جرم يتبادر إلى فهمه و تخيله أن الفاصلة ستكون لفظ (الوهاب) و ذلك بدلالة قوله : (هب لنا) بعد معرفة الروي.

النهج الاستدلالي:

ربما نرى في الأدعية القرآنية للآلي استدلالها ، مرصعة على أجمل أزيالها. و غيره مثال على منهج الاستدلال في دعاء أبي البشر سيدنا آدم و زوجته حواء عليهما الصلوات و التسليمات : ("قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ "[2]) حيث يترآئ الاستدلال فيه بوجود المؤثر (وهو المؤاخذة على ارتكاب الخطيئة ، المكنى عنها بعدم مغفرة الله إياهما) على وجود الاثر، وهو الوقوع في الخسارة و أما مقصودهما من الدعاء فهو أن يغفر الله لهما و يرحمهما. والعبارة تعريض إليه فكأنهما قالا : (ربنا اغفر لنا خطيئتنا كي لا نقع في الخسارة).

المشاكلة:

المشاكلة ذكر الشيء بلفظ وضع [3] لغيره لوقوعه في جواره ، مثل التعبير عما عند الله بلفظ (النفس) الموضوع لغة لغيره[4] في دعاء النبي عيسى بن مريم عليهما السلام حينما يدعو به يوم القيامة : " (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ

---

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/ 8

(2) سورة الأعراف، رقم الآية/ 23

(3) و الوضع أعم من أن يكون لغويا و اصطلاحيا ،فلفظ "الحسنة" مثلا موضوع للحالة المستحسنة لغة ، ويستعمل شرعا في العمل الصالح

(4) جواهر البلاغة ، ص/ 336.

لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ).[1] "

و من هذا الصنف عند دقة النظر دعاء الحاج : (" وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [2])." فان المراد من (الحسنة) الأولى هو التوفيق لما يحبه الله و يرضاه من العقيدة السديدة و الأعمال الرشيدة ، من قبيل إطلاق المسبب و إرادة سببه و المقصود من (الحسنة) الثانية هو الثمرة المرتبة على ذينك الأمرين ترتب المسبب على سببه . فهذا من إطلاق السبب و إرادة المسبب ، فافترق مفهوم كل من الحسنتين من الآخر منهما ، بيد أن في اللفظ صنعة المشاكلة .

الاستتباع:

الاستتباع هو التوصيف بشيء على وجه يستتبع الوصف بشيء آخر كما في تحميد المجاهد بهلاك أعداء الإسلام[3] "﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾"[4] يحتوى على قرينتين ، الأولى منهما أفادت توصيف الله β بوصف تقطيعة عروق الأعداء. ثم هذا الوصف أجلب وصفا آخر مسببا لتحميده و توصيفه به على وجه التضمين و الاستتباع .وهو تطهير صفيحة من صفائح الأرض من أرجاس الكفر. ولذا رتب على ذينك الوصفين تحميد رب العالمين . في القرينة الثانية .و في ذلك إيماء إلى أنهما من أثار ربوبية الله الخاصة الروحانية لعباده.

تشابه الأطراف:

"يوجد تشابه الأطراف في الأدعية القرآنية على نوع واحد وهو تشابه معنوي.

---

(1) سورة المائدة، رقم الآية/ 116

(2) سورة البقرة، رقم الآية/ 201

(3) البلاغة العربية أسسها وفنونها، ج/2، ص/ 429

(4) سورة الأنعام، رقم الآية/ 45

فالتشابه المعنوي: أن يكون الكلام مختتما بكلمة تناسب ابتدائه في المعنى[1]."

قوله χ : (" وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [2]"

نحو: (" رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ[3]) . "

وصيغة المضارع ﴿يقولُونَ﴾ تدل على تحدد هذا الدعاء منهم، واستمرارهم عليه.

تشابه الأطراف التناسب البديع بين مضمون الآية المتضمن ذلك الدعاء، وذكر صفتي السمع والعلم .

فالسمع يتناسب مع قول الدعاء، والعلم يتناسب مع طبيعة النية الدافعة إلى ذلك الدعاء.

العكس:

تعريف العكس: "هو أن يرد في الكلام جزئين مرة ،ثم تراهما أخرى وقد عكسا ترتيبا في ذلك الكلام : بحيث ترى المقدم مؤخرا و المؤخر مقدما[4]،" ومن أمثاله : يرد العكس بين متعلقي الفعل المكرر في الكلام ، كما ترى العكس بين (الليل و النهار) و كذا بين (الحي و الميت) في: (" قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ & تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ

---

(1) جواهر البلاغة، ص/351.

(2) سورة البقرة، رقم الآية/ 127

(3) سورة آل عمران، رقم الآية/ 8

(4) جواهر البلاغة ، ص/ 352.

فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [(1)]) "

التجريد [(2)]

"هو أن ينتزع المتكلم الأديب من أمرٍ ما ذي وصف فأكثر أمراً آخر فأكثر مثله في الصفة أو الصفات على سبيل المبالغة.[(3)] "

وذلك في قوله تعالى "﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا & يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [(4)]"

"﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا & يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [(5)]"

وقرأ الجمهور " يرثني ويرث من آل يعقوب " وعلى قراءة " يرثني وآرث من آل يعقوب" يكون في الآية أسلوب التجريد للمبالغة، في الوصف ، والتقدير " يرثني منه آرث " وقيل تقديره " يرثني به وآرث "[(6)] وعلى التقدير الأول يكون التجريد بدخول من التجريدية على المنتزع منه، ولا على الثاني يكون بدخول الباء التجريدية على المنتزع منه، وجملة النداء الاعتراضية ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ لتأكيد الاسترحام وللمبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه) [(7)] " هذا وتأتي استجابة الرب لطلب زكريا في رعاية ورضي(فالرب ينادي عبده من الملأ الأعلى: ﴿ يَا زَكَرِيَّا ﴾ ويعجل له البشري: " ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ﴾ ويغمره بالرحمة فيختار له اسم الغلام الذي بشره به ﴿ اسْمُهُ يَحْيَى ﴾ وهو اسم غير مسبوق : ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ

---

(1) سورة آل عمران، رقم الآية/ 26-27

(2) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/ ، ص/ 63

(3) البلاغة العربية أسسها وفنونها، ص/ 432

(4) سورة مريم ، رقم الآية/ 5-6.

(5) سورة مريم، رقم الآية/ 6.

(6) الكشاف ،ج/2، ص/ 405. البحر المحيط، ج/6، ص/ 174.

(7) تفسير أبي السعود، ج/4، ص/ 229.

سَمِيًّا ﴾ ، إنه فيض الكرم الإلهي يغدقه على عبده الذي دعاه في ضراعة ، وناجاه في خفية، وكشف له عما يخشى وتوجه إليه فيما يرجو)[1]

التنكيت

"هو أن يقصد المتكلم إلى كلمة أو كلام بالذكر دون غيره مما يسُدّ مسدّه لأجل نكتة في المذكور ترَجّع مجيئه على سواه . " [2]

قوله β : "﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾" [3] فإن النكتة التي أوجبت على الخليل إسناد فعل المرض إلى نفسه دون بقية الأفعال حسن الأدب مع ربه β إذ أسند إليه أفعال الخير كلها وأسند فعل الشر إلى نفسه وللإشارة إلى أن كثيراً من الأمراض تحدث بتفريط الإنسان في مأكله ومشربه وغير ذلك. [4]

أسلوب الجمع

هو أن يجمع المتكلم بين متعدد تحت حكم واحد . [5]

شواهد الجمع في الأدعية القرآنية

قوله β : ﴿" رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ "﴾ [6]

"المراد بالذنوب في هذه الآية الكبائر وبالسيئات الصغائر، وقيل غفران الذنوب وتكفير السيئات أو قريب بعضه من بعض، فالغفران والتكفير بمعنى الستر

---

(1) في ظلال القرآن ، ج/4، ص/ 2302-2303.

(2) البلاغة العربية أسسها وفنونها، ج/2، ص/ 478.

(3) سورة الشعراء، رقم الآية/ 80.

(4) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ج/ ، ص/ 91.

(5) جواهر البلاغة، ص/ 338.

(6) سورة آل عمران، رقم الآية/ 193.

والذنوب والسيئات بمعنى، وجمع بينهما تأكيدا ومبالغة، وليكون في ذلك إلحاح في الدعاء. [1]"

والجمع في الدعاء بين طلب غفران الذنوب، والوقاية من النار يؤدي إلى السعادة الأبدية وهو دخول الجنة، فمن غفر الله ذنوبه، ووقاه النار غمرته رحمة الله فسعد في دنياه وأخراه.

ومن هذا القبيل عدة الأمثلة التالية:

كدعاء المهاجر في سبيل الله : (" رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ") [2]. دعاء يدعو به حين يخرج من منزله المهجور عنه.

الجمع بين الإجمال و التفصيل: لا مرآء في أن الإجمال و التفصيل أمران متقابلان (تقابل التضاد) لا يجتمعان في كلام واحد، كما لا يخلو من أحدهما. فان تحقق الأول إضمحل الثاني. وان وجد الثاني زال الأول. فكلام البشر لا يخلو: إما أن يكون مجملا و إما أن يكون مفصلا. ولا يكون مجملا و مفصلا في وقت واحد قط. وهذا هو شأن كلام البشر أديبا كان أو غيره.

بيد أن الأدعية القرآنية لما كانت مزدهرة في مزهر النبوة المنشئة بإيحاء الله الجلي و الخفي، فلا عجب أن يجتمع كلا الأمران في جملة منها جميعا، حيث تقرئها فتجد فيها من الوضوح و الظهور ما يبوئها درجة القمة في نفس البيان و التفصيل بأسلوب محكم ،يسبق معناها إلى نفسك من غير كد الذهن و لا إعادة طلاوة حتى تحسب نفسك أنها قد أحاطت بكل معناها ولم يبق منه شيء. ثم إن أعدت النظر في تلك الجملة مرة أخرى لاح لك منها معان جديدة. كل منها يصح أو يحتمل الصحة ،فإذا زدت الإمعان و أطلت المطالعة أعطتك من المعارف و الأسرار قدر استيعاب ذهنك ،حتى تكل ويكل فهمك و معانيها لا تزال تفيض. حتى ترى للجملة الواحدة منها وجودها متعددة ، تدرك منها ما تدرك.ولو طالعها غيرك لرأى

---

(1) الكشاف، ج/1، ص/ 489وتفسير البيضاوي، ج/1، ص/ 196. والبحر المحيط، ج/2، ص/ 142.

(2) سورة المؤمنون رقم الآية/ 29

فيها وجودها لم تطلع عليها و انكشفت له من معانيها ما لم ينكشف لك، فيتضح حينئذ أن في تلك الجملة إجمالا يضم المعاني العديدة.

فدونك الجملة الدعائية أنموذجة الإحتواء على الإجمال و التفصيل. وهي دعاء الحامد:("وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ[1]) " مثلا فحي على التدبر فيها، هل ترى كلاما جامعا أبين من هذه الجملة في عقول الناس ؟ ثم انظر كم في هذه من المعاني:

1. "فإنك لو قلت في معناها: (أللهم إنك ترزق من تشاء ترزيقه بغير محاسب يحاسبك و لا سائل يسئلك: لماذا بسطت الرزق لهؤلاء ؟ و لما قدرت على أولئك ؟) فقد أصبت. "
2. "و لو قلت: (أللهم إنك ترزق من تشاء بغير تقدير و لا محاسبة لنفسه عند الإنفاق خوف النفاد) فقد أصبت الحقيقة. "
3. "و لو قلت: (رب إنك ترزق من تشاء من حيث لا ينتظر و لا يحتسب) فصدقت. "
4. "و إن قلت : (ترزقه من غير معاتبة و لا مناقشة له على عمله) فأيضاً صحيح. "
5. "و إن عنيت: (ترزقه رزقا كثيرا لا يدخل تحت حصر و حساب) فقد أحسنت. "

فعلى الأول: يكون الكلام تقريرا لقاعدة الأرزاق في الدنيا و أن نظامها لا يجري على حسب ما عند المرزوق له من استحقاق بعلمه أو بعمله، بل يجري وفق مشية الله و حكمته في الابتلاء. وينبجس من ذلك أسرار كثيرة، فمنها

وعلى الثاني: يتحقق التنبيه على سعة خزائنه و بسط يده β.

(**1**) **سورة آل عمران، رقم الآية / 27.**

وعلى الثالث: يكون إيماء إلى ما سيفتح الله β لعباده المؤمنين من أبواب النصر و الظفر حتى يبدل عسرهم يسرا و فقرهم غنى من حيث لا يظنون.

وعلى الرابع و الخامس: يكون في الجملة وعدا للصالحين ، إما بدخول الجنة بغير محاسبة و إما بمضاعفة أجورهم أضعافا كثيرة لا يحصرها العاد.

و من وقف على علم التأويل و اطلع على معترك العلماء الأئمة في نحو تلك الفقر الأحس منها العجب العاجب ، فهلا تأملت معناها البين المفصل، الذي يتبادر إلى ذهنك. ثم تلك المعاني التي أجملت فيها بعد إمعان النظر ، فذلك هو المراد من اجتماع الإجمال و التفصيل في كلام واحد. وإنما ذاك أعجوبة لا توجد فيما سوى الأدعية القرآنية ، ولاسيما إذا كانت بالوحي الجلي.

--

-

فهرس الآيات الواردة في البحث

رقم المسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
.1	لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ	النحل	7	9
.2	فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ	البقرة	234	9
.3	حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ	الأحقاف	15	10
.4	فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ	الصافات	101	10
.5	لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ	غافر	36	10
.6	أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ	القلم	39	10
.7	إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ	الأنبياء	106	11
.8	هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ	ابراهيم	52	11
.9	وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ	الواقعة	82	22
.10	فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ	الصافات	162	22
.11	ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ	الأنعام	23	22
.12	وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ	ص	24	22
.13	طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ	الصافات	65	27
.14	إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى	النساء	10	27
.15	لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ	الإسراء	88	41
.16	وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء	البقرة	177	49
.17	اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ	آل عمران	200	49
.18	أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ	الفرقان	75	49
.19	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ	سبا	190	50
.20	وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا	القمر	36	51
.21	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ	آل عمران	159	51
.22	فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ	البقرة	137	52
.23	فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ	القصص	38	52
.24	وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً	النحل	112	54
.25	ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ	المائدة	89	55
.26	وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ	النور	53	56
.27	وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ	الأعراف	134	60
.28	قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لّنَا مَا هِيَ	البقرة	68	60 / 66
.29	وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ	البقرة	61	60
.30	أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ	النحل	62	60
.31	أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ	البقرة	186	61
.32	إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ	الأعراف	194	61
.33	أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ	الصافات	125	61
.34	وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ	يونس	25	62 / 65
.35	وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى	آل عمران	104	62
.36	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلهِ	الأنفال	24	62
.37	وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللهِ	البقرة	23	63
.38	قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ	الأنعام	40	63
.39	وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ	الكهف	52	63
.40	قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ	الأنبياء	45	64
.41	يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ	الإسراء	52	64
.42	فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءهُمْ	الأعراف	5	64

.43	ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ	الأحزاب	5	65
.44	لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بينكم	النور	63	65
.45	أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا	مريم	91	66
.46	مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا	ص	51	66
.47	قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ	الإسراء	110	66
.48	قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي	الفرقان	77	68
.49	وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ	غافر	41	68
.50	قَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ	غافر	60	71 / 73 / 75/ 76/ 78/ 101/ 166/
.51	الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم	الرعد	28	72
.52	وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى	هود	6	72
.53	وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا	العنكبوت	60	72
.54	أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ	النمل	62	73 /80 / 121
.55	وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا	الأعراف	180	73
.56	إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي	غافر	60	73
.57	وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا	لقمان	32	74
.58	فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ	العنكبوت	65	74
.59	هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ	يونس	22	74
.60	فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ	غافر	14	74
.61	قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ	الأعراف	29	74
.62	هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ	غافر	65	74
.63	وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ	البينة	5	75
.64	وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ	مريم	48	75
.65	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا	الذاريات	56	76
.66	اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ	ابراهيم	32	80
.67	وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي	البقرة	186	73 / 82 /420
.68	وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ	الزخرف	87	83
.69	وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ	الإسراء	68	83
.70	قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ	الأنعام	63	83
.71	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ	يس	82	85
.72	إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ	النحل	40	86 /167/ 187
.73	يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى	فاطر	15	86 /167
.74	فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ	يونس	108	86
.75	وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ	ابراهيم	7	86 /507
.76	إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ	الفاتحة	3	87
.77	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ	الأنبياء	35	89
.78	وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ	الشورى	30	89
.79	وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ	الجن	16	90

.80	فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ	الصافات	143	90
.81	وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ	التوبة	105	90
.82	إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ	آل عمران	160	92
.83	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ	آل عمران	173	92
.84	قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ	التوبة	51	92
.85	مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ	الحديد	22	95
.86	قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي	الأعراف	105	99
.87	وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ	النساء	102	101
.88	وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن	ابراهيم	34	102
.89	فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا	الزمر	49	109
.90	وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ	فصلت	51	109
.91	وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ	الجن	18	112
.92	ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً	الأعراف	55	/113 125
.93	إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ	البقرة	222	113
.94	وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ	المائدة	27	114
.95	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن	البقرة	172	114
.96	وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا	النور	31	114
.97	فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ	النوح	10	/ 115 178
.98	فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا	الشرح	5	118
.99	إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ	القدر	1	120
.100	وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ	الكهف	28	124
.101	وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ	الأعراف	197	125
.102	وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا	ص	16	127
.103	وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا	العنكبوت	53	127
.104	وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ	الأنفال	32	127
.105	الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	الفاتحة	2	152
.106	رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ	القصص	24	153 /425
.107	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ	الإخلاص	1	153
.108	الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ	الأنعام	1	155 /371
.109	وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ	الزمر	75	155
.110	لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ	القصص	70	155
.111	وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا	الأعراف	43	155
.112	فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ	غافر	65	155
.113	الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى	ابراهيم	39	156
.114	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ	الكهف	1	156
.115	وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ	الإسراء	111	156
.116	وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ	يونس	10	157 /438
.117	هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ	غافر	65	158
.118	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ	الأحزاب	41	161
.119	سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي	الحشر	1	161
.120	يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا	الجمعة	1	161

.121	سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا	الصافات	180	161
.122	سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ	البقرة	116	162
.123	فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ	الروم	17	162
.124	دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ	يونس	10	162
.125	سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ	المعارج	1	165
.126	وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي	غافر	8	166
.127	يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	الرحمن	29	166
.128	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا	يسين	82	167
.129	اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ	هود	3	177
.130	وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ	هود	52	177
.131	وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ	الأنفال	23	177
.132	وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ	البقرة	58	178
.133	رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ	المؤمن	97-98	185
.134	لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ	الأنبياء	87	343/186 /349/ 523
.135	أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ	البقرة	67	187
.136	رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ	الأعراف	23	/194 536/537
.137	رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ	المؤمنون	118	194
.138	رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي	طه	35-25	316/195 /342/ 351/344 /378/ /٤٨٠/428 ٤٨٥
.139	رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا	طه	114	195
.140	رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا	البقرة	126	467/195 495/٤٩٣/
.141	رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا	ص	35	195
.142	قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي	مريم	5-4	303/195 /329/ 315/324 /318/ 361/340 /375/ /٤٨١/457 ٥٠٨/٤٨٢
.143	كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ	البقرة	178	285
.144	بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا	النحل	44	285
.145	وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ	إبراهيم	45	285
.146	الم & غُلِبَتِ الرُّومُ	الروم	4-1	288

.147	الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ	النور	35	291
.148	بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ	يونس	4	291
.149	وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ	الفرقان	23	293
.150	رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا	البقرة	286	300 ٥٢١/352/ ٥٣٠/
.151	قَالَ رَبِّ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ	آل عمران	40	300
.152	فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي	آل عمران	36	301 /348/ /٤٣٧/353 441
.153	وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ	الإسراء	24	316/302 /
.154	وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا	طه	31-29	304
.155	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ	الفرقان	35	304
.156	وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا	الزمر	74	325/304
.157	فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ	إبراهيم	37	325/304
.158	وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي	الشعراء	84	306
.159	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ	غافر	12-10	307
.160	وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى	نوح	27-26	345/307 /414/ /٤٨٣/457 /٤٨٨/٤٨٥ ٥٠٨
.161	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذَا	إبراهيم	41-35	354/309 /422/ /٤٨١/438 ٥٢٣/٤٩٤
.162	تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ	آل عمران	27	312
.163	إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ	إبراهيم	37	313
.164	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى	إبراهيم	41-39	314
.165	رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ	البقرة	250	321/316 /٤٩٤/
.166	وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ	الإسراء	24	323/317
.167	وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا	الأعراف	126	324
.168	كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ	إبراهيم	1	326
.169	إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ	الفاتحة	5	327
.170	إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي	آل عمران	36	328
.171	وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ	آل عمران	145	328
.172	قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا	المائدة	114	407/328
.173	رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً	البقرة	201	538/338

.174	رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ	النمل	19	/339 467/439 /٥٠٢
.175	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي	الأحقاف	15	340
.176	رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ	آل عمران	194	344/340 /442/٤٦٣
.177	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ	آل عمران	260	418/340
.178	وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي	مريم	5	٥١٤/341
.179	قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً	مريم	10-1	٤٣١/342
.180	فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى	القصص	25/24	344
.181	مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ	البقرة	98	346
.182	ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا	آل عمران	147	369/346 /369/ 420
.183	رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ	آل عمران	192	359/346
.184	رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ	نوح	28	347
.185	مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا	نوح	25	349
.186	قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي	آل عمران	27/26	357/352 /367/ 377/358 /426/ /٥١٣/432 /٥٢٤/٥١٥ /٥٣٢/٥٣١ 539
.187	الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا	آل عمران	191	353
.188	رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ	الحشر	10	٤٣٢/355
.189	قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ	الناس	6-1	355
.190	وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ	إسراء	81	357
.191	وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ	الأحقاف	15	358
.192	اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم	الفاتحة	7/6	434/359 /480/ /462 /497 380
.193	وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ	البقرة	127	401/363 /395/ /٤٣٠/363 ٥٣٩
.194	رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ	البقرة	128	364
.195	رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً	البقرة	129	365

.196	سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ	البقرة	285	٤٦٥/366
.197	رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا	آل عمران	8	410/367 /427/ /٥٠٠/440 ٥٣٩/٥١٢
.198	قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي	المائدة	1	371
.199	قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ	المائدة	23	370
.200	فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ	التوبة	29	371
.201	قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي	يوسف	86	372
.202	رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي	آل عمران	193	427/374 ٥١٦/٥١٠/ ٥٢١/
.203	رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ	الأنبياء	89	415/378
.204	وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ	الإسراء	80	٥٣٢/379
.205	وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ	البقرة	250	٥١١/406
.206	رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ	المائدة	40-41	407
.207	لا يُكَلِّفُ اللهُ نفساً إلاّ وُسْعَهَا	البقرة	286	410/385 /411/ 423/419 /431/ /٤٦٤/423 ٤٩٩
.208	رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ	يونس	88	416
.209	وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ	الأعراف	46-47	416
.210	رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا	الإسراء	24	421
.211	وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاء	الزخرف	88	422
.212	وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ	الفرقان	30	425/422
.213	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ	آل عمران	174	425
.214	فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ	آل عمران	39	426
.215	فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ	آل عمران	37	427
.216	وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا	فرقان	74	429
.217	أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ	التوبة	104	430
.218	الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى	إبراهيم	39	٤٣٢
.219	اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ	الأنفال	32	٤٣٣
.220	الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	الفاتحة	1-7	/462/٤٣٤ ٤٩٧/480
.221	الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا	آل عمران	16	/440/٤٣٦
.222	رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ	آل عمران	9	440/٤٣٧
.223	رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ	إبراهيم	38	٤٨٦/٤٣٧
.224	فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ	آل عمران	195	٤٣٧

225.	بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى	البقرة	117	443
226.	رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا	الأحزاب	67	459/٤٨٩
227.	وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ	النمل	44	461
228.	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا	الروم	43	461
229.	وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ	الروم	55	461
230.	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	البقرة	190-194	٥١١/٤٦٥
231.	فَقَالُواْ عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ	يونس	85	٤٨٠
232.	سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا	الزخرف	13	٤٨٢/٤٨١
233.	رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ	يونس	85-86	٤٨٢
234.	رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً	آل عمران	191-194	٤٨٧/٤٨٤
235.	ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا	مريم	1-11	/٥١٦/٤٩١ ٥٤٠
236.	قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ	الفلق	1-5	٤٩١
237.	رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً	آل عمران	38	٥٠٠
238.	وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا	النمل	15	٥٠٢
239.	إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا	الذاريات	25	٥٠٣
240.	رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ	المؤمنون	94	٥٠٦
241.	رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا	الشعراء	83-85	٥١١/٥١٠
242.	شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ	آل عمران	18	٥١٢/٥١٣
243.	هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ	الحشر	23	٥١٤
244.	فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا	النمل	19	٥١٧
245.	الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ	غافر	7	٥١٧
246.	قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ	الحجر	36-38	٥١٨
247.	كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا	الأعراف	38	٥١٨
248.	رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ	يوسف	101	٥٢٠/٥١٩
249.	وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاء	الزخرف	88	٥١٩
250.	فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا	مريم	5	٥٤٠/٥٢٠
251.	لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي	آل عمران	129	٥٢٤
252.	ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا	التحريم	10-12	٥٣٢
253.	وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ	الحشر	10	٥٣٥
254.	إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ	المائدة	118	٥٣٦
255.	قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ	المائدة	116	٥٣٧
256.	فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ	الأنعام	45	٥٣٨
257.	وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا	المؤمنون	29	542

الأحاديث الواردة في البحث

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
.1	الدعاء هو العبادة	73/61
.2	ليس شيء أكرم على الله من الدعاء	76/71
.3	تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة	71
.4	الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينـزل	72
.5	هذا جبرائيل جاء يعلم الناس دينهم	75
.6	من لم يسئل الله سبحانه غضب عليه	76
.7	لا يزيد في العمر إلا البر ولا يرد القدر إلا الدعاء	98/77
.8	إن الله حي كريم يستحي إذارفع ا لرجل إليه يده	116/78/77
.9	لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل	98/77
.10	أدعو الله وأنتم موقنون بالإجابة	113/77
.11	أدعوا فإن الدعاء يرد القضاء	77
.12	ينـزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا	78
.13	يا عبادي كلكم ضال من هديته (حديث قدسي)	85
.14	وما منكم من أحد إلا قد كتب مقعد من النار أو من الجنة	95
.15	وقنى شر ما قضيت	98
.16	يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء	98
.17	الدعا بطول البقاء محدث	99
.18	إن الدعاء والبلاء ليلتقيان بين السماء	101
.19	هل تنصرون إلا بضعفائكم	101
.20	لكل نبي دعوة قد دعاها الأمة وإني اختبأت	107

.21	بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة	107
.22	ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا	121/108
.23	إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس	110
.24	قصة أصحاب الغار الذين توسلوا	110
.25	حديث قصة جريج الراهب الذي دعا الله تعالى	110
.26	اللهم عليك بقريش ثلاث مرات	111
.27	يستجاب لأحد ما لم يعجل	119/112
.28	يستجاب لعبد ما لم يدع بإثم	126 /112
.29	واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب لاهٍ	113
.30	إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا	114
.31	بينما رسول الله γ قاعداً إذ دخل رجل فصلى	115
.32	كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي γ	115
.33	من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب	115
.34	ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم	116
.35	سلوا الله ببطون أكفكم ولا سألوه بظهورها	116
.36	إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة	116
.37	صلوا على واجتهدوا في الدعاء وقولوا اللهم	117
.38	إذا قال العبد يا رب يا رب	117
.39	ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة	118
.40	إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم	120
.41	ساعتان لا ترد على داع دعوته	121
.42	الدعوة لا ترد بين الآذان والإقامة	121
.43	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد	121
.44	إن لصاحب القرآن عند كل ختمه	121
.45	اللهم صيباً نافعاً	122
.46	ماء زمزم لما شرب له	122
.47	إن الروح إذا قبض تبعه البصر	122
.48	الصائم لا ترد دعوته	122
.49	ثلاثة تستجاب دعوتهم	122
.50	ثلاثة دعوات مستجابات لا شك فيهن	122
.51	إن الله ليرفع الرجل الدرجة فيقول	123
.52	أن رسول الله γ بعث معاذاً إلى اليمن	123
.53	من كان له إلى الله حاجة فليدع بها	123
.54	ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب	123
.55	ما توطن الرجل المساجد للصلاة	123
.56	خرج رسول γ إلى هذا المصلى يستسقي فدعا واستسقى	123
.57	أما أنكم الملأ الذي أمرني ربي أن أصبر نفسي معكم	124
.58	يا معشر النساء تصدقن وأكثر الاستغفار	126
.59	لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة	127
.60	يستجاب لأحدكم ما لم يعجل	127
.61	لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به	127
.62	اللهم إن أعوذبك من قلب لا يخشع وعلم لا ينفع	128
.63	إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته	156
.64	والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن	157
.65	إن كل قضاء يقضيه الله للمؤمن	157
.66	افضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله	157

.67	الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان	158
.68	إن الرسول γ سئل أي الكلام أفضل	163
.69	ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله	163
.70	أن من قال سبحان الله وبحمده في يوم	163
.71	كلمتان حبيبتان إلى الرحمان	163
.72	أحب الكلام إلى الله أربع سبحان الله	163
.73	في الحديث القدسي: يا عبادكم كلكم عار إلا من كسوته	166
.74	يد الله ملائ لا تغيضيها نفقة	168/167
.75	من أراد أن يستجيب الله له	169
.76	يا أيها الناس استغفروا الله وتوبوا	178
.77	من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرحا	178
.78	أذنب عبد ذنبا ، فقال اللهم اغفرلي ذنبي	178
.79	طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا	178
.80	قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني	178
.81	اللهم اغفرلي وارحمني والحقني بالرفيقي الأعلى	179
.82	الشرك في هذه الأمة اخفى من ديب النمل	179
.83	من يدعوني فاستجب له	180
.84	أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر	187/184
.85	اللهم إني أعوذبك من منكرات الأخلاق	209
.86	اللهم عافني من شر سمعي ومن شر بصري	209
.87	ما تركت بعد فتنة أضر على الرجال من النساء	213
.88	اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك	238
.89	وما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبته رشدا	245
.90	اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي	245
.91	قال إبراهيم ν يا إسماعيل إن ربك أمرني أن ابني له	257
.92	اللهم اغفرلي خطيئتي وجهلي وعمدي	266
.93	اللهم اغفرلي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري	266
.94	من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته	272
.95	اللهم اجعلني شكورا حال كوني أعظم شكرك	387
.96	أسألك لسانا صادقا وقلبا سليما	431
.97	السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين	432
.98	اللهم اطعم من اطعمني واسق من سقاني	432
.99	اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله	503
.100	لن يدخل أحدكم الجنة بعلمه	506

الأبيات الواردة في البحث

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
.1	قالت ولم تقصد لقيل الحنى	9
.2	مكر مفر مقبل مدبر معاً	18
.3	كناطح صخرة يوما ليوهنها	18
.4	وقد أتناسى الهمّ عند احتضاره	19
.5	قد وردت قبل إني ضحائها	23
.6	أيقتلني والمشرفي مضاجعي	27
.7	لقد تركت أمير المؤمنين بها	230

.8	قوم إذا حاربوا ضرًّا عدوّهم	443
.9	سجيّة تلك فيهم غير محدثة	443
.10	أبت ناقتي إلا زياداً ورغبتي	444

المصادر والمراجع

.1	القرآن الكريم
.2	إتحاف السادة المتقين محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدى ، دار الفكر بيروت
.3	الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي ، مكتبه و مطبعة مصطفي البابي الحلبي و أولاده بمصر .
.4	أثر النحاة في البحث البلاغي لعبد القادر حسين . دار غريب للطباعة والنشر . القاهرة
.5	الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن ملح المقداسي الحنبلي، مصدر الكتاب موقع الإسلام (www.alislam.com)
.6	الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ε ، لمحيي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي ، الطبعة الخامسة عشرة، دار الكتاب العربي ببيروت ، 1406 هـ / 1986 م .
.7	الأساليب الإنشائية للدكتور صباح دراز ، دار الفكر بيروت
.8	الاستعاذة معناها وأحكامها وفوائدها لعبد الهادي حامي، مجلة الجامعة الإسلامية بغزة ، يناير 2004
.9	أسلوب الدعوة القرآنية، عبد ا لغني محمد سعد بركة ، مكتبة وهبة للطباعة والنشر
.10	الأشباه و النظائر الشَّيْخ زَيْنُ الْعَابِدِيْنَ بْنِ إِبْرَاهِيْمِ بْنِ نُجَيْمٍ ، دار الكتاب العربي بيروت
.11	أصول التوحيد في القرآن الكريم للدكتور محمد صالح علي مصطفي ، دار القلم الأمارات العربية المتحدة 1986
.12	أصول الدين ، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، دار الفكر بيروت.
.13	الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق، دار المعارف مصر.
.14	إعجاز القرآن لبديع الزمان نورسي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، 1963،
.15	إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ط، 2 ، 1999 ، دار الكتاب العربي بيروت
.16	إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين درويش ، دار ابن كثير اليمامة، ط، 3، 1992م .
.17	إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لأبي بكر بن قيم الجوزية، دار الحديث الأزهر ، القاهرة مصر.
.18	الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الفكر بيروت،
.19	أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر جابر الجزائري، ط/1، 2002 م، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، السعودية.
.20	الإيضاح، في علوم البلاغة لجلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين بن عمر القذويني مطبعة الجامعة السورية

	دمشق، 1950.
.21	بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي ، دار الفكر – بيروت
.22	البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة
.23	البحوث والدراسات، لعبد الله بن إبراهيم الأنصاري، دار الفكر – بيروت
.24	بدائع الفوائد لابن القيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان
.25	البداية والنهاية، البداية والنهاية، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، دار إحياء التراث العربي ، 1408 هـ.
.26	البديع في نقد الشعر ، ابن منقذ، دار الكتاب العربي بيروت
.27	البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، دار المعرفة ، بيروت ، ط/2.
.28	بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي، ط / 2 ، أحياء التراث الإسلامي بمصر.
.29	بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبدالمتعال الصعيدي، ط/ 7 ، مكتبة الآداب 1973 م.
.30	بلاغة العرب بين أرسطو واليونان ، إبراهيم سلامة ، مكتبة الأنجلو المصرية, 1952
.31	البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، لعبدالرحمن حبنكه، دار الفكر بيروت
.32	بلاغة الكتاب في العصر العباسي، دكتور محمد نبيه حجاب، ط/ المطبعة الفنية الحديثة، سورية،
.33	البلاغة الواضحة ، (البيان والمعاني والبديع) للمدارس الثانوية ، على الجازم ومصطفى أمين ، دار المعارف مصر.
.34	البلاغة تطور وتاريخ ، شوقي ضيف ، دار المعارف مصر.
.35	البلاغة عند السكاكي، لدكتور أحمد مطلوب، مكتبة النهضة بغداد
.36	بلاغة فن الالتفات في القرآن الكريم، أطروحة لنيل درجة الدكتورة ، للباحث ظاهر الدين.
.37	البلاغة والنقد للصف الثاني الثانوي ،وزارة المعارف السعودية ، ١٩٧٧م.
.38	البلاغية القرآنية في تفسير الزمخشري و أثرها في الدراسات البلاغية، د. محمد حسن أبو موسى، دار الفكر العربي.
.39	البنية الإيقاعية وجماليتها في القرآن ، أستاذ محمد حرير ، دار الكتاب العربي بيروت.
.40	البيان العربي لدكتور بدوي طبانة ، الدار المصرية اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع, 1992 ،
.41	البيان والتبيين ، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط/ 2، القاهرة.
.42	تاج العروس من الجواهر القاموس، محمد مرتضي الزبيدي، ط/1 المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر.
.43	تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجرة، لأحمد إبراهيم،
.44	تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، لعيدروسي، دار الوطن ، الرياض
.45	تاريخ علوم البلاغة وتعريف برجالها، لأحمد مصطفى المراغي، 1950.
.46	التصوير الفني في القرآن ، لسيد قطب، دار الكتب العلمية ، بيروت
.47	التعريفات للشريف الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط/ 2، 1403هـ .
.48	تفسير ابن أبي حاتم ، الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، دار النشر المكتبة العصرية
.49	تفسير أبي السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو سعود محمد بن أحمد العمادي، ط/1 ، مطبعة المصرية.
.50	تفسير البحر المحيط ، للأندلسي ، ط/الأولى، مطبعة السادسة بمصر،1320هـ،
.51	تفسير البغوي، معالم التنزيل محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار الطيبة للنشر والتوزيع، ط/4 ، 1997 م.
.52	تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي ، مطبعة العثمانية بمصر ، 1329 هـ
.53	تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور، طبعة الدراسة التونسية للنشر 1984 م .
.54	تفسير القاسمي، محمد جمال الدين القاسمي، دار احياء التراث العربي, 1997
.55	تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ، الناشر دار الوطن ، الرياض ، 1997م

.56	تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1365 هـ
.57	التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي، ط/2، دارا الكتب العلمية طهران.
.58	تفسير روح المعاني، في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، ط 1398 هـ ، دار الفكر بيروت.
.59	تفسير مفردات القرآن، راغب الأصفهاني .دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
.60	تلخيص المفتاح، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، مصدر الكتاب : موقع الوراق ، http://www.alwarraq.com
.61	تهذيب اللغة ، أبو نصر محمد بن احمد بن الأزهر بن طلحه بن نوح الازهري، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، 2001م
.62	تيسير اللطيف المنان، الشيخ عبد الرحمن السعدي، الناشر : موقع الإسلام http://www.al-islam.com
.63	ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ط دار المعارف، مصر
.64	جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة ببيروت ، 1400هـ / 1980.
.65	الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، مع فوائد نحوية هامة ، محمود صافي، دار المعارف ، مصر
.66	جمهرة اللغة لابن دريد، أبوبكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، دار صادر بيروت ، 1345 هـ .
.67	جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للسيد أحمد الهاشمي بك، ط 1940،
.68	حاشية الجمل على الجلالين ، شيخ سليمان الجمل، دار صادر بيروت
.69	حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، عصام الدين إسماعيل الحنفي القونوي، دار صادر بيروت
.70	حجة الله البالغة لشاه ولي الله الدهلوي ، الإمام أحمد المعروف بشاه ولي الله ابن عبد الرحيم الدهلوي ، الناشر دار الكتب الحديثة ، بغداد
.71	الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، الناشر دار الجيل ، بيروت
.72	خصائص التراكيب، لدكتور محمد محمد أبو موسى، دار التضامن، ط/2، 1400.
.73	دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول ، دار صادر بيروت
.74	الدرر المنثور ، جلال الدين لسيوطي، طبعة دار المعرفة دمشق.
.75	الدعاء آدابه وأسبابه لليافعي ، عبد الله بن أسعد اليافعي ، دار الكتب العلمية ، 1995 ،
.76	الدعاء ومنزلته العقائد الإسلامية، لخضر بن جيلان العروسي، ط/1 ، مكتبة الرشيد الرياض.
.77	دعوة الرسل إلى الله تعالى، لمحمد أحمد العدوي، بدون ذكر مكان النشر وتاريخ الطباعة.
.78	دقائق التفسير، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، الناشر مؤسسة علوم القرآن1404
.79	دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني، تعليق محمود شاكر مكتبة الخانجي القاهرة.
.80	ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس: شرحه مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1،
.81	ديوان امرئ القيس ، شرحه عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة ، بيروت ، ط/ 1،
.82	ديوان حسان، البدع: المراد مستحدثات الأخلاق لا ما هو ثابت كالغرائز.
.83	ديوان المعاني، أبي هلال الحسن العسكري، ، ط / دار الكتب بيروت، 1994 م
.84	ديوان فرزدق، دار الكتب بيروت .
.85	روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد عبدالرزاق حمزة ومحمد حامد الفقي، المكتبة التجارية بمكة المكرمة ، 1414هـ ، 1993م.
.86	رياض الصالحين تأليف يحيى بن شرف النووي ، مؤسسة الرسالة.
.87	سنن ابن ماجة ، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة ، ط/1 ، دار السلام الرياض 1999 م
.88	سنن أبي داود، أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني، ط/1 ، دار السلام الرياض 1999 م
.89	سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، ط/1، عام 1999م دار السلام الرياض.

.90	سنن النسائي ، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب ، ط/1 ، دار السلام الرياض 1999 م
.91	شذرات الذهب ، لابن العماد، دار الكتب المصرية
.92	شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ، سعد الدين التفتا زاني ، دار المعرفة ، بيروت
.93	شرح المختصر لسعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ، دار الكتب بيروت
.94	شرح مفتاح للسيد الجرجاني، مخطوط بدار الكتب،
.95	شروح التلخيص ، لسعد الدين التفتازاني ، دار الكتب المصرية
.96	الشعر والشعراء ، عبدالله بن مسلم ابن قتيبة ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398 هـ
.97	شفاء العليل لابن قيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ، مكتبة دار التراث القاهرة، 1375 هـ
.98	صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي مؤسسة الرسالة ، بيروت 1993.
.99	صحيح ابن خزيمة ، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري ، المكتب الإسلامي، بيروت ، 1970
.100	صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، دار المعرفة بيروت ، تحقيق محمد فواد الباقي، 1989م.
.101	صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، ، دار القرآن الكريم، بيروت ، لبنان،
.102	الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الأعجاز، دار المعرفة دمشق
.103	عدة المسلمين في معاني الفاتحة وقصار السور من كتاب رب العالمين، محمد محمود الصواف.
.104	علوم البلاغة ، البيان والمعاني والبديع ، أحمد مصطفى المراغي ، صححه أبو الوفاء مصطفى المراغي ، ط/ 5 ، المكتبة المحمودية التجارية
.105	الفتاوى لابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ، جمع عبدالرحمن بن القاسم، طبعة الرياض.
.106	فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن الحجر العسقلاني ، مطبوع مع صحيح البخاري.
.107	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدرائة من علم التفسير الشوكاني ، عالم المعرفة ، بيروت .
.108	الفتوحات الربانية علي الأذكار النواوية لمحمد بن علان الصديقي، مكتبة دار الباز مكة المكرمة، السعودية.
.109	فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب ، دار المعرفة دمشق.
.110	فقه الأدعية والأذكار لعبد الرازق بن عبد المحسن البدر، دار ابن باز ، الرياض.
.111	فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها للصاحبي ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ،
.112	الفهرست لمحمد بن إسحاق النديم ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان
.113	القاموس المحيط للفيروز آبادي، ط / الثانية، بيروت ، 1407هـ،
.114	كتاب الدعاء سليمان بن أحمد الطبراني، دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان، 1987 م.
.115	كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري المطبعة السعادة بمصر .
.116	كتاب العين للخيل، نشر وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، ط/ 1981 م .
.117	كتاب مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب أي التنزيل ، ص/ 20، طبعة إدارة النشر والإشاعة للعلوم الإسلامية، بشاور.
.118	الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان تحقيق عبدالسلام هارون ، دار القلم ودار الكتاب العربي بمصر.
.119	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، آفتاب تهران.
.120	اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ، دار الكتب العلمية – بيروت , لبنان.
.121	لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، دار الفكر بيروت، ط/١٩٦٨م
.122	المأثور في تفسير سورة الفاتحة، لدكتور عبد الله بن سليمان الأحمدي،
.123	المثل السائر في أدب الكاتب ، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن الأثير، دار النهضة مصر القاهرة.
.124	مجاز القرآن ، لأبي عبيدة معمر بن المثني، تحقيق د.محمد فؤاد سزكين، الطبعة الأولي.. مطبعة السعادة، القاهره ١٩٥٥م

.125	مجلة جامعة الإمام ، العدد 46، ربيع الآخر ، 1425هـ ، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض السعودية
.126	مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، مكة المكرمة السعودية.
.127	مجموع الفتاوى لابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ، جمع عبدالرحمن القاسم طبعة المعارف الرياض
.128	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دارا لكتب العلمية بيروت ، 1993 م.
.129	المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، علي بن إسماعيل بن سيده، ط/1، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية 1388 هـ .
.130	مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، دار صادر بيروت
.131	المختصر في تاريخ البلاغة للدكتور عبدالقادر حسين ، ط/ دار الشرق 1982.
.132	مدارج السالكين لابن القيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ، تحقيق محمد حامد الفقي، 1375 هـ
.133	المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، بمصر،
.134	مستدرك الحاكم ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله المستدرك على الصحيحين ، نشر دار الكتب العلمية بيروت
.135	مسند أحمد بن حنبل، دار الصادر بيروت
.136	مشارق الأنوار ، القاضي عياض، دار صادر بيروت
.137	المصباح في المعاني والبيان والبديع، الإمام أبي عبد الله بدر الدين بن مالك الدمشقي، تحقيق د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1 ، 2001،
.138	المعاني في ضوء أساليب القرآن، للدكتور عبدالفتاح لاشين، ط/3، 1978 م ، دار المعارف مكتبة الحرم المكي الشريف.
.139	المعجزة الكبرى للقرآن ، الإمام العلامة محمد أبو زهرة ، دار صادر بيروت
.140	معجم الأدباء، ياقوت الحموي ، دار الصادر بيروت .
.141	المعجم الأوسط ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، دار الحرمين –القاهرة ، 1415
.142	معجم البلاغة العربية لبدوي طبانة، دار الكتب بيروت لبنان
.143	المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ط/ دار الكتب العلمية، 1997،.
.144	معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار الكتب بيروت
.145	مفتاح العلوم ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي
.146	المفردات في غريب القرآن ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، ماجستير من كلية آداب جامعة القاهرة،
.147	المقتضب ، المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، مطبعة عالم الكتب ، بيروت.
.148	مقدمة أساس البلاغة لأمين الخولي ، دار الكتب المصرية.
.149	المقدمة لابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت،
.150	المنار في علوم البلاغة، الدكتور محمد علي الحسن، موسسة الرسالة – بيروت
.151	منهاج السنة لابن تيمية، دار الكتب المصرية
.152	نزهة النواظر في علم الوجوه و النظائر لابن الجوزي، أبي الفرج ، تحقيق محمد عبدالكريم كاظم الراضي ، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت 1404 هـ.
.153	نظم الدرر، الإمام برهان الدين البقاعي، دار الكتب العلمية - بيروت – 1415
.154	النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ،ستانلي هايمن ، ترجمة : إحسان عباس ، الطبعة : 1 ، دار الثقافة ، بيروت
.155	نقد الشعر، قدامة بن جعفر، موقع الوراق،http://www.alwarraq.com
.156	الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب: ابن القيم الجوزي، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان.
.157	الوسيط في تفسير القرآن الكريم ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، ط/ 1، دار الكتب العلمية بيروت.
.158	http://ksayat.com/showthread.php?t=9562

فهرس المحتويات

أ	مقالہ اور دفاع کی منظوری کا فارم	1
ب	يمين الباحث	2
ج	مقالے کا دائرہ کار	3
د	Abstract	4
و	الإهداء	5
ز	**كلمة الشكر**	6
1	المقدمة	7
	الباب الأول البلاغة	
	الفصل الأول البلاغة لغة واصطلاحاً	
9	تعريف البلاغة لغة واصطلاحاً	8
11	البلاغة اصطلاحاً عند القدماء والمحدثين	9
	الفصل الثاني أهمية علم البلاغة ونشأته وتطوره	
15	أهمية علم البلاغة	10
17	نشأة علم البلاغة/ البلاغة في العصر الجاهلي	11
20	البلاغة في صدر الإسلام	12
23	البلاغة في عصر بني أمية	13
24	البلاغة في العصر العباسي	14
	الفصل الثالث العلماء البلاغيون المشهورون وأهم مؤلفات في علم البلاغة	

27	العلماء البلاغييون القدامى ، أبو عبيدة	15
28	أبو عثمان الجاحظ	16
29	المبرد	17
32	ابن المعتز	18
33	الرماني	19
34	أبو هلال العسكري	20
35	الخطابي	21
36	الباقلاني	22
38	الإمام عبد القاهر الجرجاني	23
41	الزمخشري	24
42	جلال الدين السيوطي	25
46	السكاكي	26
47	الخطيب القزويني	27
48	الراغب الأصفهاني	28
50	العلماء البلاغيون الجدد ، الرافعي	29
53	الشيخ أبو زهرة	30
54	بنت الشاطي	31
	الباب الثاني معارف الدعاء	
	الفصل الأول الدعاء لغة واصطلاحا	
57	أصل كلمة الدعاء	32
59	المعاني اللغوية لكلمة الدعاء	33
67	المعنى الاصطلاحي والشرعي للدعاء	34
69	المناسبة بين المعنى اللغوي والشرعي	35
	الفصل الثاني أهمية الدعاء من القرآن والحديث ومكانته من العقيدة	
73	أهمية الدعاء في ضوء القرآن	36
76	أهمية الدعاء في ضوء الحديث النبوي γ	37
78	منـزلة الدعاء من العقيدة	38

39	العلاقة بين الدعاء والقدر	89
40	العلاقة بين الدعاء والأخذ بالأسباب	90
41	علاقة الدعاء بالتوكل على الله	91
	الفصل الثالث دلائل على تأثير الدعاء من القرآن والسنة والفطرة	
42	مذاهب العلماء في الدعاء	94
43	دلائل على تأثير الدعاء من القرآن والسنة والفطرة	101
44	شواهد على تأثير الدعاء في الأدعية القرآنية	103
45	دلائل على تأثير الدعاء من السنة	107
	الفصل الرابع شروط آداب الدعاء وأسباب قبول الدعاء	
46	شروط إجابة الدعاء	112
47	آداب الدعاء	113
48	الآداب التي تعقب الدعاء	118
	الفصل الخامس أوقات وأماكن يستجاب فيها الدعاء	
49	الأوقات التي يرجى فيها استجابة الدعاء	120
50	الأماكن التي يستحب فيها الدعاء	123
	الفصل السادس موانع الدعاء	
51	موانع استجابة الدعاء	125
	الباب الثالث الأدعية القرآنية	
	الفصل الأول عدد الأدعية القرآنية	
52	عدد الأدعية القرآنية	130
53	الجدول لتوضيح الأدعية القرآنية باعتبار عدد الآيات	148
	الفصل الثاني مضامين الأدعية القرآنية وصيغها	
54	أنواع الدعاء من حيث المعنى	151
55	أنواع الدعاء من حيث الصيغ	153
56	ذكر الصيغ التي استخدمت في الأدعية القرآنية وأهميتها	154

159	شواهد الحمد في الأدعية القرآنية	57
165	شواهد التسبيح في الأدعية القرآنية	58
170	شواهد السؤال في الأدعية القرآنية	59
181	شواهد الاستغفار في الأدعية القرآنية	60
189	شواهد الاستعاذة في الأدعية القرآنية	61
190	أقوال العلماء حول مضامين الأدعية القرآنية	62
191	محتوى الأدعية القرآنية	63
	الفصل الثالث تقسيم الدعاء من حيث الداعيين	
194	دعوات الأنبياء	64
195	أدعية نوح v	65
201	أدعية إبراهيم v	66
208	أدعية لوط v	67
210	أدعية شعيب v	68
213	أدعية يوسف v	69
215	أدعية أيوب v	70
217	أدعية موسى v	71
224	أدعية زكريا v	72
227	أدعية نبينا محمد γ	73
232	أدعية المؤمنين	74
244	دعاء أصحاب كهف	75
	الفصل الرابع فوائد الأدعية المختلفة حسب حاجات الإنسان	
250	طلب صرف الكيد	76
253	طلب تيسير أمر الرسالة	77
255	الدعاء لمصالح الدين والدنيا والآخرة	78
277	الاستغفار للغير	79
	الباب الرابع شواهد علم البيان في الأدعية القرآنية	

الفصل الأول التعريف بعلم البيان ونشأته		
80	البيان لغة	284
81	البيان اصطلاحاً	285
82	أبواب علم البيان	287
الفصل الثاني شواهد التشبيه في الأدعية القرآنية		
83	شواهد التشبيه في الأدعية القرآنية	300
الفصل الثالث شواهد المجاز في الأدعية القرآنية		
84	شواهد المجاز المرسل في الأدعية القرآنية	306
85	شواهد المجاز العقلي في الأدعية القرآنية	308
الفصل الرابع شواهد الاستعارة والكناية في الأدعية القرآنية		
86	شواهد الاستعارة مكنية في الأدعية القرآنية	315
87	شواهد الاستعارة التمثيلية في الأدعية القرآنية	320
88	شواهد استعارة أصلية مكنية في الأدعية القرآنية	322
89	شواهد الاستعارة تبعية في الأدعية القرآنية	323
90	شواهد الاستعارة التصريحية التبعية في الأدعية القرآنية	324
91	شواهد الكناية في الأدعية القرآنية	326
الباب الخامس شواهد علم المعاني في الأدعية القرآنية		
الفصل الأول التعريف بعلم المعاني ونشأته		
92	علم المعاني لغة	330
93	نشأة العلم المعاني	332
الفصل الثاني شواهد الإيجاز والإطناب والقصر في الأدعية القرآنية		
94	شواهد الإيجاز بالحذف في الأدعية القرآنية	338

343	شواهد الإيجاز القصر في الأدعية القرآنية	95
344	شواهد ذكر الخاص بعد العام في الأدعية القرآنية	96
347	شواهد الاعتراض في الأدعية القرآنية	97
349	شواهد تفصيل بعد الإجمال في الأدعية القرآنية	98
350	شواهد الإجمال بعد التفصيل في الأدعية القرآنية	99
356	شواهد الإيغال في الأدعية القرآنية	100
358	شواهد الاسم الظاهر مكان الضمير	101
360	شواهد الإطناب في الأدعية القرآنية	102
362	شواهد القصر في الأدعية القرآنية	103
374	شواهد النظم في الأدعية القرآنية	104
	الفصل الثالث شواهد الفصل والوصل والتقديم والتأخير في الأدعية القرآنية	
377	شواهد الوصل في الأدعية القرآنية	105
380	شواهد كمال الاتصال في الأدعية القرآنية	106
385	شواهد الفصل في الأدعية القرآنية	107
387	شواهد التقديم و التأخير في الأدعية القرآنية	108
	الفصل الرابع شواهد الخبر والإنشاء في الأدعية القرآنية	
398	شواهد الخبر في الأدعية القرآنية	109
403	شواهد الإنشاء في الأدعية القرآنية	110
410	شواهد النهي في الأدعية القرآنية	111
418	شواهد الاستفهام في الأدعية القرآنية	112
422	شواهد النداء في الأدعية القرآنية	113
426	شواهد التعريف في الأدعية القرآنية	114
427	شواهد النكرة في الأدعية القرآنية	115
434	شواهد الالتفات في الأدعية القرآنية	116
438	شواهد التأكيد في الأدعية القرآنية	117
	الباب السادس	

	شواهد علم البديع في الأدعية القرآنية	
	الفصل الأول التعريف بعلم البديع ونشأته	
443	التعريف بعلم البديع	118
444	نشأة علم البديع	119
	الفصل الثاني المحسنات اللفظية في الأدعية القرآنية	
462	شواهد الجناس في الأدعية القرآنية	120
474	حسن الافتتاح وبراعة الاستهلال	121
475	شواهد حسن الختام في الأدعية القرآنية	122
479	شواهد حسن الابتداء في الأدعية القرآنية	123
484	شواهد الإيقاع التناسب الصوتي في الأدعية القرآنية	124
497	شواهد ائتلاف اللفظ مع المعاني في الأدعية القرآنية	125
515	شواهد التناسب في الأدعية القرآنية	126
	الفصل الثالث المحسنات المعنوية في الأدعية القرآنية	
524	شواهد الطباق في الأدعية القرآنية	127
530	شواهد المقابلة في الأدعية القرآنية	128
541	شواهد الجمع في الأدعية القرآنية	129
544	نتائج البحث	130
550	فهرس الآيات	131
560	فهرس الأحاديث	132
563	فهرس الأبيات	133

134	المصادر والمراجع	564
135	فهرس المحتويات	569

نتائج البحث

لا يمكن استيعاب الخصائص الأدبية للأدعية القرآنية لقصر الوصول إلى هذه البلاغة العالية العجيبة، لأنا لا نعرف للأدعية القرآنية إلا المعاني التي هي إلهام من الله تعالى ونتاج الحكمة وغاية العقل وما يشاكلها مما يرتقي به الكلام إلى درجة لا تستطيع مقدرة الإنسان أن ترتقي إليها، أو تعرج إلى ما فوقها من البلاغة والتسديد وبراعة المرام، غير أن أحاول أن أذكر بعض الخصائص البيانية الشكلية للأدعية القرآنية فيما يلي بإيجاز.

من سمات الأدعية القرآنية المؤثرة الظاهرة التي يكاد يشعر بها الباحث فيها في أول وهلة كونها ملهمة بالبلاغة القرآنية والأشكال الفنية القرآنية من الأدعية التي حكاها الله في كتابه العظيم على ألسنة عبادة الصالحين من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين والعباد المؤمنين، وتمتاز هذه الأدعية الرقيقة المرفقة بصدورها في بيان عال متوازن في أسلوب سهل يسير، مزدان بنغمات الفواصل والمقاطع، وجمال الفقرات المسجعة، في كثير من الأحيان من غير تكلف وقصد إلى السجع إنما هو فيض الخاطر وتدفق القريحة الفائضة المتأثرة بأدب القرآن، وبلحن هادئ رائع مؤثر، وأحيانا بحوار لطيف حان ورشاقة الألفاظ وحسن صياغتها، والتعبير عن " القلب الكبير" و " النفس العظيمة" تعبيراً لا يضارعه تعبير، وتمثيل مشاعر الحب والعبودية والإخلاص والأنانة تمثيلاً معجزاً دقيقاً وما إلى ذلك من روائع الحكمة والبيان، وآيات الأدب والتعبير الموحي البليغ، والتناسق الفني العجيب ، والتصوير الرائع البديع.

ويجمع أسلوب تلك المأثورات بين صحة النهجة، والأتمية والبهجة، فأما صحته فمن شهادة العقل له بالتصويب، وأما بهجته فمن ناحية كيفية اللفظ في التركيب، وإعتدال القسمة العجيب، وأما تمامه فمن حيث النظم المستعير من النفس شغفها، ويستشير من كلفها.

فلها أسلوب كلامي ليس فيه أثر للصنعة، ولا وسامة التكلف والتعسف، ما هي إلا كلام منسكب إنسكاباً وجارجرياً، يريد لطفه على الطبع بقدر ما يزيد الطبع على التصنع، قليله عزيز وكثيرة غريز، ومعناه أقوم ممن لفظه ولفظه أرشق من وزنه، ووزنه أعدل من نظمه، ونظمه أحلى من نثره، ومجموع تلك الأدعية أبهى من مفرقها، ومفرقها أطرف من مجموعها، وبعضها أغرب من كلها، وكلها أروع من بعضها، وهي مسبوكة في صيغ كلام يستوي فيه تعجب الجاهل، وتحير الأديب الفاضل، ويستعلي الذهن الغريق، ويستغرق الفهم الدقيق، ويرشد الرؤية إلى الإدراك، ويردها إلى البديهية من الإنهماك، ويلوح الرونق لذي عقل نجيح، وذي علم غريز وطبع سجيح.

الأدعية القرآنية مظهر من مظاهر البلاغة القرآنية ، يحتوي أقل عبارته على الروائع الأدبية الكثيرة، مثل انطواء الإناء الصغير على البحر الكبير، فكانت عباراتها من جوامع الكلم، التي قل عدد حروفها و كثر كمية معانيه المنزهة عن التصنع والتكلف، ونرى من خصائص إستعمال المبسوط موضع البسط، وإيقاع المصور موقع القصر، وهجر الغريب الوحشي، وإستنكاف الهجين السوقي.

وتلك الأدعية القرآنية هي التي ألقى الله جل مجده المحبة عليها بالقبول الحسن، تلوح دائماً عليها الطلاوة، وجمعت بين المهابة والحلاوة، ذات أسلوب جيد الإفهام، قلة أجزاء الكلام، لم يسمع الناس كلاماً أعم منها نفعاً، ولم يرو على إفادتها نقعاً، ولم يجدوا أصدق منها لفظاً ولا أعدل وزناً وأحسن مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح عن معناها ولا أوضح من فحولها.

وإذا تدبرنا في الأدعية القرآنية من جهتي صناعتها اللغوية والبيانية تجد أنها مسددة اللفظ محكمة الوضع، جزلة التركيب، متناسبة الأجزاء في التأليف فهي كلام فخم الجملة، واصنع الصلة بين اللفظ والمعنى المراد، وبين اللفظ وضريبة في التأليف والتنسيق، ثم لا نرى فيه حرفاً مضطرباً، ولا كلمة مستدعاة لمعناها أو مستكرهة عليه، ولا نجد فيه كلمة أختها من المترادفات أتم منه أداءً للمعنى أو أكمل إبرازاً لسره في الإستدام.

كذلك نجد الأدعية القرآنية بينة حسن المعرض، وبياناً واضح التفصيل، وكلاماً ظاهر الحدود، جيد الرصف بديع الإشارة غريب اللمحة ، ناصع البيان، ولا نرى فيه إجابة، ولا استكراهاً ولا نجد فيه إضطراباً، ولا خطلاً ولا استعانة من عجز، ولا ضعفاً من أي وجه، فنرى عبارة الأدعية القرآنية متواصلة متدفقة، تمر على الخاطر كالنسيم الطيب، أو تلج في مسارب الآذان، بعذوبة الألحان لا توقف فيها ولا تكلف، وذلك لأن منشئتها كان يسلم طبعه السمع ونفسه وعاطفته الرقيقة وذوقه الأدبي.

بيد أنا نجد في أوصال تلك الأدعية آثار عقل المنشيء الإنساني وذكائه وحذره وصنعته في التنسيق العجيب، وإحكام أحسن التركيب، شرطاً وجزاءاً واستثناءاً، وترتيباً واستنباطاً من غير أي تكلف، فعباراتها كالموسيقى مقسمة متئدة أو كالماء الجاري بين الصخور يتمهل ليظفر بالمسارب والمنافذ، كما تترشح من فقرها الحكمة المستلهمة.

إنا نجد في الأدعية القرآنية استعمال جميع أقسام البلاغة والفصاحة والحقائق والمجاز مع سائر الأقسام من الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان والكناية وجميع أنواع البيان والبديع.

وبالجملة أن الأدعية القرآنية فن التفكير والتصوير والتعبير، اكتنز في مدافنه جميع خصائل الأسلوب " العلمي الأدبي" وليس كفنون الأدباء أرباب المنثور والمنظوم، حيث تنقسم تلك الخصائل الأسلوبية أشتاتاً بينهم.

ونرى الأدعية القرآنية أسلوباً مثالياً أيده العقل بالحقيقة، وساعدته الكلمات الرقيقة، لها سهولة في السمع وعذوبة في القلب وروح في الصدر، ولذة كلذة الغناء وجمش الغنائية، إذا ورد لم يحجب، وإذا صدر لم ينس، وإذا طال لم يمل، وإذا قصر لم يخل، له غنج كغنج العين، ودل كدل الحبيب ، وله وقار كوقار الشيخ اللبيب، ولين كلين الصبيب، وحلاوة كحلاوة العافية، وأخذ كأخذ الخمور الصافية، وولوج كولوج النسيم، وله وقع كوقع القطر، ونفحة كنفحة العطر، واستواء كاستواء السطر، وسبك كسبك التبر.

اقتراحات والتوصيات

- في القرآن الكريم إشارات كافية إلى أسرار الكون التي تظهر قدرات الله تعالى وكبرياءه ولذا دعا الله تعالى إلى التفكر في الدلائل الأنفسية وإلا فاقية فللباحث مجال واسع في استخراج المحاسن المتعلقة بالعلوم الطبيعية والأرضية والبيولوجية وغيرها من العلوم التي لا يعلمها كل واحد فأرجو البحث من العلماء الذين يعرفون منخفضات هذه العلوم ومرتفعاتها فيأتوا بالمعارف القيمة التي تسبب لهداية القارئين وفوز الباحثين في الدنيا والآخرة وما ذلك على الله بعزيز. وأشرت إلى هذه الحقيقة معترفاً بعجزى في المبحث الثني من الاستعارة المصرحة التمثيلية فقلت: " ربما في تغشية الليل والنهار إشارة إلى إعجاز علمي متعلق ببيان الفطرة ولعلماء الطبيعة مجال واسع في اكتشاف اللدرر المكنونة في بحر المعرفة المستنبطة من القرآن الكريم وأنا كطالب المتعلقة بأهداب الصور البيانية ومفرداتها أعيد الاعتراف بقلة علمي في المجال المتعلق بوصف الفطرة وأترك هذا المجال لأصحابها موصيهم أن لا يتركوا هذه الخزائن مغشية كتغشية الليل النهار بل يخرجوها ويقسموها في مستحقيها".

القرآن وحدة متكاملة والإعجاز في تكامل هذه الوحدة فللمسلمين مجال واسع للمحاولة في كشف الستار عن هذه الناحية على أن هذه الناحية على أن هذا طريق وعر ولكن من جاهدوا في الله تعالى ليهديهم سبله وإن الله مع المتقين.

أرجو كل من يقرأ هذه السطور أن يذوِّق طلاب اللغة العربية خاصة والمسلمين عامة المحاسن الكامنة في أساليب محتويات علم البيان والمعاني والبديع فإنها تهدي صاحبها إلى الإهتداء إلى الصراط السوي بعلم اليقين.

- وفي الأخير أقترح في ضوء ما شعرت به أثناء البحث الأشياء الآتية.

خلال كتابة بحثي طرحت أمامي مواضع كثيرة التي تستحق البحث والتحقيق والمجال مفتوح لكل دارس وباحث أن يبذل جهوده.

في المواضع المذكورة أدناها :

- نداءات الرحمن لأهل الإيمان، الآيات التي تشتمل على نداءات "(يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنُوا)
- أسلوب الإنذار والتبشير في القرآن الكريم
- الآيات الواردة في الترغيب والترهيب في القرآن الكريم .
- أسلوب الإيجاز والإطناب والمشاكلة .
- إسهامات علماء شبه القارة الهندية الباكستانية في مجال البلاغة القرآنية .
- ألفاظ الحزن والسرور في القرآن الكريم.